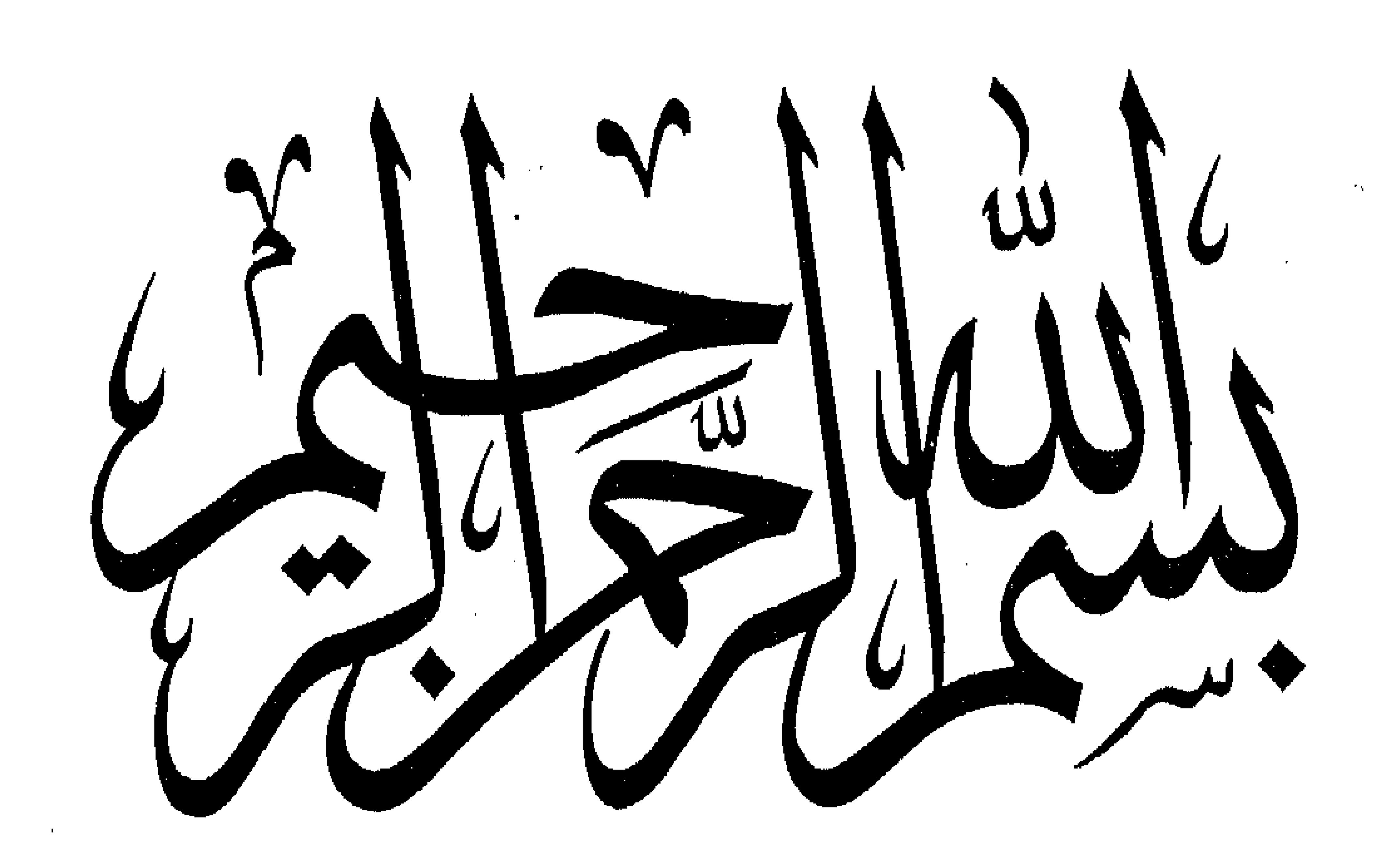
صدام حسين صنيعة المخابرات البريطانية والأمريكية

جرائم النظام الصدامى فى حق الأمة العــربية

القضية الفلسطينية - سوريا ولبنان - مصر - الأردن
الكويت ودول الخليج العربى - الجزائر وموريتنيا



لــواء أ.ح.م
حسام سويلم


بسم الله الرحمن الرحيم

صدام حسين صناعة المخابرات البريطانية والأمريكية

جرائم النظام الصدامى فى حق الأمة العربية

القضية الفلسطينية، سوريا ولبنان، مصر، الأردن، الكويت ودول الخليج، الجزائر وموريتانيا

لواء ركن متقاعد

حسام الدين محمد سويلم

جمهورية مصر العربية

الفهـرس

الفصل الثانى
جريمة النظام الصدامى فى حق دولة الكويت وشعبها

الفصل الثالث

صدام صناعة المخابرات البريطانية، وخدماته لإسرائيل

فهرس الفصل الرابع

من الهزيمة وحتى اثنى عشر عاماً بعدها، العراق إلى أين؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يصدر هذا الكتاب فى وقت تتداعى فيه قوى الاستعمار الجديد والصهيونية العالمية المعادية للأمة العربية عليها، "كما تتداعى الأكلة على قصعتها"، تنهش لحمها وتنتهك حرماتها، وتستحلب ثرواتها، لا يردعها عن ذلك رادع ولا ينهاها عنه ناهى. ولعل هذا الوضع البائس الذى تحياه أمتنا العربية يطرح سؤالاً بديهياً يفرض نفسه حول السبب الذى أودى بهذه الأمة إلى هذا المصير المزرى، وهى التى سادت معظم العالم فى أقل من ثمانين سنة من البعثة المحمدية، حين انتشر الإسلام من الصين شرقاً إلى الأطلنطى غرباً، ومن أسبانيا وسهول فرنسا شمالاً إلى جنوب أفريقيا والمحيط الهندى جنوباً، وأوجدت ثانى أعظم حضارة شهدتها البشرية بعد الحضارة المصرية القديمة، وهى الحضارة الإسلامية بعلومها ومعارفها وآدابها التى لا يزال العالم الغربى حتى اليوم يقتات على فتات موائدها كما يشهد بذلك معظم علماء الغرب؟!

والإجابة على هذا السؤال تستدعى فى الأساس أن نبحث ونتمعن فى أنفسنا وواقعنا وما آل إليه حالنا فى الداخل من تردى فى جميع مجالات العمل الإنسانى وعلى أصعدته السياسية والاقتصادية والأمنية والاجتماعية والإيديولوجية ومدى مسئوليتنا عن ذلك، قبل أن نلقى بالاتهامات فى وجه أعدائنا، أولئك الذين لم يفعلوا أكثر من كونهم استغلوا عوامل الضعف والوهن التى دبت فى نفوسنا وسرت فى أجسادنا بما يتفق وتحقيق أهدافهم وأطماعهم التوسعية والعدوانية على حساب أهدافنا وغاياتنا القومية، وتأمين مصالحهم غير المشروعة على حساب أمننا ومصالحنا واستقرارنا. لذلك لم يكن غريباً أن تنجح أساليبهم فى زرع الأنظمة السياسية العميلة التى تعمل لحسابهم وتخدم مصالحهم، بما تثيره من الفتن تلو الفتن فى البلدان العربية والإسلامية، حتى أصبحت تلك الفتن كقطع الليل البهيم يتلو بعضها بعضاً كما وصفها سيدنا رسول الله ﷺ منذ خمسة عشر قرناً، وهو الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى.

ولعل من أخطر الفتن التى تعرضت لها أمتنا العربية فى العصر الحديث، وخلال النصف قرن الأخير على وجه التحديد، فتنة النظام البعثى الصدامى الحاكم فى العراق، هذا النظام الذى آثار ثلاث حروب داخلية فى أقل من أربعين عاماً، الأولى ضد الأكراد والشيعة من شعبه، والثانية حربه الرعناء التى دامت ثمانى سنوات ضد إيران، والأخيرة تمثلت فى عدوانه الجبان ضد الكويت فى الثانى من أغسطس ١٩٩٠، وجميعها أتت على الأخضر واليابس فى العراق، وأثارت الصراعات والنزاعات والاستقطابات بين الدول العربية، والتى أنهكت قواها، واستنزفت إمكاناتها وقدراتها السياسية والعسكرية والاقتصادية، وكانت من الأسباب الرئيسية التى ساعدت على تحكم أعداءنا فى مقدراتنا، وسلب إرادتنا وفرض إرادتهم علينا. وما ذلك إلا بسبب الأحلام المجنونة لرأس هذا النظام (صدام حسين) فى إقامة إمبراطورية بعثية صدامية تبسط هيمنتها على كل الأمة العربية من المحيط إلى

الخليج، وأوهامه المريضة فى قدرته على تحقيق ذلك باستغلال إمكانات العراق الاقتصادية والعسكرية والبشرية، وإصراره على الإطاحة بجميع الأنظمة السياسية الأخرى الحاكمة فى الدول العربية، كسبيل أوحد وخطوة أولى لا بديل عنها فى مخططاته الهدامة لتحقيق غاياته وأهدافه العدوانية.

- وإذا كان هذا مما لا يخفى على الكثيرين فى الأمة العربية، وأصبح واضحاً وضوح الشمس، إلا أن الخطير فى الأمر - وكان السبب الرئيسى الذى دفعنا إلى الإسراع بدفع هذا الكتاب إلى القارئ العربى - هو نجاح النظام الصدامى الحاكم فى العراق فى استمرار خداع معظم العرب - حكاماً ومحكومين للأسف - رغم شواهد المآسى التى سببها هذا النظام الصدامى فى كل بلد عربى ابتلى بتدخله فى شئونه الداخلية، وتضليلهم عن حقيقة أهدافه وأطماعه التوسعية والعدوانية، وما يقدمه هذا النظام الصدامى من خدمات جليلة لأعداء الأمة العربية فى الخارج. حتى أصبح الكثير من العرب - بالوعى تارة وباللاوعى تارة أخرى - يندفعون فى تأييد هذا النظام المخادع ومساندة وتبرير ممارساته الإجرامية غير المشروعة فى حق الشعوب العربية، تلك الممارسات التى لم يخل بلد عربى من التعرض لها والتضرر منها بصورة أو بأخرى، وهو ما سنكشف عنه فى صفحات هذا الكتاب، حيث خانت الذاكرة الكثيرين فى أمتنا العربية عن إدراكها، وتبين مدى خطورتها.

- لذلك فإن من الدوافع وراء إصدار هذا الكتاب، ما أصاب الكثير من المخلصين فى العالم العربى من ألم اختلط بالحزن والغضب لما آلت إليه بعض المؤسسات السياسية وأجهزة الإعلام العربية التى اندفعت فى تأييد ومساندة النظام الصدامى فى ممارساته الإجرامية فى حق الشعوب العربية بدءاً بالشعب العراقى، تلتمس له الحجج والمبررات، غافلة عامدة متعمدة عما يسببه ذلك من تهديدات وأضرار للأمن القومى العربى على كافة الأصعدة وجميع المستويات. وإذا كان ذلك أمراً متوقعاً من جانب الإعلام العراقى الكاذب المضلل الذى احترف قلب الحقائق رأساً على عقب لكونه جزءً من النظام العراقى الذى يخدم سيده وأهدافه، فإنه غير مقبول من جانب باقى وسائل الإعلام العربية التى تدرك حقيقة الخيانة التى يجسمها النظام الصدامى ضد مصالح وأهداف الأمة العربية، ومن ثم لا يحق لها أن تمتهن كل تراث العرب الأخلاقى فى أمانة القول والكلمة، ولا أن تستخف بعقول الشعوب العربية التى تسمع وتقرأ وتشاهد، وقد ينخدع السذج منهم ويصدقون ما يصدر عن فحيح الأفاعى من دعاية سوداء ينفخ بها زبانية النظام الصدامى والمروجون له فى الأمة العربية، إرضاء لرئيسهم وإيهاما له بأنهم نجحوا فى طمس حقيقة طغيانه عن بعض العرب، وأنه يقود العراق إلى الهلاك والخراب والدمار والهاوية. فلقد هال المخلصون فى الأمة العربية هذا الحجم الضخم من الدعاية السوداء المشوهة، والتى لم تظهر أبداً من قبل بمثل هذه الضخامة من الزعيق والتصفيق والتضليل، وبهذا الزخم الهائل من النفخ، إلا لكبر الجرم الذى تحاول أن تخفيه، ولجسامة الخطر الذى تمثله. ولا نريد فى هذا المقام أن نقارن هذا النوع من الإعلام المتهاوى بإعلام جوبلز وزير الدعاية النازية، فرغم تشابه دعاوى الفريقين فى الشر والنزوع إلى الهيمنة على الشعوب من منطلق القوة والتعالى والتفوق، إلا أن إعلام جوبلز الهتلرى كان يستند إلى حقائق من القوة العسكرية والعلمية والاقتصادية، يفتقر إليها الإعلام العراقى المتهاوى والمنساقين وراءه من أجهزة الإعلام العربية، ولكن هيهات .. فكما أن الليل لا يمكن أن يستمر، فشمس

الصباح كفيلة بتبديده، كذلك فإن الحقائق لابد أن تظهر، وعندئذ ستتكشف الأستار، وتظهر حقيقة الجرم الذى ارتكبه النظام الصدامى الباغى والطاغى فى حق الأمة العربية والإسلامية، وعندها أيضاً ستظهر حقيقة الجرم الإعلامى الذى افتقد كل صفات الحياء، وبالتالى لم يكن إعلاماً بقدر ما كان تضليلاً للجماهير عن رؤية الحق وإدراك الحقائق. إن الإعلام العراقى ومن سار وراءه من أبواق الإعلام المأجور سيدركون فى يوم قريب إنشاء الله حقيقة هامة ستظل جرحاً فى سجل شرفهم المهنى الإعلامى إلى الأبد، وهى أنهم صفقوا لسفاح مجرم هو صدام حسين لم يشهد التاريخ العربى والإسلامى له مثيلاً فى عدائه للعروبة والإسلام ولحريات الشعوب وإرادتها، كما لم تشهد مقامراً ولا مغامراً بمصير شعبه مثله.

- ولأن هذا النظام الصدامى الحاكم فى العراق لا يزال مستمراً فى غيه وبغيه لم يتخل عن أهدافه وغاياته التوسعية، ومخططاته العدوانية ضد البلدان العربية، لأنه ببساطة لم يغير جلده، بل زادت هذا الأهداف هدفاً آخر لا يقل خطورة عنها، وهو الانتقام من الهزيمة المخزية التى تعرض لها جيشه فى حرب تحرير الكويت، ولأن الشعب العراقى المغلوب على أمره هو أول المتضررين من هذا النظام القابع على أنفاسه لأكثر من ثلاثين عاماً، حيث لم يكتف صدام حسين بما سببه حكمه الدكتاتورى القمعى لهذا الشعب المبتلى به من مآسى، بل أخذ أيضاً يتاجر بآلامه ومعاناته ويمعن فيها، اتساقاً مع مخططات صدام فى خداع العالم وتضليله، محاولاً صرف أنظار العالم عن حقيقة هامة، وهى أن صدام حسين هو السبب الرئيسى وراء معاناة شعبه، بل ويعمل على استمرارها لكونها تخدم مخططاته المخادعة فى إثارة الرأى العام العربى والإسلامى ضد بعض الدول العربية بتحميلها مسئولية معاناة العراقيين، ناهيك عما تحققه هذه المخططات من أحكام سيطرته وقبضته على رقابهم. لذلك وانطلاقاً من هذه الأسباب والواقع حرصنا على أن نضع هذا الكتاب حول جرائم النظام الصدامى ومخاطره على الأمن القومى العربى، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، حتى يكون القارئ العربى على بينة من الحقائق التى يريد هذا النظام تضليله عنها، وصرف أنصاره عن خطورتها، وهى حقائق غير قابلة للتشكك فيها لأنها مدعومة بالوثائق والمعلومات المؤكدة. وقد قسمنا هذا الكتاب إلى أربعة فصول على النحو التالى:

الفصل الأول: السجل التاريخى لجرائم النظام الصدامى فى حق البلدان العربية [فلسطين، سوريا، لبنان، مصر، الجزائر، الأردن، السعودية، الإمارات، البحرين، عمان]، اتساقاً مع الغايات والأهداف السياسية والاستراتيجية لهذا النظام، ومخططاته، والتى تكشف عنها وثائق حزب البعث العراقى.

الفصل الثانى: جريمة النظام العراقى فى حق دولة الكويت وشعبها.

الفصل الثالث: تبعية صدام حسين لأجهزة المخابرات البريطانية والأمريكية، وعلاقاته التحتية مع إسرائيل.

الفصل الرابع: ما تشكله سياسة النظام الصدامى حالياً من تهديدات ومخاطر على الأمن القومى العربى، فى بعديه القومى والقطرى.

- وخلاصة ما نريد قوله فى هذا الكتاب أنه ليس أحب إلى قلوب المخلصين فى الأمة العربية حكاماً ومحكومين من عودة التضامن إلى الصف العربى، وأن تهدأ النفوس وتتصافى للتفرغ للمواجهة مع

العدو الصهيونى، إلا أننا نجد استمرارية صلف وغدر وخيانة وتآمر النظام الصدامى الحاكم فى العراق عقبة كبرى كؤود تعرقل وتعيق تحقيق هذا الهدف القومى والأمنية العربية الغالية. فما زال هذا النظام سادراً فى غيه يهدد جيرانه، متآمراً ومتطاولاً بسوء الأدب على القادة العرب فى كل دولة عربية، رامياً بين حين وآخر ببالونات الكذب والخداع التى تدعو إلى المصالحة، وطى صفحة الماضى، والتى ما أن يتجاوب معها القادة العرب كما حدث فى قمة عمان عام ٢٠٠٠ حتى ينكص عنها ويرجع سريعاً كاشفاً عن أنيابه وسوء نواياه.

- ومن ثم فإن عراق الوضع القائم فى ظل النظام الصدامى الذى يحكمه، ليس رقماً موجباً يمكن أن يضاف كما يظن البعض إلى الرصيد العربى، بل رقم سالب مخرب ومدمر يحرض الشعوب على حكامها فى هذه الأوقات الحرجة والصعبة. فبينما هو يدعى كذباً تجييش الجيوش لتحرير فلسطين، فإنه يتفاوض من وراء ستار مع العدو الإسرائيلى كما كشف عن ذلك رئيس وزراء إسرائيل السابق يهودا باراك للرئيس الأمريكى السابق كلينتون، كما نجده يستخدم جيوشه إن وجدت للعدوان على جيرانه كما حدث بالنسبة لإيران والكويت والسعودية، أو للتآمر على سوريا والأردن والانقلاب على أنظمة الحكم فيها، أو للاقتتال الداخلى فى حرب أهلية قادمة قد يشعلها صدام لتؤمن له تمسكه بكرسى الحكم، ولكنها لن تبقى ولن تذر، وسيكون هو أول من ستفتك به جماهير العراق وهى فى سبيلها للإطاحة بنظام حكمه الدموى البغيض، ونحن على يقين من أنه سيشرب يوماً من نفس كأس العذاب الذى أذاقه طويلاً لشعب العراق وللشعوب العربية الأخرى.

الفصل الأول

السجل التاريخى لجرائم النظام الصدامى فى حق البلدان العربية

لم يكن العدوان العراقى الغاشم على الكويت فى الثانى من أغسطس ١٩٩٠ هو الجريمة الوحيدة التى ارتكبها النظام الصدامى فى حق الأمة العربية، فقد سبقه وتلاه عشرات الجرائم الأخرى التى ارتكبها هذا النظام فى حق بلدان عربية أخرى لم تخطئ فى حق العراق، بل على العكس من ذلك، فقد حافظت على حقوق الجيرة والعروبة والإسلام معه، وقدمت له كل الدعم والمساندة فى الأزمات التى تعرض لها بسبب حماقات النظام الحاكم فيه، فكان جزاءها على يد النظام الصدامى هو جزاء (سنمار) كما يقولون. ومن هذه الدول العربية السعودية والإمارات والبحرين وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين وموريتانيا ومصر، وجميعها تعرضت للكثير من آثار حقد النظام الصدامى عليها، وكراهيته الدفينة لها والتى ليس لها أى مبرر سوى الطمع فى ثرواتها، وبسط الهيمنة الصدامية على مقدراتها.

حقيقة الغايات والأهداف السياسية للنظام الصدامى[١]

وإذا تعمقنا قليلاً فى أسباب ودوافع عدوان النظام الصدامى على الكويت، والذى استمر قرابة سبعة أشهر حتى انتهى بهزيمة واندحار جيشه وطرده منها، فسوف نجد أن هذا العدوان كمثل صارخ على جرائم النظام الصدامى فى حق الأمة العربية لم يكن وليد ظروف استثنائية تتمثل فيما ادعاه هذا النظام من استنزاف الكويت لحقل نفط الرميلة، ولا قضية ديون العراق، أو لإيجاد منفذ بحرى للعراق على الخليج .. إلى غير ذلك من المزاعم العراقية التى لم تكن فى حقيقتها أكثر من ذرائع لتبرير العدوان، وخداع وتضليل الرأى العام العربى والعالمى عن حقيقة الأهداف القطرية لحزب البعث الحاكم فى العراق، والتى صاغها هذا الحزب فى وثائقه منذ ما قبل توليه السلطة فى العراق عام ١٩٦٨، وهى أهداف تعكس الأيديولوجية العدوانية والتوسعية التى اتسمت بها سياسة هذا الحزب عبر تاريخ حكمه للعراق، وتسعى إلى بسط هيمنة هذا الحزب على كل منطقة الخليج ليصبح حاكمها وسيدها الأوحد المطاع، المسيطر عليها سياسياً وأمنياً واقتصادياً، يستحلب خيراتها، ويستعبد أبناءها، كخطوة أولى نحو مد سيطرته وهيمنته فيما بعد إلى باقى العالم العربى لإقامة الإمبراطورية الصدامية الكبرى .. كقوة إقليمية عظمى فى الشرق الأوسط.

ولم يحاول صدام حسين إخفاء هذه الأهداف، بل نجده يعلنها صراحة ودون خجل أو تردد فى كتاب أصدره فى بغداد عام ١٩٨٠ تحت عنوان (مقتطفات من أقوال صدام حسين)، حيث أوضح فيه وبجلاء حقيقة أهدافه وأطماعه فى ابتلاع المنطقة كلها، ومعالم المخطط الموضوع لتحقيق هذه الأهداف، كما بشّر فيه صدام بكل ما حدث ويحدث فى المنطقة من فوضى وانعدام أمن واستقرار بسبب ممارساته العدوانية ضد بلدانها. وهو كتاب يشبه إلى حد كبير كتاب (كفاحى) الذى ألفه الزعيم النازى هتلر قبل تقلده السلطة فى ألمانيا، وعرض فيه كل الأفكار والآراء التى طبقها بعد ذلك، وأدت إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية وتقسيم ألمانيا بعد احتلالها بواسطة الحلفاء فى عام ١٩٤٥. إلا أن صدام حسين بما

اشتهر عنه من غرور مقرون بالغباء، لم يستطع أن يفهم ما تحمله هزيمة ألمانيا النازية من معنى، لعلها تردعه عن الاستمرار سادراً فى غيه، فأصر على المضى سالكاً نفس الطريق الذى أدى إلى هزيمة هتلر وسقوط وتقسيم ألمانيا. ولعل الفكرة الأولى فى كتاب صدام حسين، والتى لفتت أنظار المتابعين بقلق لما كان يجرى على الأرض العراقية منذ توليه السلطة، هى محاولة إظهار أن أرض العراق ضيقة على العراقيين، وأنهم فى حاجة إلى الانطلاق لما وراء الحدود، برز ذلك بوضوح فى قوله: "إن اهتمامات حزب البعث تتعدى حدود العراق، لأن الأرض العراقية تضيق على العراقيين، وهم فى حاجة إلى الخروج من حدود بلادهم". ثم يكشف صدام عن الوسيلة الرئيسية التى يعتمدها البعث العراقى لتحقيق هذا الهدف التوسعى، عندما أضاف إلى قوله السابق ما يلى: "نريد أن تلعب بلادنا دوراً قيادياً فى المنطقة، ولا أذيع سراً إذا ما قلت أن دورنا يقصد البعث العراقى لا يقتصر على حدود العراق وحده .. فنحن قادرون على عبور حدودنا لنضرب مصالح أعدائنا أينما كانت، تلك هى سياستنا التى لا نخفيها عن أحد"!!

- وفى خطاب لصدام حسين ألقاه فى إبريل ١٩٧٤ وكان آنذاك نائباً لرئيس الجمهورية قال: "لن نندم على شئ إذا ما صار القتال ضرورة حتمية للدفاع عن تطلعاتنا، وسوف نشن عندئذ قتالاً ضارياً"!! فهل بعد ذلك إفصاح عن حقيقة أهداف ونوايا صدام حسين العدوانية تجاه الدول المجاورة للعراق فى منطقة الخليج، وما تمثله من أطماع فى أراضى وثروات دولها، وأولها جارته الصغيرة (الكويت) تلك الكعكة الذهبية التى طالما سال لعابه لالتهامها منذ سنوات طويلة، ومن بعدها باقى دول الخليج العربية .. السعودية والبحرين وقطر والإمارات ثم عمان، وبذلك يمكن للنظام الصدامى أن يتحكم فيما يزيد عن ستين بالمائة من إنتاج النفط العالمى ومخزونه الاحتياطى، ناهيك عن سيطرته على طرق الملاحة البحرية فى المنطقة وخطوط أنابيب نقل النفط، حيث مضيق هرمز الاستراتيجى، والانطلاق منه إلى خليج عمان وبحر العرب فى المحيط الهندى، كذلك إلى خليج عدن ومضيق باب المندب المتحكم فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر، والذى تسيطر عليه جمهورية اليمن الحليف التقليدى للنظام الحاكم فى العراق.

- وما نذكره فى هذا الصدد ليس ضرباً من الخيال أو المبالغة، بقدر كونه ترجمة صحيحة لخريطة وضعها صدام حسين وأرسلها قبل عدوانه على الكويت إلى رئيس جمهورية إيران آنذاك هاشمى رافسنجانى حيث أظهر فيها صدام الحدود البحرية للعراق تمتد لمسافة ٨٠٠ ميل حتى خليج عمان، وهو ما أدهش الرئيس الإيرانى وأثار ارتيابه وفزعه من أهداف وأطماع صدام حسين فى منطقة الخليج.

- وليس بغريب بعد أن يبسط النظام الصدامى هيمنته على منطقة الخليج، أن يستتبع ذلك خطوات أخرى تأكدت نواياه إزاءها، تستهدف مد هذا النفوذ إلى الأردن وسوريا ولبنان غرباً، وبذلك يحقق سيطرته الكاملة على المشرق العربى. وما كان تواجد الجيش العراقى فى الأردن إبان أزمة أيلول الأسود عام ١٩٧٠ إلا لإحداث انقلاب بعثى ضد نظام الملك حسين، وما كانت محاولات المخابرات العراقية المتتالية ضد القيادات السورية إلا للقضاء على جناح حزب البعث فى دمشق ومد نفوذ البعث العراقى

إلى سوريا، كذلك لم تكن المساعدات العسكرية العراقية لجنرال لبنان المنشق ميشيل عون فى الثمانينات إلا وسيلة لتهديد سوريا وتحقيق هذا المخطط. ثم بواسطة أعمال الإرهاب وتغلغل نفوذ البعث العراقى فى باقى الدول العربية التى أسس له قواعد فيها خاصة السودان ودول المغرب العربى يمكن تطويق مصر محاولاً فرض إرادته عليها من خلال العبث بأمنها الداخلى بالجماعات السياسية والدينية المتطرفة التى ينجح البعث العراقى فى استقطابها.

- يؤكد هذه المفاهيم العدوانية لدى النظام الصدامى، ما كشف عنه حديث دار بين صدام حسين مع عدد من سفراء العراق فى أوروبا واليابان فى ١٢ يونيو ١٩٧٥ قال فيه: "إن البعث لاحظ بعملية دقيقة حركة الواقع العربى والعلاقة بين استراتيجية الثورة فى القطر العراقى والمهام القومية للحزب .. إننا لا نعتبر الرقعة التى نقف عليها هنا فى العراق هى نهاية المطاف فى نضالنا، بل إنها جزء من أرض وأهداف أوسع منها هى الوطن العربى كله وأهداف النضال العربى الأوسع والأشمل"، أليس هذا دليلاً كافياً على أن التوسع على حساب الجيران بالطبع هو هدف رئيسى من أهداف البعث العراقى؟ وأن هذا التوسع هو الذى دفع النظام العراقى إلى شن حربه ضد إيران لضم عربستان وشط العرب بما تضمه من موارد مائية ونفطية ضخمة؟ وكذلك جاء غزوه للكويت ليس من أجل الإسلام ولا من أجل توزيع الثروة كما ادعى صدام وزمرته، بل من أجل تحريك نزعة التوسع والسيطرة لدى الجماهير العراقية لكى تسرع الخطى وتقف على أبعد أرض تراها عيونهم وتطولها أقدامهم؟!

وفى موضع آخر من وثائق البعث العراقى (القيادة والأزمة) يقول صدام: "ترتكز سياستنا الاقتصادية فى منهجها العام ليس على أساس حساب الاحتياجات ضمن القطر العراقى، إنما على حساب دورنا فى سد جانب من الاحتياجات المتوقعة للشعب العربى والوطن العربى كله، وكل أساس يربط حلقات التطور عبر شمولية الحياة العراقية عموماً ومن بينها الحياة الاقتصادية، ومن ربطها ربطاً محكماً بتصوراتنا القومية لبناء دولة العرب الكبرى ودور حزبنا البعث العربى الاشتراكى فى ذلك. واضعين فى الاعتبار أن الدولة الأكثر اقتداراً فى بناء الحلقات المركزية لتطور دولة العرب الكبرى (يقصد بها العراق طبعاً) يجب ألا تتردد فى هذا، وتنتظر ريثما تتوافر الفرصة لأقطار عربية أخرى فى الوطن العربى"!! فهل هناك خداع وتلاعب بالشعارات أبلغ من هذا؟ حيث يبرر النظام الصدامى لنفسه الاستيلاء على ثروات البلاد المجاورة للعراق بدعوى سد الاحتياجات المتوقعة للشعب العربى والوطن العربى كله!! وهو فى هذا يعطى لنفسه الحق فى أن يكون القائم على ما يزعمه من بناء دولة العرب الكبرى باعتبار العراق فى نظر صدام حسين الدولة الأكثر اقتداراً على أن تكون الدولة المركزية فى دولة العرب الكبرى، ثم يكشف عن حقيقة نواياه عندما يقول أن العراق لن تتردد فى النهوض بهذه المسئولية ذات الصفة العدوانية والتوسعية.

- ثم يمضى صدام حسين فى الكشف عن حقيقة أهدافه فى السعى لإسقاط الأنظمة الحاكمة فى الدول العربية، فيقول فى نفس الكتاب: "إن البعث يلبى حاجات الأمة، إنه نقض للمجتمع العربى التقليدى بكل سلبياته .. لقد كان نشوء حزب البعث العربى الاشتراكى دليلاً على إدانة للواقع بكل أبعاده، وللطبقات الحاكمة، ونذيراً بنهاية تلك الطبقات وتجاوز الواقع".

فهل بعد ذلك يمكن أن يكون هناك إفصاح عن حقيقة أهداف ونوايا النظام الصدامى تجاه الدول المجاورة له فى منطقة الخليج، وما تمثله من أطماع فى أراضى وثروات هذه الدول، وأولها جارته الصغيرة الكويت باعتبارها الأقرب للعراق والأضعف جيوبوليتيكياً فى سلسلة دول الخليج العربية.

ومن الواضح أن هذه المزاعم التى ما فتئ النظام الصدامى يرددها بشكل أو بآخر حتى اليوم، ليس لها أدنى أساس من الصحة، ذلك أن العراق دوناً عن سائر الدول العربية هى البلد الوحيد التى تتمتع بمزايا جيوبوليتيكية لا تتوفر لغيرها من البلدان العربية. حيث منحها الله تعالى وفرة فى الماء مع وفرة النفط، فى وقت تنقسم فيه البلدان العربية بين دول ماء ودول نفط، وكان الأجدر بالنظام الصدامى أن يستثمر تلك الموارد الهائلة من الثروة الطبيعية فى بناء قاعدة قوية للتنمية الزراعية والصناعية، لاسيما وأن كثافة سكان العراق مقبولة (١٨ مليون نسمة) أى ٤٠ فرد/كم٢. ومن ثم فهو لا يعانى أزمة تضخم سكانى كما هو الوضع فى مصر أو باكستان يتطلب الأمر معها إجراء تفريغ سكانى فى الدول المحيطة به كما يدعى صدام حسين فى كتابه، بل يعانى فى الواقع من ضعف ديموجرافى بالنظر لضآلة هذه الكثافة. لذلك كان من المفروض أن يكون العراق نموذجاً تنموياً رائداً فى العالم العربى، وذلك بما يحويه من مصادر هائلة للثروة، أبرزها الثروة النفطية التى تضخ للعراق سنوياً حوالى ١٥-٢٠ مليار دولار (ثانى أكبر عائد نفطى فى الخليج بعد السعودية)، وبما يجعل نصيب الفرد العراقى منها حوالى ١١ ألف دولار سنوياً، ويضعه فى مستوى معيشة أفضل من التى يتمتع بها الفرد فى سويسرا، هذا إذا ما جرى توزيع ثروة العراق بالعدل بين أبنائه، ولكن للأسف نجد الإنسان العراقى على العكس من ذلك، يحيا فى أدنى مستويات المعيشة التى تكاد تقترب من خط الفقر بسبب نهب وسرقة ثروة العراق بواسطة حكام النظام الصدامى لأكثر من ثلاثين عاماً. لقد ظلت صورة العراق منذ تولى النظام الصدامى الحكم فيه مؤسفة ومخزية، حيث أهدرت موارده البشرية بعد أن هاجر ثلاثة ملايين عراقى إلى بلاد أخرى فى أوروبا وآسيا وأميركا فراراً من وطأة الظلم والاضطهاد وأعمال القمع التى تمارسها السلطات الأمنية التابعة للنظام الصدامى، كما أهدرت موارد العراق الاقتصادية فى مغامرات عسكرية عبثية وحروب بلا هدف ولا نتيجة ضد جيرانه، إلى الدرجة التى أوصلت معدلات التنمية فيه إلى مستويات متواضعة للغاية (٣-٥% سنوياً) لا تتناسب مع الدخل القومى للعراق. كما لم يزد متوسط العمر فى العراق عن ٦٠ عاماً بسبب تدنى الخدمات الصحية، بينما وصل إلى ٧٢ عاماً فى الكويت وقطر والبحرين، و٦٥ عاماً فى السعودية وعمان، وهى معدلات تقترب من تلك المتواجدة فى الدول المتقدمة. وبالنسبة للتعليم فإن عدد المتعلمين فى العراق لم يزد عن نصف من هم فى سن التعليم، بينما وصلت هذه النسبة إلى ٧٥% فى دول الخليج الأخرى، و٨٥% فى الأردن التى بلا نفط ولا ماء. ويبرر النظام الصدامى ضعف الأداء الاقتصادى إلى حرب الثمانى سنوات مع إيران وهو ما ليس حقيقياً، ذلك لأن الضعف الاقتصادى والاجتماعى سبق هذه الحرب بسنوات ومنذ أن تولى البعث الصدامى السلطة فى العراق عام ١٩٦٨، حيث اتبع نفس النهج الشمولى الذى سارت عليه النظم الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى السابق وبلدان أوروبا الشرقية فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية، والتى كانت تواجه - مثل العراق أزمة الشرعية والإنجاز بمزيد من القهر السياسى فى الداخل والمغامرات العسكرية فى الخارج والتى تسببت فى زيادة الإنفاق الدفاعى حتى وصل إلى نسبة ٣٠% من الدخل

القومى، ناهيك عن الإسراف فى الإنفاق على الدعاية للنظام، ومظاهر الأبهة واحتفالات أعياد صدام حسين وشراء الذمم والأصوات فى الخارج .. إلى غير ذلك من المجالات التى أهدرت فيها ثروات الشعب العراقى.

دعائم حكم النظام الصدامى (٢)

- ولتحقيق الأهداف السياسية للنظام الصدامى، وضع مخططاً استراتيجياً يرتكز على خمسة دعائم رئيسية كالآتى:

أ- **الدعامة الأولى: دعامة سياسية وأمنية:** تستهدف فى الخارج احتواء مصر والأردن واليمن والمنظمة الفلسطينية من خلال إقامة مجلس التعاون العربى. بدءً بتحييد قدرات مصر السياسية والعسكرية عندما ينطلق العراق لتنفيذ مخططاته، والأردن لأنه الحليف الذى يمكن التعاون معه، وللاستفادة بموقعه الاستراتيجى الفريد بين إسرائيل وسوريا ومنطقة الخليج، ناهيك عن الحنكة السياسية لملك الأردن وعلاقاته المتميزة مع الغرب، أما اليمن فلكونها الشوكة التى يمكن أن تزعج السعودية فى الجنوب. والمنظمة الفلسطينية لأنها صاحبة القضية التى يمكن المتاجرة بها وبشعبها لصالح تنفيذ الأهداف والمخططات العراقية. ثم يجئ التعاون والتنسيق السياسى والاستراتيجى بين النظام الصدامى والسودان ليمكن من خلال الأخير احتواء وتهديد مصر من الجنوب، ونشر القوات العراقية الصاروخية والجوية فى السودان فى حالة تعرضها للتهديد فى منطقة الخليج، نفس الأمر فيما يتعلق بالتعاون مع موريتانيا لإجراء التجارب الصاروخية العراقية على أرضها إذا تعذر إجراءها فى العراق. أما على الصعيد الدولى، فإنه باستغلال العلاقات الاقتصادية المتميزة بين العراق وكل من روسيا وفرنسا والصين يمكن تشكيل جبهة ضغط فى مواجهة التحالف الأمريكى-البريطانى إذا ما فشل النظام الصدامى فى تحييد الولايات المتحدة وبريطانيا. أما فى داخل العراق، فقد استهدف النظام الصدامى إقامة نظام حكم شمولى يستند إلى أجهزة أمنية قمعية قوية ومتغلغلة فى كافة الكيان العراقى، وقادرة على استخدام أقصى صور العنف والبطش للقضاء على أى معارضة له فى الداخل وفى الخارج، بالإضافة لبناء علاقات قوية بين النظام الصدامى ومختلف القبائل والعشائر والطوائف المؤثرة داخل العراق، وبما يؤمن سيطرة النظام الصدامى على أنشطتها جميعاً.

ب- **الدعامة الثانية: دعامة عسكرية:** تتمثل فى إقامة قوة عسكرية متفوقة فى قدراتها الكمية والنوعية، وعلى الأصعدة البرية والجوية والبحرية وأسلحة الدمار الشامل، على كل ما تمتلكه الدول العربية المجاورة للعراق وإيران من أسلحة مماثلة، يساندها نظام مخابراتى قوى، مع ضرورة تأمين الولاء الحزبى التام من جانب جميع عناصر القوات المسلحة العراقية لقيادة النظام الصدامى فى الحكومة وحزب البعث.

ج- **الدعامة الثالثة: دعامة اقتصادية:** تتمثل فى استثمار عائدات النفط الضخمة والتى تقدر بحوالى ١٥-٢٠ مليار دولار سنوياً من أجل تحقيق أهداف النظام الصدامى التوسعية، سواء على الصعيد السياسى فى شراء الأنظمة السياسية الحاكمة فى الخارج أو ولاءات القبائل والعشائر وكبار ضباط الجيش.

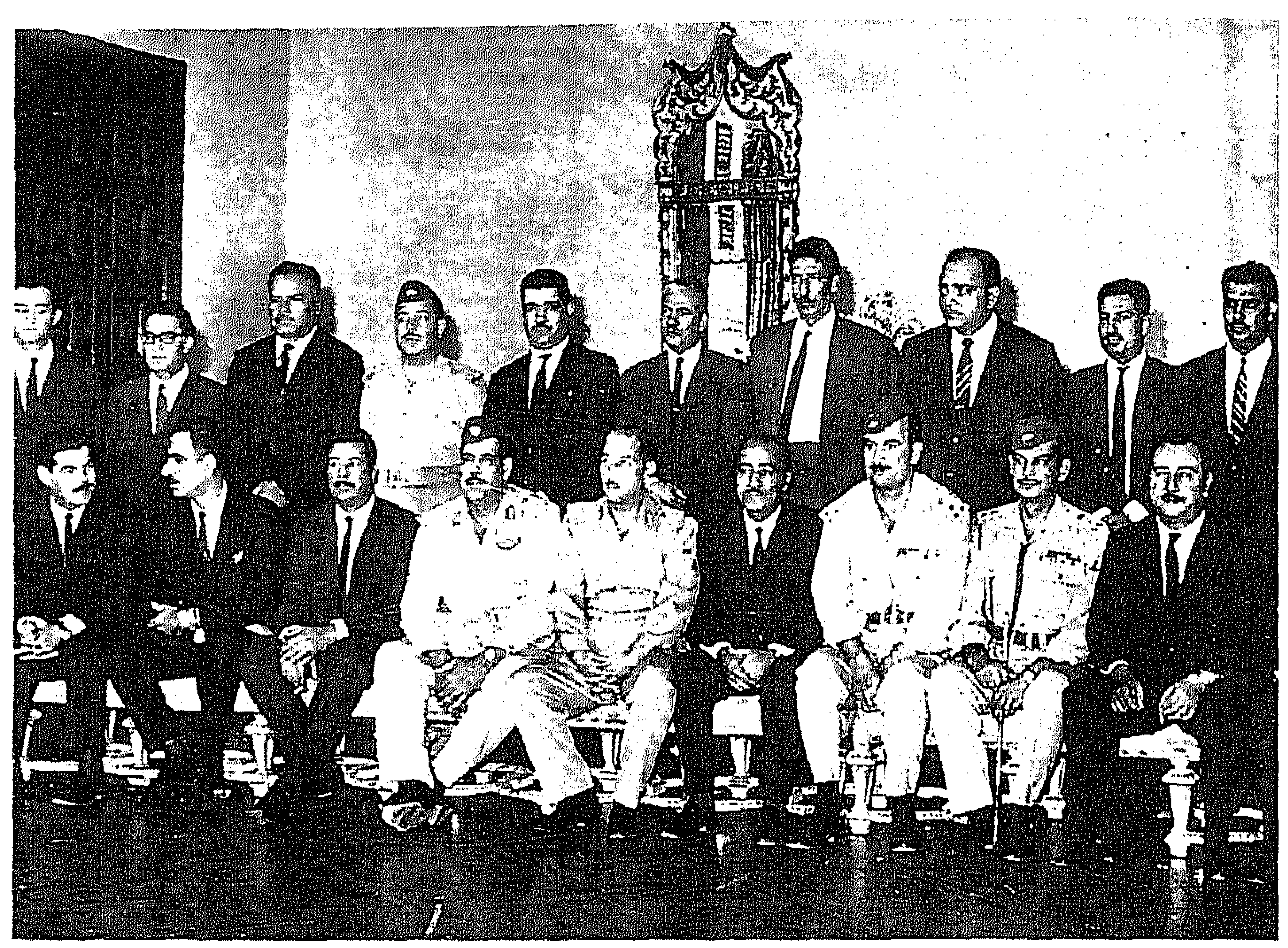
كذلك على الصعيد العسكرى فى تأمين متطلبات القوات المسلحة، نفس الأمر بالنسبة للجهاز الإعلامى فى الداخل والخارج، وبما يثبت أقدام النظام الصدامى على كافة المستويات ويخدم تحقيق أهدافه ومخططاته.

د- **الدعامة الرابعة: دعامة إعلامية:** تتمثل فى جهاز إعلامى ودعائى ضخم، له القدرة على التأثير فى الجماهير العربية داخل العراق وخارجه، والترويج لأهداف وسياسات واستراتيجيات النظام الصدامى، وتبرير ممارساته العدوانية والتوسعية، وذلك على المستويات المحلية والإقليمية والدولية (وقد نجح هذا الجهاز بالفعل بفضل الميزانية الضخمة المخصصة له فى شراء الكثير من الإعلاميين العرب والأجانب الذين يروجون لسياسات ومغامرات النظام الحاكم فى العراق، وكان أبرز أمثلة ذلك تكريس قناة الجزيرة للدفاع عن هذا النظام). وتبلغ ميزانية الإعلام فى القصر الجمهورى فقط خلاف وزارة الإعلام ٢ مليار دولار. وقد قال صدام يوماً أثناء الحرب مع إيران: "إن الأعلام الكفء يستطيع تغطية المواقف العسيرة وتحويلها إلى نصر" !!

هـ **الدعامة الخامسة: جهاز إرهابى:** يرتكز إلى قاعدة تنظيمية وعسكرية داخل العراق، ويتمتع بنفوذ وامتدادات له فى الخارج، ويرتبط فى ذات الوقت بعلاقات تعاونية قوية مع منظمات إرهابية أخرى عربية و دولية منتشرة على كل الساحة العالمية. ويمكن من خلال أنشطة هذا الجهاز تهديد وابتزاز وردع الحكومات والهيئات والمؤسسات والأشخاص الذين يبدون معارضة لسياسات وممارسات النظام الصدامى.

- وبذلك يمكن أن يحقق النظام الصدامى هيمنته على المنطقة العربية من الشرق الأوسط، ويتقدم إلى النظام العالمى كقوة إقليمية مهابة وقادرة على فرض إرادتها دولياً، وبما يمكنها من أن تكبح جماح التطلعات الإيرانية فى المنطقة، ويحقق التوازن الاستراتيجى فى مواجهتها، كذلك فى مواجهة إسرائيل، حيث لا يسعى النظام الصدامى إلى الدخول فى مواجهات عسكرية مع أى من هاتين القوتين فى المنطقة، بل يسعى من خلال الجهود السياسية إلى تحييدها وبما يمنعهما من مناوئة مخططاته فى المنطقة العربية. أما على المستوى الدولى فقد سعى النظام الصدامى قبل عدوانه على الكويت إلى كسب تأييد ودعم ومساندة الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة، وذلك من خلال بناء لوبى قوى يدافع عن مصالحه فى دوائر الكونجرس والإدارة الأمريكية وشركات النفط الأمريكية، ويروج لوجهة النظر الصدامية فى أن يقوم العراق بدور الشرطى والحارس الأمين لمصالح الغرب فى المنطقة، خلفاً للدور الذى كان ينهض به شاه إيران سابقاً. وقد استغل النظام الصدامى فى هذا الصدد علاقاته السياسية والعسكرية والمخابراتية والتجارية التى توطدت مع كل من واشنطن وباريس ولندن وروما، طوال فترة حرب الثمانى سنوات مع إيران، وهو ما تأكد فى محاضر المقابلات التى نشرت بين صدام حسين وأبريل جلاسبى سفيرة واشنطن فى بغداد عشية عدوان العراق على الكويت، كذلك فى لقاء صدام مع وفد الكونجرس الأمريكى برئاسة السيناتور (روبرت دول).

أركان النظام الصدامى



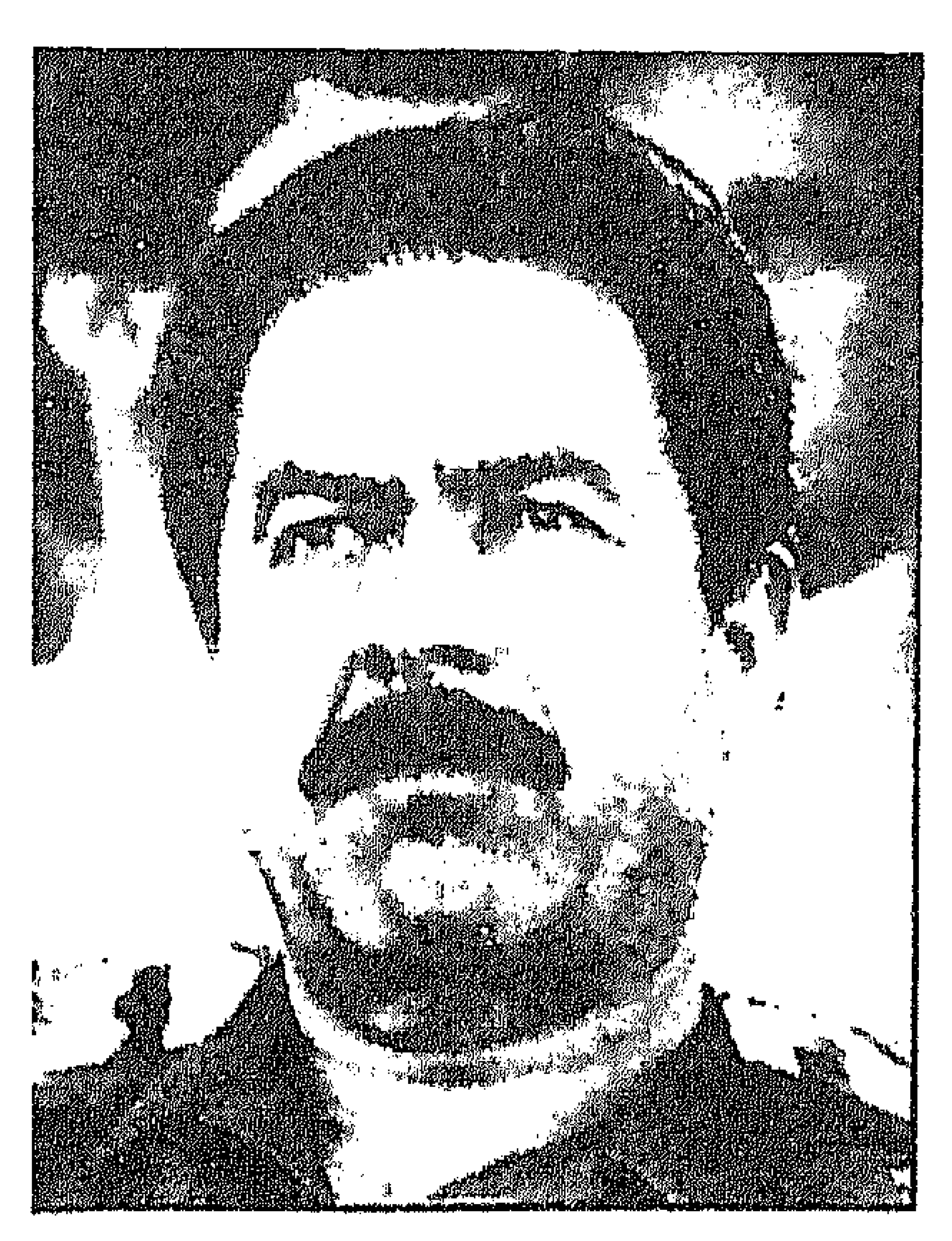
أعضاء مجلس قيادة ثورة ١٧ يوليو ١٩٦٨ يتوسطهم الرئيس أحمد البكر، ويلاحظ أن صدام حسين لم يكن بينهم، ثم قام بتصفيتهم جميعا بعد ذلك.



صدام حسين الرجل الثانى فى العراق بعد تصفيته لجميع أعضاء مجلس قيادة الثورة



برزان التكريتى، الأخ غير الشقيق لصدام، وأول رئيس للمخابرات العامة العراقية



□□ علي حسن المجيد.

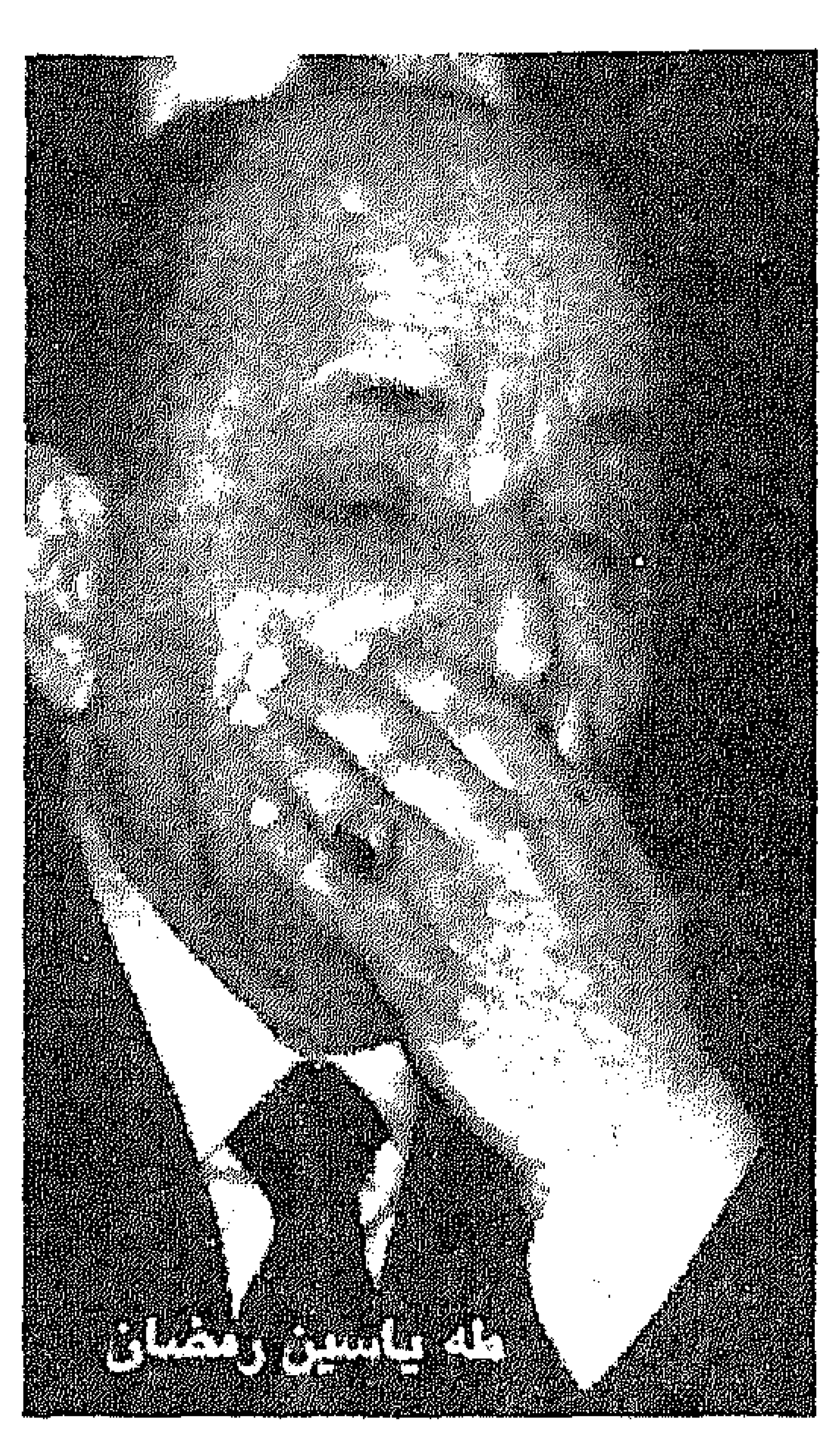
على حسن المجيد، ابن عم صدام ويعرف بـ(على الكيماوى) لإشرافه على إبادة الأكراد والشيعة بالأسلحة الكيميائية



حسين كامل، صهر صدام ورجل الصناعات الحربية الذى هرب إلى الأردن ثم عاد للعراق وأعدمه صدام



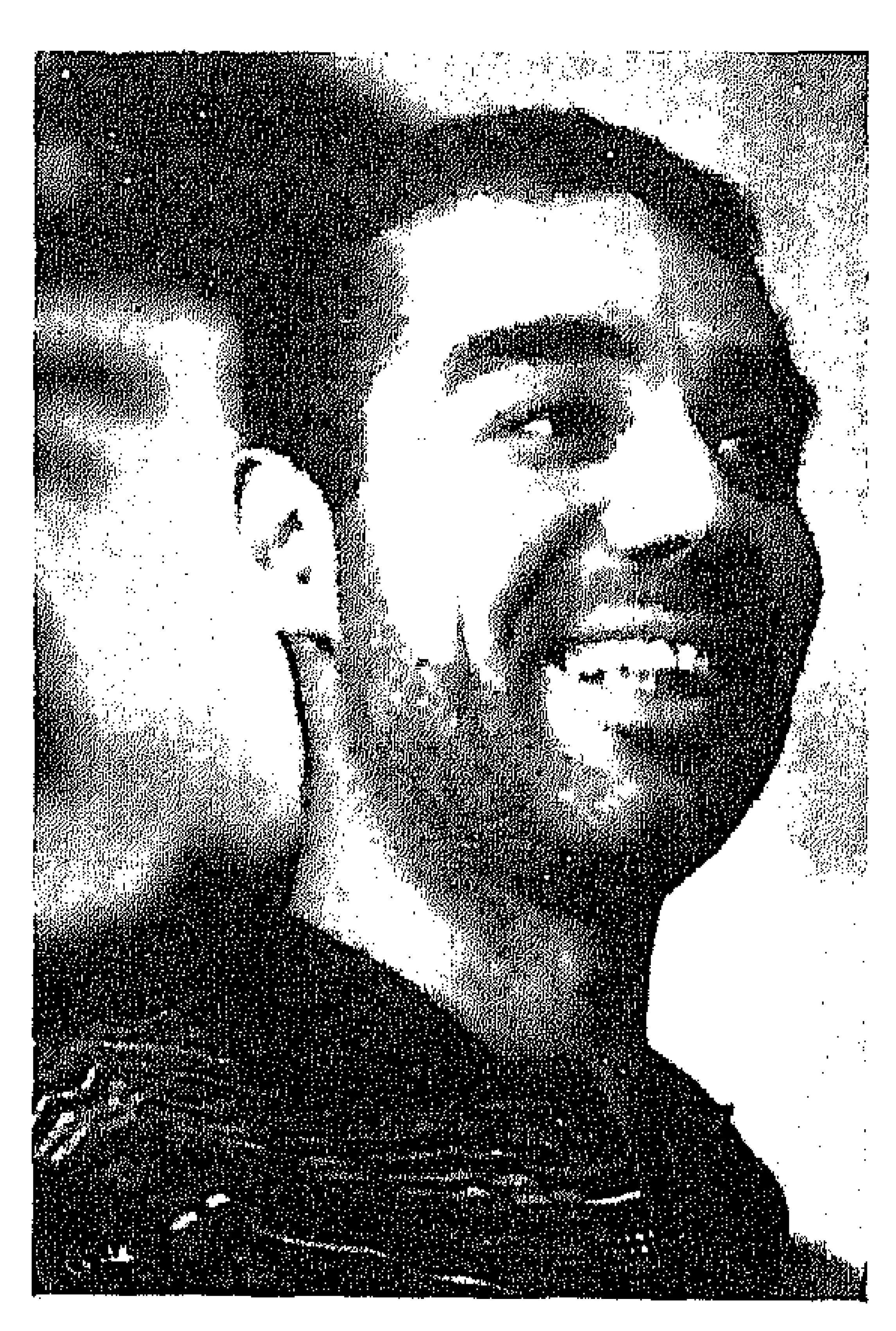
طارق عزيز، مهندس السياسة الخارجية العراقية، والاتصالات التحتية مع إسرائيل



طه ياسين، نائب صدام ومسئول اغتيالات حزب البعث السورى



قصى صدام حسين، مسئول المخابرات والأمن، وخليفة صدام



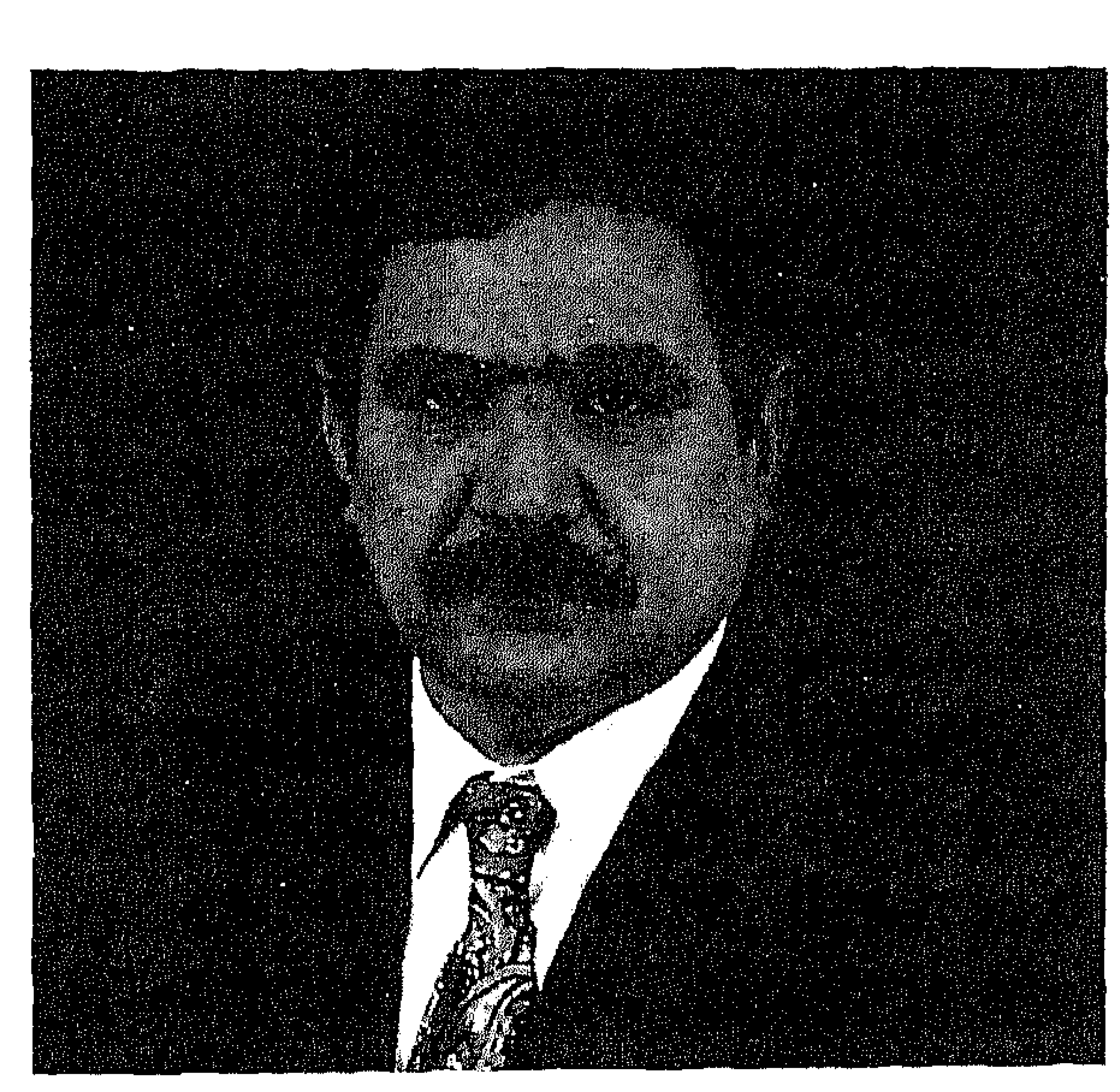
عدى صدام حسين، الابن الأكبر، والرجل الكريه فى العراق لكثرة جرائمه

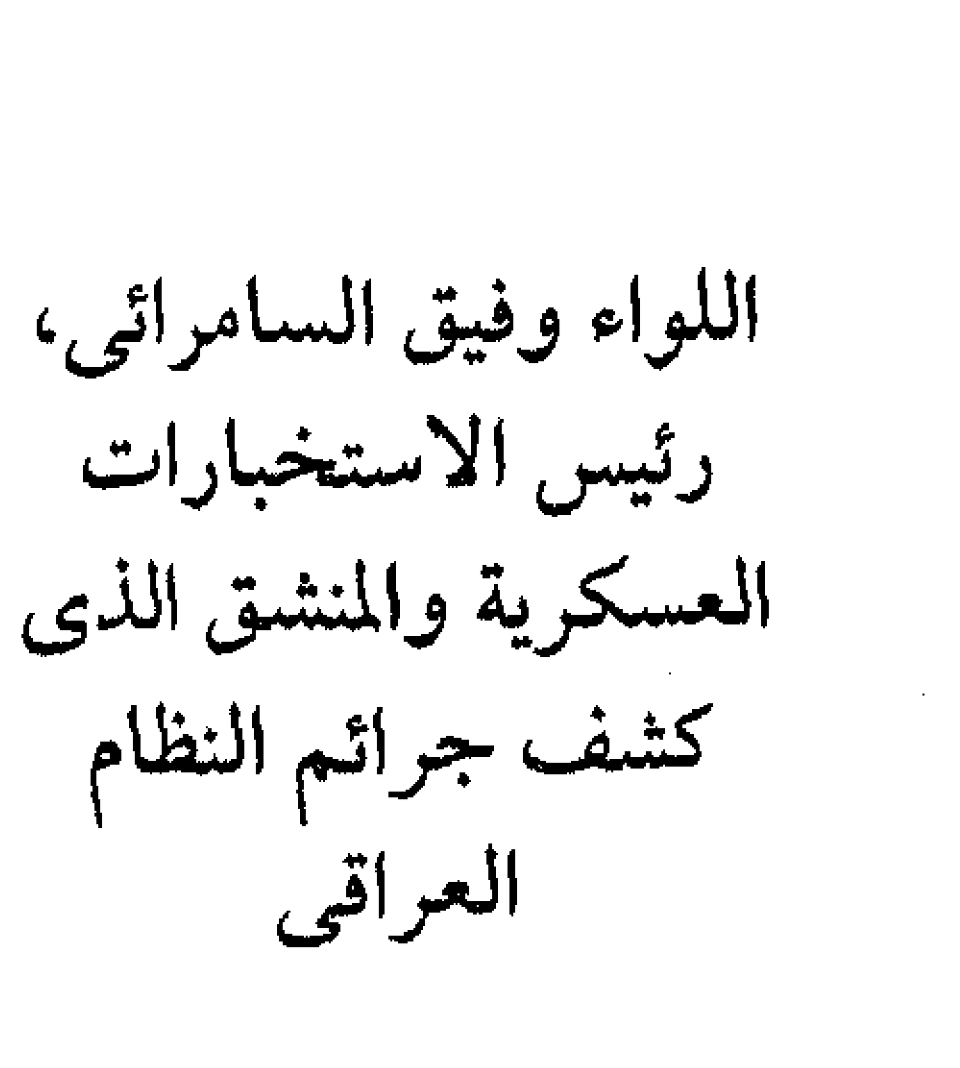


جمال مصطفى العبد الله، صهر صدام
وسكرتيره الجديد



ميليشيات فدائيو صدام





اللواء وفيق السامرائى،
رئيس الاستخبارات
العسكرية والمنشق الذى
كشف جرائم النظام
العراقى

النفط العربى لإقامة الإمبراطورية الصدامية:(٣)

إذا تناولنا الثروة النفطية العربية فى الخليج كهدف يسعى صدام حسين للسيطرة عليه، فإن ذلك يأتى فى منظوره من أن الدولة الأكثر اقتداراً على تأمين النفط عسكرياً وهى العراق فى زعمه" هى التى يحق لها أن تحدد معايير ومعدلات إنتاجه وتسويقه وتسعيره، وفى ذلك نجده يخاطب جنوده إبان احتلال الكويت قائلاً: "إن أبناء دولتَى الكويت والسعودية لا يستحقون ما يفيض فى تلك البلاد من خيرات، وأنها خيرات ضائعة ما لم يدركها أبناء العراق"!! والنتيجة البديهية المترتبة على ذلك من وجهة نظر صدام أن العراق يحق لها بالتالى أن تبسط هيمنتها على مقدرات المنطقة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً واجتماعياً وأيديولوجياً .. الخ. ومن البديهى أنه ليس من مصلحة الأمة العربية، ولا من المصلحة الدولية أن تهيمن دولة واحدة على مقدرات المنطقة من خلال بسط سيطرتها على أكبر ثروة اقتصادية فيها، ألا وهى النفط الذى يعد أهم السلع الاستراتيجية فى عالم اليوم. لذلك سعى النظام الصدامى إلى توظيف قوته العسكرية الضخمة التى تعد أكبر قوة عسكرية فى المنطقة خلال فترة الثمانينات وحتى عام ١٩٩١، من أجل الاستيلاء على أكبر قدر من مصادر الثروة النفطية فى الخليج، وبالتالى يمكنه أن يلغى الدور المؤثر للسعودية فى الخليج والمنطقة، ذلك لأن السعودية تعتبر أكبر دولة منتجة للنفط فى الخليج (٢٥,٧% من احتياطى النفط العالمى وبما يعادل ٢٥٥ مليار برميل، يأتى بعدها العراق الذى يستحوذ على ١٠,١% وبما يعادل ١٠٠ مليار برميل، ثم الإمارات ٩,٩ % أى حوالى ٩٨ مليار برميل، والكويت ٩,٥% أى حوالى ٩٤ مليار برميل) أما من حيث الإنتاج فإن السعودية تنتج ٢٥١ مليون طن مترى، ثم العراق ١٢٨ مليون طن مترى، تليه إيران ١١٣ مليون طن مترى، ثم الكويت ٧٣ مليون طن مترى، وباقى إمارات الخليج ١٢٠ مليون طن مترى. لذلك فإن ضم العراق للكويت يعنى أنه أصبح يسيطر على حوالى ٢٠% من احتياطى النفط العالمى، وذلك فى وقت تؤكد فيه المعلومات أن ما تمتلكه الولايات المتحدة من احتياطى النفط العالمى لا يتجاوز ٢,٣%، ناهيك عن أن أعلى احتياطى مؤكد للبلدان غير الأعضاء فى الأوبك يأتى من جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق ٥,٩%، والمكسيك ٥,٥%. لذلك لم يكن غريباً أن يصل اعتماد الدول الصناعية الكبرى على نفط الخليج إلى النسب التالية: اليابان ٦٤%، الولايات المتحدة ١١%، بريطانيا ١٤%، المانيا٩%. واعتباراً من بداية التسعينات زاد اعتماد الولايات المتحدة على الواردات النفطية إلى ٥١% من إجمالى احتياجاتها الاستهلاكية.

- من هنا يتضح لنا أهمية النفط الخليجى على المستوى العالمى، وبالتالى خطورة ترك الأمور حيال هذه السلعة الاستراتيجية دون تنسيق وتعاون بين الدول المستهلكة للنفط والدول المنتجة له. لذلك يزداد دور عامل الاستقرار السياسى والأمنى فى دول منطقة الخليج فى استراتيجية الدول الصناعية الكبرى. فإذا أضفنا إلى ذلك الدور الذى تلعبه (البترودولارات) وهى عائدات النفط فى الأسواق الدولية من استثمارات وبورصات أوراق مالية وعلاقات تجارية، ووجود علاقة وثيقة بين العملات الدولية وأسعار النفط، وما تلعبه العائدات النفطية من دور فى تدعيم مكانة الدولار فى سوق الأوراق المالية العالمية، حيث يتصارع الدولار مع العملات الأوروبية والين اليابانى، لاتضح لنا مدى الآثار التى يمكن أن

يتركها أى حدث سياسى أو عسكرى حاد فى منطقة الخليج على نمط العدوان العراقى على الكويت على واقع ومستقبل ليس المنطقة فحسب، بل أيضاً العالم كله، حين يصبح العراق مسيطراً فعلاً على ٢١% من احتياطى النفط العالمى.

- وفى حسابات صدام حسين الخاطئة باستمرار أن يوظف سيطرته على نفط الخليج سياسياً واقتصادياً وعسكرياً لتحقيق أحلامه المريضة لبسط هيمنته على الشرق العربى حيث سوريا ولبنان والأردن من خلال مشروع (العراق الكبرى) الذى نما فى ذهنه بعد حربه مع إيران. ولقد حاول صدام الانضمام لمجلس التعاون الخليجى كبداية لابد منها فى نظره لدفع المشروع العراقى خطوة للأمام، ولكنه اصطدم برفض جماعى له من قبل دول الخليج العربية الست، بالنظر للاختلاف الكبير فى طبيعة أنظمة الحكم فى هذه الدول وبين نظام الحكم فى العراق، كذلك الاختلاف فى التوجهات السياسية خاصة على الصعيد الداخلى، وإدراكاً منها أيضاً لحقيقة أهداف صدام حسين فى بسط هيمنته على دول مجلس التعاون الخليجى. ذلك أن تجمع دول هذا المجلس على النقيض من النظام الصدامى ينشد فى مجمل سياساته الداخلية والخارجية الهدوء والاستقرار، مؤثراً الطرق السلمية ولغة الحوار سبيلاً لحل الأزمات والمشاكل الداخلية والخارجية على المستويين الإقليمى والدولى، وكان ولا يزال ذلك الأسلوب يجرى عبر جسر العلاقات المتين القائم بين دول المجلس والقوى الإقليمية والدولية الفاعلة على الساحتين، وهذا برمته يتعارض مع المشروع العراقى التصادمى، مما أدى إلى إفراز احتكاكاً بين المشروعين عبر عقد من السنين كان يجرى خلف الكواليس فى صورة تصريحات غير مباشرة من صدام حسين كما جرى فى قمة الجزائر ١٩٨٨، واجتماع مجلس التعاون العربى فى صنعاء عام ١٩٩٠.

- وكان هذا الرفض من جانب دول مجلس التعاون الخليجى لإشراك العراق فى مجلسهم، كذلك رفض سوريا الوحدة مع العراق بشروط صدام بالنظر للنزاع الدائر بين جناحى حزب البعث فى بغداد ودمشق .. كل ذلك شكل داخل صدام حسين ثأراً كان يتحين الفرصة للانتقام، فكانت لبنان ساحة انتقامه من سوريا، وكانت الكويت ساحة انتقامه من دول مجلس التعاون الخليجى، وهو ما سبق أن تنبأ به الرئيس السورى الراحل حافظ الأسد حين قال بعد انتهاء الحرب العراقية-الإيرانية: "إن صدام سوف يطغى على دول الخليج وسيكون أخطر عليها من إيران". ولم يكتف صدام بذلك، بل أرسل أسلحته إلى السودان ليناوئ بها مصر من الجنوب، كما حاول أن يخلق له وجوداً بعثياً فى موريتانيا فى المغرب العربى .. هكذا أوجد لنظامه الصدامى وجوداً فى أكثر من موقع عربى خاصة بعد أن تمكن من إشراك مصر معه والأردن واليمن فى مجلس التعاون العربى، بحيث يمكن من خلال هذا التواجد أن يغير أنظمة الحكم فى الدول العربية أو يغير التوجهات السياسية لهذه الأنظمة لصالح خدمة أهدافه التوسعية.

- وطبقاً للمنظور الصدامى وفى إطار مخططاته لتحويل العراق كقوة إقليمية عظمى فى الشرق الأوسط أن يفرض واقعاً جديداً يستبق به اتجاهات النظام الدولى الجديد الجارى تشكيله، وذلك من حيث تقنين وترتيب موازين القوى فى المنطقة على نحو يصوغ نظاماً إقليمياً جديداً فى الشرق الأوسط يعطى

للعراق حجماً ودوراً محددين. فبعد أن يثبت النظام الصدامى لأركان النظام الدولى الجديد قدرته على فرض إرادته على بلدان المنطقة العربية، وتحكمه فى نفطها، فإن باستطاعته أن يخدم الاستراتيجية الكونية الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط، وأن يكبح جماح التطلعات الإيرانية فى المنطقة من خلال التوازن العسكرى الذى سيحققه العراق فى مواجهة إيران، فى ذات الوقت الذى يطمئن فيه واشنطن من ناحية حليفتها إسرائيل، بأنه لا يسعى لمواجهة بين العراق وبين إسرائيل لأنها خارج أهداف واهتمامات النظام الصدامى، وقد عزز صدام هذا الانطباع لدى الإدارة الأمريكية من خلال الاتصالات التحتية التى كان يحرص دوماً على إجرائها مع مسئولين إسرائيليين.

- ومن أجل أن تقبل الولايات المتحدة بالنظام الصدامى حارساً لمصالحها فى المنطقة، وشرطياً أميناً يعمل لحسابها، استغل فى ذلك علاقاته السياسية والتجارية والمخابراتية التى توطدت مع عواصم الدول الغربية (واشنطن، لندن، باريس، روما) طوال سنوات الحرب الثمانية مع إيران. وهو ما تأكد فى محاضر مقابلات صدام مع جميع المسئولين الغربيين الذين حضروا إلى بغداد قبل عدوانه على الكويت، خاصة مع مسئولى الشركات الغربية العاملة فى مجالات التسليح والنفط والتشييد لتشكل من خلال العقود التى تبرمها مع بغداد ضغوطاً على حكوماتها.

- ولقد بنى صدام خطته فى التعامل مع البلدان العربية على أساس أن العالم العربى بعد رحيل عبد الناصر عام ١٩٧١ أصبح يعانى فراغاً على مستوى القيادة القومية، والتى كان يمثلها المزج بين الثقل الكمى والنوعى لمصر مع الزعامة الكاريزمية لعبد الناصر. ولأن مصر فى رؤية صدام حسين وإن ظلت تحتفظ بثقلها الكمى، إلا أنها فقدت فى نظره ثقلها القومى بعد إبرامها معاهدة السلام مع إسرائيل، ومن ثم فإن العراق بزعامة صدام حسين بات مؤهلاً للحلول محل مصر-عبد الناصر، خاصة بعد انتصار العراق التكتيكى على إيران، وتحسن علاقاته السياسية والاقتصادية مع الدول الغربية والاتحاد السوفيتى.

- ولقد كان الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات العربية صادقاً تماماً عندما ذكر فى تصريحات له بعد عدوان العراق على الكويت: "إن صدام كان دائماً له طموحاته، وأنه كان يسعى لقيادة العالم العربى والإسلامى، ولكنه كان مدركاً أن هذا الهدف لن يتحقق إلا إذا ظلت مصر معزولة أو محتواه". وقد سعى صدام بالفعل إلى عزل مصر ونجح فى ذلك إثر قمة بغداد عام ١٩٧٨ التى ضغط فيها على باقى الدول العربية لكى تقاطع مصر، ثم سعى إلى احتوائها بعد ذلك عندما نجح فى إشراكها فى مجلس التعاون العربى.

- وإذا تناولنا بالنقاش دعوة النظام الصدامى إلى القومية، وهى الدعوة التى تشدق بها كثيراً ليبرر مغامراته العدوانية والتوسعية. ومع التسليم بأهمية هذه الدعوة فى مواجهة الهجمة الصهيونية الشرسة ضد الأمة العربية، كذلك بالنظر لضرورتها فى ظل النظام الدولى الجديد القائم على التكتلات الإقليمية، إلا أنه كان الأجدر بالنظام الصدامى قبل أن يسعى بالعدوان على جيرانه بدعوى تحقيق القومية والوحدة العربية، أن يبذل جهده لتوحيد العراق المعروف بتعدد قومياته وطوائفه وعرقياته، والتى انعكست فى الحرب الكردية فى الشمال، واضطهاد الشيعة فى الجنوب، والذين شملتهم عمليات تهجير قسرى واسعة

النطاق إلى مناطق أخرى فى العراق، بل وإلقاء مئات الآلاف منهم على الحدود مع إيران. فإذا كان النظام الصدامى قد فشل فى صهر القوميات والطوائف والعرقيات المتعددة داخل البوتقة العراقية، فكيف يمكن له أن يزعم بقدرته على تحقيق القومية والوحدة العربية على المستوى الإقليمى؟! ثم من الذى منح النظام الصدامى الحق أو خوّله وفوّضه فى محاسبة أى دولة عربية، وغزوها واحتلالها بالقوة العسكرية كما فعل مع الكويت إذا هى أخلت كما يزعم بالحد الأدنى من المصالح القومية المشتركة؟! ثم ما هى بالدقة أحداث وعوامل خروج الكويت عن الحد الأدنى من المصالح القومية المشتركة، وذلك دون أن نخلط بين المصالح القومية وبين الخلافات الثنائية التى عادةً ما تقع بين الدول المجاورة، هذا فى الوقت الذى أكدت فيه الكويت أكثر من مرة حرصها على التمسك بمبادئ وأهداف ميثاق الجامعة العربية والتزامها بجميع مقررات القمم العربية؟ ومع افتراض إخلال الكويت بواجباتها القومية وهو ما ليس صحيحاً فهل استخدام القوة العسكرية الغاشمة لغزوها واحتلالها وضمها قسراً للعراق هو السبيل للإصلاح؟ وألا يعد هذا العدوان العراقى فى حد ذاته خرقاً لمبادئ القومية العربية، وهدماً لركائز التضامن العربى، وإهداراً للجهود والقدرات العربية وبعثرتها فى صراعات ونزاعات عربية/عربية على حساب الصراع الرئيسى ضد إسرائيل، وهو ما حدث بالفعل نتيجة عدوان النظام الصدامى على الكويت ؟!

تلاعب صدام بشعار الوحدة العربية:(٤)

- لقد أصبح فى يقين الكثيرين من العرب المخلصين أن التاريخ العربى الحديث يحمل ثلاث نكبات هزت الأمة العربية، النكبة الأولى هى نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ والتى أدت إلى قيام إسرائيل كجسم غريب فى جسد الأمة العربية تهددها وتتآمر عليها وتبتلع أراضيها وتحاول القضاء على أمانيها. والنكبة الثانية تتمثل فى هزيمة كل الأمة العربية عام ١٩٦٧، وهى ما تسمى بهزيمة يونيو ١٩٦٧ حيث استطاعت إسرائيل أن تحتل أراض عربية فى ثلاث دول هى سوريا وفلسطين ومصر، وتوالت الأحداث واستطاعت مصر وسوريا بجهود عسكرية وسياسية مشتركة تحرير سيناء وجزء من الجولان، ودخلنا فى معركة المفاوضات السلمية مع إسرائيل. أما النكسة الثالثة فهى ظهور صدام حسين على المسرح السياسى العربى الذى رغم تشدقه بشعارات الوحدة العربية والقومية العربية، فقد كان أول من ضرب التضامن العربى فى الصميم بغزوه واحتلاله الكويت فى ١٩٩٠/٨/٢ حتى تم تحريرها فى فبراير ١٩٩١، فقد كان هذا العدوان كارثة بكل المقاييس، حيث نجح النظام الصدامى بهذا العمل الدنيء فى تقسيم العالم العربى بين أغلبية رافضة لهذه الجريمة، وأقلية أفلح صدام فى شراء ضمائرها أيدته وساندته فى عدوانه الخسيس.

- ولأن الوحدة العربية تحتل المركز الأول فى شعار حزب البعث، فقد وجدنا صدام حسين يخرج بين فترة وأخرى متحدثاً عن حلم الوحدة ومناجاة الشعوب العربية وإثارتها بها، وبما يحرك عواطف الجماهير باعتباره بطلاً قومياً. فما هى حقيقة نظرة صدام حسين للقومية؟ يجيب على هذا السؤال د.سليمان بشير فى كتابه "صدام بين الأقوال والأفعال" فيقول: "من المعروف عن صدام أنه يجيد إخفاء نواياه الحقيقية إذا ما اقتنع أن الوقت ليس مناسباً لها، فهو يؤمن بالوحدة العربية .. إذا لم تكن على

حساب موقعه الرئاسى، لذلك فهو ليس على استعداد لاستكمال أية خطوة وحدوية إذا لم تنطلق من نقاط تفوّق تضمن له اكتساح المنافسين الآخرين. لذلك انتهى مشروع الوحدة بين العراق وسوريا بمجزرة دموية فى يوليو ١٩٧٩ أدارها صدام بنفسه عشية تقلده السلطة ضد كل المؤيدين لهذه الوحدة فى قيادة البعث العراقى، هذا فى الوقت الذى كان يصرح فيه لصحيفة دير شبيجل الألمانية: "إننا سنكون دولة واحدة، وجيشاً واحداً، ونشيد وطنى واحد". وعن تراجعه عن مفهوم الوحدة السياسية الشاملة التى كثيراً ما يتشدق بها، نجده يطرح فى حوار مع الصحفى فؤاد مطر فى ١٩٨٨/١/٣٠ فكرة "وحدة القلوب والعقول" بدلاً من الوحدة السياسية والدستورية. وفى كل الاجتماعات التى كان يحضرها صدام، ويثار فيها قضية التعاون العربى، كان صدام يلح فى تذكير قادته السياسيين والعسكريين بروح تنم عن مفاهيم قطرية بحتة بعيدة عن المنطلقات القومية، فكان يقول فى أكثر من لقاء: "تذكروا أن مفهوم الوحدة العربية على أساس شعب واحد وجيش واحد، وعلم واحد .. لم يعد له وجود وليس ممكناً ولا منطقياً التفكير فيه".

ولقد تساءل صدام بخبث وكذلك مؤيدوه فى العدوان الغاشم على الكويت: "كيف يعارض العرب وحدة بين بلدين عربيين حتى ولو كان ذلك عن طريق القوة المسلحة؟ وكانوا يزعمون أن الغاية تبرر الوسيلة، بل وأن الوحدة السلمية لم تنجح .. حيث لم تعش وحدة مصر وسوريا، ولم تتحقق أية وحدة بعدها بين دولتين عربيتين سلمياً. كما كان المروجون لسياسة صدام العدوانية يطلقون على العراق (بروسيا العرب) ويردفون ذلك بقولهم: "إن بروسيا العرب وجدت أخيراً بسمارك!! إشارة إلى الوزير الألمانى بسمارك الذى وحد المقاطعات الألمانية فى القرن التاسع عشر. وبالطبع لا وجه للتشابه بين صدام وبسمارك، لأن الأخير لم يستخدم القوة المسلحة لتوحيد المقاطعات الألمانية، ولكنه استخدمها فقط فى حربه ضد كل من فرنسا والنمسا، أما المقاطعات الألمانية فكانت تتسابق طواعية للانضمام إلى ألمانيا بعد أن نجح بسمارك فى تحويل بروسيا إلى أكبر قوة اقتصادية وعسكرية وتكنولوجية فى أوروبا.

أولاً: جرائم صدام حسين فى حق القضية الفلسطينية(٥)

لقد تاجر كثيرون فى العالم العربى بالقضية الفلسطينية لخدمة مصالحهم الذاتية، وخداعاً للجماهير العربية البسيطة التى كانت ولا تزال للأسف تتأثر بالشعارات الجوفاء، إلا أن النظام الصدامى الحاكم فى بغداد فاق الجميع متاجرة بهذه القضية وخداعاً للعرب لتضليلهم عن حقيقة أهدافه، بل وفى ضرب الحركة التحريرية الفلسطينية منذ إنشائها. فمنذ استيلاء حزب البعث على السلطة فى العراق عام ١٩٦٨ وحتى الآن، وأبواقه السياسية والإعلامية فى جميع المحافل الإقليمية والدولية تردد أن قضية تحرير فلسطين هى القضية المركزية فى سياسة نظام الحكم فى العراق، ومحور نشاطه وعلاقاته الدولية. إلا أن الأحداث أثبتت أن هذا النظام استغل هذه القضية لتسويق الدجل، ولدغدغة مشاعر قطاع كبير من الجماهير العربية والإسلامية، وقد استفاد النظام الصدامى بالفعل من وراء رفع شعار الدفاع عن القضية الفلسطينية، والتى عصرها عصراً عبر أكثر من ثلاثين عاماً من حكمه للعراق من أجل خدمة أهدافه العدوانية والتوسعية على حساب جيرانه. أما على صعيد الواقع العملى، فإن الساحة

العراقية لم تشهد أبداً عملاً جاداً ولا جهاداً من أجل تحرير فلسطين، بل على العكس من ذلك تماماً، فقد شهد الفلسطينيون داخل وخارج العراق صوراً مروعة من التنكيل بهم على أيدى زمرة النظام الصدامى لا تقل فى وحشيتها عما يفعله الإسرائيليون بهم.

فالنظام الصدامى هو الذى شكل ما يسمى بـ (جبهة التحرير العربية) التى جمع فيها البعث العراقى كل المرتزقة وأغدق عليها الأموال ومنحهم الامتيازات العديدة، وقد استخدمهم لضرب المنظمات الفلسطينية الأخرى، وهو ما تشهد به جرائم هذه الجبهة فى لبنان ضد الفلسطينيين هناك. هذا فى الوقت الذى سعى فيه النظام الصدامى إلى محاولة السيطرة على فصائل حركة المقاومة الفلسطينية الأخرى عن طريق المال، أما الفصائل التى أبت التعاون معه فكان يتعامل معها بالإرهاب. تشهد على ذلك إحدى جلسات مؤتمرات القمة، وكان صدام حسين نائباً لرئيس العراق وممثلاً له فى الجلسة، عندما سأله أحد الزعماء الفلسطينيين عن موقف العراق من منظمة التحرير الفلسطينية ؟ ولماذا تصادر السلطات العراقية أسلحتها التى تستخدمها فى تدريب عناصرها فى العراق وتعتقلهم وتصادر أموالهم وممتلكاتهم؟ وكان صدام عاجزاً تماماً عن الرد، وعندما عاد إلى بغداد أمر بشن حملة اغتيالات واعتقالات واسعة لقادة منظمة التحرير وأعضائها.

- وعلى العكس من الشعارات التى يرفعها النظام الصدامى متاجرة بالقضية الفلسطينية، نجده يعمل على إلهاء الشعب العربى والأمة الإسلامية بقضايا تبعدهم عن هذه القضية .. كإثارة المشكلات الحدودية والسياسية مع الدول المجاورة (الكويت والسعودية وسوريا وإيران والأردن)، بل إن الأدهى من ذلك، أنه اتخذ من فلسطين شعاراً يدلس به على الجماهير ويخدع به شعبه وجيشه، ويروج به المغامرات العسكرية وحروب عربية-إسلامية، وعربية-عربية يخوضها النظام الصدامى وتكون محصلتها استنزاف الطاقات والجهود العربية فى ميادين ابعد ما تكون من ميدان الصراع العربى-الإسرائيلى، وبما يضرب التضامن العربى فى مقتل، ويشوه صورته، بل ويضعف العراق بصورة خاصة. فالحرب العراقية-الإيرانية التى دامت ثمانى سنوات (١٩٨٠-١٩٨٨) كان أحد شعاراتها الرئيسية "تحرير فلسطين يمر من عبادان وطهران" والجميع يعرف اليوم حجم الدمار والخسائر التى لحقت بطرفى الحرب، وأهدرت فيها إمكانات عربية وإسلامية ضخمة كان من الأفضل أن توجه إلى ساحة القضية الفلسطينية. ثم بعد أقل من عامين من انتهاء هذه الحرب، بادر النظام الصدامى بشن عدوانه الغاشم على الكويت فى ١٩٩٠/٨/٢ واحتلالها معتبراً هذا الاحتلال بداية استرجاع فلسطين، ورفع شعاراً جديداً آخر مشابه لسابقه فى الحرب مع إيران، وهو "تحرير فلسطين يمر عبر الكويت"، وأن ضم العراق للكويت هو فى صالح العرب وضد التوسع الصهيونى. ومن أمثلة الخداع والتضليل التى مارسها النظام الصدامى فى هذا الصدد، وتدل على استخفاف بالعقول العربية، ما أورده أحد كتاب النظام الصدامى (المدعو عميد طه يس) فى صحيفة الجمهورية العراقية العدد ٨٦٦٥ مبرراً احتلال العراق للكويت قائلاً: "إن ذلك يمنع إسرائيل من توجيه أى ضربة نووية على العراق، لأنه حسب زعمه ليس بوسع العالم الاستغناء عن نفط العراق والكويت معاً"!!

- والغريب فى هذا الأمر أن أحداً من العرب الذين انخدعوا فى شعارات النظام الصدامى لم يدرك أن هذا النظام اختار عن قصد لتحرير فلسطين، ساحات أخرى تبعد عنها آلاف الأميال لتحقيق نزوات شخصية وتدمير قدرات وإمكانات الجيش والشعب العراقيين، وكأن الجغرافيا لا تشير بصورة واضحة إلى المحاور المؤدية لتحرير فلسطين المحتلة، وهى من غرب العراق، فى حين شن النظام الصدامى جميع حروبه ومغامراته العسكرية فى اتجاهات شرق العراق، فهل لا يعرف الجيش والشعب العراقيين ذلك؟!

- إن تاريخ القضية الفلسطينية يثبت أن النظام الصدامى يبيع الفلسطينيين وبعض العرب الوهم والخداع، فلم يشارك فى هذه القضية حتى بواحد بالمائة من نسبة ما بذله من قتال شرس تجاه جيرانه فى إيران والكويت، بل وتجاه شعبه العراقى فى الداخل، بل كان يتبع دائماً سياسة "ماكو أوامر" تجاه القضية الفلسطينية، وهى السياسة التى اشتهر بها الجيش العراقى منذ الجولة العربية-الإسرائيلية الأولى فى عام ١٩٤٨.

أ- الدور المخزى فى أيلول الأسود عام ١٩٧٠[٦]

- وإذا كان الواقع الموثق يشهد بأن الكويت هى أول من احتضن الثورة الفلسطينية، حين ولدت منظمة فتح على أرضها حيث تشكلت أول خلية لفتح حين كان ياسر عرفات مهندساً بوزارة الأشغال الكويتية، وإذا كان الواقع الموثق أيضاً يشهد بأن الشيخ سعد العبد الله الصباح ولى عهد الكويت ورئيس وزرائها هو الذى ألبس ياسر عرفات الملابس الكويتية واصطحبه معه فى سبتمبر ١٩٧٠ فى طائرته الخاصة، منقذاً إياه من تلك الأحداث التى سميت وقتها بـ "أيلول الأسود" حينما اجتاحت القوات الأردنية معسكرات ومخيمات الفلسطينيين فى الأردن، ولولا ذلك لكان ياسر عرفات من مجهولى المصير، فإن الواقع الموثق يشهد أيضاً على لسان وزير الدفاع العراقى حردان التكريتى كيف غدر النظام العراقى بالفلسطينيين فى الأردن آنذاك، حين أصدر صدام حسين أوامره إلى القوات العراقية التى كانت موجودة بالأردن آنذاك بعدم التدخل لنجدة الفلسطينيين، وبالتالى لم تحرك هذه القوات ساكناً خلال أحداث ذلك الشهر لدعم المنظمات الفلسطينية، فى حين أن النظام الصدامى حينما أرسل هذه القوات العراقية إلى الأردن، أعلن أن الهدف من ذلك هو حماية الفلسطينيين هناك. إلا أن حقيقة الأمر كانت غير ذلك تماماً، فلم يكن ذلك هو هدف ومهمة القوات العراقية فى الأردن أبداً، بل كان هدفها ومهمتها هو تدبير انقلاب ضد نظام الملك حسين يؤمن ضم العراق للأردن بنفس الأسلوب التآمرى الذى حدث فى الكويت عام ١٩٩٠. ولنسمع شهادة وزير الدفاع العراقى الأسبق الفريق حردان التكريتى فى هذا الشأن، وذلك فى مذكراته ص٦، فيقول: "لابد من توضيح موقفنا من قضايا الأردن والفلسطينيين .. فقد كانت خطتنا مبنية على أساس ضرورة التعاون مع الملك حسين لضمان بقاء الجيش العراقى فى الأراضى الأردنية، ليس تحسباً لهجوم إسرائيلى على العراق، فلقد اتفقنا مع إسرائيل بعد شهر من انقلاب ٣٠ تموز (يوليو) وبالضبط فى ٢٩ آب (أغسطس) ١٩٦٨ على عدم شن أى هجوم على جيشنا أو على العراق فى مقابل عدم إشراك الجيش فى أية عملية ضد إسرائيل، أو حتى فى صد أى هجوم على الأردن، وفى مقابل السماح لليهود العراقيين بالهجرة إلى إسرائيل عن طريق قبرص. وقد تم هذا الاتفاق بيننا وبين إسرائيل عن طريق (ميشيل عفلق) و (اللورد سيف) عميد الصهيونية فى لندن، وكان ذلك فى مدينة

باريس. وقد احترم الجانبان هذا الاتفاق حتى الآن، فلم تشن إسرائيل أى هجوم بعده على جيشنا، كما لم يشترك هذا الجيش فى أية عملية ضد إسرائيل، كذلك أعطى الرئيس (البكر) فى بيان رسمى كل حقوق المواطنة للجالية اليهودية بما فى ذلك حق الهجرة إلى خارج العراق، أى إلى إسرائيل .. إنما كنا نريد بقاء الجيش فى الأردن لاستكمال سلسلة مؤامرات كنا نقوم بإعدادها للقيام بانقلاب عسكرى ضد الملك حسين يتدخل من القوات العراقية. وعندما بدأت القوات الأردنية بشن هجماتها ضد الفدائيين الفلسطينيين (فيما عرف بعد ذلك بمذبحة أيلول الأسود) كان رأيى أن نقوم برد فعل عنيف إزاء الأردن باعتبار أن ذلك سيكون فى صالحنا على الأقل دعائياً لكن الرئيس البكر خالفنى فى ذلك، وأرسل مبعوثاً شخصياً اجتمع بالملك حسين وأبلغه أن الجيش العراقى لن يتدخل فى القضايا الداخلية للأردن، ولكن الرئيس أقنعنى بأن الدعايات التى سنطلقها وفق الفدائيين الفلسطينيين وضد الملك حسين ستعوض عن خيانتنا للفلسطينيين الذين طالما وعدناهم بالوقوف إلى جانبهم فى كل الأحداث والتطورات. ففى الوقت الذى كان المبعوث العراقى يبلغ الملك بعدم تدخل الجيش العراقى، وفى الوقت الذى كانت الدبابات الأردنية تمر من وسط الجيش العراقى إلى المنطقة الشمالية فى الأردن لضرب الفلسطينيين، كانت أجهزة إعلامنا العراقية تشن أعنف الهجمات ضد الملك حسين ونظامه. وفى غمرة الأحداث قال لى الرئيس: "إن الوضع الداخلى فى الأردن سيتم لصالحنا مائة بالمائة، لأن انعزال النظام الأردنى سيساعدنا فى تدبير انقلابنا ضده، وستعوض دعايتنا لصالح الفلسطينيين عن تخلينا عنهم". ثم أضاف: "فى الواقع أن خطأ الملك يكمن فى نقطة واحدة، هى أنه فتح المجال واسعاً أمام الفلسطينيين حتى إذا أصبحوا فى وضع عسكرى جيد، وأصبحت لهم مراكزهم الخاصة وحتى عطاءهم الخاص، عاد ليضربهم الآن. ولو أنه كان يفعل كما فعلنا من أول يوم، لجنَّب نفسه ونظامه هذه المتاعب (إشارة إلى عمليات القمع التى مارستها السلطات العراقية ضد الفلسطينيين فى العراق)". ثم يمضى حردان التكريتى فى شهادته حول متاجرة النظام الصدامى بالقضية الفلسطينية وخداعه للعالم العربى فى هذا الشأن، فيضيف: "وعلى أى حال فقد تطورت أحداث الأردن، وانتهت المعارك الدامية كما هو معروف بمؤتمر القمة العربى الذى قاطعناه لنظهر أمام الرأى العام العربى كمدافعين وحيدين عن الفدائيين الفلسطينيين، وكرافضين لمهادنة النظام الأردنى. وعندما انتهى كل شئ بتوقيع اتفاقية القاهرة الشهيرة، وعاد الفلسطينيون ممزقين منهوكى القوى، تلقينا رسالة من ياسر عرفات يعتب فيها على موقف الجيش العراقى، وأصبحنا فى موقف حرج .. فالأقنعة بدأت تتساقط، وتعرينا أمام الرأى العام العربى، فاضطررنا إلى إصدار بيان رسمى صادر عن مجلس الثورة يعترف فيه بعدم تدخل جيشنا لصالح الفلسطينيين، وفى الوقت نفسه نضع عتب ذلك على الولايات المتحدة الأمريكية، باعتبار أنها كانت تستعد للتدخل العسكرى فى الأحداث مما كان يعنى وقوع أجزاء جديدة من الوطن العربى تحت الاحتلال. أى أن حرصنا على الأرض العربية هو الذى منعنا من التدخل هناك!! وبالرغم من أن هذا البيان صيغ بخبث رائع، فإنه فشل فى إقناع أى عربى بصحة وجهة نظرنا". هذه هى حقيقة موقف النظام الصدامى من القضية الفلسطينية، وحقيقة اتصالاته بإسرائيل منذ سيطر على الحكم فى العراق عام ١٩٦٨، وحقيقة الهدف من وجود ٢٧ ألف جندى عراقى فى الأردن عام ١٩٧٠، فلم تكن أبداً لحماية الفلسطينيين، بل لتدبير انقلاب ضد نظام الحكم فى بلد عربى هى الأردن بأمل قيام نظام

بعثى بديل يكون موالياً للنظام الصدامى فى بغداد، وكل ذلك بعد أن رتب هذا النظام جميع أوراقه مع إسرائيل.

ب- الصفقة مع الموساد لقصف المفاعل النووى، واغتيال القادة الفلسطينيين (٧)

- وعن دور النظام الصدامى فى اغتيال القيادات الفلسطينية، فيمكن القول أن هذا النظام نجح بجدارة فى هذا المجال بأكثر مما نجحت الموساد الإسرائيلي !! فقد وطد صدام حسين منذ توليه الحكم فى العراق تعاونه مع الموساد الإسرائيلى، وقد كان هذا التعاون قائماً منذ عام ١٩٦٨، وهو ما كشف عنه كتاب صدر فى عام ١٩٩٢ فى باريس بعنوان (التعاون بين بغداد وتل أبيب) للكاتب الفرنسى بيير مورو. حيث أشار إلى اجتماع عقد فى يونيو ١٩٧٩ فى منطقة الحدود الأردنية-الإسرائيلية، حضره عن العراق برزان التكريتى رئيس المخابرات وأخ صدام غير الشقيق، واثنين من ضباط الموساد اللذان قدما لبرزانى كشفاً يحوى أسماء المتآمرين على صدام حسين داخل النظام العراقى بقيادة عدنان الحمدانى وزير التخطيط آنذاك (ملحوظة: كان للعراق طلب آخر هو إمداد العراق بمواقع القوات الإيرانية فى إحدى المعارك عن طريق أقمار التجسس الأمريكية .. وقد وافقت إسرائيل على ذلك)، وكان طلب الموساد فى المقابل تمكين إسرائيل من قصف المفاعل العراقى، والسماح للطائرات الإسرائيلية بتنفيذ هذه المهمة دون تدخل من وسائل الدفاع الجوى العراقية الأرضية والجوية على السواء، كما طلب ممثلى الموساد أيضاً قيام المخابرات العراقية بتنفيذ عمليات اغتيال مسئولى مكاتب المنظمة الفلسطينية، وقد وافق برزان التكريتى على كل هذا برحابة صدر.

وبالفعل قامت المخابرات العراقية باغتيال كل من محمد صالح مدير مكتب المنظمة فى باريس، وسعيد حمامى فى لندن، وعلى ناصر يسن فى الكويت، وعز الدين قلق فى باريس، ونعيم خضر فى بلجيكا، وماجد أبو شرارة فى روما، وعادل وصفى فى بيروت وعدنان حماد فى باريس، بالإضافة لاغتيال أربعة من كوادر المنظمة فى باكستان، كما حاولت المخابرات العراقية أيضاً اغتيال محمد داود فى وارسو .. وكثيرين غيرهم. وعقب هذه الموجة من الاغتيالات، وإدراك قيادة المنظمة الفلسطينية لحقيقة الدور العراقى فيها، وتعاونه مع الموساد بشأنها، صرح عرفات قائلاً: "إن صدام حسين لا يختلف عن نورى السعيد، إن لم يكن أسوأ". خاصة بعد أن ثبت استخدام النظام الصدامى لجماعة أبو نضال فى اغتيال شخصيات فلسطينية لم تستطع الموساد أن تصل إليهم، وذلك خدمة لها وفى إطار التعاون معها .. منهم أبو إياد (نائب عرفات)، وعصام سرطاوى مندوب المنظمة فى الأمم المتحدة، ومئات من الكوادر الفلسطينية فى لبنان، وهو ما يؤكد أن يد النظام الحاكم فى العراق ملطخة بدماء الفلسطينيين، وهو واقع موثق فى الأمم المتحدة، ويعلمه المواطنون الفلسطينيون أنفسهم.

وعندما حددت إسرائيل موعد الغارة على المفاعل النووى العراقى (أوزيراك) أبلغت برزان بذلك، فكان أن أمرت القيادة العراقية وسائل دفاعها الجوى فى بغداد بتقييد النيران بحجة وجود مناورة جوية من قبل الطائرات العراقية، وذلك فى ذات اليوم والتوقيت الذى اخترقت فيه المقاتلات الإسرائيلية المجال الجوى العراقى بعد اختراقها المجال الجوى الأردنى. ورغم أن المسافة بين بغداد والحدود الأردنية لا تزيد عن ١٥٠ كم، فإن الرادارات العراقية لم تعط أى إنذار بوجود تسع مقاتلات معادية فى الأجواء

العراقية، وهو الأمر الذى أثار تساؤلات عديدة فى الأوساط العربية، حيث لم يشك أحد فى وجود تواطؤ بين الموساد والنظام الصدامى على فعل ذلك. خاصة وأن هذا النظام حرص على استثمار هذه العملية فى الترويج لوجود تعاون عسكرى بين إسرائيل وإيران لضرب العراق.

ج- الفلسطينيون ورقة رهان بين العراق وإسرائيل (٨)

- ويحفل كتاب (بغداد تل أبيب العلاقات السرية) بوقائع الاتصالات وتفاصيل المفاوضات التى جرت بين العراقيين والإسرائيليين فى نيويورك وجنيف بناء على أوامر صدام حسين، لكى توقف إسرائيل مساعداتها العسكرية لإيران وتحولها إلى العراق .. وهى الاتصالات التى جرت بكثافة اعتباراً من ديسمبر ١٩٨٥ عندما ساء موقف القوات العراقية فى جبهة القتال. وبالفعل بدأ نزار حمدون ممثل صدام حسين فى نيويورك بفتح محاور اتصالات مباشرة مع بنيامين نتنياهو ممثل إسرائيل فى الأمم المتحدة آنذاك، وكان يحضرها طاهر القيسى وكيل الخارجية العراقية، كما حضر بعض الاجتماعات مندوب من مجلس الأمن القومى الأمريكى. حيث قدم القيسى قائمة بمطالب العراق من الأسلحة والمعدات الإسرائيلية، بالإضافة لاحتياجات معلوماتية عن القوات والأهداف الاستراتيجية الإيرانية، وذلك مقابل تعهد عراقى بإقامة علاقات كاملة مع إسرائيل بعد انتهاء الحرب، مع الاستجابة لجميع الطلبات الإسرائيلية.
- وقد تمحورت المطالب الإسرائيلية حول المنظمات الفلسطينية، ومساعدة العراق لإسرائيل فى الحد من أنشطتها (الإرهابية). فلم يتردد صدام حسين إطلاقاً فى بيع المنظمة الفلسطينية لإسرائيل فى سبيل مصلحته، حيث كلف أبو نضال بقتل عدد من قيادات المنظمة يساوى إن لم يزد عن العدد الذى قتله رجال الموساد، وكان ميدان ذلك فى الساحة اللبنانية التى سقط فيها العديد من كوادر فتح، كما أوقف العراق مساعداته المالية والعسكرية التى كان يقدمها للمنظمة، وقصرها فقط على جبهة التحرير التى تتبعه، كذلك عمد إلى الاستيلاء على شحنة الأسلحة التى كانت الصين قد أرسلتها إلى المنظمة، بل واستولى على حصة المنظمة من مصنع الأسلحة المشترك المقام فى العراق، وأردف ذلك بإغلاق جميع معسكرات التدريب، وساوم الفلسطينيين على الانضمام لحزب البعث أو الجبهة العربية لتحرير فلسطين التى تتبعه، ومن كان يرفض فإن القتل أو السجن كان مصيره. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل أصدر صدام أوامر بمنع جمع أى تبرعات لصالح المنظمة، إلى جانب استباحة دم جميع الكوادر التابعة لفتح، وبذلك نفذ صدام بكل دقة الشعار الذى رفعه مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل فى عام ١٩٧٨ عندما طالب بضرب كل مكاتب المنظمة فى كل مكان، ولم يكن هناك أسهل على صدام حسين من أن يقدم للإسرائيليين كل ما لديه من معلومات عن المنظمات الفلسطينية فى لبنان وسوريا والأراضى المحتلة وغيرها من بلدان العالم.
- ولم تكن الأقوال والتعهدات العراقية الشفهية تكفى إسرائيل، فقد كانت فى حاجة إلى دليل ملموس للتعاون العراقى معها فى مجال مكافحة أنشطة المنظمة، ولكى يبرهن صدام حسين على ذلك قام بتبليغ الموساد من خلال شبكة الاتصالات التحتية التى أقامها معها بمعلومات عن تفاصيل عملية فدائية كان من المقرر أن تقوم بها مجموعة أبو العباس فى ٣٠ مايو ١٩٩٠ فى تل أبيب، وبالفعل وحين بدأت

العملية فى الموعد المحدد لها كانت القوات الإسرائيلية فى انتظارها على شاطئ تل أبيب، وقد أشار اسحق رابين إلى ذلك فى قوله: "لقد كنا نعلم بشأن هذه العملية قبلها بأسابيع".

لقد كشفت أحد أجهزة المخابرات العربية عن علاقة صدام حسين بالعميل المزدوج الذى كان قد نجح فى دسه على الحرس الخاص لياسر عرفات، وقد كان هذا العميل ذو الأصل الفلسطينى يعيش فى بغداد وتم اختراقه بواسطة الموساد. لذلك كان يعمل لحساب الموساد والمخابرات العراقية فى آن واحد، وقد أسند صدام إليه مهمة التخلص من الثلاثى الفلسطينى الشهير فى القيادة الفلسطينية الذى أعلن معارضته لغزو العراق للكويت، ويضم أبو إياد وصلاح خلف، وأبو الهول.

د- صدام ضد إقامة دولة فلسطينية

سعى النظام الصدامى بكل جهده إلى بسط هيمنته على القضية الفلسطينية وتملقها واستغلالها أبشع الاستغلال، فقد مرت القضية الفلسطينية بمرحلة عصيبة للغاية وذلك فى الفترة منذ انقلاب يوليو ١٩٦٨ فى العراق وحتى حرب أكتوبر ١٩٧٣. حيث اتسمت هذه الفترة بالتوتر الحقيقى بين النظام العراقى الصدامى وثوار المقاومة الفلسطينيين الحقيقيين (وليس المنظمات الوهمية التى أنشأها العراق). ويبدو ذلك فى نص المذكرة السرية التى أرسلها أمين مجلس قيادة الثورة العراقية شفيق الدراجى إلى قيادة المقاومة الفلسطينية فى إبريل ١٩٦٩ والتى أوضحت بجلاء موقف مجلس قيادة الثورة البعثية من المقاومة الفلسطينية وحقيقة نواياهم وأهدافهم التى يرمون إليها من جراء استغلال المقاومة. فقد أشارت المذكرة إلى الآتى: "أن منظمات المقاومة الفلسطينية رفضت من قبل تنسيق نشاطها مع جبهة التحرير العربية (وهى منظمة فلسطينية مصطنعة عميلة أنشأها النظام الصدامى وموّلها لتعمل فى الاتجاه المضاد للثورة الفلسطينية الحقيقية)، ورفضت المقاومة الفلسطينية فى عدة مناسبات إعلام مديرية الاستخبارات العراقية العسكرية عن هذه النشاطات ومنها: إقامة مهرجانات واحتفالات وتجمعات، وجمع تبرعات لصالح المقاومة، وفتح مكاتب تطوع للمقاومة"، وانتهت المذكرة إلى رفض الحكومة العراقية شرعية وجود المقاومة الفلسطينية على أرض العراق، واشترطت احتوائها بالكامل وتحييدها وتوجيهها بما يخدم الأهداف البعثية فقط، لتصفيتها من الداخل، وزرع العناصر العميلة الموالية لحزب البعث.

وفى يونيو ١٩٧١ أرسل مجلس قيادة الثورة العراقية مذكرة ثانية إلى قيادة منظمة التحرير تشمل على المزيد من القيود المفروضة على نشاط الفلسطينيين، ومضت وشددت على ضرورة إبلاغ أجهزة الأمن العراقية عن كل من له علاقة بالمقاومة سواء من الفلسطينيين، أو المؤيدين والمتحمسين من العراقيين للقضية الفلسطينية، وعن العراقيين الذين تقدموا بطلبات للانخراط فى صفوف المقاومة الفلسطينية بدافع المشاركة فى أنشطتها. كما طلبت السلطات العراقية بضرورة إعلامها سلفاً عن جميع التوجهات السياسية والعسكرية والإعلامية الهامة الصادرة من قيادة المنظمة إلى فصائلها قبل إعلانها. وفى خطة ماكرة اقترحت السلطات العراقية بعد حرب ١٩٧٣ إنشاء جبهة رفض بعد أن أعلن العراق على لسان صدام حسين شجبه واستنكاره ورفضه لفكرة إقامة دولة فلسطينية فى الضفة والقطاع، وأن البديل هو الصمود والتصدى، والثورة حتى النصر!!

- وهكذا وقف النظام البعثى الصدامى بالمرصاد لأية محاولة لإقامة الدولة الفلسطينية، ولإجهاض أية أحلام فى مخيلة الشعب الفلسطينى للاستقرار، واكتفى بالشعارات الممجوجة حتى يبرر استمرار الحكم العسكرى البعثى التكريتى للعراق، والاستمرار فى مهزلة المتاجرة بالقضية الفلسطينية، وتصفية العناصر الفلسطينية النشطة التى أدركت حقيقة ما يرمى إليه صدام حسين، وإنشاء وتمويل الجبهات العميلة المصطنعة لإجهاض حركات المقاومة الفلسطينية الحقيقية، واستغلال تلك الأبواق العميلة للتغنى بمفاخر الديكتاتور صدام حسين، واستخدامها عند اللزوم كمخلب قط لتنفيذ أعماله الإرهابية باسم القضية الفلسطينية لتشويه صورة العناصر الشريفة فى المقاومة الفلسطينية، وتشويه صورة القضية العربية أمام الرأى العام العالمى بمساعدة الإعلام الصهيونى.

هـ صدام يحتضن الإرهابى (أبا نضال) لضرب عرفات (٩)

- ولقد شهدت المقاومة الفلسطينية فى ذلك الوقت (بعد حرب ١٩٧٣) أشد الفترات إظلاماً وتأزماً على يد صدام حسين، الذى خشى من ضياع دوره الغوغائى كزعيم، وهو تبنى حركات النضال الوهمية فى نفس الوقت الذى يطعن فيه القضايا العربية من الخلف، وخشى من انكشاف أمره، واهتزاز صورته أمام الرأى العام العربى، مما يؤدى إلى سقوط حكم البعث التكريتى، وضياع النفوذ الصدامى. فحاول فى البداية استمالة حركة (فتح) برئاسة ياسر عرفات الذى رفض عروضه الخبيثة، فما كان منه إلا أن قطع إعانته المالية عن (فتح)، كما قطع صدام أيضاً إعانته المالية عن الجبهة الشعبية الديموقراطية التى وافقت على إنشاء الدولة الفلسطينية على أية أراضى يتم تحريرها. وفى المقابل احتضن صدام (أبا نضال) صبرى البنا الذى رأى فيه ما يحقق مآربه، وأنه عجينة طيعة يمكن توجيهها كيف يشاء. ولقد أثبت أبو نضال من قبل ولاءه لصدام حسين حتى أثناء عمله بـ (فتح) التى كان يتجسس عليها لصالح صدام، وسارع عندما واتته الفرصة بإعلان انشقاقه عنها، ورفضه توجيهات ياسر عرفات، وأبدى استعداده لتنفيذ أية أوامر صدامية. وشهدت منظمة أبى نضال ميلادها الأول فى بغداد، وقام أبو نضال بسلسلة أعمال إرهابية لصالح ديكتاتور العراق، كان منها اختطاف طائرة هندية أثناء تحليقها فى المجال الجوى العراقى، بهدف الإساءة لمنظمة فتح خاصة وللقضية الفلسطينية عامة، ولتحذير عرفات على وجه الخصوص من مغبة إرسال ممثلين إلى المؤتمر الدولى للسلام فى الشرق الأوسط، فما كان من عرفات إلى أن أصدر قرار بفصل أبى نضال تماماً فى مارس ١٩٧٤، وأصدر حكماً من فتح غيابياً بإعدامه.

- ولم تبخل حكومة البعث العراقية على أبى نضال بأية مساعدة، فاحتضنته ووضعت تحت تصرفه كافة التسهيلات والأموال اللازمة لعملياته الإرهابية التى يخطط لها النظام الصدامى. وعلى مدى السنوات العشر التالية استطاع أبو نضال تجنيد المئات وإنشاء فروع له فى العديد من البلدان العربية وغيرها. وتقدر أجهزة المخابرات الغربية العناصر النشطة الفاعلة فى جماعة أبى نضال ما بين ١٥٠-٢٠٠ فرد. وقد منحه حزب البعث العراقى محطة إذاعية من بغداد سماها "صوت فلسطين"، كما أنشأ له أيضاً وكالة أنباء أطلق عليها اسم (وفا)، ومجلة (فلسطين الثورة) التى تصدر من بغداد، وهى أسماء مشابهة

لنظائرها التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية، وذلك فى محاولة من صدام لإظهار منظمة أبى نضال بديلاً عنها.

وبتوجيه من صدام حسين قام أبو نضال وجماعته بتصفية العديد من العناصر الفلسطينية النشطة المعارضة لممارسة النظام العراقى، والتى دأبت على فضح ممارساته وصفقاته المشبوهة مع إسرائيل، وأعلنت رفضها التام للانضواء بأية حال تحت توجيهات حزب البعث الصدامى. وكان رؤساء مكاتب منظمة التحرير فى العواصم الأوروبية على رأس قائمة الاغتيالات بالاتفاق مع إسرائيل كما سبق شرحه الأمر الذى دفع ياسر عرفات للإعلان فى صيف ١٩٧٨: "إن الرئيس العراقى صدام حسين يسعى إلى القضاء على حركة الفدائيين الفلسطينيين .." .. وأضاف عرفات: "إن هؤلاء الأبطال قد استشهدوا بناء على القرار الذى اتخذه الكنيست والموساد الإسرائيلى ونفذ منه مناحم بيجين جزءً، ونفذ صدام حسين حاكم بغداد الجزء الآخر".

ولقد اتهمت منظمة التحرير الفلسطينية النظام الصدامى بالتواطؤ والتآمر لاختطاف طائرة الخطوط البريطانية فى أواخر عام ١٩٧٤ فى دبى، ونفى بيان أذاعته إذاعة "صوت فلسطين" التابعة لمنظمة التحرير فى الجزائر علاقاتها بالحادث، وألقت باللوم على عاتق "أفراد عملاء وخونة لاقوا تشجيعاً من قبل الحكومة العميلة فى العراق". وقد جاءت هذه العملية لإجهاض الجهود الدبلوماسية الناجحة التى أنجزتها منظمة التحرير داخل أروقة وساحات الأمم المتحدة بعد أن انتزعت اعترافاً دولياً بشرعيتها كممثل وحيد للشعب الفلسطينى، واتهم عرفات النظام العراقى وعلى رأسه صدام حسين بـ "التآمر لتمزيق الوحدة الفلسطينية، وتمزيق الثورة عن طريق نشاطات عملاء مأجورين يتزعمهم أبو نضال".

إلا أن النظام العراقى استمر فى مخططه ومحاولاته لتصدير منظمة أبى نضال بديلاً عن منظمة التحرير، وبناء على توجيهات خاصة من صدام حسين كثفت المخابرات العراقية دعمها المادى لمنظمة أبى نضال، والذى شمل أسلحة ومفرقعات وتخصيص معسكرات للتدريب، وترتيب دورات تدريبية متخصصة على أيدى خبراء إرهاب دوليين بدءً برجال الموساد وانتهاء بعناصر من كوبا. وقد كشف رئيس المخابرات الإسرائيلية الأسبق (يهوا ساجى) فى حديث له مع صحيفة الواشنطن بوست فى عام ١٩٨١، أن صدام حسين قدم فى إحدى المرات لأبى نضال دعماً مادياً يبلغ ٥٠ مليون دولار، أما أبو أياد فقد كشف عام ١٩٧٨ أن أبا نضال أصبح بفعل المساعدات التى يلقاها من صدام حسين يملك خمسة مصانع فى بيروت، بالإضافة لمحل ملابس فى حى الفكهانى. كما تحصل منظمة أبى نضال على مخصصات أخرى من خلال ممارسة عمليات الابتزاز والتهديد بالاغتيال أو فرض الحماية من خلال إتاوات مالية، وذلك بواسطة بعض العناصر المسلحة التى مولها صدام للمشاركة فى إشعال آتون الحرب الأهلية اللبنانية وممارسة البلطجة السياسية على الساحة اللبنانية. وقد حاول أبو نضال ولعدة سنوات وبإلحاح مطالبة حكومة الكويت بتحويل جزء من الحصة التى تستقطعها من مرتبات الفلسطينيين العاملين فى الكويت (٥%) لصالح منظمة التحرير الفلسطينية، حاول أبو نضال إقناع حكومة الكويت بتحويل جزء من هذه الحصة إليه، إلا أنه قوبل بالرفض. ولذا فعندما قام حليفه صدام حسين بغزو الكويت سارع بتأييده للحصول على جزء من عمليات النهب الصدامية للكويت.

- وقد حاول أبو نضال، وبتوجيه من صدام حسين شخصياً، اغتيال عرفات عام ١٩٧٤ ولكنه فشل فى ذلك، وأصدرت محكمة (فتح) حكمها الغيابى عليه للمرة الثانية بالإعدام، وطالبت منظمة التحرير حكومة البعث الصدامى بتسليم أبى نضال لمحاكمته، إلا أن النظام العراقى رفض حتى مجرد النظر فى هذا الطلب، واستمرت بغداد فى دعمه حتى بعد اكتشاف محاولة فاشلة أخرى لاغتيال صلاح خلف (أبو إياد) فى بلغراد.

و- صدام واستغلال الانتفاضة الفلسطينية (١٠)

- مما لاشك فيه أن غزو العراق للكويت قد أثر سلبياً على الانتفاضة الفلسطينية الأولى التى كانت قد اشتعلت فى الأراضى المحتلة مع نهاية الثمانينات، وشدت اهتمام العالم على المستويين الإقليمى والدولى، فجاء غزو الكويت ليغطى على هذه الانتفاضة، ويشد الرأى العام العالمى بعيداً عنها ليتابع الغزو العراقى الإجرامى للكويت، وما أعقبه من تداعيات دولية.

- ولقد حاول النظام الصدامى كثيراً، ولا يزال يحاول أن يتاجر بالقضية الفلسطينية، ويستر عوراته ويخفى جرائمه فى حق الشعب الفلسطينى، فقرر أن يركب موجة الانتفاضة الفلسطينية الثانية (انتفاضة الأقصى) ويستثمرها لخدمة أهدافه فى خداع وتضليل الشعوب العربية وفى مقدمتها الشعب الفلسطينى، فادعى أنه من أجل نصرة القضية الفلسطينية أعد جيشاً من سبعة ملايين مقاتل لتحرير القدس، وتبرعه بمليار يورو للانتفاضة الفلسطينية. وأدار استعراضات ومسيرات وكرنفالات فيما أطلق عليه (يوم القدس)، (نداء الأقصى) إلى غير ذلك من شعارات ومسرحيات الهزل والدجل، والتى جند النظام الصدامى لها بعض أزلامه فى الأرض المحتلة والبلدان العربية تطبل وتزمر له لتلميع صورته داخل المجتمع الفلسطينى، ولسد الطريق أمام من يحرصون على كشف ماضيه الأسود تجاه الشعب الفلسطينى.

- إلا أن الحقائق كان لابد أن تفرض نفسها فى النهاية حتى تقطع على هذا النظام الصدامى محاولاته لخداع وتضليل العرب عامة والفلسطينيين خاصة، حين كشف المسئولون الفلسطينيون أنهم لم يتلقوا من النظام العراقى (يورو) واحداً لدعم الانتفاضة من المليون يورو التى زعم أنه تبرع بها لدعم الانتفاضة، ناهيك عن أنه لم يرسل جندياً واحداً من السبعة ملايين جندى للقيام بعملية فدائية واحدة ضد إسرائيل، وليؤكد هذا النظام الصدامى ويثبت أنه عبر التاريخ الطويل للقضية الفلسطينية كان ولا يزال يبيع للعرب والفلسطينيين الوهم والخداع، بل كان ولا يزال أيضاً يتبع سياسة (ماكو أوامر) تجاه القضية الفلسطينية مثلما يتخذ نفس الموقف تجاه الأحداث الحالية الدامية التى يواجهها الفلسطينيون من إسرائيل، حيث ثبت أن جيش السبعة ملايين جندى الذى أطلق عليه صدام (جيش تحرير القدس) ما هو إلا تجمع للعاطلين والمشردين فى العراق. كما ثبت أيضاً أنه فى الوقت الذى يمارس فيه النظام الصدامى النضال المعادى لإسرائيل على مستوى الشعار فقط، نجده فى الواقع العملى يسعى لامتصاص النقمة الجماهيرية تجاه الاحتلال الصهيونى، إلى جانب عملية ضرب كل تحرك يرمى إلى تحرير فلسطين أو يساعد على الاهتمام بهذه القضية العربية الإسلامية.

ز- مؤامرة توطين الفلسطينيين في العراق مقابل رفع العقوبات [١١]

طرحت مسألة توطين ٣٠٠ ألف فلسطيني في العراق بحدة في وسائل الإعلام العربية والأجنبية في مارس ٢٠٠٠، بعد أن بدأت الأخبار تنتشر عن اقتلاع مواطنين أكراد وتركمان من منازلهم في كركوك والموصل وإحلال عائلات فلسطينية محلهم من أبناء اللاجئين المقيمين في العراق. وكان مجلس قيادة الثورة في العراق قد أصدر قراراً في منتصف يناير ٢٠٠٠ يسمح للفلسطينيين بتملك البيوت والأراضي. وقد أثارت هذه الإجراءات عاصفة من السخط والخوف في صفوف أكراد وتركمان شمال العراق الذين شعروا بوجود مخطط أكبر لتوطين فلسطينيين قادمين من لبنان والأراضي المحتلة في الضفة الغربية في المدن والقرى الكردية والتركمانية، وهو ما دفع المنتدى الكردي في هولندا إلى رفع مذكرة إلى ياسر عرفات يطلب فيها التدخل لتعطيل الخطة العراقية، كما أعربت المذكرة عن تخوفها من وقوع فتنة جديدة ومن "دق إسفين" في جسد العلاقات الكردية-الفلسطينيين، والكردية-العربية. كما تواكبت هذه الأخبار مع إقبال الفلسطينيين في العراق (٢٤٠ ألف فلسطيني) على شراء العقارات في المدن العراقية. فما حقيقة هذا الأمر؟!

كشفت صحيفة الأوبزرفر البريطانية في ٢٠٠٠/٥/٢١ عن أبعاد هذا المخطط في مقال ذكرت فيه ما نصه: "قام الديكتاتور العراقي صدام حسين بمحاولة مذهلة من أجل إقامة سلام مع الغرب بعد محادثات سرية استمرت شهوراً مع الحكومة الإسرائيلية"، ثم أوضحت الصحيفة أن ممثلي صدام حسين أبلغوا الإسرائيليين بأنه إذا عملت إسرائيل على إنهاء العزلة والعقوبات المفروضة على العراق فسوف تقوم بغداد بالترتيب لإقامة جسر جوي لنقل ما يربو على ٣٠٠ ألف لاجئ فلسطيني من لبنان إلى العراق والاستقرار هناك، كما ستعمل بغداد على تخفيف حربها الدعائية ضد الدولة اليهودية. وقد أوضحت الصحيفة البريطانية أن بداية هذه اللقاءات كان في عمان أثناء تشييع جنازة الملك حسين، ثم عقدت بعد ذلك ثلاث لقاءات في عمان وأثينا شارك فيها مسئول أمريكي بجانب ممثلين عن العراق وإسرائيل، وأن نزار حمدون نائب وزير الخارجية العراقي أجرى مزيداً من الاتصالات مع ممثلي اللوبي اليهودي في واشنطن حول هذا الموضوع.

ومن المعروف أن مشكلة عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أراضيهم طبقاً لقرارات الأمم المتحدة في هذا الشأن تعد عقبة كبيرة في مسار المفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين، خاصة اللاجئين الذين سكنوا الخيام في جنوب لبنان وتُركوا فلسطين منذ عام ١٩٤٨ وحتى اليوم. حيث ترى إسرائيل ضرورة حل هذه المشكلة حتى لا يتحول هؤلاء اللاجئين فيما بعد إلى قوة ثائرة مقاومة لا تقل عن قوة حزب الله خاصة إذا ما تحالفت معه، وهو ما يشكل هاجساً أمنياً خطيراً لها. لذلك فإنها ترى الحل في توطينهم خارج منطقة دول الطوق العربية، خاصة وأن لبنان ترفض توطينهم حتى وإن كان ذلك مقابل ٢٤ مليار دولار عرضتها واشنطن (جملة الديون الدولية على لبنان). لذلك تلقفت إسرائيل العرض العراقي ورحبت به وذلك في إطار المنفعة المتبادلة كما أوضحت الأوبزرفر، والتي أضافت أن إقامة جسر جوي لنقل هؤلاء اللاجئين إلى العراق سيتكلف أكثر من مائة مليون دولار، ستتحملها إسرائيل والوكالة اليهودية العالمية والولايات المتحدة.

- ولقد جمع نظام بغداد عدداً من رؤساء العشائر فى المناطق الجنوبية وأبلغهم بخطط لتوطين أعداد كبيرة من الفلسطينيين فى إطار مساعيه لاسترضاء إسرائيل، وتخفيف عزلته الدولية، وأن التوطين سيتم فى محافظات الكوت والناصرية والعمارة فى الجنوب إضافة إلى محافظة كركوك فى الشمال، الأمر الذى أثار استياءهم حيث وصفوا هذا القرار بأنه مؤامرة تمس الشعب العراقى لكونه سيسهم فى تغيير البنية السكانية والتوازن الطائفى فى المنطقة، وبما يمكن من استخدام هؤلاء الفلسطينيين كمرتزقة وميليشيات لحماية النظام الحاكم.

- والسؤال الذى يفرض نفسه فى هذا الصدد هو: ما مصلحة صدام حسين فى هذه الصفقة؟ وهل تقتصر فقط على رفع الحصار والعقوبات وتطبيع العلاقات بين بغداد وواشنطن؟ حقيقة الأمر أن أهداف صدام أبعد من ذلك وأعمق، وتتمثل فى استغلال الوجود الفلسطينى لإحداث توازن ديموجرافى فى المناطق التى يشكل فيها الوجود البشرى الكردى والتركمانى عنصر اضطراب وقلق للنظام الصدامى. حيث تقضى خطة التوطين بترحيل الأكراد والتركمان من مناطق سكناهم وإحلال آلاف اللاجئين الفلسطينيين مكانهم. وهكذا تتلاقى مصالح الطرفين العراقى والإسرائيلى ، فضلاً عن أن وجود الفلسطينيين فى مناطق سكناهم الجديدة سيظل رهناً باستمرار النظام الصدامى الحاكم فى بغداد، الأمر الذى سيحول اللاجئين إلى ميليشيات تقاتل من أجل هذا النظام وترهن وجودها بوجوده، وحيث يتوقع المراقبون أن يتخذ النظام الصدامى قرارات أخرى تنص على "اعتبار كل فلسطينى بلغ الثامنة عشر من عمره جندياً فى الجيش العراقى بمرتب شهرى فى منطقة سكنه الجديدة شأنه شأن الجندى العراقى النظامى". أما أماكن توطين الفلسطينيين فقد خططت على قاعدة أحداث توازن ديموجرافى مع مواجهة الأكثرية الشيعية فى الجنوب، والأكثرية الكردية والتركمانية فى الشمال. وحيث توضح خرائط التوطين إلى امتداد مناطق الفلسطينيين من كركوك إلى خانقين ليحلوا محل الأكراد الذين سيرحلون إلى مناطق تمتد من الفاو وحتى صفوان كحاجز يفصل العراق عن الكويت وإيران. كما تفيد المعلومات أيضاً إلى خطط لتحويل مدينتى العمارة والناصرية (فى وسط وجنوب العراق) إلى تكنات عسكرية للاجئين الفلسطينيين على حساب الشيعة الذين سيُهجرون من مناطقهم فى البصرة وبعض مدن الوسط الأخرى إلى مناطق متاخمة للأراضى السعودية ليشكلوا حاجزاً بشرياً آخر.

ح- (بول فندلى) يحذر الفلسطينيين من صدام حسين [١٢]

- لقد أثبتت الأحداث التى مرت بها القضية الفلسطينية أن النظامين الصدامى والصهيونى يتقابلان فى الأهداف ويتفقان عليها ويعملان سوياً على تحقيقها وتنفيذها بشتى الطرق، ذلك أن صدام حسين له مآثره وخدماته الكثيرة التى قدمها للحكومات الإسرائيلية المتوالية لترضى عنه وتوصى عليه لدى سادة البيت الأبيض والكونجرس فى واشنطن وهو ما سنثبته فى الفصل الأخير من هذا الكتاب فصدام حسين هو الذى أفلح فى توجيه ضربة قاصمة للانتفاضة الفلسطينية الأولى، بعد أن كانت أخبارها تغطى مساحة زمنية كبرى من وسائل الإعلام العالمية، وهو الذى حرك الجيش العراقى لمدة عشر سنوات نحو طهران باعتبارها الطريق الصحيح نحو القدس، وبذلك شتت شمل العرب بين مؤيد له ومعارض، وبذلك أفلح فى إطفاء شعلة الانتفاضة الباسلة على حد وصف (بول فندلى) نائب الكونجرس

الأمريكى، والمشهور بدفاعه عن القضايا العربية، والقضية الفلسطينية، وهو صاحب كتاب "من يجرؤ على الكلام" الذى فضح فيه أساليب إسرائيل واللوبى اليهودى داخل الكونجرس والإدارة الأمريكية، وكذلك أسرار الصفقات السرية التى أبرمها النظام العراقى مع إسرائيل ومهادنتها والتعهد بعدم الاعتداء المشترك والتخلى عن الأراضى والقضايا العربية. ويحذر بول فندلى الفلسطينيين خاصة من الشعارات البراقة المخادعة التى تطلقها الأبواق الإعلامية للنظام الصدامى "والذى يحاول استغلال الظروف لتحقيق مطامع سياسية شخصية بعيدة كل البعد عن مصالح العرب عامة والفلسطينيين خاصة". ويقول فندلى: "أصدقائى الفلسطينيين، اعلموا أن الأمل الوحيد لكم لتحقيق استقلالكم ليس فى اتباع ذلك المجرم السفاح المسمى صدام حسين، فصدام لا يعترف بحقوق الإنسان، ولا يقر بالأعراف الدولية والقوانين والمواثيق"، ويضيف فندلى "لقد كانت الانتفاضة الفلسطينية تقلق مضاجع الصهيونية لأنها تسير بخطى ثابتة وتأييد دولى، ثم جاء صدام واحتل الكويت، وقدم لإسرائيل هدية لا تنسى. لقد أطفأ صدام وهج الانتفاضة الفلسطينية المتأجج ليوقد مكانه نار الخزى والعار فى الكويت". ويتساءل فندلى: "إن صدام الذى يعشق الحرب ويؤمن بها، لماذا لم يستعرض عضلاته ويضرب إسرائيل؟ لماذا اختار الكويت؟ ثم بعد غزوه للكويت لماذا تصرف معها كرئيس عصابة يسرق وينهب ويغتصب ويدمر؟ هل هذه هى الوحدة التى يعدكم بها صدام؟ وحدة الإجرام وقانون الغاب؟ .. إن صدام لا يريد الخير للعرب، وكل ما يريده هو تحقيق حلمه، فهو يعتقد أنه يتقمص روح نبو خذ نصر، وهو لا يريد إلا المال والبترول!! .. إن الأسلوب الذى يتبعه صدام وأجهزة إعلامه يتفق فقط مع العقلية البربرية البعيدة كل البعد عن الأعراف والمواثيق الدولية".

- تلك كانت كلمات بول فندلى عضو الكونجرس الأمريكى السابق والذى عُرف بدفاعه عن القضايا العربية عامة، والقضية الفلسطينية خاصة، الذى كان بعض زملائه فى الكونجرس ينادونه بلقب (عربى) لدفاعه عن القضايا العربية، ودبَّرت عناصر الصهيونية المظاهرات ضده، ونادت بخلعه وإنهاء مستقبله السياسى لإيمانه بالقضايا العربية وعدم مهادنته للوبى اليهودى ذو النفوذ الواسع فى الدوائر السياسة الأمريكية.

<u>ثانيا: جرائم النظام الصدامى فى حق سوريا ولبنان</u>

- منذ منتصف الخمسينات والأنظمة العراقية المتوالية تستخدم من قبل القوى الكبرى للتآمر على سوريا، وتضطلع تركيا دائماً بالدور المعادى المعلن فى تلك المخططات، أما بغداد فكانت ولا تزال تنهض بالدور الخفى الذى هو أشد وطأة وتأثيراً من دور العدو المجاهر بعدائه. فمن مؤامرة اغتيال عدنان المالكى عام ١٩٥٥ إلى المؤامرة الكبرى فى نوفمبر ١٩٥٦، مروراً بدعم بغداد للانقلابات العسكرية فى سوريا إبان الستينات، ثم استضافة ميشيل عفلق وصلاح البيطار وأمين الحافظ فى بغداد بعد خلعهم من رئاسة حزب البعث فى سوريا فى مؤتمر ١٩٦٥، ثم فصلهم نهائياً من الحزب وطردهم من سوريا فى ٢٣ فبراير ١٩٦٦، فيما عرف آنذاك بـ "الردة الشبطانية" نسبة إلى شهر (شباط) فبراير.



عبد الحليم خدام: كان هدفا لعدة
محاولات اغتيال من قبل البعث العراقى



العماد مصطفى طلاس: كان هدفا
للمخابرات العراقية لكشفه مؤامرات
صدام ضد الدول العربية



بندر بن سلطان: سفير السعودية فى
واشنطن، طلب منه صدام إبلاغ بوش
بأن ليس للعراق أى نوايا ضد إسرائيل



الرئيس الراحل حافظ الأسد:حذر الخليجيين
أثناء الحرب العراقية - الإيرانية من أن الدور
سيأتى عليهم بعد إيران

أ- إعدام ٦٢ من مؤيدى سوريا فى البعث العراقى (١٣)

- بعد أن تمكن صدام من إحكام قبضته على السلطة فى بغداد، تكثفت المؤامرات ومحاولات الاغتيال ضد قيادى حزب البعث فى سوريا على النحو المعروف، خاصة بعد أن تبنى ميشيل عفلق صدام حسين، وهيأه لرئاسة الحزب فى العراق وجمع شتاته بعد الضربات التى وجهها له عبد السلام عارف. فبعد عودة البعثيين إلى حكم العراق فى عام ١٩٦٨، وتولى عفلق رئاسة الحزب هناك، وكان صدام حسين نائباً للبكر أطاح بكل القوميين فى حزب البعث الذين كانوا يظهرون ميولاً تجاه سوريا حتى كانت المجزرة الكبرى التى أطاحت بـ ٦٢ منهم فى أغسطس ١٩٧٩، والتى واكبت توليه رئاسة الجمهورية عقب تنحيته أحمد حسن البكر فى ١٩٧٩/٧/١٦. فقد شعر صدام فى هذه الفترة بتعاظم المعارضة وتزايدها داخل الحزب، خاصة مع تصاعد النزاع مع إيران، والحرب الدائرة ضد الأكراد فى الشمال، وعمليات إعدام وتهجير الشيعة فى الجنوب، بالإضافة إلى التصفيات الجسدية داخل الحزب دون محاكمات، ونقض تحالفاته مع جميع القوى السياسية فى البلاد .. كل هذا ألقى بظلاله على الحياة الداخلية فى حزب البعث، وأحيا من جديد مشروع عبد الخالق السامرائى بعقد مؤتمر قطرى استثنائى لإزاحة صدام حسين، وقد وجد هذا التيار فرصة للضغط بمشروع للتقارب والوحدة مع سوريا، وفتح حوار جديد مع الرئيس السورى حافظ الأسد، خاصة بعد أن نجح هذا التوجه القومى فى إجراء مفاوضات فى سوريا وتحقيق زيارة غير متوقعة قام بها الأسد إلى بغداد رداً على زيارة سابقة قام بها صدام لدمشق بدعوى الاتفاق على أهمية تفعيل العمل المشترك بين البلدين من أجل بناء موقف عربى موحد لمواجهة احتمالات تصفية القضية الفلسطينية، وقد تم بالفعل خلال زيارة الأسد لبغداد توقيع بيان وحدوى مع أحمد حسن البكر فى ١٩٧٩، وكانت الأحداث تتجه وتشير إلى نية البكر فى التنازل عن منصبه ليفسح المجال لمجيء حافظ الأسد لرئاسة دولة الوحدة بين العراق وسوريا، وهو ما أعلن عنه البكر فى اجتماع لمجلس قيادة الثورة فى ١٩٧٩/٧/٢١. هنا شعر صدام بخطورة الموقف الذى يهدد بإحباط كل مخططاته للاستيلاء على السلطة بشكل مطلق فى العراق، كما يعطى قوة لخصومه فى الحزب، لذلك بادر بالتحرك بدءً بالإيعاز إلى أتباعه فى التنظيمات الحزبية بأن يقللوا الحديث عن موضوع الوحدة مع سوريا، كما دبر بعض الحوادث التى تظهر سوريا بمظهر سيئ رغم الوحدة مع العراق، فأرسل مجموعة من عصابة (قنى) - نواة المخابرات العراقية لتشارك من طرف خفى فى حادث الهجوم على المدرسة العسكرية فى حلب الذى أدى لقتل عدد من الطلاب، كما دبر مؤامرة تفجير مجلس الوزراء السورى، إلا أن الجلسة التى كان مقرراً عقدها للمجلس لم تنعقد فى ذلك الوقت، فى حين أذاع راديو بغداد (صوت الجماهير) بأن الوزراء تفحموا فى مقاعدهم، وهو ما لم يحدث. ناهيك عن محاولات الاغتيال الفردية التى دبرها النظام العراقى ضد قادة سوريا خاصة وزير خارجيتها عبد الحليم خدام، وقيام هذا النظام أيضاً بدعم عناصر الأخوان المسلمين فى سوريا الذين حاولوا ضرب الاستقرار السياسى هناك عندما شرعوا بموجة اغتيالات سياسية، ثم أعلنوا التمرد فى مدينة حماة عام ١٩٨٢، ولكنهم منوا بالخيبة بعد أن وجهت لهم السلطات السورية ضربة قاصمة هناك، وأغلقت سوريا حدودها مع العراق، وحفرت خندقاً على الحدود بين البلدين، ومنعت المواطنين السوريين من زيارة العراق.

ب- سحب الجيش العراقى من سوريا أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ [١٤]

- عندما قررت مصر وسوريا القيام بحرب أكتوبر ١٩٧٣ لتحرير سيناء والجولان من المحتلين الإسرائيليين، وقررت بعض الدول العربية أن تشارك بنصيب فى هذه الحرب مثل الجزائر والمغرب والسودان والكويت قرر الرئيس العراقى أحمد البكر من منطلق قومى أن تشارك العراق فى الجبهة السورية بالفرقة الثالثة المدرعة ولواءين مشاة، ولأن هذا القرار جاء متأخراً بالنسبة لسير المعارك، فقد أرسلت هذه القوات على عجل، حتى أن المركبات المدرعة لم تحمل على ناقلات مما دمر جنازيرها، وجعل هذه الوحدات غير قادرة على الاشتراك فى عمليات تعرضية أو دفاعية صحيحة، ورغم ذلك فقد كان لوجودها فى العمق السورى حول دمشق فائدة فى تحقيق الاتزان الاستراتيجى للمسرح، ومنع القوات الإسرائيلية من التقدم نحو دمشق.

- إلا أن القيادة السورية فوجئت فى المرحلة الأخيرة من الحرب وكان الموقف شديد الحرج بالنسبة للقوات السورية بطلب من نظام الحكم فى بغداد بسحب القوات العراقية من الجبهة السورية وإعادتها للعراق، فأرسلت القيادة السورية اللواء حكمت شكور رئيس الأركان السورية إلى بغداد مع مرافقه الملازم أول هشام بختيار طالباً الموافقة على إبقاء القوات العراقية بضعة أيام أخرى كى لا يحدث انسحابها ثغرة فى الدفاع عن دمشق، إلا أن صدام حسين أصَّر أمام الرئيس البكر على سحبها، لأنه أراد أن يعرض الوضع السياسى فى سوريا للخطر، ولكونه لا يثق ببقاء القوات العراقية فى سوريا "القرب البعثيين الروحى إلى دمشق أكثر مما إليه" على حد وصف اللواء وفيق السامرائى رئيس المخابرات العسكرية فى كتابه (حطام البوابة الشرقية).

- وجدير بالذكر أنه عندما قررت الدول العربية الخليجية فى نهاية حرب أكتوبر ١٩٧٣ منع تصدير النفط عن الدول الغربية، واستخدامه كسلاح فى المعركة حتى يتم انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضى العربية المحتلة، وتم بالفعل إيقاف ضخ النفط، كسر النظام العراقى هذا القرار واستمر فى ضخ النفط من حقوله، بل وزاد فى معدلات إنتاجه مستغلاً الارتفاع الحاد فى أسعاره بسبب ظروف الحرب لتحقيق أكبر مكاسب مادية بغض النظر عن المصالح القومية العربية.

ج- صدام وزعزعة الوضع الداخلى فى سوريا [١٥]

- يذكر اللواء وفيق السامرائى فى كتابه (طريق الجحيم من العوجة إلى الكويت) عن الموقف السورى المؤيد لإيران فى حرب الثمانى سنوات ضد العراق: "لقد استبشرت سوريا خيراً بالثورة الإيرانية التى غيَّرت الموقف الإيرانى من مؤيد لإسرائيل (أيام الشاه) إلى مساند للقضية العربية المتعلقة بفلسطين والأرض العربية المحتلة ومنها مرتفعات الجولان. وجاءت الحرب العراقية-الإيرانية بمثابة ضربة للآمال السورية، فلم تؤد هذه الحرب إلى حرمان سوريا من الدور الإيرانى فحسب، بل حولت اهتمامات دول الخليج وصرف مساعداتهم إلى الساحة العراقية-الإيرانية، وبذلك تحول الصراع العربى-الإسرائيلى إلى خلف المواجهة الأمامية. كما تولى صدام حسين ضرب مشروع الوحدة العراقية-السورية عام ١٩٧٩ التى علقت سوريا أهمية كبيرة عليه، كذلك تدخل صدام حسين فى الاتجاه المعاكس

للدور السورى فى لبنان، والأدهى من هذا جملة التفجيرات التى مولتها المخابرات العراقية داخل سوريا، ومحاولة زعزعة الوضع الداخلى السورى .. لذلك حرصت القيادة السورية على توجيه رسالة مفتوحة إلى صدام بأن "تدخله فى الشئون السورية وتحويله الاهتمام عن ساحة الصراع لن يدع القيادة السورية تقف مكتوفة اليدين".

وفى إحدى خطب الرئيس الأسد أشار بوضوح إلى الحرب العراقية-الإيرانية بقوله: "ولولا شعب العراق العزيز، ولولا جيش العراق العزيز لكان لنا موقف آخر". وقد فهم المحللون فى العراق أن المقصود بذلك الاستعداد للمشاركة فى الحرب إلى جانب إيران، إلا أن صدام حسين لم يوقف جهوده المعادية لسوريا حتى أمكن إفشالها من قبل الطرف السورى، بما فى ذلك مساندته الواسعة للاتجاه المضاد للسياسة السورية فى لبنان.

د- صواريخ (لونا) العراقية لضرب دمشق من لبنان [١٦]

لم تكن أيدى النظام الصدامى بعيدة عن إشعال الحرب الأهلية فى لبنان والتى دامت أكثر من خمسة عشر عاماً، فقد استهدف محاربة سوريا من لبنان باعتبار الأخيرة تشكل العمق الاستراتيجى الطبيعى لسوريا، لذلك حرص هذا النظام الصدامى على دعم الميليشيات المعادية لسوريا فى لبنان خاصة الكتائب والمارونيين بهدف توريط سوريا فى المستنقع اللبنانى لتكون أشبه بـ (يمن) أو (فيتنام) أخرى تساعد على إضعاف وهزيمة سوريا فى أى مواجهة مع إسرائيل.

يكشف كتاب (بغداد-تل أبيب .. العلاقات السرية) لمؤلفه "تيرى لاليفه"، وكتاب (المحارب الخفى) لمؤلفه "فيلكس رودريجز" عن حقيقة الدور الذى لعبه صدام حسين فى الحرب اللبنانية. فعن وعى كامل بالنتائج، وطبقاً لاتفاق مسبق بين المخابرات العراقية والموساد، كلف صدام مجموعة أبو نضال باغتيال السفير الإسرائيلى فى لندن (سكومو آرجوف)، ورغم فشل المحاولة، إلا أن هذا الحادث المدبر كان الذريعة التى انتظرها شارون ليشن هجومه على لبنان عام ١٩٨٢، ويقضى على المقاومة الفلسطينية فيها، ويضم الجنوب اللبنانى بما فيه من موارد مائية ضخمة إلى إسرائيل. أما صدام حسين فكان له هدفان من الاشتراك فى هذه المؤامرة، الأول توريط سوريا فى حرب مع إسرائيل تبدأ من الساحة اللبنانية لتمتد بعد ذلك إلى الأراضى السورية، أما الهدف الثانى فهو إغراء إسرائيل لتقديم مساعدات عسكرية للعراق فى حربها ضد إيران. وقد نجح صدام فى تحقيق هدفه الثانى، حين حصل على بعض احتياجاته التسليحية من إسرائيل عبر تاجر السلاح (سركيس سوجاناليان)، وكذلك من الولايات المتحدة من خلال قاعدة هذا التاجر فى ميامى.

وعندما كثفت الدول العربية جهودها لوضع حد للحرب الأهلية فى لبنان، رفض صدام حسين هذا التوجه لأنه يعنى إفشال هدفه فى زيادة توريط سوريا فى لبنان، فقام بإمداد الجنرال اللبنانى المنشق ميشيل عون بكميات ضخمة من السلاح تم شحنها من ميناء العقبة الأردنى، لتمر عبر إسرائيل إلى لبنان، وقد شملت صواريخ أرض/أرض (لونا) ذات مدى ٧٠ كم حتى يمكنها قصف دمشق ومواقع القوات السورية فى لبنان. وقد كشفت المخابرات السورية عن اتصالات فعلية جرت بين اسحق رابين

وصدام حسين بهدف سماح إسرائيل لتمرير الأسلحة العراقية إلى ميشيل عون، أوضح فيها صدام أنه يسعى لمساعدة عون على مواجهة السوريين والفلسطينيين معاً !!

- وعندما اكتشف عدد من ضباط المخابرات العراقية حقيقة الاتصالات التحتية التى تجرى بين صدام حسين والمخابرات الإسرائيلية، وذلك من خلال مواقع عملهم، على عكس ما تتشدق به وسائل الإعلام العراقية، وأدرك هؤلاء الضباط حقيقة العمالة التى يمارسها صدام حسين لصالح إسرائيل، قرروا ضرورة التخلص منه ومن النظام الذى يمثله، وكان ذلك فى صيف ١٩٨٤ وداخل مقر رئاسة المخابرات، وبواسطة النقيب وضاح الشيخ الذى قاد المجموعة التى أطلقت النار على سيارة صدام، إلا أنه نجا لكون السيارة التى كان يستقلها مصفحة، وبالطبع أعدم كل من شارك فى هذه العملية وعلى رأسهم وضاح الشيخ.

هـ حافظ الأسد يتنبأ بعدوان العراق على الكويت (١٧)

- لم يكن بين القادة العرب من هو أكثر من الرئيس السورى حافظ الأسد معرفة وإدراكاً ووعياً بحقيقة صدام حسين، وأهدافه الخفية فى بسط هيمنته على العالم العربى، وعمالته للقوى الأجنبية، وتآمره وغدره وخيانته لكل من وقف بجانبه وسانده. لذلك كان صلباً وعنيداً فى دعم لبنان فى مواجهة المؤامرات التى كانت تستهدف تمزيقها، سواء من قبل إسرائيل أو من قبل النظام الصدامى الحاكم فى العراق.

- وعندما كانت الضغوط العربية تنصب على سوريا مطالبة إياها بالكف عن دعم إيران إبان الحرب العراقية-الإيرانية، كان الأسد يقول لكل خليجى يزور دمشق: "إنكم تدعمون صدام حسين فى حربه ضد إيران، وستندمون على ذلك فى المستقبل، لأن صدام حسين لا يعرف أى معنى للوفاء، بل إنه ناكر للجميل، لأنه بعد أن ينتهى من حربه التى شنها ضد إيران سيستدير عليكم". وكان كل مبعوث خليجى يرد بأن ذلك غير معقول، لأننا وقفنا مع صدام حسين، ولكن المنطق يقول أن صدام حسين سيهاجم سوريا لأنها وقفت مع إيران .. وهنا كان يرد الأسد: "لن يجرؤ صدام على التحرك نحو سوريا، ولكنه سيغزوكم فى عقر داركم وسترون" !! وصدقت توقعات الراحل الأسد فى ٢ أغسطس ١٩٩٠.

و- تصدير الإرهاب إلى لبنان (١٨)

- قبل اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية، كانت لبنان تمثل للكثيرين من أبناء المنطقة وغيرهم مركزاً نشطاً للتعاملات المالية، وسوقاً واسعاً للسياحة العالمية، حتى قيل عنها "سويسرا الشرق الأوسط". ويرجع ذلك إلى حد ما بسبب الحكم الليبرالى الذى كان سائداً، وتسامح السلطات اللبنانية، وهو المناخ الذى استغلته أطراف وقوى داخلية وخارجية معادية للأمة العربية منها النظام الصدامى الحاكم فى العراق - وجدت مصالحها فى تحويل لبنان إلى مسرح لصراعات سياسية وطائفية كثيرة أكبر من أن تتحملها لبنان. ولما كان النظام اللبنانى يشجع الأجانب ورجال الأعمال والمنفيين السياسيين والمغامرين من دول المنطقة وغيرها للمجيء إلى لبنان، وإدارة أعمالهم منها، وإيداع أموالهم فى بنوك بيروت حيث يمكن تحويلها من هناك إلى أى مكان آخر فى العالم، أو البحث عن عمل أو وسيلة للمعيشة بطرقهم

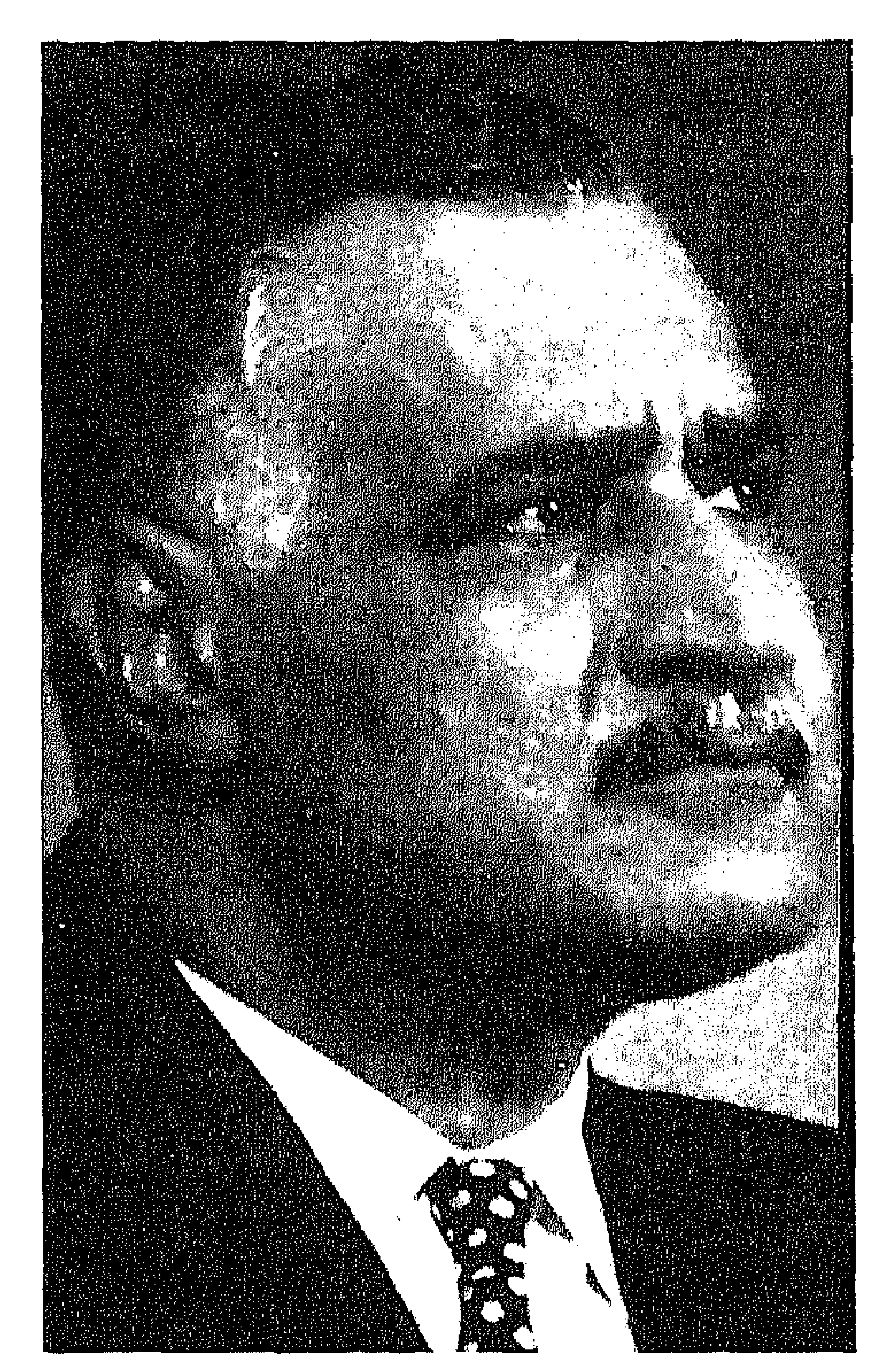
الخاصة كوكلاء للآخرين .. وكان وجود هؤلاء يضفي على لبنان جوا من العالمية يجد فيه كل قادم جديد مكاناً مناسباً بسرعة، يضاف إلى ذلك الموقع الجغرافى المتميز للبنان، وموقفه المحايد ظاهرياً بالنسبة للمشكلات الدولية والعربية بالرغم من تركيبته الطائفية المتعددة، كل تلك الظروف حولت لبنان إلى نقطة جذب هامة لها أفضليتها للمراقبين لأحداث الشرق الأوسط، وإلى المكان المنشود لعمل أجهزة مخابرات الدول الأخرى وممثليها الذين يعملون علناً أو فى الخفاء تحت أغطية مختلفة.

وقد استغلت الحكومة العراقية ذلك الموقف لتنظيم شبكات واسعة النطاق للجاسوسية والهدم والتخريب ضد البلد المضيف (لبنان) وضد غيرها من البلدان العربية والإسلامية. وبذلك تحول لبنان إلى مسرح لصراع أجهزة المخابرات الدولية، وبين الشرق والغرب، والقوى والمنظمات المختلفة، وكانت تصفية الكثير من الحسابات تتم على أرض لبنان، وكان عدد العاملين فى سفارة العراق لا يتناسب إطلاقاً مع الاحتياجات العادية، أو المصالح المحدودة للعراق التى يمكن أن توجد على أرض بلد صغير مثل لبنان، وبذلك تحول لبنان إلى نقطة تجسس عراقية وقاعدة لعمليات المخابرات العراقية ضد كل من سوريا وإيران ومصر ودول الخليج والمنظمات الفلسطينية.

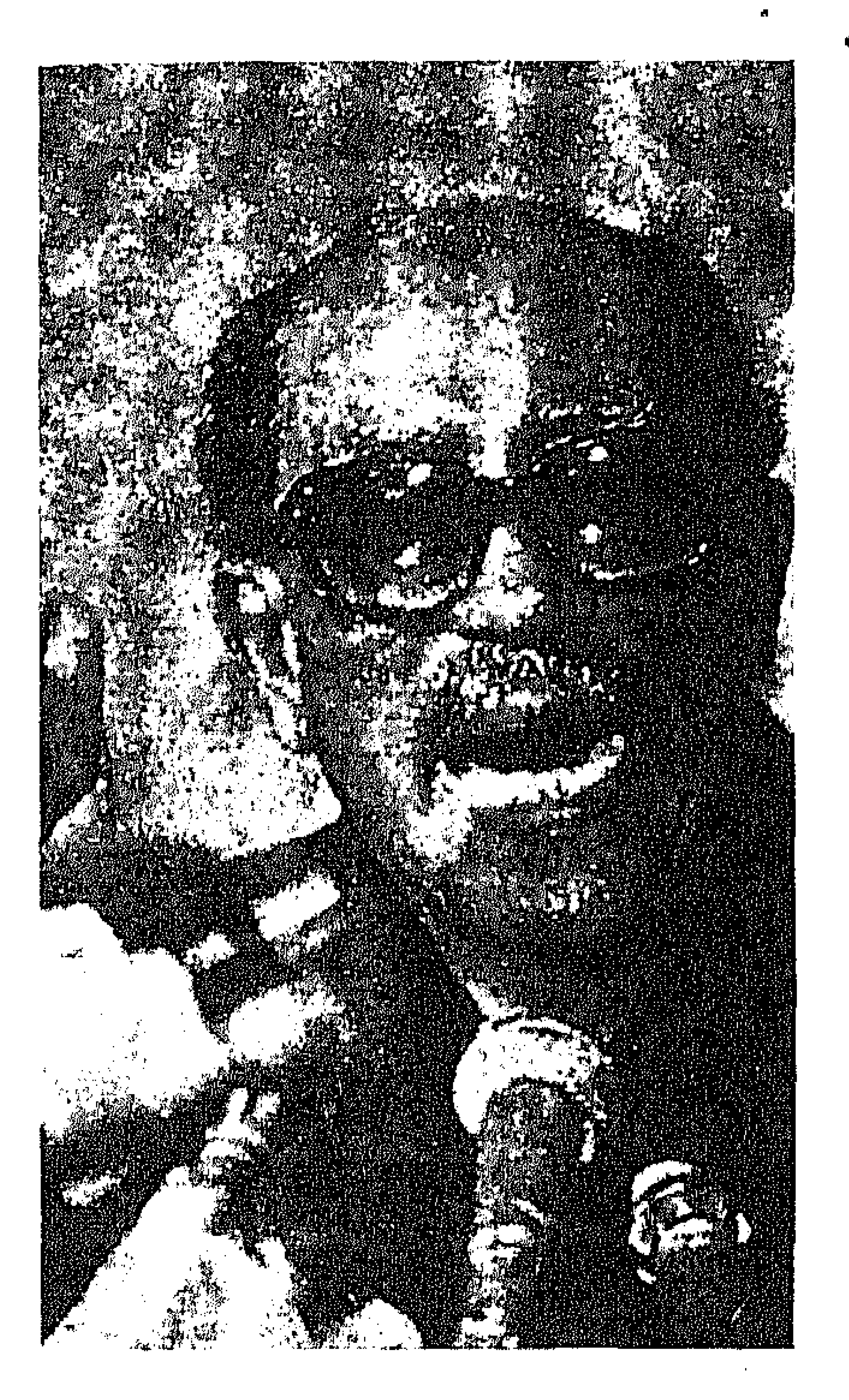
وفى عام ١٩٦٩ جذب انتباه واهتمام أجهزة الأمن اللبنانية أنشطة مواطن لبنانى يدعى عدنان منير صالح، وبوضعه تحت المراقبة تم ضبطه بالقرب من الحدود مع سوريا فى فبراير ١٩٧٢ وهو يحمل وثائق تحتوى على معلومات سرية عن سوريا، وباستجوابه اعترف أنه يعمل لحساب المخابرات العراقية، وأن مهمته كانت تشتمل على جمع المواد عن الشئون السياسة والمخابراتية والمنفيين السوريين لاستمالتهم للعمل لصالح العراق، والوقوف على طبيعة العلاقات السورية-المصرية (وكانت مصر وسوريا آنذاك تنسقان استراتيجياً تمهيداً لحرب أكتوبر ١٩٧٣). واستمر فى اعترافاته مشيراً إلى أن رئيسه أحد عناصر المخابرات العراقية فى لبنان ويدعى (جاسم المشدانى)، الذى طلب منه معلومات عن أجهزة الأمن اللبنانية، ومحاولة تجنيد أحد عناصرها، وقد نجح فى تجنيد رجلين من ضباط الأمن العام هما (كمال حداد) و (حسن عكوم) اللذان أمدا المخابرات العراقية بمعلومات ووثائق مهمة عن ملفات الأمن العام اللبنانى والعناصر العربية المقيمة فى جميع فنادق بيروت، وهو ما كشفت عنه صحيفة النهار البيروتية فى ١٩٧٢/٣/١٨.

ثالثاً: جرائم النظام الصدامى فى حق مصر والمصريين

من المعروف أن صدام حسين كان لاجئاً سياسياً فى القاهرة منذ عام ١٩٦٣ عقب هروبه من العراق بعد فشل محاولته لاغتيال عبد الكريم قاسم حاكم العراق آنذاك، وكان مكتب العلاقات العربية التابع لرئاسة الجمهورية يتولى الإشراف والإنفاق على اللاجئين السياسيين العرب فى مصر ومنهم صدام حسين، إلا أن الأخير لم يراع واجبات اللجوء السياسى فى البلد الذى آواه، فكان كثير الاعتداءات على جيرانه من المصريين بما عرف عنه من عنف وقسوة وسلوكيات وضيعة، وقد حفلت محاضر قسم شرطة حى الدقى الذى كان يقيم فيه بالكثير من جرائمه، مما دفع الحكومة المصرية إلى إبعاده بعد أن زادت متاعبه عن الحد ولم يعد أحد فى القاهرة يطيقه، فغادرها غير مأسوف عليه.



عبد الناصر: اكتشف مؤامرة صدام لاغتياله بواسطة الطلبة الوافدين العراقيين فى القاهرة



السادات: عقد صدام قمة بغداد فى عهده لمقاطعة مصر عام ١٩٧٩



حسنى مبارك: حرض صدام الشعب المصرى عليه لمعارضته العدوان على الكويت



paper

...يعبر بطريقته عن فيض المحبة تجاه صدام حسين، بل ان هناك مواطنين أكراداً الفارقة واسيويين، وفي الاصقاع المنسية راحوا يسمون مواليدهم باسم صدام تيمنا باسم القائد.. ولم نسمع عن واحد سمى ابنه بوش.. او مبارك، او حسني، والعياذ بالله.

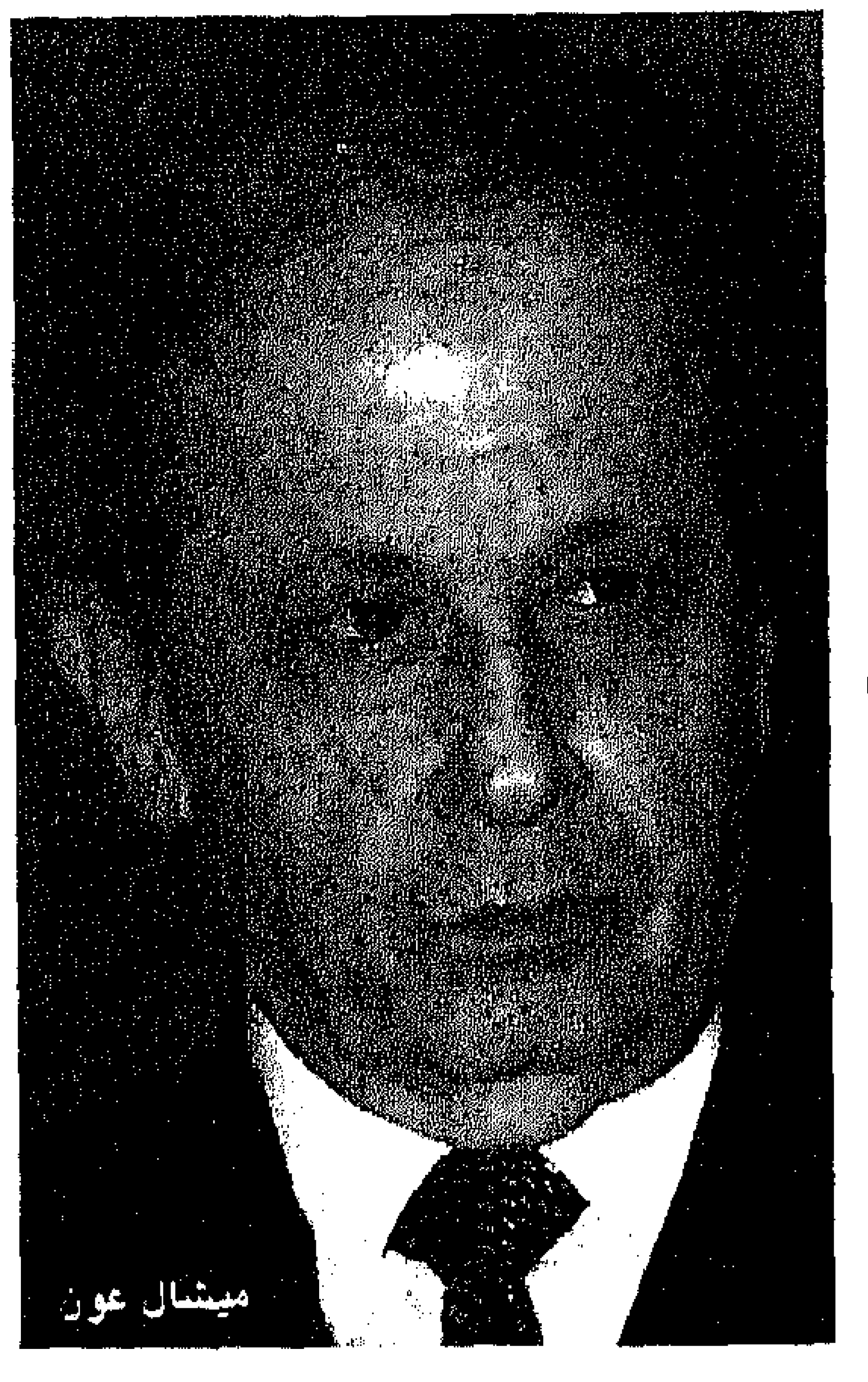
اما نعمة الاستقرار فهي نعم الوطن.. ولولا الوجود الاجنبي في شمالي الوطن.. لما تخلى شعبنا هناك عن دوره في تأييد الثورة. بل وحراسة ملامحها من كل اجنبي، او عميل.. لكن الفرصة آتية لاريب في ذلك.. وفي يوم ليس ببعيد.

فأين ذهب دعاة الديمقراطية، وحقوق الانسان. عن ممارسات حسني مبارك تجاه شعبنا في مصر؟

وأين ذهبوا عن طبيعة النظام في السعودية ومحافظة الكويت..؟

وأين صار حبهم للأكراد وهم يرون ويسمعون بما يجري في تركيا وإيران؟.. بل اين ذهبت توقعاتهم (النظام العراقي)، على حد زعمهم آيل الى السقوط؟..

صحيفة (بابل) العراقية تتهجم على الرئيس مبارك



ميشيل عون: أرسل إليه صدام صواريخ «لونا» فى لبنان ليقصف بها دمشق

مغالطات في تصريحات الرئيس حسني مبارك

□ بقلم : طارق عزيز

□ قرأت تصريحات الرئيس حسني مبارك نشرتها جريدة الجمهورية المصرية . ولم اجد مفرا من عدم التعليق عليها رغم ان ملاحظات الدبلوماسية تتطلب احيانا من بين ما تتطلب تحمل الكثير مما لايمكن تحمله .

١ - قال الرئيس مبارك : انما عندما استفسرنا عن الهجوم ([illegible] مدة) [illegible] رسالة [illegible] للرئيس الامريكي [illegible] (الموقف خطير) ولابد من [illegible] العمليات العسكرية .

التعليق : ان الرئيس مبارك ، وهو رئيس اكبر دولة عربية ، لم يتعامل مع العدوان من زاوية الشرعية الدولية . [illegible] الكثيرون من الحكام والسياسيين والكتاب وبخصوص من [illegible] عربية . ان هذا العدوان لايستند الى اي اساس [illegible] به « الشرعية الدولية » . وهو يتناقض مع قرارات مجلس الامن ويهدد مركز ودور الامم المتحدة .

ان [illegible] رئيس مصر الذي [illegible] ودعا الى تنفيذ قراراتها [illegible] حيث يدري او لايدري [illegible] تتحدث عن « الشرعية الدولية » [illegible] « الشرعية الدولية » [illegible] ويقول الرئيس مبارك في تصريحه [illegible] (الموقف خطير) فهل يعني [illegible] خطرا . وانه [illegible] سؤال مهم جدا : اين مصدر الخطر الذي [illegible] الرئيس مبارك . ترى هل هو في العدوان نفسه [illegible] ام [illegible] على الشارع المصري والعربي الذي [illegible] العدوان [illegible] صديق الرئيس مبارك .

٢ - وقال الرئيس مبارك ايضا . ولم تمض [illegible] على الرسالة حتى [illegible] الى ان الرئيس كلنتون [illegible]

التعليق : ان هذا [illegible] ان الرئيس مبارك [illegible] فلو كان الامر [illegible] مسألة لاعلن كلنتون [illegible] اعترافا للرئيس مبارك ، ولكن كلنتون لم [illegible]

ان كل [illegible] ومنهم المحللون الامريكان [illegible] ان العدوان الامريكي والبريطاني [illegible] بسبب محدودية [illegible] أن [illegible] امريكانه اكثر من ([illegible]) صاروخ كروز [illegible] كلها خلال الايام الاربعة للعدوان . وكان عليهم في حالة استمرار العدوان ان يوفروا موارد اضافية وان يستخدموا الطيران [illegible] من مخاطر على طائراتهم .

[illegible] الحقائق والمعلومات [illegible] وكلها منشورة في الصحف الامريكية . [illegible] القرار الامريكي بايقاف العدوان او تعليقه بتأثير رسالة لصديقه كلنتون الذي يحترمه !.

في الحقيقة ان كل الناس ، واولهم الشعب في مصر وفي الوطن العربي وفي العالم .. قد اجمعوا على ان تصرف كلنتون كان اهانة للعرب والمسلمين [illegible] عندما [illegible] العدوان بعد بدء شهر رمضان المبارك .. وكان اهانة لمجلس الامن والامم المتحدة . ولكن الرئيس مبارك كان الوحيد في هذا العالم الذي [illegible] ليقول بان كلنتون قد « احترمه » ولا اعتقد ان احدا في مصر او في العالم كله يشارك الرئيس مبارك في هذا الاستنتاج !!.

٣ - [illegible] الرئيس مبارك في هذا [illegible] ان « النظام الحاكم هناك (يقصد العراق) هو سبب كل المشاكل » .

التعليق : لقد وقع العدوان .. البقية ص ٧

مقالات الصحف العراقية التى تتهجم على مصر وقيادتها

أ- يوم قرر صدام التخلص من عبد الناصر [١٩]

- يروى السفير المصرى فتحى الديب فى مذكراته أنه عندما كان يعمل سفيراً لمصر فى ليبيا منذ عام ١٩٦٩، اكتشف مؤامرة يدبرها صدام حسين للانقلاب على جمال عبد الناصر والإطاحة به والتخلص منه. وكان ذلك فى فبراير ١٩٧٥ عندما نجح صدام فى تكوين خلايا فى القاهرة يصل عدد أفرادها إلى ٧٠٠ شاب من البعث العراقى الذين يدرسون فى الجامعات والمعاهد المصرية، على أن ينضم إليهم ٧٠ قيادة بعثية يأتون من بغداد، وكانت كل خلية لا تزيد عن عشرة أفراد. وكان هدف كل خلية الاستيلاء على أحد المرافق الحيوية فى القاهرة، وخلق نوع من البلبلة على أمل أن تنحاز إليهم الجماهير المصرية الغاضبة من النظام بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ .. وفى النهاية ومع انشغال الجيش المصرى بالدفاع عن منطقة القناة فى مواجهة إسرائيل، يمكن التخلص من عبد الناصر ومحاكمته وإعدامه، على أن يستولى البعثيون على السلطة فى مصر ليحققوا حلماً كان بالنسبة لهم خرافة مستحيلة .. والمثير للدهشة أن بعض أعضاء التنظيم تدربوا على السلاح فى أماكن صحراوية على أطراف العاصمة. ويستطرد فتحى الديب فى مذكراته بأنه عندما أخبر عبد الناصر بهذه المؤامرة لم يصدقها فى البداية وتشكك فى صحتها، وعندما تحددت ساعة الصفر لتنفيذ العملية وكانت فى أول أيام الاثنين من شهر يوليو ١٩٧٠ وكانت أجهزة الأمن المصرية على علم بها أمكن اعتقال جميع أعضاء هذا التنظيم، وعندما أعلن النبأ شعرت الأمة العربية بجرح غائر سببه (صدام حسين) فى صدرها بعد أن فكر وخطط وحاول التخلص من أقوى الرموز القومية. على أن أهالى الطلبة العراقيين المقبوض عليهم سارعوا إلى الاتصال بالسفير المصرى فى العراق (لطفى متولى) وهم يستنكرون ما جرى، وطلبوا نقل رسالة إلى الرئيس عبد الناصر صاحب القلب الكبير ليعفو عن أبنائهم وكلهم أمل فى الاستجابة لمطلبهم"، وفى يوم ١٠ سبتمبر من العام نفسه عندما اطلع عبد الناصر على هذه الرسالة، أمر بالإفراج عنهم وترحيلهم إلى العراق بدون محاكمة مع الإعلان عن ذلك.

- إن هذه القصة تكشف بوضوح وجلاء عن مدى الحقد الأسود الذى كان ولا يزال يكنه صدام حسين فى قلبه ضد مصر وقياداتها وشعبها. رغم أن هذا البلد هو الذى آواه عندما كان هارباً وضائعاً، وأطعمه عندما كان جائعاً، وعلمه عندما كان جاهلاً. ولكنها الخسة والدناءة التى تتضح من نفس صدام حسين التى لا تعرف قيم الوفاء والعرفان بالجميل، بل تعرف وتجيد فقط الجحود والخيانة والتآمر. كما تؤكد هذه القصة أيضاً كذب وبهتان وبطلان دعاوى أصحاب الدعاية العراقية السوداء الذين يحاولون تصوير صدام حسين على أنه خليفة عبد الناصر.

ب- أسئلة عبد الناصر الحائرة إلى البكر !! [٢٠]

- عندما تأكد لعبد الناصر الدور المخرب والمشبوه الذى يلعبه حزب البعث العراقى ويهدد به مقومات الأمن العربى، سواء فى مستواه القومى أو فى المستويات القطرية لكل دولة عربية، واكتشف حقيقة تآمر النظام البعثى الحاكم فى العراق مع الدوائر الإسرائيلية وذلك من خلال العديد من الوثائق التى عرضها جهاز المخابرات العامة المصرية عليه، والتى توضح وبصورة لا تدع أدنى مجال للشك دور قادة النظام البعثى العراقى فى التواطؤ مع إسرائيل والصهيونية العالمية، وأن هؤلاء القادة العراقيين

عملوا على إشعال الفتن فى المنطقة العربية، فى ذات الوقت الذى دأبوا فيه على استخدام العبارات الرنانة والشعارات الفضفاضة حول القومية والوحدة والتضامن العربى، والحروب الكلامية والبلاغية لخداع الجماهير العربية وتضليلها عن حقيقة أهداف ونوايا النظام العراقى الهدامة، ولذر الرماد فى العيون، والتى تشنها وسائل الإعلام العراقية فى هوس جنونى بناء على تعليمات صدام حسين ..

- عندما أدرك عبد الناصر خطورة هذا الأمر، وجد من الأهمية بمكان أن يرسل رسالة إلى رئيس العراقى أحمد حسن البكر فى ٣ أغسطس ١٩٧٠ يحذره من مغبة الاسترسال فى هذا النهج المخرب الذى يمارسه النظام العراقى، وكان نصها كالآتى: "إن الشعب المصرى لم يمارس ترف النضال من بوق الخطابة، أو من دهاليز المناورات السياسية، إنما مارس دوره فى وضح النهار، وتحت النور فى ميادين الخطر، بكل أعبائه ومشاقه المادية والمعنوية". ويستطرد عبد الناصر فى رسالته قائلاً: "لقد دهشت إلى حد كبير من المسيرات التى نظمتها السلطات العراقية سواء كانت رسمية أو حزبية ضد مصر، وقد كنت أتمنى لو أن الجهد الذى بذل لتنظيم هذه المسيرة والإعلان عنها وجه إلى ما هو أجدى منها، وكان الأجدر منها توجيه طائرة تقصف مواقع العدو أو تعزز فاعلية الجيش العراقى. ولست أخفى على سيادتكم أننى أحياناً أتساءل لماذا لم تتلق قواتكم على جبهة القتال فى أى وقت من الأوقات أمراً بالاشتباك مع العدو المشترك؟ لماذا لم تقم طائرة واحدة من طائراتكم بالإغارة على مواقعه؟ ولماذا لا يوجه العدو اشتباكاته نحو قواتكم؟ لماذا لا يوجه طائراته إلا نحونا؟؟

- ومن خلال تلك الأسئلة الحائرة التى طرحها عبد الناصر حول علاقة النظام العراقى منذ البداية بالصهيونية، وإجهاض الأمانى والأحلام القومية العربية، نرى بصورة واضحة جلية طبيعة ذلك النظام الهدام. وفى لقائه مع وفد المحامين السودانيين الذى زار عبد الناصر بالقاهرة فى ١٦ سبتمبر ١٩٧٠ أى قبل وفاته باثنى عشر يوماً فقط يؤكد عبد الناصر على دور نظام البعث العراقى العميل الذى يحول دون الجيش العراقى وبين ممارسته لدوره القومى، فيقول: "إن زعماء العراق من الحزب الحاكم لا يريدون لهذا الجيش أن يؤدى دوره الوطنى والعربى" .. واستشهد عبد الناصر بوقوف القوات العراقية بعيداً عن المعارك التى ظلت تدور رحاها على الجبهة العربية طوال الأعوام السابقة.

ج- إشعال الأزمات فى الخارج لتغطية التردى فى الداخل (٢١)

- تعتبر سياسة إشعال الأزمات وأجواء التأزم على الساحة العربية والتى تبناها نظام البعث الصدامى الحاكم فى بغداد، سمة دائمة فى ممارسات هذا النظام، خاصة كلما تأزمت الأوضاع على الساحة الداخلية فى العراق، وفشل النظام الحاكم فى التعامل معها بسبب سياساته الباطشة والمستبدة، والفساد المستشرى داخل كوادر ولجان حزب البعث الحاكم فى بغداد، ومحاولات حكام العراق للتغطية على أخطائهم الداخلية، وصرف أنظار الشعب العراقى وقطاعات الجيش المختلفة عن الأوضاع الداخلية المتردية.

- يكشف عن هذه الحقيقة الرئيس الأسبق لجهاز المخابرات العامة المصرية أمين هويدى والذى تبوأ عدة مناصب أخرى منها سفير مصر فى العراق فى أحد أشد الفترات حساسية وتأججاً للصراع وذلك فى

الفترة من ١٩٦٣ إلى ١٩٦٥، والتى شهدت الكثير من أجواء التأزم المماثلة على يد حكام بغداد آنذاك، وبحكم تلك المناصب التى تبوأها واقترابه من جهات صنع القرار المختلفة واطلاعه على الكثير من الأسرار ومجريات الأمور، كان لأمين هويدى فى مذكراته جزء كبير أفرده للحديث عن أسرار وجذور الأزمات التى حاول حكام حزب البعث العراقى إشعالها من وقت لآخر.

ولقد شهدت تلك الفترة بالذات اضطراباً واسعاً وشديداً، واشتعالاً للجبهة الداخلية فى العراق بعد تصاعد الرفض الشعبى العارم لسياسات قادة حزب البعث العراقى، والتى كانت ترجع إلى عدة أسباب منها اشتعال الحرب الأهلية التى استمرت عدة سنوات بعد تفجر المشكلة الكردية مما أدى إلى ظهور الانقسام الواضح فى صفوف وقطاعات الشعب العراقى، وتبنى الحكومات العراقية لسياسة البطش والإرهاب، والتى حاولت الحكومة العراقية استغلالها للتغطية على محاولتها لضم الكويت عام ١٩٦١. وكما حاول صدام حسين تصديع الجبهة العربية ونشر بذور الفرقة والشقاق، وإنشاء وتمويل وتحريك جبهات الرفض والتآمر من خلال العديد من المناورات السياسية، حاول حكام بغداد خلال تلك الحقبة ضرب أية بادرة للتقارب العربى أو أية محاولة للوحدة، والتى كانت تجد صدى طيباً وارتياحاً داخل العراق وخارجه، ليثبتوا للجماهير العربية فشل تلك المحاولات الوحدوية، وأن الأمل الوحيد يأتى من خلال مؤامرات حزب البعث وأطماعه السلطوية المادية، وبواسطة مغامراته العسكرية الفاشلة والمتكررة.

فقد حاول حكام بغداد تقويض الاتفاق الثلاثى الذى عقد فى ١٧ إبريل ١٩٦٣ بين سوريا والعراق ومصر، وبذلوا جهوداً مكثفة فى الخفاء لتحطيم اتفاقية القاهرة بشأن الوحدة الثلاثية. وقد كانت المشكلة الكردية نموذجاً لتأثير المشكلات الداخلية للأقليات والتى تلعب دوراً بارزاً فى التوجهات السياسية الخارجية للحكومة فى بغداد.

وكما غدر صدام حسين بكل رفاقه الذين أوصلوه إلى السلطة أمثال عبد الرازق النايف، وإبراهيم الداوود، وسعدون غيدان، وطارق حمد العبد الله، وحردان التكريتى، و د.عزت مصطفى، وعبد الخالق السامرائ، وناظم كزار، وعبد الكريم الشيخلى، ونعيم حداد، ومرتضى الحديثى، وغيرهم ممن قام بتصفيتهم جسدياً بطرق مختلفة وفى أماكن مختلفة داخل وخارج العراق .. غدر أيضاً بكل من حالفه من الأحزاب والفئات والطوائف التى عاهدها، ليس فقط الأكراد والشيوعيين، ولكن أيضاً بالقوميين الناصريين أمثال سلام أحمد وعرفان وجدى وصبحى عبد الحميد ورشيد محسن وعارف عبد الرازق .. وغيرهم من الشخصيات العراقية التى عرفت بميولها نحو مصر التى آوتهم وأعطتهم حق اللجوء السياسى منذ حكم عبد السلام عارف عام ١٩٦٥ ورفضوا العودة إلى العراق لأنهم يعرفون الكثير عن كل شخص حكم العراق ابتداءً من عام ١٩٦٨، خاصة صدام وزمرته حق المعرفة، كما كان وجودهم فى القاهرة بهذه المعلومات كافياً ليقطعوا عليه خطة (تزوير التاريخ) وتجعلهم كابوساً مزعجاً يؤرق صدام ويقض مضجعه. لذلك بذل صدام جهوداً مضنية للحصول على الأوراق التى تتضمن هذه الإفادات والشهادات التى لو نشرت لأصبحت تحت عنوان (من فمك أدينك يا صدام)، وقد تمكن من الحصول على بعضها فأحرقها بعد استيلائه على الحكم ١٩٦٨، أما القسم الآخر فقد كان فى حوزة

أولئك اللاجئين السياسيين فى القاهرة، فقام بإرسال مجموعة من القتلة التابعين للمخابرات العراقية تتعقبهم إلى القاهرة وتحاول تصفيتهم فى فبراير ١٩٧٢، فاستطاع هؤلاء القتلة جرح واحد من العراقيين اللاجئين هو العقيد (عرفان عبد القادر) الذى كان قائداً للأكاديمية العسكرية العراقية، ونجحت أجهزة الأمن المصرية فى إلقاء القبض على سبعة عشر من القتلة العراقيين الذين تسلموا أسلحتهم من الملحق العسكرى العراقى فى القاهرة، وتمكن خمسة منهم من الهروب إلى بيروت. واعترف الذين ألقى القبض عليهم بأنهم تسلموا أوامر التصفية من ناظم كزار رئيس المخابرات العراقية، وأن هناك منظمة خاصة مسئولة مباشرة أمام صدام حسين هى المسئولة عن مثل تلك العمليات، وتعرف بـ (لجنة التصفية) التى قال عنها هاشم نورى ضابط المخابرات العراقى الذى هرب إلى إيران فى نهاية ١٩٧٠ أنها تحت رئاسة صدام حسين نائب رئيس الجمهورية آنذاك.

د- عبد الناصر يحذر من مزاعم العراق فى الكويت [٢٢]

- قدم وفد عراقى بمقابلة الرئيس الراحل عبد الناصر فى عام ١٩٦٣، يستطلع رأيه فى ادعاءات العراق حول حقوق تاريخية وقانونية له فى الكويت، وبزعم أنها كانت جزء من قضاء البصرة فى العصر العثمانى. وقد كانت الجلسة مسجلة وتم تفريغ محضرها، وجرى توزيع نسخ منه على وزارتى الدفاع والخارجية وجهاز المخابرات العامة فى مصر. أما النص فيقول: "كان الوفد العراقى يحفظ عن ظهر قلب كل الحجج والوقائع والوثائق التى تعزز دعاويه، وكان لجمال عبد الناصر رأى مختلف وقد شرحه على النحو التالى، قال: "إنكم تعلمون بالطبع أن لنا رأى آخر فى هذا الموضوع، فنحن وقفنا ضد عبد الكريم قاسم عندما أراد أن يضم الكويت، إننا لم نفعل ذلك عن عداء لعبد الكريم قاسم، كما قال البعض فى العراق وقتها، وإنما اتخذنا موقفنا على أسس موضوعية أريد أن أشرحها لكم الآن، لأن فيها ما لم يكن ممكناً الجهر به علناً فى ذلك الوقت .." .. ثم مضى عبد الناصر يعدد أسبابه قائلاً: "عليكم أولاً أن تتذكروا أن مجىء دول الخليج إلى إطار العمل العربى مكسب كبير فى حد ذاته، وينبغى لنا أن نشجع عليه مهما اختلفت اجتهادات كل منا. فهذه بلاد تعرفون أكثر منى طبيعة الأوضاع الاجتماعية والسياسية فيها .. وهى دول غنية وتخشى على ثرواتها، والسلطة فيها لأسر حاكمة محافظة وتقليدية بطبيعتها، والأهم من غنى شيوخها هو المصدر الذى يجئ منه الغنى، وهذا المصدر هو البترول. والبترول قضية كبيرة وخطيرة لا يستطيع أحد أن يتعرض لها، ببساطة لأنها تمثل مصالح دولية لن يفرط فيها أصحابها مهما كان. إننا صدقنا أن هذه المنطقة من العالم جاءت إلى الحركة القومية العامة بمحض رضاها، وسوف تكون كارثة إذا تحقق للناس فى هذه المنطقة أنها تخلصت من الوجود الإنجليزى السافر لكى يبتلعها العالم العربى الواسع .. وقد سمعت وقرأت الكثير من وثائقكم، ولكنى أقول لكم فى منتهى الوضوح أن ما تطلبونه فات أوانه بحكم الحقائق العربية والدولية. أن الإنجليز لم يعودوا وحدهم فى الحاجة إلى بترول الخليج، وإنما هذه الحاجة انتقلت أكثر إلى الأمريكان، فإذا أراد أحد أن يضم دولة فى الخليج على غير رضاء أهلها، فيجب أن يعرف سلفاً أنه سيواجه قوة الولايات المتحدة، إن الاتحاد السوفيتى نفسه لم يسلم للغرب بأهمية بترول الخليج بالنسبة لهم، وبالتالى يجب أن يعرف أن هذه المعركة فوق طاقته. وأقول لكم أيضاً أنها ضد مصلحتنا لأننا يجب أن نشجع شعوب

الخليج ودوله على الاطمئنان فى ظل حركة القومية العربية. إن وجود البترول والثروة المتولدة منه سوف يفرض حدوث تنمية على نطاق أوسع تبرز معها قوة شعبية كبيرة يمكن بالتفاعل معها أن يتحقق نوع من التعاون الوثيق أقوى مائة مرة من الوحدة الدستورية، إننا كنا فى وحدة اندماجية مع سوريا، وكنا بلداً واحداً، ولكن لأن التفاعل بين الناس لم يحدث، فإن الانفصال جاء سهلاً"، وواصل جمال عبد الناصر موضحاً مدى حساسية الغرب فى موضوع الكويت، وضرب على ذلك مثلاً من موافقة بريطانيا على فتح جميع القنصليات الخمس التى طلبتها مصر فى أماكن مختلفة من العالم باستثناء الكويت وذلك قبل استقلالها، باعتبارها فى النظرة الغربية من المناطق التى (ليس فيها مزاح). كما ذكَّر عبد الناصر الوفد العراقى بما حدث فى المنطقة عندما قامت الثورة العراقية عام ١٩٥٨ حين دفعت الولايات المتحدة بأسطولها السادس وأنزلت قوات المارينز على شواطئ لبنان، وكان الأمريكيون على استعداد لشن حرب عالمية لو أن مصالحهم البترولية فى الخليج اقترب منها تهديد من أى مصدر.

- تلك كانت رؤية جمال عبد الناصر منذ عام ١٩٦٣، بل منذ عام ١٩٥٨ حول استعداد الغرب لخوض حرب عالمية فى حالة أى تهديد لمصالحهم البترولية فى منطقة الخليج، فهل استوعب النظام الصدامى هذا التحذير عندما قرر شن عدوانه الغاشم على الكويت عام ١٩٩٠، وهل من المعقول أن خفى عليه أنه فى حالة غزوه الكويت لن يفلت من العقاب الغربى، أم أن أطماع هذا النظام فى ثروات الكويت أعمته وطمست بصيرته عن هذه الحقائق والبديهيات، فأقدم على هذا الانتحار الذى لم يصب العراق وحده، ولا الكويت وحدها، بل مجموع الأمة العربية، والعلاقة بين دول الخليج وسائر العالم العربى والحركة القومية فيه على النحو الذى وصفه عبد الناصر بأنه قد يؤدى إلى كارثة، وهو يحذر الوفد العراقى الذى التقى به عام ١٩٦٣.

هـ صدام والتحريض على مقاطعة مصر عربياً [٢٣]

- بعد أن تسلم صدام حسين الحكم فى العراق، ووقع اتفاقية الجزائر فى فبراير ١٩٧٥ مع شاه إيران والتى تنازل فيها عن حقوق العراق فى شط العرب فى مقابل أن يوقف الشاه دعمه للأكراد، وهو ما أتاح له تصفية مشاكله الداخلية مع الأكراد ومعارضيه فى الداخل، وكان الوضع الاقتصادى فى العراق بدأ فى التحسن مع ارتفاع أسعار النفط الذى أحدثته حرب أكتوبر ١٩٧٣. استغل صدام حسين زيارة الرئيس المصرى أنور السادات لإسرائيل عام ١٩٧٨ وتوقيع اتفاقية كامب ديفيد بعد ذلك، والتى تم بموجبها استعادة مصر لسيناء، فكان أن قرر صدام أن يستغل ذلك لينتزع لنفسه من مصر موقعها المتميز فى العالم العربى، حيث صورت له نفسه، وصوَّر له مريدوه أن بإمكانه أن يصنع من نفسه فى تلك اللحظة زعيماً عربياً آخر مثل عبد الناصر إذا ما قاد تحركاً عربياً ضد مصر ورئيسها السادات.

- فكان أن تزعم صدام حسين عام ١٩٧٨ تحركاً سياسياً مناهضاً لدبلوماسية السادات، وشن حملات سياسية وإعلامية عنيفة مناهضة لمصر ورئيسها، ودعا إلى قمة عربية عقدت فى بغداد ١٩٧٨ لبحث موقف مصر من القضية الفلسطينية، استخدم فى هذه القمة أساليب الإغراء والتهديد والوعيد التى يتقنها. فحاول إغراء مصر بدفع مليار دولار سنوياً لها إذا ما تراجعت عن موقفها، أما إذا أصرت القيادة المصرية على المضى فى طريقها فى عملية السلام مع إسرائيل، فستكون معرضة لمقاطعة الدول

العربية لها، بجانب قطع كل المساعدات العربية عنها. وكان صدام قد مارس إرهابه على كافة الأنظمة العربية وأجبرها على أن تجتمع فى مؤتمر قمة عربى فى بغداد، حيث هدد بقيام فرق الاغتيالات العراقية بالانتشار فى الدول العربية إذا رفضت دعوة العراق لعقد قمة طارئة فى بغداد فى نوفمبر ١٩٧٨ لتعليق عضوية مصر فى الجامعة العربية، وقطع العلاقات الدبلوماسية معها. وأثناء عقد المؤتمر وضع مسدسه على منضدة المؤتمر مهدداً من لا يقطع علاقته مع مصر بذبحه فى غرفة نومه، كما كانت ترسل التهديدات مكتوبة فى أوراق داخل غرف أعضاء المؤتمر. وبالفعل نجح صدام حسين فى انتزاع قرارات من القمة بتعليق عضوية مصر فى الجامعة العربية وقطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية معها، ومنع العرب من زيارتها، وتم ذلك بالفعل باستثناء السودان وعمان.

- كان صدام حسين أسعد الناس وأكثرهم تفاؤلاً بهذه القرارات، حيث اعتقد أنها سوف تجعل الشعب المصرى يعانى من الجوع والعزلة والحصار بابتعاد العرب عنه، فلا تجد القيادة المصرية سوى التوجه إلى بغداد طالبة من صدام العفو والمغفرة، وتتنازل عن موقعها ووزنها وتنادى به زعيماً أوحداً للأمة العربية من المحيط إلى الخليج، إلا أن كل هذه التوقعات خابت، حيث استمرت مصر فى طريقها غير متأثرة بما حدث، كما لم يستطع أحد أن ينزع منها وضعها الريادى فى الأمة العربية، وحتى مشروع الوحدة بين العراق وسوريا الذى كان استثماراً لقمة بغداد باء بالفشل بسبب تخوف صدام من احتمالات سيطرة البعث السورى على العراق، كما وقع العراق فى المستنقع الإيرانى وورط معه دول الخليج العربية فى الحرب العقيمة التى دامت ثمانى سنوات، وكان ذلك من ثمار مقاطعة مصر عربياً.

- يصف اللواء وفيق السامرائى مدير المخابرات العراقية الأسبق هذه الفترة فى كتابه (حطام البوابة الشرقية) فيقول: "رغم الجرح الكبير الذى سببته هزيمة١٩٦٧، بقيت مصر مركز الثقل الأساسى للوطن العربى، وهذا شئ لا يمكن أن يروق لشخص مثل صدام حسين. فمنذ عام ١٩٦٩ بدأت إذاعة بغداد حملات إعلامية ساخرة من عبد الناصر للتقليل من هيبته فى نظر العراقيين والعرب، علماً بأن مصر فى أيام حكم عبد الناصر هى التى احتضنت صدام أثناء لجوئه فى القاهرة، وقدمت له المخابرات العامة المصرية المساعدات المالية إضافة لما كان يأخذه من السفارة الأمريكية آنذاك". ويضيف السامرائى قائلاً: "وعندما أقدم الرئيس المصرى أنور السادات على خطوته بزيارة إسرائيل عام ١٩٧٧ ، وجد صدام ضالته لتحييد دور مصر وسحب بساط الزعامة من تحتها. فبذل جهوداً كبيرة لعقد مؤتمر القمة العربى فى بغداد فى نوفمبر ١٩٧٨ الذى أصدر قراراته بتحريض من صدام على مقاطعة مصر وإخراج مقر جامعة الدول العربية منها إلى تونس، وقطع كل أشكال العلاقات السياسية والاقتصادية معها .. استمرت مصر محاصرة عربياً .. وعندما نشبت الحرب بين العراق وإيران وصفها السادات منذ البداية بأنها حرب خاسرة لا منتصر فيها. ووجهت إذاعة بغداد إحدى موجاتها إلى مصر باسم "صوت مصر العروبة" تهاجم ما أسمته بالاستسلام، وتحرض الشارع المصرى على التحرك ضد الحكومة المصرية. وحقيقة الأمر فى نظرة صدام حسين إلى مصر، أنها كانت تنطلق من رؤية أستاذه ميشيل عفلق فى أن "سيطرة حزب البعث على مصر سوف تعطى للبعث شأناً آخر". لذلك عمل على احتواء مصر بمختلف الوسائل، سواء فى ذلك الوسيلة السياسية من خلال إشراكها فى مجلس التعاون

العربى، أو الوسيلة الاقتصادية من خلال الضغط بعائدات المصريين العاملين فى العراق، واستغلالهم ليكونوا أدوات البعث عند عودتهم إلى مصر، هذا إلى جانب وسائل المخابرات التحتية لتقويض أمن مصر واستقرارها من الداخل.

و- مساعدات مصر للعراق فى حربها ضد إيران [٢٤]

- ورغم الموقف الشائن الذى اتخذه النظام الصدامى ضد مصر فى قمة بغداد عام ١٩٧٨ عندما سعى إلى عزلها عربياً، وممارساته التآمرية ضدها، إلا أن مصر انطلاقاً من دورها الحضارى عربياً وإسلامياً تعالت فوق هذه الآلام وقدمت للعراق كل ما كان يطلبه منها من دعم بشرى ومادى وسياسى فى حرب الثمانى سنوات ضد إيران. وأغلى ما قدمته مصر للعراق فى محنته تمثل فى مليونين من أبنائها الشباب كانوا يعملون فى العراق أثناء الحرب، جزء منهم شارك فى القتال بجوار القوات العراقية، ولا يزال بعضهم أسرى فى إيران حتى اليوم. أما الجزء الآخر من المصريين فقد تولوا تشغيل الجبهة الخلفية فى العراق سواء فى مجال الخدمات أو الإنتاج. وعلى الصعيد الحكومى ورغم العلاقات المقطوعة بين البلدين فقد استجابت مصر لاحتياجات العراق من الأسلحة والذخائر والمعدات الحرجة، كذلك فى مجال المعلومات الاستخبارية، ناهيك عن الدعم السياسى والإعلامى الذى قدمته المؤسسات السياسية والإعلامية المصرية وتبنت فيه وجهة النظر العراقية. وفى هذا الشأن يذكر اللواء وفيق السامرائى فى كتابه (حطام البوابة الشرقية) أنه عندما هربت طائرة عسكرية إيرانية إلى مصر فى أواخر عام ١٩٨١، وطلبت المخابرات العراقية الاطلاع على المعلومات التى حصلت عليها المخابرات المصرية من الطيارين الإيرانيين، لم تمانع مصر وتجاوب المسئولين فيها مع الطلب العراقى، وكانت هذه العملية بداية لتعاون مخابراتى بين البلدين، تم بناء عليه إرسال جهاز المخابرات المصرية عدداً من رجاله للعراق لإرساء قواعد تعاون فنى بين الجهازين، وعندما عرضت المخابرات العراقية على صدام حسين مقترح فتح قناة استخبارية مع المخابرات المصرية، كان رد صدام: "موافق إذ ظهر أن حسنى مبارك يتبع خطاً يختلف عن سياسة السادات". وقد طلبت مصر إيقاف إذاعة (مصر العروبة) الموجهة من بغداد، ومن هنا بدأت موجة العلاقات التجارية، حيث ساهمت وزارة الدفاع المصرية فى تلبية احتياجات القوات المسلحة العراقية خاصة عندما كانت تستعد لخوض معركة تحرير الفاو من الإيرانيين، كما أرسلت خبرائها العسكريين إلى العراق فى جميع أفرع القوات المسلحة التى كان العراق فى حاجة إليهم، وكان صدام خلال مراحل التعاون المختلفة يحذر المسئولين العراقيين الذين يتعاملون مع مصر قائلاً: "لقد أعطيتم أكثر مما أخذتم، وعليكم الانتباه مستقبلاً". إلا أن ذلك لم يمنع العسكريين العراقيين من الاستمرار فى التعاون الصادق مع قرنائهم المصريين. وفى ذلك يقول السامرائى: ".. وعلى أى حال، تطورت العلاقات العسكرية لتمتد إلى تبادل الزيارات بين ضباط صفوف أسلحة القوات المسلحة المختلفة، وجرى ذلك كله فى السر، فى وقت كانت العلاقات الدبلوماسية العلنية مقطوعة قبل أن يتطور الأمر إلى عودة قوية للعلاقات العلنية، وجدت فيها مصر طريقة لكسر الطوق الذى حرص عليه صدام". ثم يختتم السامرائى تعليقه على هذا الموضوع قائلاً: " لقد وجدنا فى مصر عوناً لنا فى الحرب مع إيران، إلا أن صدام ورغم الخسائر المادية الهائلة ومئات الآلاف من

الشهداء، كان هو المنتصر على مستوى الزعامة، فتحولت الأنظار إليه حتى جاء اجتياح الكويت ليخرج من ساحة الزعامة إلى الهزيمة".

ز- مصر تلقى (جزاء سنمار) بذبح ٤٢٤٨ من أبنائها فى العراق [(٢٥)]

- بعد أن توقفت الحرب العراقية الإيرانية، تصاعدت بدءً من سبتمبر ١٩٨٩ بصورة جادة ومفاجئة أزمة العمالة المصرية فى العراق، بعد أن كشفت التقارير الصحفية عن الوقائع وأعمال العنف التى تعرض لها العاملون المصريون فى العراق، شملت عمليات قتل وتعذيب واغتيال بالرصاص وطعن بأسلحة بيضاء، بل ودهس بالشاحنات عمداً، شملت فى بعض الأحيان اقتحام الشاحنات والبلدوزرات العراقية للقهاوى التى كان يرتادها المصريون فى مناطق تجمعاتهم، حيث كانت تدوسهم بالعشرات، كما شنت السلطات العراقية حملات اعتقال ضد المصريين. وقد انعكس ذلك فى تزايد أعداد جثث المصريين الذين كانت تنقلهم الطائرات العراقية والمصرية إلى القاهرة عبر جسر جوى أقيم لهذا الغرض، وكانت حالة الجثث تؤكد أن أسباب الوفاة غير طبيعية.

- وقد جاءت هذه الظاهرة فى وقت عم فيه ترحيل عشرات الآلاف من المصريين فى العراق، سواء هرباً مما تعرض له زملائهم من معاملة وحشية، أو لطردهم بشكل جماعى أو فردى فى إطار إحلال العمال العراقيين المسرحين من الخدمة العسكرية محلهم. كما تمت هذه الظاهرة كذلك وسط شكوى متصاعدة من تأخر حصول المصريين العاملين فى العراق على مستحقاتهم، سواء بعد قرار الحكومة العراقية بتغيير ضوابط التحويل أو التأجيل المتواصل للسداد خلال البنوك المعتمدة، حتى أن آلاف المصريين العائدين من العراق كانوا يقفون بالأيام فى طوابير أمام فرع بنك الرافدين فى حى الدقى بالقاهرة انتظاراً للحصول على مستحقاتهم.

- وقد أثارت هذه الأحداث غضب الرأى العام المصرى الذى طالب بواسطة ممثليه فى مجلس الشعب ومن خلال الصحافة بالتحقيق فيها، ومساءلة الجانب العراقى عنها، خاصة وأن ٢ مليون مصرى ساندوا العراق فى أحلك أوقاته خلال سنوات الحرب، ولا يمكن أن يكون (جزاء سنمار) هو ما يستحقونه على هذا النحو. فشكلت الحكومة المصرية لجنة للتحقيق فى شكاوى المصريين العائدين من العراق، وأعدت لجنة الشئون العربية بمجلس الشعب تقريراً حول أوضاع المصريين العاملين فى العراق، وعدد الذين قتلوا هناك، ذكرت فيه أن إجمالى جثث المصريين التى وصلت إلى مصر من العراق حتى ١٦ فبراير ١٩٩٢ بلغت ٤٢٤٨ جثة، حيث كان عددهم فى عام ١٩٨٦ نحو ٦٩٨ جثة، وفى عام ١٩٨٧ نحو ٧٥٤ جثة، وفى عام ١٩٨٨ نحو ٩٤٩ جثة، وفى عام ١٩٨٩ نحو ١١٦٩ جثة، وفى عام ١٩٩٠ نحو ٤٤٧ جثة، وفى عام ١٩٩١ نحو ٢١١ جثة، وخلال الفترة من أول يناير ١٩٩٢ إلى ١٦ فبراير ١٩٩٢ نحو ٢٠ جثة. ويلاحظ فى هذا التقرير أن العدد الأكبر من جثث المصريين كان فى عام ١٩٨٩ بعد توقف حرب الخليج مما يؤكد المعلومات السابقة، كما أكد تقرير اللجنة أن التقارير الطبية المرفقة مع جثث المصريين غير صحيحة وغير مطابقة لأسباب الوفاة، لأن أغلب حالات الوفاة ترجع إلى تعرض أصحابها لحوادث عنف على أيدى العراقيين. أما ديون العراق لمصر خاصة تلك

التى تتعلق بمستحقات العاملين هناك، فقد بلغت ٧٧٨,٦٣ مليون جنيه، هذا بالطبع بالإضافة إلى وجود ١٥ ألف أسير مصرى فى إيران.

ولقد حاولت الحكومة العراقية تخفيف حدة غضب المصريين خاصة على المستويين الشعبى والإعلامى، فبعثت طه يسن رمضان الذى حاول أن يقنع المسئولين ووسائل الإعلام المصرية بأن عدد الوفيات (٤٢٤٨ مصرى) يعتبر فى نظره نسبة طبيعية بالنسبة لإجمالى عدد المصريين فى العراق البالغ ٢ مليون مصرى، وهو ما فشل فى إقناع الرأى العام المصرى به، كما أرجع التأخير فى تسديد مستحقات المصريين إلى سوء الحالة الاقتصادية فى العراق ووعد بسرعة تسديد مستحقات المتوفين أولاً، ثم بعد ذلك المصريين الأحياء!!

وقد شكلت المنظمة العربية لحقوق الإنسان لجنة تحقيق موسعة للتحقيق فى الوقائع التى تعرض لها المصريون فى العراق، مفادها أن السلطات العراقية لم تبذل أى جهد من أجل منع وقوع هذه الأحداث، وحماية المصريين المقيمين على أراضيها وصيانة حقوقهم. وأرجعت ذلك إلى وجود تيار معاكس للوجود المصرى فى العراق، ونزعة عدائية ضد الأعداد الهائلة من العمال المصريين تشجعها السلطات العراقية، حيث سنت قانونا بعد انتهاء الحرب يعفى من يرتكب هذه الجرائم وهو فى حالة سكر من المحاكمة، مما شجع العراقيين على التمادى فى ارتكابها. كما أن السلطات العراقية حكمت بإعدام خمسين مصرياً خفف الحكم إلى السجن المؤبد إزاء تورطهم فى عمليات تهريب بعض التحويلات بالعملة الصعبة. كذلك صدر قرار من الحكومة العراقية يخصم ما يعادل شهر إجبارياً من كل مواطن مصرى يرغب فى مغادرة العراق، ومصادرة أية مبالغ أخرى يشتبه فى أنها تزيد عن متوسط معدل الدخل أثناء الإقامة، مما تسبب معه فى ضياع معظم مستحقات المصريين هناك بعد إجراءات تفتيش فى نقاط الحدود مهينة للكرامة.

ح- صدام ومحاولات استغلال مصر فى مجلس التعاون العربى (٢٦)

لم تكد نيران حرب الثمانى سنوات بين العراق وإيران تخمد، حتى شرع صدام فى الإعداد لعداونه على الكويت ومن ورائها باقى دول الخليج العربية. وكان عليه من أجل تحقيق ذلك أن يبنى تحالفاً عربياً يؤمن له الغطاء السياسى والعسكرى لمثل هذه المغامرة، والتى ستلقى بالطبع رفضاً عارماً على المستويين الإقليمى والدولى، ولم يكن صعباً عليه إغراء ملك الأردن ورئيس اليمن بذلك، ولكن المشكلة بالنسبة له كانت فى مصر، والتى تشكل ثقلاً عربياً كان صدام فى مسيس الحاجة إليه لتنفيذ أهدافه.

وكان على صدام أن يتعامل مع مصر من خلال خيارين: الخيار الأول محاولة عزلها، وهذا كان خارج قدراته بعد أن عادت مصر تمارس دورها بقوة فى المنطقة العربية عقب عودتها إلى الجامعة العربية، أما الخيار الثانى فكان فى استيعابها فى مخططه للسيطرة على منطقة الخليج، أو فى أقل تقدير حيادها. لذلك جاءت فكرة إنشاء مجلس التعاون العربى كوسيلة لاحتواء مصر، ونجح صدام فى استخدام الملك حسين لجر مصر إلى هذا التحالف بموجب دوافع قومية.

- وقد كشف الرئيس مبارك عن خفايا هذا الموضوع فى حديثٍ له فى يناير ١٩٩١ حين أطلق على هذا المجلس (مجلس التآمر العربى) وذكر بأن الهدف كان توريط مصر فى مؤامرة، تسعى إلى تشكيل فيلق عربى يضم قوات من الأربع دول تشارك فى احتلال الكويت. وأكد بأن مصر دخلت هذا المجلس نتيجة ضغوط مارسها الملك حسين، وكانت الفكرة عندما أوعز صدام للملك حسين أن يطرح على الرئيس مبارك تشكيل جيش عربى لحماية الخليج والدفاع عن المنطقة. وقد رفض الرئيس مبارك هذه الفكرة لاعتبارين: الأول أن هذا العمل يعد خروجاً عن نطاق الجامعة العربية وهى البيت الكبير لكل العرب، أما الاعتبار الثانى أن هذا العمل من شأنه أن يدفع إيران إلى التحالف مع الشيطان ضد مجلس التعاون العربى، وأضاف الرئيس مبارك أن الملك حسين أخبره أن الدول الخليجية وافقت على إنشاء الفيلق المقترح، وهو ما لم يكن صحيحاً. لذلك حرص الرئيس مبارك على إزالة أى لبس عند زعماء دول الخليج العربية حول رفض مصر المشاركة فى أى عمل يشكل محوراً ضد أحد. وقد اتضحت أبعاد المؤامرة أمام الرئيس مبارك فى ١٦ فبراير ١٩٨٩ عندما حاول العراق إقحام اتفاقية أمنية وأخرى رباعية للدفاع المشترك على أعمال مجلس التعاون العربى، فرفض مبارك ذلك باعتبار أن هناك اتفاقية للدفاع المشترك موقعة بالفعل فى إطار الجامعة العربية، فلا داعى للازدواجية والتكرار، وأصر فى المقابل أن يقتصر نشاط المجلس على التعاون الاقتصادى، كما حذر من أن يتضمن ميثاق مجلس التعاون العربى أى بند يتعلق بالأمن والدفاع، ورفض توقيع أى بروتوكول عسكرى وهدد بعدم الانضمام للمجلس فى حالة الإصرار على ذلك، وأنه سيكشف أبعاد اللعبة أمام وسائل الإعلام. وقد استمرت محاولات إقناع الرئيس مبارك من قبل صدام والملك حسين وعلى صالح فى الإسكندرية من الساعة الثامنة صباحاً وحتى التاسعة والنصف مساء، ولكن أمام تصميم الرئيس مبارك تم توقيع مصر على اتفاقية مجلس التعاون العربى دون أى اتفاق أو بروتوكول عسكرى سواء داخل نطاق المجلس أو خارجه.

- وقد أعد صدام حسين احتفالات ضخمة فى فبراير ١٩٨٩ بمناسبة دخول العراق فى مجلس التعاون العربى، وقد أغدق صدام الهدايا على كل من حضر هذه الاحتفالات من رجال الإعلام شملت ٢٣ سيارة مرسيدس لرؤساء تحرير الصحف المصرية، وفيلات للأردنيين واليمنيين، إلا أن الرئيس مبارك كان له موقف حازم حيث رفضها فى البداية، ولكن تحت إلحاح صدام حسين قبلها باعتبارها فى عهدة الدولة وليست ملكاً شخصياً لمن أهديت إليهم من رؤساء الصحف، ذلك أن مبارك كان مدركاً أن ثمة شيئاً ما سيكون مقابل هذه الهدايا، وهو ما تحقق فعلاً عندما وقع الغزو العراقى للكويت، وأراد صدام من رجال الإعلام المصريين تأييد هذا الغزو، وهو ما رفضوه بالطبع، فى حين نجحت هدايا صدام فى جعل الأردنيين واليمنيين والسودانيين يؤيدون غزوه للكويت على النحو المعروف.

- لقد أدرك المسئولون المصريون أن هدف صدام حسين من وراء إصراره على مشاركة مصر فى مجلس التعاون العربى، هو العبور عن طريق مصر إلى زعامة العالم العربى، والجلوس على عرش إمبراطورية الهلال الخصيب التى تمتد من اليمن إلى مصر عبر العراق وسوريا والأردن. وهو ما يعد إحياءً لمشروعات استعمارية قديمة مثل حلف بغداد سعت دائماً إلى إقامة دولة عربية كبرى

عاصمتها بغداد. وسحب البساط من تحت مصر التى تمثل قلب الأمة العربية بما لها من ثقل حضارى حتى تنكمش وتذوى وتفقد دورها الريادى فى العالم العربى. ولقد دلت الشواهد على إصرار حاكم العراق على المضى فى تنفيذ مخططاته التوسعية منذ وقت مبكر، فقد افتعل حرب الخليج الأولى ضد إيران للخروج منها زعيماً على الجناح الشرقى وبسط نفوذه على مصادر النفط والمال هناك، ثم جاء سعيه لتشكيل مجلس التعاون العربى من اليمن والعراق والأردن ومصر وهى دول متنافرة من حيث النظم السياسية وكان من الواضح أن هذا التشكيل الغريب مقدمة لوضع مصر فى الهامش، وهو ما يريده صدام حسين بالضبط من وراء إشراك مصر فى هذا المجلس.

- وكان لموقف الرئيس مبارك من رفض الاشتراك فى الفيلق العربى، ومنع الهدايا عن رجال الإعلام المصريين، تأثيراً سلبياً على العلاقات المصرية-العراقية، خاصة بعد مؤتمر القمة العربى الذى عقد فى الرباط فى أواخر عام ١٩٨٩، وهو المؤتمر الذى توَّج عودة مصر إلى الجامعة العربية، حيث سعت مصر إلى موازنة سياستها العربية بشكل عام، وبما يتوافق مع منطلقاتها الخاصة. وفى ذلك يقول اللواء وفيق السامرائى فى كتابه (حطام البوابة الشرقية) ص ٢١٢: "وبعد عودة الوفد العراقى برئاسة صدام حسين من مؤتمر الرباط تسربت إلينا أنباء التقاطع المتضاد بين سياسة سوريا وسياسة صدام، فى حين أتقن أحكام التكتم على ما دار مع الرئيس مبارك إلى بضعة أسابيع تلت المؤتمر. فقد فوجئنا بوصول تعليمات مشددة من رئاسة الجمهورية لخنق التنسيق المخابراتى مع إدارة المخابرات الحربية فى مصر ،معللاً بوجود تغلغل إسرائيلى متزايد وخطير فى مصر، ووجود تنسيق بين المخابرات المصرية والموساد الإسرائيلى، وهو اتهام خطير حتى لا تفرض صحته". ويضيف السامرائى: "ولقد اتضح لنا فيما بعد أن صدام ووزارة الخارجية انزعجا مما رصد من تحول فجائى فى الموقف الرسمى المصرى منذ عودة مصر إلى الصف العربى وحضورها قمة الرباط، فقد تحدث أحد وكلاء وزارة الخارجية قائلاً: "لقد تنكر المصريون لدورنا القوى فى إعادتهم إلى الأمة من عزلتهم، ويبدو أنهم يسيرون على طريق يبتعد عنا بزاوية منفرجة، ونخشى أنهم يسعون للانتقام منا لدورنا فى قمة بغداد ١٩٧٨ بعد أن انتهت مصلحتهم بنا، والرئيس (صدام) منزعج من سياستهم ومواقفهم الأخيرة .. حيث يبدو أن هناك بوادر تناغم مصرى-سورى، ومثل هذا التناغم قد يكون موجهاً ضد مصالحنا، وعمًّا (يقصد صدام حسين) لا يؤمن بتعدد الألوان فى الساسة، فإما أبيض أو اسود".

ط مبارك يرفض ابتزاز صدام للدول الخليجية (٢٧)

- دأب صدام حسين خلال اجتماعات مجلس التعاون العربى على أن يلفت باستمرار نظر الرؤساء الأربعة منذ الاجتماع الأول لهم إلى ما يفعله الخليجيون من حيث زيادة إنتاجهم من النفط، حيث ذكر لهم أن الكويت غداة وقف إطلاق النار مع إيران، وقمة أغسطس ١٩٨٨، قررت زيادة إنتاجها من النفط مخالفة بذلك الاتفاقيات المعقودة فى إطار منظمة أوبك، وأن الكويت ركزت على استنزاف حقل نفط الرميلة الواقع فى المنطقة الحدودية المتنازع عليها بين البلدين، وأضاف صدام محذراً: "إن العراق ينظر للقرار الكويتى بأنه مؤامرة خيانية واستفزازية، حيث أدى إلى انخفاض أسعار البترول فى السوق العالمى، وخسارة العراق حوالى ٧ مليار دولار سنوياً، وهو ما يوازى فوائد الديون السنوية التى ينبغى

على العراق تسديدها لدائنيه". وقد اشتم الرئيس مبارك من أحاديث صدام المتكررة فى هذا الشأن رائحة الخطر القادم من العراق فى اتجاه الكويت، لذلك رد عليه مبارك قائلاً: "إن كل الأمور تسوى بالمناقشات الهادئة بعيداً عن الانفعال". ولكن أضحى واضحاً لدى المسئولين المصريين من خلال تحذيرات صدام أنه يمهد لشيء اختمر فى رأسه تجاه الكويت، وأنه اتخذ بالفعل قراره فى هذا الشأن، وأن ما يزعمه بشأن خسائر العراق المادية الناتجة عن زيادة إنتاج النفط فى الكويت، وأن العراق مهدد بالاختناق والموت جوعاً بسبب ذلك، ليس سوى ذرائع يبرر بها ما هو مقدم عليه ضد الكويت، لاسيما وأن أرصدة صدام الشخصية وحده فى البنوك الأجنبية كفيلة بتغطية ديون العراق وتفيض.

- وفى ٢٣ فبراير ١٩٩٠ وبعد ١١ يوماً من لقاء صدام مع وكيل وزارة الخارجية الأمريكى جون كيلى وفى مناسبة عقد اجتماع قمة مجلس التعاون العربى فى عمان، القى صدام حسين قنبلته التى توقعها الرئيس مبارك أمام كاميرات التلفزيون الأردنى عندما قال: "إن البلد الذى يكون له النفوذ فى الخليج ينبغى أن يكون له الهيمنة على بتروله، ومن هنا فإن هذا البلد سوف يكون قادراً على ممارسة تفوقه كقوة عظمى، حيث لن تكون هناك قوة أخرى تستطيع منافسته فى المنطقة"، وكانت الرسالة واضحة بالطبع، فالمطلوب من وجهة نظر صدام أن يفوض العالم العربى العراق فى الهيمنة على الخليج، وأن يعرف زعماء الخليج على حد قول صدام "حجمهم الطبيعى ومكانهم أمام قدرة العراق" !!

- وعندما استمع الرئيس مبارك لهذه التصريحات انزعج جداً، وهدد بالانسحاب من قمة عمان والعودة إلى القاهرة دون إتمام اجتماعات مجلس التعاون العربى التى كان مقرراً لها يومان. وحاول الملك حسين أن يبرر موقف صدام، وبذل جهداً خارقاً لإبقاء الرئيس مبارك فى عمان. وفى اليوم التالى ٢٤ فبراير ١٩٩٠ أثناء الجلسة المسائية تكلم صدام، وكانت لهجته حادة وعنيفة حين قال: "إن السعودية والكويت تدينان العراق بمبلغ ثلاثين مليار دولار، وعليهما إلغاء هذه الديون فوراً، كما أطالبهم أيضاً بثلاثين مليار دولار أخرى وفوراً. وإذا لم يعطونا هذا المبلغ فسوف تكون هناك خطوات أخرى أكثر حزماً، وسوف أعرف كيف اتخذ القرار معهم". لم يعجب أسلوب هذا الكلام الرئيس مبارك، بينما صمت كل من الملك حسين والرئيس عبد الله صالح، وأنهى الرئيس مبارك الاجتماع عندما هب واقفاً موجهاً كلامه إلى صدام حسين قائلاً: "أن ما تطلبه شيئاً مستحيلاً وغير معقول، ومن المؤكد أن استمرار إصرارك سوف يؤدى بلا شك إلى كارثة"، بعدها استقل مبارك والوفد المرافق له الطائرة وعاد إلى القاهرة.

- كان واضحاً للرئيس مبارك أن ما يطلبه صدام حسين هو نوع من الابتزاز المكشوف الذى لا ينبغى أن يسود مناخ التعامل بين الدول العربية، وأن الدول الخليجية من المؤكد سترفض مثل هذا الأسلوب. لأن باب الابتزاز إذا ما فتح فلا نهاية له، ومن ثم فإن رفض مطالب صدام التى يصمم عليها من الممكن فعلاً أن تؤدى كما توقع مبارك إلى مواجهة عسكرية بين العراق وهذه الدول، وتكون بالتالى سبباً لتدخلات أجنبية فى هذه المنطقة الحساسة التى تعج بالمصالح الدولية، ولن يستفيد من هذه المواجهة إلا أعداء الأمة العربية وفى مقدمتهم إسرائيل، وهذا بالضبط ما كان يعنيه مبارك عندما حذر صدام من أن

مطالبه هذه ستؤدى إلى كارثة، وعندما غادر مبارك عمان وصف صدام بأنه "شخص مضطرب العقل والكيان".

- وبعد أن غادر الرئيس مبارك عمان، قام الملك حسين بناء على طلب صدام بجولة (جباية) فى دولة الخليج، شرح فيها ظروف العراق ومطالب رئيسه، والتى تتلخص فى إلغاء كافة الديون المستحقة فوراً وبإعلان رسمى، مع تقديم ٣٠ مليار دولار وفوراً للنظام العراقى تدبرهم مجموعة دول الخليج معاً، وبينما رفضت جميع العواصم الخليجية هذا الأسلوب الغريب لإملاء الشروط العراقية، والذى لم يعهده العالم العربى من قبل، إلا أن المسئولين فى الكويت تقديراً لظروف العراق فى مرحلة ما بعد الحرب، أبدوا استعدادهم للتنازل عن الديون على أن تبقيها العراق فى دفاترها حتى يمكن استخدامها للضغط فى إسقاط باقى الديون التى على العراق لدول أخرى، مع استعداد الكويت لدفع ٥٠٠ مليون دولار حلاً للمشكلة الآنية العاجلة التى يعانيها العراق، وأن هذا هو أقصى ما يمكن أن تقدمه الكويت.

- وفى يوم ٣ مارس ١٩٩٠ وصل الملك حسين إلى بغداد، ونقل إلى صدام حسين نتائج جولته والتى كان الأخير يعرفها مسبقاً، ولكن صدام أراد من هذه التمثيلية التى استخدم الملك حسين فيها، أن تكون مبرراً لعدوانه الذى اختمرت خطته فى ذهنه، وفى يوم ٧ مارس كان صدام يدعو الحلقة الضيقة من معاونيه إلى اجتماع أحيط بسرية تامة للإعداد للخطوة القادمة نحو غزو الكويت.

- ثم كانت عملية الخداع السياسى المتقنة والناجحة التى مارسها صدام ليصرف أنظار العالم عن إعداده الحقيقى لغزو الكويت بعد ثلاثة أشهر، وذلك عندما أعلن فى الثانى من إبريل ١٩٩٠ فى خطاب له بمناسبة عيد الجيش العراقى عن تهديده بحرق نصف إسرائيل بما أطلق عليه (الكيماوى المزدوج) إذا ما أقدمت على عمل ضد العراق، وهو الأمر الذى أثار قلقاً بالغاً على الساحتين الإقليمية والدولية، واستغلته إسرائيل جيداً للحصول على مزيد من الدعم والمساندة الأمريكية لمواجهة ما أسمته بالتهديدات العراقية وهو ما لم يكن فى خطط صدام على الإطلاق، بل كان يسعى من وراء هذا الخطاب إلى تضليل القيادات السياسية وأجهزة المخابرات فى الدول المعنية بمنطقة الخليج عن عدوانه المبيت على الكويت، هذا من جهة، وإلى حشد الرأى العام العربى والإسلامى وراءه من جهة أخرى. وهو ما انعكس فى سلسلة المؤتمرات السياسية والشعبية والمهنية العربية والإسلامية التى عقدت فى بغداد تأييداً لصدام حسين فى موقفه من إسرائيل، والتى توجت بالقمة العربية التى دعا إليها صدام فى بغداد فى نهاية مايو ١٩٩٠ بزعم مواجهة هجرة اليهود السوفيت إلى إسرائيل، ودعم القضية الفلسطينية، إلا أن صدام وجهها وجهة أخرى تماماً تستهدف التمهيد لعدوانه المبيت على الكويت، وخلق الذرائع لتبريره، بما وجهه من اتهامات للدول الخليجية زعم فيها تقاعسها عن نصرة القضية الفلسطينية.

ي- لماذا قبل مبارك الانضمام لمجلس التعاون العربى؟[٢٨]

- لم يكن مجلس التعاون العربى مجلساً إقليمياً بالمعنى المفهوم، لأنه لا رابطة جغرافية بين مختلف مكوناته ولا تجاور إلا بين دولتين هما العراق والأردن. فكون هذا المجلس كان يضم إلى جوار هذين، كلاً من مصر فى أفريقيا واليمن فى جنوب شبه الجزيرة العربية، كان يجعل لاسمه وهو (التعاون

العربى) رنة صدق غير إقليمية، وكان بهذه الصفة مرشحاً لأن يضم إليه دولاً أخرى، مثل سوريا ولبنان والسودان، ويمهد فى خطوة تالية لمزيد من التعاون العربى الشامل لتوسطه بين مجلس التعاون الخليجى فى الشرق، والاتحاد المغاربى فى الغرب.

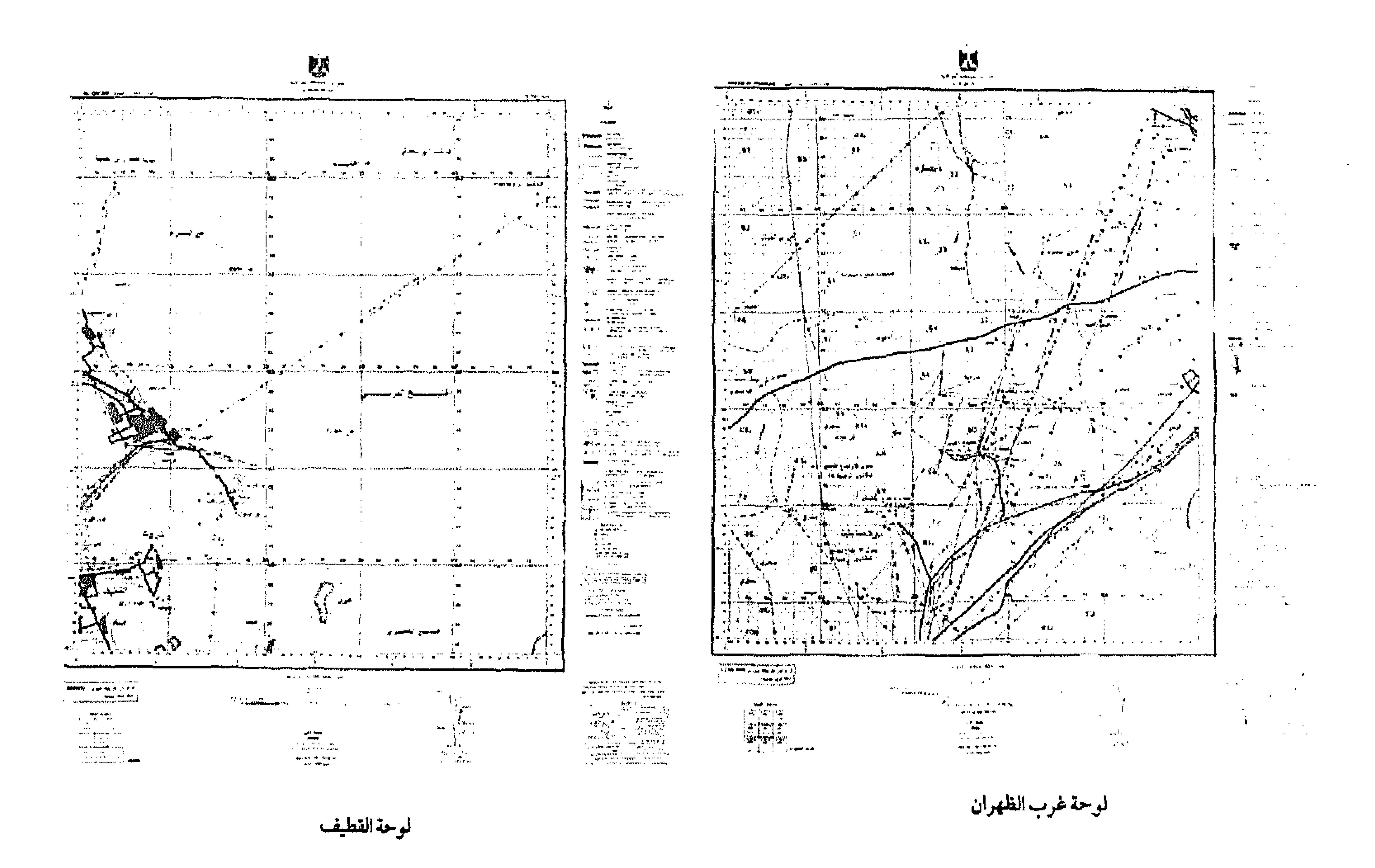
- وبجانب هذا الاعتبار السياسى الذى جعل الرئيس مبارك يوافق على انضمام مصر لهذا المجلس، فقد كانت هناك اعتبارات اقتصادية مهمة تساهم فى إقامة السوق العربية المشتركة التى كثيراً ما نادى بها الرئيس مبارك ولا يزال، خاصة على صعيد الأمن الغذائى العربى وتحقيق الاكتفاء الذاتى من الغذاء على المستويين القطرى ثم القومى. حيث "يمكن للعراق من خلال العمالة الزراعية المصرية الفائضة النهوض بالقطاع الزراعى فيه بما فى ذلك استصلاح مساحات شاسعة من أرضه". ولو أعمل هذا النص من ورقة العمل التى قام عليها مجلس التعاون العربى، والمزايا التى يمكن أن تحصل عليها كل دولة من جرائه، بشكل صحيح لكان له مردود كبير على العراق وعلى مصر وعلى العالم العربى فى مجموعه.

- ولقد كان من الخطايا الكبرى للنظام الحاكم فى العراق إهمال الزراعة اعتماداً على ثروة العراق من النفط، إلى الحد الذى جعل العراق يستورد الحبوب من الولايات المتحدة قبل غزو الكويت رغم وفرة الأراضى الزراعية فيه، فالقمح قد أصبح ينظر إليه الآن باعتباره سلعة استراتيجية مهمة وسلاحاً لا يقل أهمية أو خطورة عن الأسلحة النووية، فالذى لا يملك غذاء شعبه لا يمكن أن يكون متمتعاً بالاستقلال الكامل، والعكس صحيح، فالذى يملك أسباب إعاشة الآخرين يكون مهيأ للتدخل فى شئونهم والتحكم فيهم.

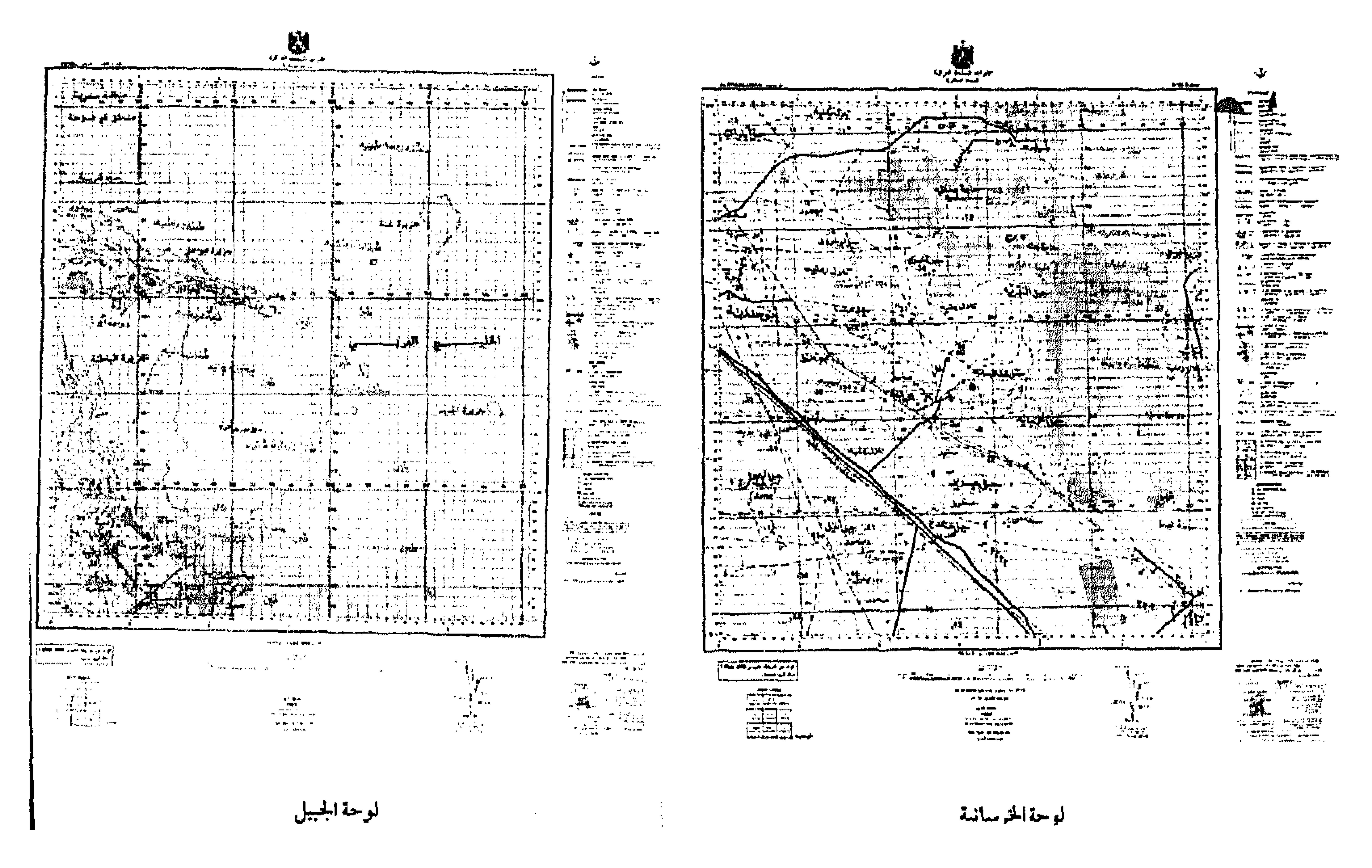
لذلك فإن استخدام العمالة المصرية فى استصلاح أراضى العراق وزراعتها كان من شأنه أن يحل المشكلة الاقتصادية فى كل من البلدين من ناحية، ويكفل لهما مزيداً من الحرية الدولية من ناحية أخرى. وربما لو نجح هذا المشروع، الذى طوى من بين كل ما طواه الغزو العراقى للكويت، لكان العراق فى حالة من اليسر لا تجعله يشكو مما ادعاه من أن الكويت والإمارات يتعمدان خنقه اقتصادياً بتجاوز حصتهما فى إنتاج النفط. إن هاتين الدولتين لا تكادان تملكان موارد غير البترول، أما العراق فيملك الكثير، وفى مقدمته الأراضى الشاسعة الصالحة للزراعة ووفرة المياه، وما كان ينبغى له أن يجعل الخلاف حول حصص البترول موضوعاً للنزاع بينه وبين جيرانه من دول الخليج العربية، وربما كانت هذه الدول فى حاجة لزيادة إنتاجها لتعويض خسائرها المتمثلة فى المساعدات التى قدمتها للعراق فى حربه مع إيران، فضلاً عن أن يجعل النظام الصدامى هذا الخلاف تكأة أو ذريعة لغزو الكويت! ولكن هذا النظام الصدامى القائم على الطغيان على عكس ما كان يهدف الرئيس مبارك كان قد أبرم مع مصر ودول أخرى عربية اتفاقية مجلس التعاون العربى لأهداف توسعية وعدوانية أخرى ضد جيرانه، أراد أن يورط مصر فيها على النحو الذى سبق تناوله، وبدلاً من إعمال نصوص هذه الاتفاقية فى شقها الاقتصادى، راحت تنهال على مصر جثث العمال المصريين الذين قتلوا فى العراق غيلة وغدراً، وكان ذلك واحداً من أسباب سخط الشعب المصرى وغضبه على الغزو العراقى للكويت.



لم تفلح محاولات صدام لاستقطاب الرئيس مبارك فى مجلس التعاون الخليجى

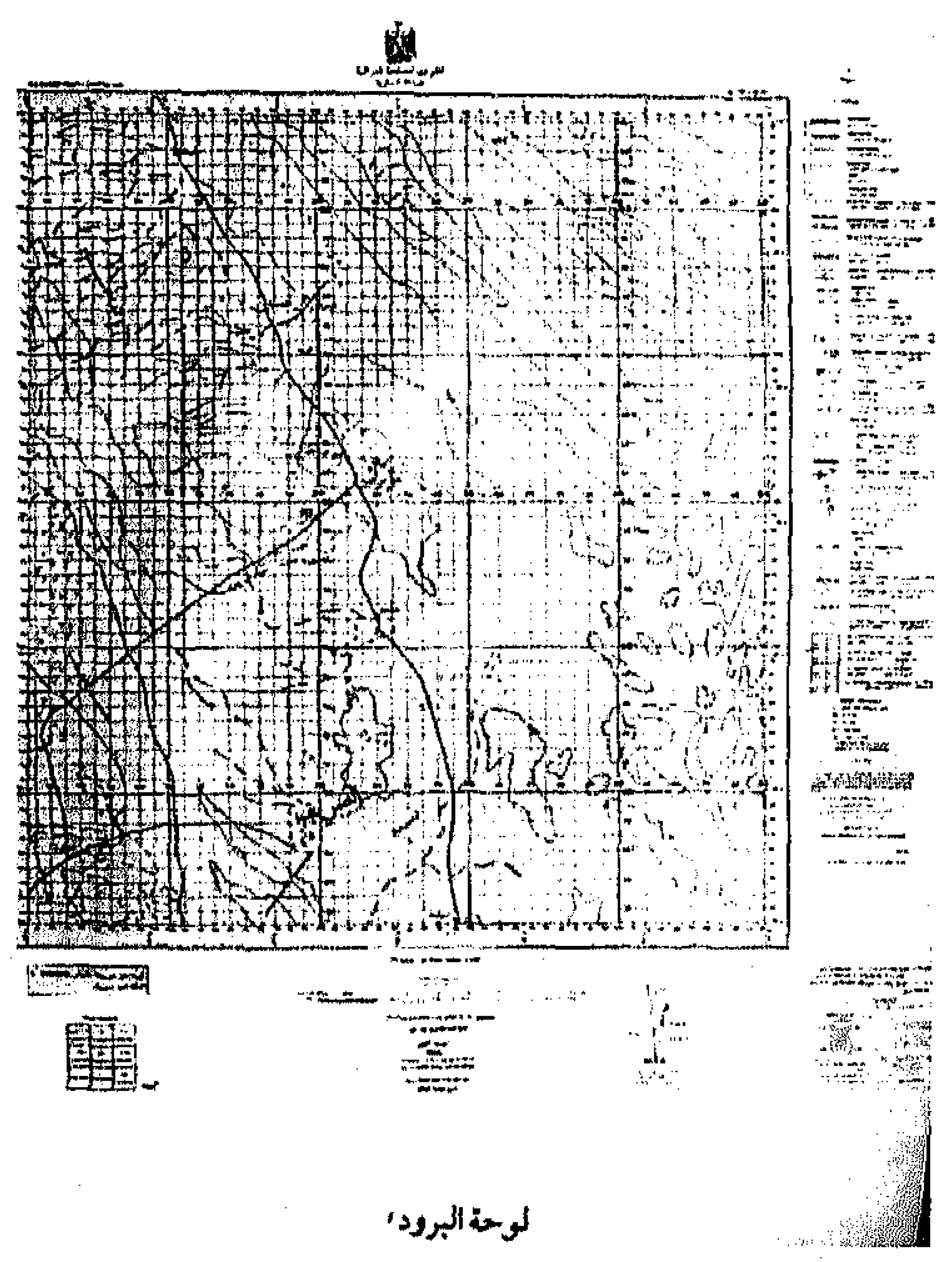


خرائط العدوان على السعودية طبقا لخطة (روح الفتوح)



لوحة الخرسانة

لوحة الجبيل



لوحة البرود،

خرائط العدوان على السعودية طبقا لخطة (روح الفتوح)

رابعاً: جرائم صدام حسين فى حق الجزائر[٢٩]

- لا يستطيع عربى أن ينكر الدور القومى الذى لعبته القيادة الجزائرية ممثلة فى الرئيس الراحل هوارى بومدين إبان حقبة السبعينات، لاسيما خلال فترة حرب أكتوبر ١٩٧٣ وما بعدها، حيث لم يكتف بإرسال وحدات من الجيش الجزائرى إلى مصر لتعزيز الاتزان الاستراتيجى فى عمقها بالنظر لوجود معظم تشكيلات الجيش المصرى شرق وغرب القناة، بل توجه بنفسه إلى يوغوسلافيا وروسيا دون أن يطلب أحد منه ذلك فور انتهاء الحرب، وقدم شيكات بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار للحكومتين فى هذين الدولتين لصالح استعواض خسائر مصر وسوريا من الدبابات، الأمر الذى عجّل بسرعة استعادة السيطرة على الموقف فى الجبهتين.

- وبنفس الشعور القومى العربى استجاب بومدين لطلب صدام حسين عندما كان الأخير نائباً لرئيس الجمهورية أحمد حسن البكر فى عام ١٩٧٥، والخاص بالوساطة مع إيران لوضع حد للحرب الكردية التى أنهكت الجيش العراقى واستنزفته خلال الفترة من ١٩٧٣ إلى ١٩٧٥ فى جبال كردستان، وكان صدام متعجرفاً ومتباهياً بأنه "سيجعل الشاه يركع للعراق، وأنه سينزع منه شارة شرطى الخليج"، كما جاء فى محاضر اجتماع القيادة القطرية بجريدة الحزب الداخلية. لكن الذى حدث بعد ذلك هو (هروب صدام إلى الأمام)، حيث بعث إلى الرئيس الجزائرى بومدين طالباً منه الوساطة "بعد أن أصبح الجيش العراقى غير قادر على مواصلة القتال، فلم تبق عنده غير طلقات عتاد قليلة، كما أن الحرب أفلست الخزانة حتى لم نعد قادرين على شراء الذخيرة" وهو نص الرسالة التى بعث بها صدام إلى بومدين.

- سارع بومدين إلى جمع صدام والشاه على طاولة واحدة تم عليها توقيع اتفاقية ٦ مارس ١٩٧٥ والتى نصت على تحديد الحدود بينهما على أساس بروتوكول القسطنطينية لعام ١٩١٣ والاتفاقية الشفهية لعام ١٩١٤، بجانب العمل على إعادة الثقة والأمن المتبادلين فى منطقة الحدود بينهما ومنع التسلل وأعمال التخريب (المقصود بها الأكراد). وفى المقابل تنازل صدام عن مطالبه فى شط العرب (اتفاقية ١٩٣٧) والكف عن المطالبة بإعادة جزر الخليج الثلاثة إلى دولة الإمارات العربية، وأن يتم إعادة تخطيط الحدود البرية بين الجانبين على أساس يعود إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى. وقد قامت الجزائر بدور الضامن لتنفيذ نصوص هذه المعاهدة.

- تباهى صدام بهذه الاتفاقية واعتبرها إنجازاً سياسياً ضخماً له، وعندما أبدى البعض فى مجلس قيادة الثورة مخاوفهم من التنازلات التى قدمها فيما يتعلق بحقوق العراق فى شط العرب ومنهم وزير الخارجية مرتضى الحديثى الذى أعدمه صدام بعد ذلك كانت حجة صدام فى إقناعهم "إن الحرب هى فن الاحتيال، وإذا أردت أن تكسب عليك أن تراوغ، وفن المراوغة هو السياسة، وبما أننا فى حالة ضعف حيث أصبحنا لا نملك غير بعض طلقات المدافع، فلا مفر أمامنا غير أن نوقع معاهدة ١٩٧٥، واتركوا الباقى على، إذ أن هذه المعاهدة سوف لا تلزمنا بشىء". وهو ما يؤكد أن صدام كان يخطط لنقض هذه المعاهدة مع شاه إيران حتى من قبل أن يوقعها، وقرر ذلك فى الاجتماع الذى عقده مع مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية عشية سفره إلى الجزائر لتوقيعها، وهو ما كشف عنه بعض هؤلاء

عندما تمكنوا من الهرب خارج العراق وقُتلوا بعد حين، وبالفعل وقف صدام أمام كاميرات التلفزيون فى ٢٢ سبتمبر ١٩٨٠ وقام بتمزيق هذه الاتفاقية معلناً الحرب على إيران.

أ- اغتيال وزير خارجية الجزائر (السيد بن يحيى)

- بذلت الجزائر جهوداً كبيرة فى عهد الرئيس الراحل هوارى بومدين من أجل وضع حد للحرب العراقية-الإيرانية التى انتقلت دفتها إلى داخل الأراضى العراقية بعد أربعة شهور فقط من بدأها، وبما يجنب الشعبين المسلمين المزيد من الموت والخراب والدمار، ويحفظ السلام فى منطقة الشرق الأوسط. وقد رحب الزعيم الإيرانى (الخومينى) بمساعى القيادة الجزائرية فى هذا الصدد، وباشرت الجزائر بالفعل جهودها الدبلوماسية النشطة بواسطة وزير خارجيتها السيد بن يحيى الذى تولى المهمة بنفسه، وسرعان ما اضطلع الرجل بها بكل إخلاص وجدية.

- كان موقف الجزائر معروفاً، فهى لم تُخْفِ أن هذه الحرب تخدم إسرائيل، وكانت الجزائر لا تنكر تعاطفها مع إيران نتيجة خرق العراق لاتفاقية عام ١٩٧٥ التى وقعت على أرضها، واعتبرت القيادة الجزائرية صدام مسئولاً عن اندلاع هذه الحرب. أما صدام حتى ذلك الوقت من عام ١٩٨٢ (أصعب سنوات الحرب) فقد كان يعتقد أن كل الظروف تقف بجانبه، وبالتالى فإنه سينتصر !! كان الغرور قد أصابه إلى أقصى حد حتى أنه لم يكن مستعداً لسماع أى شئ يخالفه فى أحلامه فى إقامة "إمبراطورية عربية كبرى فى المنطقة بعد أن يسحق المجوس" على حد تعبيره.

- وعندما قابل وزير الخارجية الجزائرى (بن يحيى) برزان التكريتي - الأخ غير الشقيق لصدام ورئيس المخابرات آنذاك - أبلغه بما معناه "دعنى أصارحك أن القيادة العراقية تحارب إيران خدمة لمصالح إسرائيل سواء أعلمتم هذا أم لا!! إننا نعتقد أن أهداف هذه الحرب تتمثل فى وقف المد الإسلامى الذى يهدد كيان إسرائيل، وفى نفس الوقت تحجيم قدرات العراق العسكرية، وعليه فأنتم مخطئون فى استمرار الحرب، وعليكم مراجعة أنفسكم".

- وبالطبع لم يعجب هذا الكلام صدام حسين عندما أبلغه به برزان، فأصدر أمره بتصفية الوزير الجزائرى، وقد تمت التصفية فعلاً عندما أطلقت مقاتلة عراقية (ميج-٢٥) صاروخاً على طائرة وزير الخارجية الجزائرى التى كانت تحمل علامات الصليب الأحمر فدمرتها فى الجو.

- وعشية إسقاط طائرة بن يحيى قطعت إذاعة بغداد برامجها لتعلن النبأ متهمة (العدو الفارسى) الغادر بمسئوليته عن هذه الكارثة الغادرة!! وفى اليوم التالى حضر صدام مجلس الفاتحة الذى أقامته السفارة الجزائرية فى بغداد مسجلاً فى سجل التعازى: "لقد خسرت الأمة العربية رجلاً سياسياً ودبلوماسياً فذاً، وخسرت شخصياً صديقاً وفياً .. فإنا لله وإنا إليه راجعون"!!

ب- صدام يدس السم للرئيس بومدين [٣١]

- نشرت جميع وكالات الأنباء العالمية فى ٢٥ نوفمبر ١٩٧٨ نبأ مرض الرئيس الجزائرى الراحل هوارى بومدين، وكانت صحيفة (لورور) الفرنسية قد أفادت فى ١٩٧٨/١٠/١٣ أن الرئيس الجزائرى

لم يظهر منذ عودته من مؤتمر الرفض الذى عقد فى ١٩٧٨/٩/٢٤، ثم سافر (بومدين) سراً إلى الاتحاد السوفيتى فى أكتوبر من نفس العام للعلاج. وفى ١٩٧٨/١٠/٢١ نشرت الأهرام أنه يعانى من اضطرابات فى الكلية والكبد وانسداد فى القناة المرارية. وذهبت مصادر فرنسية إلى التأكيد بأن بومدين ربما يكون قد فقد صوته، وأنه ظل يعاني من آلام حادة في حلقه منذ عودته من مؤتمر قمة دول الرفض. وفى ١٩٧٨/١١/٢٤ نشرت صحيفة الأنباء الكويتية خبراً من باريس حول إصابة بومدين بالسرطان فى كليته وباقى الجهاز البولى، وأن ذلك أدى إلى حدوث شلل جزئى وجعله عاجزاً عن الكلام. وقد أجمع الأطباء السوفييت والسويديون الذين عالجوا بومدين أنه تعرض لمواد سامة أو جرثومية مما أدى إلى إضعاف جهاز المناعة عنده، وبالتالى انهيار جهاز المناعة المسئول عن الدفاع عن الجسم، وهو ما انعكس فى ظهور التهابات بالأوعية الدموية وأكثر من نزيف. (كتاب هؤلاء المرضى الذين يحكموننا - ترجمة فوزى أيوب طبيب بومدين، نشرته الوطن الكويتية فى ١٩٧٩/٢/٢٨) أما مجلة روز اليوسف المصرية فقد نشرت فى ١٩٩٢/٣/٣٠ أن بومدين مات مقتولاً، ثم عادت ونشرت فى نهاية ١٩٩٥ أنه مات بالسم، وكان كبير الأطباء السوفييت (شازوف) الذى أشرف على علاج بومدين قد أشار إلى ذلك فى كتابه (الصحة والسلطة ترجمة إيمان يحيى نشرته الأنباء الكويتية فى ١٩٩٢/١١/٢٥).

- وعندما نشرت مجلة روز اليوسف فى عددها ٣٠٢٤ فى ١٩٩٥/١٢/٢٥ حواراً أجراه الصحفى عادل حمودة نائب رئيس تحريرها مع وزير الدفاع السورى العماد مصطفى طلاس، ذكر الأخير ما نصه: "الحقيقة أن صدام حسين نحر الفكر القومى .. وأكثر من ذلك فلقد وضع السم للرئيس بومدين بعد أن هدده بكشف خبايا اتفاق الجزائر". وعندما نشرت روز اليوسف هذا الحوار، سافر الصحفى الجزائرى خالد عمر بن ققه (مؤلف كتاب "اغتيال بومدين - الوهم والحقيقة" - دار الغد العربى بالقاهرة) إلى دمشق وقابل العماد طلاس لاستيضاح الأمر وتفصيله، فذكر له طلاس ما نصه: "إن واقعة قتل بومدين من طرف صدام بالسم، حقيقة ثابتة المائة بالمائة، فالرئيس بومدين كان يعتقد - وهو على حق فى ذلك - أن بإمكانه عمل شئ لصالح الأمة العربية لأنه منطلق من رحم الجزائر وترابها وثورتها وإمكاناتها أيضاً، خاصة أنه هو الذى أشرف على توقيع اتفاق عام ١٩٧٥ فى الجزائر بين صدام وشاه إيران، وكان بومدين يعتقد أن هذا الاتفاق يشكل على صدام حسين يداً بيضاء، وانتظر أن تقابل هذه اليد البيضاء بيد بيضاء مثلها من جانب صدام. فحين انسحبت مصر فى عهد السادات وأصبحت على الحياد، تساءل بومدين لماذا لا تشكل سوريا والعراق جبهة واحدة تقابل إسرائيل، مادامت سوريا قد أصبحت تواجه إسرائيل وحيدة؟ لذلك ذهب الرئيس بومدين إلى بغداد واتفق مع الرئيس حافظ الأسد على أن أى اتفاق يتم مع العراق بين بومدين وصدام ستوافق عليه سوريا. إلا أن بومدين عندما التقى مع صدام لم يستجب له هذا الأخير، فقال له بومدين: "إن أسوأ عمل قمت به فى حياتى هو اتفاقية الجزائر، لأننى كنت كالزوج المخدوع آخر من يعلم"، ثم أضاف مخاطباً صدام: "لقد اتفقت يا صدام مع الأمريكان وجئت لى بشهادة زور وقّعتُ عليها دون أن أعلم، كنتم فى بيتى وأنا لا أعلم أنكما متفقان مسبقاً". فقال له صدام: "نعم أنا اتفقت مع أمريكا". ويمضى مؤلف كتاب (اغتيال بومدين .. الوهم والحقيقة) فيقول فى ص١٤٤: "وعندما سألت العماد طلاس: لكن لماذا قتله صدام .. وما نوع السم؟

أجاب: قتله لأن بومدين لو بقى حياً لكشف كل أوراق صدام حسين للرئيس الأسد، بل إنه كان سيكشفه فى كل المؤتمرات العربية، وكان الهدف ألا يكون بومدين حاضراً فى مؤتمر القمة الذى عقد فى بغداد، لذلك كان لابد لبومدين أن يرحل فى نظر صدام. أما السم فهو سم (الثاليوم) إذ أعطى صدام للرئيس بومدين عند وداعه كوباً من العصير به سم الثاليوم، وهو سم مركب من سبعة أنواع، حتى إذا أمكن العلاج بمفرداته من القضاء على النوع الأول يبدأ الثانى، فالثالث .. الخ، لذلك فهو سم لا ينفع فيه العلاج مطلقاً. وعندما جاءنا (أى إلى دمشق) فى مؤتمر الصمود والتصدى وهو نازل من المصعد، قال للرئيس الأسد: أحس أن أمعائى تتقطع - وأكثر الأماكن التى يؤثر فيها السم هى المعدة - وأود إذا وقع لى شئ أن أكون فى الجزائر، ومنها توجه بومدين إلى موسكو. وعندما كان الرئيس الأسد فى رحلة إلى موسكو وطلب مقابلة بومدين .. إلا أنه لم يستطع حيث كان قد دخل فى غيبوبة". واختتم العماد طلاس حديثه مع الصحفى الجزائرى قائلاً: "الحقيقة أن خبرتنا مع الرئيس صدام حسين أكثر منكم، ونحن نعرف أن هاجس الموت يطارده، واستعمال السم أمراً مركزاً فى دماغه، وهو معروف لقتل خصومه بالسم وهذه الطريقة صارت معروفة فى العراق".

- لذلك لم يكن غريباً عندما كان صدام نائباً لأحمد حسن البكر، وقام بزيارة رسمية لسوريا، وخلافاً للبروتوكولات الدبلوماسية، استقبله الرئيس الأسد فى المطار، وكالمعتاد فإن وجبات الطعام يجرى تقديمها من قبل الدولة المضيفة، إلا أن الملفت للانتباه أن صدام رفض تناول أى من الوجبات التى كانت تقدم له فى قصر الضيافة، وعمد إلى إرسال مرافقيه إلى السوق ليجلبوا له دجاجاً مشوياً، يخرج من الشواية أمامهم ويغلف أمامهم ويجلب بأيديهم. وفى إحدى الاجتماعات التى عقدت لمسئولين من البلدين لبحث أحد المشاكل المعلقة فى الثمانينات فى منطقة الحدود، أن بادر الجانب السورى بإقامة خيمة كبيرة على مسافة بضعة أمتار داخل الأراضى السورية، وكان العماد (على دوبان) مدير المخابرات العسكرية ممثلاً للجانب السورى، وعلى حسن المجيد ممثلاً للجانب العراقى. وفور وصول على حسن المجيد وسط قوة حماية غير اعتيادية من أفراد الحرس الخاص بعضهم مسلح بقذائف RPG-7 المضادة للدبابات، رفض دخول الخيمة السورية وأصر على أن يكون الاجتماع فى السيارة (الكارفان) التى اصطحبها معه وأوقفها على خط الحدود مباشرة، وخلال الاجتماع الذى غابت عنه المودة رفض على حسن المجيد شرب القهوة السورى، وشرب فى المقابل قهوة عراقى تناولها مع الوفد السورى.

خامساً: جرائم صدام فى حق دول الخليج العربية [٣٢]

- يخطئ من يتصور أن أطماع النظام الصدامى فى منطقة الخليج قاصرة فقط على الكويت، وأن غزوه لها كانت فقط لدعاوى اقتصادية تتمثل فى زيادة إنتاج الكويت من النفط مما أثر بالسلب على أسعاره، أو عدم وجود منفذ بحرى واسع للعراق على الخليج مما يقيد حركته البحرية، أو لدعاوى تتعلق بحقوق تاريخية مزعومة للعراق فى الكويت .. إلى غير ذلك من الدعاوى والمزاعم العراقية التى ساقها النظام الصدامى عشية عدوانه على الكويت فى الثانى من أغسطس ١٩٩٠ تبريراً له ولاحتلالها وضمها إلى العراق تحت اسم المحافظة رقم ١٩. ذلك أن أهداف وطموحات النظام الصدامى تتجاوز الكويت إلى كل منطق الخليج، بل وما وراءها فى باقى العالم العربى، كما سبق وأوضحنا طبقاً لمواثيق البعث

العراقى، وفى الرسالة التى بعث بها صدام إلى الرئيس الإيرانى رافسنجانى وحدَّد فيها سواحل العراق على امتداد ٨٠٠ ميل حتى خليج عمان، إلى جانب ما كشف عنه من أطماع فى اجتماعات مجلس التعاون العربى، ناهيك عن شهادات بعض أركان النظام العراقى بعد هروبهم من جحيم هذا النظام .. وكلها تؤكد أن غزو الكويت كان الخطوة الأولى فى مخطط صدام تستتبعها خطوات أخرى لبسط هيمنته على باقى منطقة الخليج. وقد أكد الشيخ زايد آل نهيان رئيس دولة الإمارات هذا المفهوم فى حديث صحفى له ذكر فيه: "إن لصدام طموحات، وكان يريد أن يقود العالم العربى والإسلامى، وأن هذا الهدف فى رأى صدام لن يتحقق إلا إذا ظلت مصر معزولة عربياً، وأمكنه - أى صدام - أن يحتوى ثروة الخليج".

ويذكر الجنرال شوارسكوف الذى قاد حرب تحرير الكويت ١٩٩١ فى مذكراته أن معلوماتهم الاستخبارية أثبتت بما لا يقبل الشك أن القيادة العراقية بدأت بالإعداد لغزو الكويت والمنطقة الشرقية من السعودية قبل عامين من الغزو، وعبر إجراء تدريبات عسكرية على مدن وقرى تم بناءها فى الصحراء العراقية شبيه بمدن وقرى الكويت والسعودية، وهو ما يؤكد أن المؤامرة بدأت فى عام ١٩٨٨ عندما احتفل صدام بانتهاء حربه مع إيران بلبس الزى الخليجى (الدشداشة والغترة والبشت الخليجى) كدلالة على ما هو قادم، وقد حاول البعض آنذاك تبرير ذلك اللباس بأنه اعتراف بجميل الخليجيين عليه فى حربه مع إيران، وما أبعد ذلك التبرير الظاهر عن الحقيقة المرة الخافية.

أ- لماذا إيران أولاً ومن بعدها دول الخليج العربية؟ (٣٣)

وحقيقة الأمر أن تخطيط صدام قبل الثورة الإيرانية كان يستهدف دول الخليج العربية بدءً بالكويت، باعتبارها فى ظنه الدولة الأضعف بين هذه الدول، إلا أن تطور الأحداث فى إيران، وتقارير المخابرات الغربية حول ضعف النظام والجيش الإيرانيين عقب قيام الثورة، وتوقف الدعم والمساعدات الأمريكية، التى كانت تقدم لإيران فى أيام الشاه، كل ذلك شجع صدام على تغيير أولويات مُخططةَ العدوانى فى الخليج، وتأجيل غزوه للكويت لما بعد الانتهاء من إيران، وعلى أساس أن انتصاره على إيران سيجعل باقى دول الخليج العربية ترتعد منه وتسارع فى الاستجابة لمطالبه، وسيسهل عليه حينئذ ابتلاع وضم الكويت، ثم استغلال نجاحه فى استكمال عدوانه على السعودية، ثم باقى دول الخليج العربية.

كما شعر صدام أن سقوط نظام الشاه فى إيران سيقود إلى إسقاط حكمه الديكتاتورى الظالم فى العراق، خاصة وأن المنطقة الجنوبية والشرقية الملاصقة لإيران - ومعظمها من الشيعة - ستتأثر بنظام الحكم الدينى الجديد فى إيران، وبما ينقل مبادئه وأهدافه إلى داخل العراق. أما على المستوى الثأرى والرؤية التاريخية، فقد اعتقد صدام أن الفرصة أصبحت مواتية له، ليس فقط للتخلص من النفوذ الإيرانى فى العراق، بل لإلغاء معاهدة الجزائر ١٩٧٥، وإعادة بسط سيادة العراق على شط العرب وفق اتفاقية ١٩٣٧ وتعديل خط الحدود معها، ومساعدة عرب (الأحواز) - عربستان - على الثورة والتحرر من التبعية الإيرانية، وإثارة النعرات العرقية فى أقاليم (بالوشستان) و (كردستان) و (أذربيجان) لإسقاط النظام الإيرانى الجديد وتفكيك الدولة الإيرانية، وهذه هى الفرصة التاريخية لبدء طريق الزعامة الإقليمية كما تخيلها صدام حسين.

- وقد أفصح صدام عن كامل نواياه تجاه إيران بعد أن سربت له أجهزة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية رسالة فحواها أن الثورة الإيرانية تخطط لتصدير مبادئها إلى العراق، مستغلة الأغلبية الشيعية فى العراق والتى يحكمها نظام سنى. ثم وصلت صدام بعد ذلك رسالة أخرى من المعارضة الإيرانية تقول فيها أن كل شئ فى طهران قد انتهى وأن عليك أن تدخل طهران قبل أن يأتى إليك آيات الله فى بغداد، وأن الخومينى قد قتل كل قادته العسكريين، فلا خوف من الجيش الإيرانى الذى تفسخ، وأن رحلة الجيش العراقى إلى طهران ستكون بمثابة نزهة. دعم هذا الانطباع لدى صدام تقارير أجهزة مخابراته التى أفادت أن القوات الجوية الإيرانية التى كانت ترعب صدام فى زمن الشاه قد أصبحت فى حالة سيئة بعد أن سحبت أمريكا خبراءها من إيران وأوقفت الإمداد بقطع الغيار وإجراء عمرات الطائرات، وما واكب ذلك من انهيار الروح المعنوية فى الجيش الإيرانى بعد إعدام معظم قادته وهروب كثيرين إلى الخارج.

- وقد ربط مستشارو صدام بين كراهيته للنظام الحاكم فى سوريا وعدائه للثورة الإيرانية، بأن أوعزوا إليه أنه بعد أن وقع الخلاف بينه وبين سوريا، واتضح له أن سوريا قد وقفت داعمة للثورة الإيرانية، فإن العراق أصبح واقعاً بين (المطرقة الإيرانية) و (السندان السورى). وقد تعمد إيران إلى مهاجمة العراق واحتلاله، ولن يكون بوسع صدام أن يحصل على مساعدة من سوريا، بل يحتمل أن تعمد دمشق إلى مشاغلة بغداد من الخلف، ما لم تجر مشاغلتها فى ساحات أخرى، لذلك كانت التوصيات التى تلقاها صدام من داخل وخارج العراق، أنه عليه مهاجمة إيران بينما تتكفل إسرائيل والولايات المتحدة بسوريا، فإذا ما سقط النظام الثورى فى إيران، أمكن بعد ذلك لصدام أن يصفى حساباته مع النظام القائم فى سوريا، وستساعده فى هذه الحالة إسرائيل وتركيا والأردن والأسطول السادس الأمريكى، ولم ينس صدام أن يستشير أستاذه ومثله الأعلى (ميشيل عفلق) الذى بارك توجهه فى الحرب ضد إيران.

- مثل هذا السيناريو جعل صدام حسين يعتقد أن حرباً خاطفة على النمط الإسرائيلى فى ١٩٦٧ لن تستغرق أكثر من أسبوع، ستكون كفيلة ليس فقط بإبعاد الخطر الإيرانى عنه، بل إزالته كلياً، وضم أراضى إيرانية من إقليم خوزستان للعراق بما تحويه من موارد نفطية عالية، خاصة فى منطقة عبدان المتواجد بها أكبر مصفاة نفطية فى الشرق الأوسط بجانب مناطق شاسعة صالحة للزراعة، ناهيك عن منفذها البحرى الجيد على الخليج. وصدام بذلك يمكن أن يخلق لنفسه ولنظام حكمه هيبة إقليمية وخشية ليس فقط من قبل دول الخليج، بل جميع دول المنطقة وبما يؤمن أحكام قبضته عليها ويجعل الدول الكبرى تعمل حساباً للعراق وهى تخطط سياساتها واستراتيجيتها لحماية مصالحها فى المنطقة، لاسيما مع اعتقاده بأن الكثير من الدول الكبرى وفى مقدمتها الولايات المتحدة تسعى لإسقاط النظام الثورى الحاكم فى طهران.

- إن خطة الهجوم التى وضعها صدام ضد إيران والتى أطلق عليها قادسية صدام تجذب الانتباه إلى المزاج النفسى الذى كان سائداً فى دوائر البعث عند بدء القتال، وهو المزاج الذى كان يعبر عن حقد على التملك والجشع للاستيلاء على الأراضى ومصادر الثروة وفرض الهيمنة على الغير. فقد كان صدام يطفح بالثقة الذاتية، وإحساس غامر بقدرته على تحقيق إنجازات تاريخية، وأنه قادر بما يملك من

أموال وسلاح وسلطة مطلقة فى الداخل ونفوذ ودعاية تروج له فى الخارج، قادر على القيام بعمل خارجى حاسم من النوع الذى سبق وأن اتخذه فى الداخل لإبراز تفوقه وقدرته اللامحدودة، خاصة بعد أن نجح صدام فى ممارسة نوع خاص جداً من القوة، حين أصبح هو ذاته مؤسسة داخل نفسه، وغدا الفرد الذى لا رقيب عليه إطلاقاً،وبعد أن أصبحت زعامته مرتبطة بعواطف الجماهير التى كان يبهرها بعمليات الخداع والدعاية والتخويف كيفما يشاء، وزرع فى أذهانها أنه سيد الخليج الذى سيوزع على العرب الأراضى والثروات الإيرانية بعد أن يهزم (النظام المجوسى الحاكم فى طهران) .. إلى آخر هذه الأحلام التى كانت تراود ذهنه، وتعكس أقصى مظاهر مرض جنون العظمة المصاب به، والتى جعلته يقيس نفسه بالصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص، بل ظن صدام أنه قد يحظى بانتصار أفضل من ذلك الذى حققه ذلك القائد العظيم فى القادسية، وأوسع من نصر صلاح الدين الأيوبى فى حطين، ويحقق الأحلام والأمانى القومية التى فشل عبد الناصر فى تحقيقها. لذلك أطلق على حربه ضد إيران (قادسية صدام)!!

ب- أين الشعب العراقى من أوهام صدام ومغامراته؟! (٣٤)

ولقد ساعد صدام على ذلك إدراكه العميق بأن الشعب العراقى فى عهده فقد أى إحساس بالذات، فذاته موجودة فقط بالشكل الصناعى الذى منحه له صدام، وكان ذلك نتاجاً لسياسة التشرذم ونمو الحزب وكل الممارسات القمعية والإذلال التى مارسها النظام الصدامى ضد شعب العراق، وهو ما تسبب فى تحلل الشخصية العراقية، ويفرض بالتالى السؤال الذى طرح نفسه بقوة بعد ذلك أثناء الحرب، وبعد أربعة أشهر فقط من بدئها عندما انتقلت رحاها إلى داخل الأراضى العراقية وأصبحت قوات الحرس الثورى الإيرانى (البازدران) على مسافة ٦كم من البصرة، وهذا السؤال هو: "لماذا لم تكن هناك صلة فى العراق البعثى بين الهزائم العسكرية التى لحقت بالجيش العراقى وبين ازدياد أو وقف الولاء السياسى لصدام حسين باعتباره المسئول عن هذه الحرب ومفجرها؟ فلقد كان الولاء السياسى للشعب العراقى موجه لصدام حسين فى كل ما كان يقوله ويفرضه على هذا الشعب، سواء كان صحيحاً أو خاطئاً، منطقياً أو أبعد ما يكون عن المنطق. فلقد كان لدى الشعب العراقى استعداد نفسى مسبق لقبول كل ما يطرحه عليه من أوهام وأكاذيب ومبررات ودوافع لقراراته وسياساته. الدليل على ذلك أنه قبل عام ١٩٧٥ كان الفرد العراقى يعتقد فعلاً بوجود نزاع حدودى مع إيران، وبعد أن أبرم صدام اتفاقية الجزائر ١٩٧٥ وأصبحت إيران صديقة للعراق، قبل الشعب العراقى أيضاً هذا الطرح الصدامى، ولم يشعر الشعب العراقى بأن صدام حسين بهذه الاتفاقية قد تنازل عن شئ هام يمس سيادة العراق وحقوقه، ثم عندما تغير الوضع فجأة فى عام ١٩٨٠، ومزق صدام حسين اتفاقية الجزائر لم يشعر العراقيون أيضاً أن فى ذلك نقضاً لتوجهاتهم السياسية تجاه الجار الإيرانى، بل عادوا فعلاً وبسهولة إلى النغمة القديمة حول انتهاك (الفرس المجوس) للحقوق العراقية، ولم يروا حتى فى ذلك التراجع أى فقدان لماء وجههم أو ماء وجه صدام، ذلك لأنه نفسه لم يشعر بذلك، حيث أن المعاهدات والاتفاقيات فى نظره وسائل لحظية ممكن القبول بها لخدمة أهداف تكتيكية، وبعد تجاوزها يمكن نقض هذه الاتفاقيات، لذلك يقول عنها صدام: "إنها لا تساوى فى نظره أكثر من ثمن المداد الذى كتبت به"!! لذلك لم يكن غريباً

أن يتغير مزاج الشعب العراقى فجأة فى عام ١٩٨٠، ويصبح الحماس الطاغى للحرب متعلقاً بأهداف ينبغى فى نظره تبجيلها والسعى لتحقيقها، وأنه لا توجد وسيلة أخرى لذلك سوى الحرب.

- والتفسير الوحيد لهذا الانسياق الأعمى الذى يتصف به الشعب العراقى فى اتباعه لكل ما يقوله ويفعله صدام حسين، هو أن الخوف منه أصبح هو المادة اللاصقة التى تمسك بدهاء ومكر هذا المجتمع العراقى المتفكك بطبيعته، وغير المتجانس سياسياً وأيديولوجياً وعرقياً وطائفياً مع قيادته الديكتاتورية المتمثلة فى صدام حسين، حتى أصبح الجميع يشعرون أن صدام هو العراق، والعراق هى صدام، وبعد نجاح الأخير فى إزالة كل أشكال التنظيمات السياسية الخارج نطاق حزب البعث، ومنع العراقيين من أن يسمعوا أو يشاهدوا أو يقرءوا أى مادة إعلامية خارجية سوى ما يصدر عن وسائل إعلام البعث وأبواقه الدعائية التى تروج لسيدها، وبالتالى أصبح العراقيون يصدقون أى شئ يقال لهم، وأضحى المجتمع العراقى مكبوتاً وساكتاً، وكان الخوف هو أداة صدام لتحقيق ذلك، هذا الخوف الذى تشكل بمادة صدامية بحتة حتى أصبح الناس حذرين فيما يقولونهُ حتى أمام أطفالهم، وهو الذى أصبح بالفعل الدعامة الأساسية لتأكيد الذات الوطنية فى عصر صدام حسين. ذلك أن غرائز الناس الفطرية حول البقاء على قيد الحياة، جعلت العراقيين يصدقون كل ما تنشره أبواق صدام من أن حياتهم مرتبطة بانتصار البعث وجيشه سواء على الجيوش الإيرانية فى حرب الثمانى سنوات، أو على جيوش التحالف فى حرب تحرير الكويت، وأن هذه الجيوش لو دخلت العراق فإنها ستبيد الحرث والنسل، وستحول العراقيين الذين سينجون من المذابح إلى أسرى وعبيد وسبايا.

ج- الدعم العربى الخليجى للعراق فى حربه مع إيران [٣٥]

- قبل أن يبدأ صدام حربه مع إيران كان قد جمع ما يقرب من ٣٠ مليار دولار للإنفاق على آلته الحربية، وخلال عامى ١٩٨٠ و ١٩٨١ بلغت واردات العراق غير العسكرية ٣٥ مليار دولار. وبنظرة سريعة لوضع العراق الاقتصادى قبل الحرب سيكتشف أن العراق كان لديه احتياطى من العملة الحرة يقدر بـ ٣٠ مليار دولار نقداً، وما قيمته ٣٥ مليار دولار سلعاً غير عسكرية، وما قيمته ١١ مليار دولار من الأسلحة والعتاد الحربى.

ودون الدخول فى تفاصيل الحرب العراقية-الإيرانية، والتى دارت على عكس ما كان يتوقع صدام حسين، حيث انتقلت رحاها إلى داخل الأراضى العراقية بعد أربعة أشهر من بدأها ثم استمرت سبع سنوات وثمانية أشهر. لحقت خلالها هزائم عديدة بالجيش العراقى الذى تلاحقت مرات انسحابه حتى وصلت إلى مشارف البصرة، والتى كانت وسائر المدن العراقية وعلى رأسها بغداد تقصف بالصواريخ الإيرانية، الأمر الذى دفع صدام حسين إلى استجداء وقف إطلاق النار من القيادة الإيرانية، وهو ما لم تستجب له، وجعل صدام يقوم بأكثر من جولة لدول الخليج العربية يطلب دعمها المادى والعسكرى لإيقاف الزحف الإيرانى تجاه بغداد، وهو ما لم تتأخر عنه هذه الدول بحكم الجيرة والانتماء العربى والإسلامى قبل أى اعتبارات سياسية أخرى، خاصة بعد حجم الخسائر الرهيب الذى لحق بالعراق على الأصعدة المختلفة.

وطبقاً لما أورده اللواء وفيق السامرائى فى كتابه (حطام البوابة الشرقية) فإنه يمكن تلخيص حجم المساعدات الخليجية فى الآتى: أكثر من ٥١ مليار دولار تلقتها العراق من دول الخليج العربية، منها ٢٧ مليار من السعودية، ١٦ مليار من الكويت، ٨ مليار من الإمارات وقطر والبحرين وعمان، بعضها ناتج من بيع ٣٠٠ ألف برميل يومياً من النفط السعودى والكويتى لصالح العراق تسلمت حكومة صدام ثمنها مباشرة، وهو ما يقدر بحوالى ٢,٧ مليار دولار سنوياً، هذا بالإضافة لمبالغ أخرى كان يحصل عليها صدام حسين بصفته الشخصية، وتوضع فى حساباته الخاصة بالبنوك الأجنبية. ومن دون هذه الأموال الطائلة كان من المستحيل على العراق الاستمرار فى الحرب، وكان سقوط نظام صدام حتمياً فى عام ١٩٨٢، الذى يعد عام الانهيارات الواسعة فى الجبهة. ويُذكر أنه فى أول مؤتمر قمة عربى عقد فى عمان بالأردن بعد نشوب الحرب العراقية-الإيرانية عام ١٩٨٠ حضر صدام إلى هذا المؤتمر ليطرح مباشرة شعارات دينية فاجأت الجميع حتى ظنوا أنه يريد من وراء ذلك اعتبار الحرب مع إيران جهاداً إسلامياً ينبغى لجميع المسلمين مساندته فيه، وأراد أن يحصل فى هذا المؤتمر ليس فقط على دعم عربى، بل أيضاً على تفويض إسلامى، وهو ما لا يمكن منحه إياه فى ظل تاريخه وواقعه المعروف جيداً للدول الإسلامية، لذلك فقد أضرت سياسة (النفاق الدينى) هذه كثيراً بموقف العراق إقليمياً ودولياً وإسلامياً، لأن العراق ليس بهذا الشأن الإسلامى الذى يحاول صدام أن يظهره فى أطروحاته.

وبجانب المساعدات المالية التى قدمتها دول الخليج العربية للعراق فى حربه مع إيران، فقد فتحت أيضاً منافذها البحرية خاصة السعودية والكويت لدولة العراق على العالم الخارجى، سواء فيما يتعلق بتصدير النفط، أو باستقبال واردات العراق من الأسلحة والاحتياجات الأساسية، كما قام صدام بنشر أجزاء من قواته الجوية فى بعض الدول العربية فى مراحل من الحرب حتى لا تتعرض للقصف الإيرانى وهى فى حظائرها على الأرض.

وعن دور المملكة السعودية تخصيصاً فى مساعدة العراق، فليس هناك أدل من شهادة وزير الإعلام العراقى لطيف جاسم نصيف الذى وقف فى ١٩٨٩/٣/٢٥ وقبل زيارة الملك فهد للعراق بيوم واحد ليقول أمام وسائل الإعلام العربية والأجنبية: "أن العراق رئيساً وحكومة وشعباً يكنون لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وحكومته وشعب المملكة العربية السعودية كل المودة والحب والتقدير .. وإننا نثمن الدور الكبير الذى قدمته المملكة، وقدمه خادم الحرمين الشريفين شخصياً للعراق فى كل المجالات، كما أننا نعتبر زيارة خادم الحرمين الشريفين لنا شيئاً كبيراً". ثم استعرض وزير الإعلام العراقى مواقف السعودية فى دعم العراق فى حربها مع إيران، فقال: "إن هذه المواقف لا يمكن أن ينساها العراق". وهى المواقف التى أشار لها المرسوم الجمهورى ١٦٦ الذى أصدره صدام حسين بمنح الملك فهد وسام الرافدين، حيث يذكر فى ديباجته: "إن الملك فهد كان فى مقدمة الدول العربية الذين بذلوا المال سخياً، وأسهموا فى وضع السلاح فى أيدى مقاتلى قواتنا المسلحة بكرم عظيم، لم يرتق إليه فى ميدانه كرم على الإطلاق فضلاً عن كرمه فى الميادين الأخرى"، ثم استعرض المرسوم الجمهورى العراقى التدابير التى قامت بها السعودية أثناء الحرب، منها مد أنبوب ينقل النفط العراقى عبر الأراضى السعودية إلى البحر الأحمر، وتمرير كمية من النفط العراقى عبر الأنبوب السعودى،

كما وضع الملك فهد ميناء القضيمة كاملاً تحت تصرف العراق لتأمين احتياجاته بدون عوائق، حتى أن السعودية تحملت بنفقات نقل احتياجات العراق حتى وصولها إلى المخازن داخل العراق، واستمر المرسوم الجمهوري العراقى فى التغنى بمناقب السعودية إلى حد الاعتراف بأن الملك فهد تعهد بتحمل نفقات إعادة بناء المفاعل النووى العراقى (أوزيراك) الذى دمرته المقاتلات الإسرائيلية فى غارتها فى يونيو ١٩٨١.

- أما اعتراف صدام حسين بدور المساعدات التى قدمتها الكويت للعراق أثناء الحرب مع إيران، فقد أوردها صدام فى المرسوم الجمهورى ٤٧٢ والذى منح بمقتضاه أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح وسام الرافدين أثناء زيارته لبغداد فى ١٩٨٩/٤/٢٣ حيث قال فيه صدام: "لقد كانت وقفة الأخ جابر الأحمد الصباح، ووقفة شعب الكويت الشقيق ذات مكانة خاصة فى نفوسنا، وذات تأثير أكيد فى مجرى الصراع لصالح الأمة وإلى جانب نصرها العظيم .. وقد وقفت الكويت بوعى وبسالة بوجه المعتدين الطامعين وصمدت لكل الظروف التى أريد من خلالها أن تنسلخ الكويت عن طبيعتها أو هويتها وعن مبادئ الأمة الواحدة ومستلزمات الأمن القومى، واستمرت الكويت ملتصقة بجلدها وبالمبادئ والسياسات التى لولا التأكيد عليها والالتزام بها لأصبح العرب جميعاً فى حالة يرثى لها". ولم ينكر صدام حسين أن الكويت فتحت جميع مرافقها الاستراتيجية من موانئ ومطارات وطرق ومستودعات فى خدمة المجهود الحربى العراقى طوال سنوات الحرب الثمانية، حتى أن إيران اعتبرت الكويت امتداداً للجبهة العراقية فى الحرب، مما عرض موانئ الكويت والمحطة الرئيسية لتصدير النفط الكويتى فى أكتوبر ١٩٨٧ لقصف الطائرات الإيرانية، هذا إلى جانب تعرض ناقلات النفط الكويتية لغارات مستمرة من المقاتلات الإيرانية، فيما عرف آنذاك بـ (حرب الناقلات) واضطرت معه الكويت إلى استئجار سفن حربية وطائرات أمريكية لحراسة ناقلات النفط الكويتى. وقد تعرض أمير الكويت شخصياً إلى محاولة فاشلة لاغتياله فى مايو ١٩٨٥ من قبل منظمة الجهاد الإسلامى الشيعية بسبب مساندته للعراق، وفى إبريل ١٩٨٨ تم اختطاف طائرة كويتية على أيدى مجموعة موالية لإيران، وفى أغسطس من نفس العام تعرضت جزيرة (بوبيان) لعدوان إيرانى بالصواريخ، بجانب تعرض منشآت حكومية وخاصة داخل مدينة الكويت لعمليات تخريب من قبل عناصر موالية لإيران فى أغسطس ١٩٨٨.

- وأثناء مأدبة العشاء التى أقامها صدام تكريماً لأمير الكويت خلال الزيارة التى منحه فيها وسام الرافدين، قال له صدام: "أنه قد أوصى أبناءه أى أبناء صدام أنه إذا حدث له مكروه، أو مات فجأة فليلجأوا إلى قصر دسمان حيث عمهم أمير الكويت، فهناك سيتوافر لكم الاستقرار".

- وعندما سأل إبراهيم نافع رئيس تحرير الأهرام أمير الكويت بعد انتهاء حرب تحرير الكويت عن حقيقة اللقاء الأخير بينه وبين صدام، والحوار الذى جرى بينهما فى الطريق إلى مطار بغداد، والذى زعم فيه صدام أن الشيخ جابر أمير الكويت رفض فيه تقديم أية مساعدات جديدة للعراق، أجاب أمير الكويت: "نحن لم نرفض أى طلب للمساعدات تقدمت به العراق، سواء كان طلب مادى أو مالى، ولكن الذى رفضته أنه طلب منى أن يأخذ ثلث الكويت!!"، ثم أوضح الأمير: "لقد طلب منى صدام أن يقيم

العراق خط أنابيب بترول ما بين شط العرب والكويت فوافقت عليه، ثم طلب صدام إقامة بعض المطارات والمساكن والمدارس على طول طريقى خطى أنابيب النفط والمياه بزعم حماية هذه الخطوط، رفضت لأنها ستمر داخل أراض كويتية وأننا قادرون على حمايتها، فكيف بالله يمكن الموافقة على إقامة مطارات ومبانى ومدارس ترفع أعلاماً عراقية فوق أرضى؟ وأين استقلالى إذن؟ فكان رد صدام: "أنه لا فرق بين البلدين، ويمكن للكويت أن تستخدم المطارات العسكرية والمدنية العراقية!!"، فأوضح له أمير الكويت أن بلده دولة صغيرة، وأن عليه أن يحافظ على استقلالها، وهى لا تقارن بحجم العراق وإمكاناته، وأنهم لا يريدون فى الكويت مطارات ولا مساكن على أراضيهم. وعندما وصلا إلى سلم الطائرة طمأن صدام أمير الكويت وقال له: "لا تشغل بالك بمسألة الحدود، ولا يهمك"، فسأله الأمير: "ومتى تحضر لزيارة الكويت"؟ وكان هذا فى مايو ١٩٩٠، فكان رد صدام: "سوف أحضر إلى الكويت بعد ثلاثة أشهر، ولن أحتاج إلى دعوة ولا إلى بروتوكول، ولا موعد سابق، وسوف تعلم بحضورى فى حينه، وأنت تعلم مدى علاقتى بك وحجم حبى لك". وبالفعل حضر صدام بعد ثلاثة أشهر بالضبط فى ٢ أغسطس حسب موعده تماماً، ولكن بدباباته وطائراته وآلة حربه بالكامل!!

- ولكى ندرك أهمية المساعدات التى حصل عليها العراق من دول الخليج العربية، نضرب مثالاً من الواقع، فلعله من النادر أن تدخل دولة حرباً، وتخرج منها وقد ضاعفت عدد طائراتها. حيث بدأت الحرب العراقية-الإيرانية والعراق يملك حوالى ٢٠٠ طائرة قتال، وعندما انتهت الحرب مع إيران، وبدأت العراق عدوانها على الكويت بعد سنتين فقط كان لدى العراق أكثر من ٦٠٠ طائرة قتال، وهو مالا يمكن أن يتحقق دون حصول العراق على مساعدات مالية من دول الخليج يسرت للعراق عقد هذه الصفقات مع روسيا وفرنسا، والحصول على مئات الصواريخ سكود من روسيا وكوريا الشمالية، وهى التى كان يطلقها بالعشرات يومياً على المدن والأهداف الاستراتيجية الإيرانية وبمعدل وصل إلى ٢٠-٤٠ صاروخ يومياً ذات رؤوس كيميائية مما أجبر القيادة الإيرانية على قبول قرار مجلس الأمن القاضى بوقف إطلاق النار، والذى قال عنه الخومينى: "لقد اضطررت لتجرع السم فى سبيل إيران".

وخلاصة القول أن المساعدات المالية العربية سمحت للعراق بأن ينفق أكثر من إجمالى الناتج السنوى القومى العراقى سنوياً طوال معظم سنوات الحرب، وإعادة تسليح وتدريب قواتها المسلحة، فبحلول عام ١٩٨٨ تمكنت العراق من إعادة تنظيم فيلق الحرس الجمهورى وتسليحه وتدريبه، بجانب التوسع فى حجم الجيش النظامى الذى زاد عدد فرقه عن خمسين فرقة، ورفع كفاءته القتالية فى جميع جوانبها، الأمر الذى مكن العراق من تفوق كمى ونوعى كبير على إيران فى الميزان العسكرى،وبالتالى اتخاذ قرار سياسى باستغلال هذا التفوق فى المقاتلات والصواريخ أرض/أرض والمدرعات والمدفعية والأسلحة الكيميائية فى شن هجوم مضاد واسع، استعادت به القوات العراقية الأراضى التى كانت تحتلها القوات الإيرانية فى منطقة الفاو، بل وبعض المناطق الحدودية داخل إيران.

وقد وصلت نسبة الإنفاق الدفاعى من إجمالى الدخل القومى العراقى بين عامى ١٩٧٨ و ١٩٨٤ إلى حوالى ٣٠%، ثم ارتفعت هذه النسبة فى النصف الثانى من الثمانينات إلى حوالى ٥٢% رغم المساعدات الخارجية التى حصلت عليها العراق من الدول العربية. وتفسر ذلك وكالة الحد من التسلح

ونزع السلاح ACDA أن العراق أنفقت حوالى ١٨٧,٥٧ مليار دولار على قواتها المسلحة فى الفترة ما بين ١٩٧٨ و ١٩٩٠، منها ٥٧,٦ مليار دولار واردات أسلحة فقط. أما المحلل الاستراتيجى الأمريكى (أنتونى كوردسمان) فيذكر فى كتابه (ما بعد العاصفة) أن حجم إنفاق العراق على أسلحة الدمار الشامل ووسائل إيصالها الصاروخية فقط بلغ حوالى ١٥٠ مليار دولار فى الفترة ما بين عامى ١٩٧٥ و ١٩٩١. ولقد اعتقد صدام أن امتلاكه ترسانة ضخمة من الأسلحة التقليدية وفوق التقليدية كفيل بحل جميع مشاكله السياسية والاستراتيجية، وتحقيق أهدافه وطموحاته على المستوى الإقليمى، والأهم من ذلك فى نظره استمرار وبقاء نظامه حاكماً فى العراق. يعبر عن هذه الحقيقة عدنان خير الله وزير الدفاع العراقى السابق أثناء الحرب مع إيران فى قوله: "علينا أن لا نقف أمام صرف الأموال، فمصيرنا متوقف على هذه الحرب، ولنأكل بعدها خبزاً وبصلاً"، ومن المعروف أن هذا الوزير والذى كان قريب الصلة بصدام لأنه شقيق زوجته، قد اغتاله صدام حسين بتفجير الهيلوكبتر التى كان يستقلها فى ٥ مايو ١٩٨٩ لاتهامه بالاشتراك فى تدبير انقلاب ضد صدام، وقيام عدنان خير الله بسحب جزء من أموال الرصيد السرى المودع فى أحد بنوك سويسرا والذى يقوم على اقتطاع ٥% من عائدات النفط لصالح النظام الصدامى، حيث كان عدنان واحد من ثلاثة لهم حق السحب من هذا الرصيد.

- أما نتائج الحرب العراقية-الإيرانية، فتعتبر كارثة بالنسبة للعراق. فعلى الصعيد السياسى نجد النظام الصدامى فشل فى تحقيق جميع أهدافه السياسية من هذه الحرب، فلم يتمكن من استعادة ما تنازل عنه فى اتفاقية الجزائر ١٩٧٥، وبخاصة نصف شط العرب، كما لم ينجح فى إسقاط النظام الإيرانى أو تفكيك الدولة الإيرانية كما كان يحلم. أما على صعيد الخسائر البشرية والاقتصادية، فقد تسببت الحرب فى مقتل أكثر من مليون شخص فى البلدين من العسكريين بخلاف المدنيين الذين ماتوا من جراء القصف الصاروخى والكيميائى للمدن العراقية والإيرانية، كان نصيب العراق منهم ٣٧٥ ألف قتيل، وحوالى ١٥٠ ألف معاق ومفقود و ٦٠ ألف أسير. كما بلغ عدد الأسر العراقية التى تضررت من الحرب بفقد عائلها حوالى ٤ مليون أسرة. وحين توقفت الحرب كانت خسائر العراق فى البنية الأساسية قد بلغت ١٢٦ مليار دولار، أما إجمالى التكلفة الاقتصادية لهذه الحرب فتقدر بحوالى ٥١٢ مليار دولار. ويذكر أن صدام حسين حينما تولى الحكم فى العراق كان احتياطى الخزانة فيها ٦٨ مليار دولار، وبعد هذه الحرب نفذ كل هذا المبلغ، وأصبحت العراق مدينة لدول العالم بأكثر من ١٠٠ مليار دولار منها ٥٠ مليار لدول أوروبا الغربية والشرقية، ناهيك عن فوائد هذه الديون. كما تسببت هذه الحرب فى إصابة برامج التنمية الاقتصادية بالشلل فى البلدين، وأهدرت ٦٠% من إيرادات النفط، الأمر الذى أدى إلى انخفاض نصيب الفرد العراقى من الناتج القومى بمقدار ٧٠-٨٠% . أما على الصعيد الاجتماعى، فلا يزال فى إيران حوالى ٢٠ ألف أسير عراقى انقطعت أخبارهم عن ذويهم، وتركوا لعائلاتهم مشاكل اجتماعية لا حصر لها، ناهيك عن مئات الآلاف من الأرامل واليتامى الذين فقدوا عائلهم، وخلفوا وراءهم العديد من المشاكل الاجتماعية والنفسية.

- ولقد أججت هذه الحرب عداوات الماضى الغابر بين العراق وإيران، وجعلت بين البلدين بحراً من الدماء، ومطالبات إيرانية بتعويضات من العراق يصل حجمها إلى ٩٠٠ مليار دولار!! كما شجعت

هذه الحرب على تضخيم التفرقة الطائفية والعرقية بين الشعبين وداخل الشعب العراقى نفسه. ناهيك عما أحدثته من خلل أكيد فى التوازنات الإقليمية والدولية، وتمزق فى الموقف العربى والإقليمى. أما سبب هذا البلاء كله فيرجع إلى الديكتاتورية والفردية المقيتة المتجسدة فى شخص صدام حسين، وأطماعه اللامحدودة فى أراضى وثروات جيرانه، ونزعته التسلطية لبسط سيطرته وهيمنته على شعوب البلدان الأخرى، وبخاصة فى إسكات جميع الأصوات العراقية التى عارضت ووقفت فى وجه مغامراته الطائشة وعبثه وانتهاكه لحرمات الشعوب الأخرى، فضلاً عن حرمات الشعب العراقى نفسه.

وفى هذا الصدد يقول اللواء وفيق السامرائى رئيس المخابرات العراقية الأسبق فى كتابه (حطام البوابة الشرقية) ص ٢٢١: "خرج صدام من الحرب مُحملاً العراق ديوناً طائلة، وتراجعت خطط التنمية الاقتصادية أو شلت بصورة مفجعة، ولم يحقق أياً من أهداف الحرب، فقد أجج الطائفية بدل صد الرياح الإيرانية الجديدة، وتسبب فى التفاف الإيرانيين حول نظام رجال الدين بدل زعزعتهم أو تفكيك إيران. كما جرح الأكراد جرحاً عميقاً بعمليات (الأنفال) التى شنها ضدهم بكل ما حملته من مآسى وقسوة واستبداد واستخدام موسع للأسلحة الكيميائية ضدهم، وهو ما لا يمكن نسيانه (تم طرد أكثر من مائة عائلة عراقية إلى الحدود مع إيران ليلة ١٩ مايو ١٩٨٩ بعد أن تعرضوا للتنكيل من قبل السلطات العراقية، هذا بالإضافة لتسميم ٣٠٠٠ لاجئ كردى فى مخيم ماردين التركى نتيجة وضع السم لهم فى الخبز فى يونيو ١٩٨٩).

د- تسلل أجهزة صدام إلى دول الخليج [٣٦]

كانت الخطوة التالية بعد نجاح صدام حسين فى تعليق عضوية مصر فى الجامعة العربية عام ١٩٧٨، أن يمهد لعدوانه المبيت على دول الخليج العربية بدءً بالكويت، بتسلل أجهزة مخابراته وإعلامه إلى الدوائر الحاكمة والمؤثرة فى هذه الدول للسيطرة عليها. فسمح صدام لأول مرة قبيل اندلاع الحرب العراقية-الإيرانية للصحفيين والكتاب العراقيين بالسفر للعمل بدول الخليج، وما هى إلا شهور قليلة حتى امتلأت الصحف الكويتية بالبعثيين الذين كانوا فى الحقيقة رجال مخابرات خاصة تابعين لمكتب صدام مباشرة. وتحت غطاء الإعلام والصحافة زاد نشاط المخابرات العراقية، وتسللت إلى أماكن حساسة فى دول الخليج تحت اسم (مكاتب الملحقات الثقافية لسفارات العراق فى دول الخليج)، ثم ما يسمى بـ (المكتبة العراقية التابعة لوزارة الإعلام والثقافة)، ثم بعد ذلك (المركز الإعلامى العراقى)، حتى تضخمت أعداد الدبلوماسيين فى سفارات العراق بباقى دول الخليج، حيث تراوحت ما بين ٣٠٠-٥٠٠ فرد، فى حين كانت بعثات الدول العربية الأخرى فى دول الخليج ما بين ٣٠-٥٠ دبلوماسى.

وفى خضم الوفود التى حرص صدام على زيارتها للكويت وفود فنية تعمل فى مجال النفط، وذلك تحت مظلة حجج واهية كتدريب العراقيين فى عدد من المصانع والمنشآت النفطية الكويتية والإطلاع على التقنيات الحديثة التى تلزم العراق بعد خروجه من الحرب مع إيران، وقد ثبت بعد ذلك أن الهدف كان معرفة كيفية إدارة المنشآت النفطية الكويتية لصالح العراق بعد أن تتمكن القوات العراقية من احتلال الكويت، وبالفعل كانت المجموعة العراقية التى أرسلها صدام إلى الكويت قبل الغزو بثلاثة أشهر هى

التى اقتحمت مكتب رئيس شركة النفط الكويتى وطردته وأخذت فى إدارة مرافق الشركة حتى بدأت حرب تحرير الكويت.

- وقد ركز صدام من ناحية أخرى على ما يسمى بـ (الجالية العراقية) فى دول الخليج، وكانت هذه الجاليات، وما يسمى بـ (مجلس إدارة الجالية العراقية) يعقد اجتماعات دورية تكون برئاسة الرجل الثانى فى سفارة العراق، وهو أحد رجال مكتب المخابرات المختص بشئون دول الخليج، حتى ينقل ما يحدث تماماً فى دول الخليج إلى بغداد، وكيف يرى أوضاع الدوائر الحاكمة فى هذه الدول من خلال الانغماس معهم فى مشروعات قد تكون معظمها وهمية.

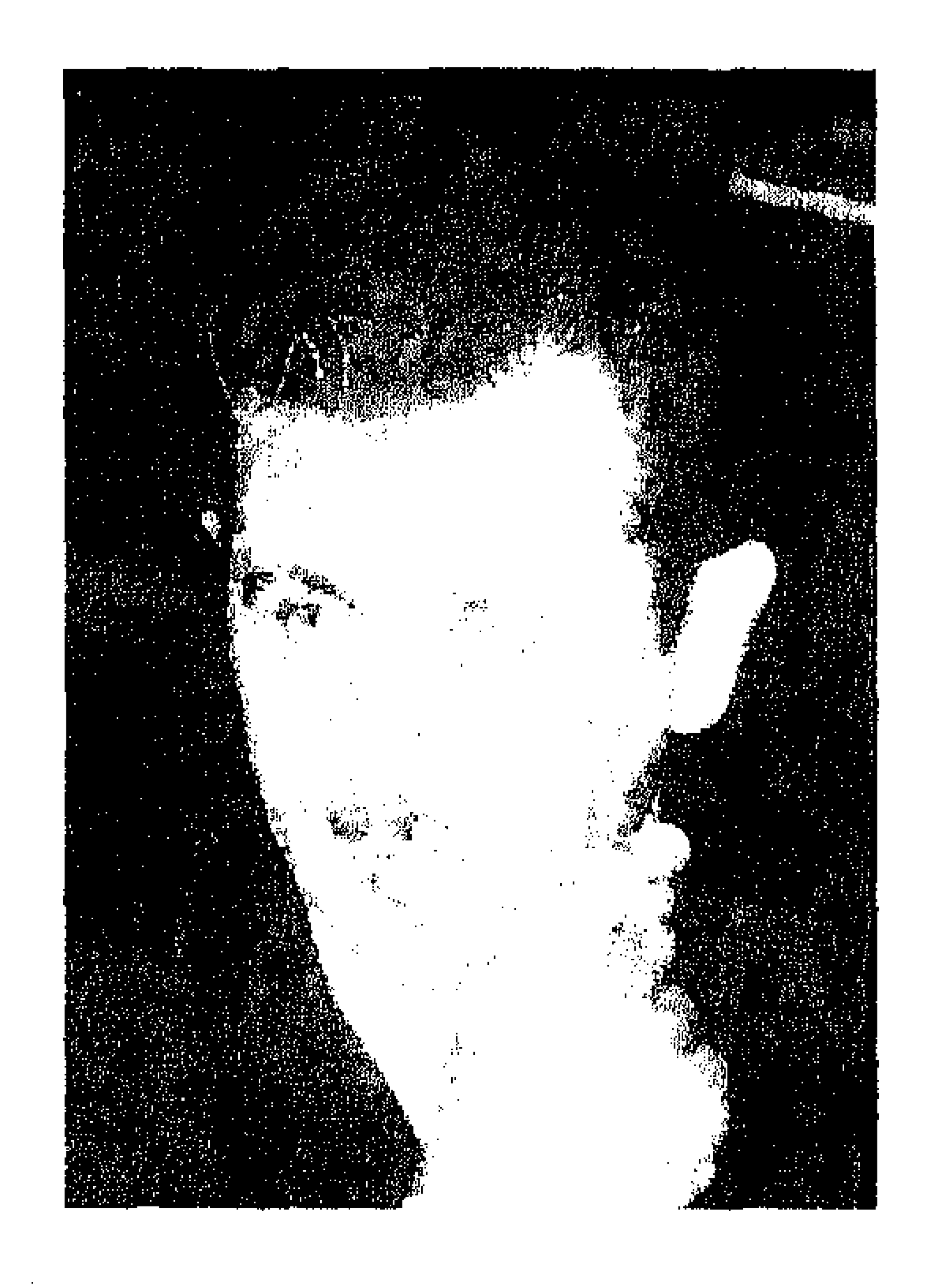
- وفى إطار هدف صدام من التغلغل إلى أعماق المجتمعات الخليجية - خاصة المجتمع الكويتى - كان يرسل وفوداً من الشباب والشابات العراقيات إلى الجامعات الخليجية تحت زعم تبادل الأنشطة الطلابية، وتحت هذا الغطاء حدثت زيجات عديدة مشتركة بين رجال خليجيين وفتيات عراقيات كنَّ فى الحقيقة عميلات لجهاز المخابرات العراقية، أرسلهن لأهداف التجسس واختراق كل الأجهزة والمؤسسات والهيئات الخليجية، خاصة الكويتية.

- وفى إطار خطة المخابرات العراقية للانتشار بعملائها فى جميع دول الخليج، وبجانب زيادة أعداد عناصرها فى السفارات العراقية هناك تحت أغطية دبلوماسية وتجارية وثقافية، أنشأت أيضاً العديد من المكاتب الخاصة وشركات التصدير والاستيراد والمقاولات والشحن والتجارة، خاصة فى الكويت. كما حوَّل صدام مركز الدراسات الفلسطينية فى بغداد إلى قلعة تجسس تعمل لصالحه، كان أعضاء فروع هذا المركز فى دول الخليج يمدون رئاستهم فى بغداد بكل المعلومات عن الحكومات الخليجية ومشروعاتها الجديدة فى كافة المجالات الاقتصادية والثقافية، بالإضافة لتجنيد الكثير من العاملين الفلسطينيين فى دول الخليج لصالح العراق، حتى إذا جاءت ساعة الصفر أصبح هؤلاء الفلسطينيون بمثابة (طابور خامس) يشكلون السند القوى للقوات العراقية الغازية لهذه الدول. وكانت أجهزة الأمن الصدامية تمارس كل فنون الضغوط على أى فلسطينى يرفض التعاون معهم.

- ولم تكن محاولات النظام الصدامى لاختراق دول الخليج بأساليب تحتية ببعيدة عن أعين أجهزة المخابرات الأمريكية التى كانت ترصد كل ذلك، بالإضافة لاستخدام صدام للفلسطينيين سواء المقيمين فى بلدان الخليج أو فى العراق لتحقيق نفس الهدف. فقد أبلغت المخابرات الأمريكية المسئولين فى دول الخليج أن النظام العراقى ينوى مهاجمة قصور الأمراء والشيوخ مستغلاً الفلسطينيين الذين جندهم فى العراق داخل معسكرات التدريب التى أقيمت بدعوى تأهيلهم لشن عمليات فدائية فى إسرائيل، وقد ظهر دورهم بارزاً وواضحاً أثناء العدوان العراقى على الكويت، حيث كانوا ضمن طوابير الغزو الأولى لتمكين القوات العراقية من الوصول إلى الأهداف والمواقع الاستراتيجية المهمة فى الكويت واحتلالها فى زمن قصير جداً، وقد استغل صدام فى ذلك التواجد المسبق للفلسطينيين فى معظم مؤسسات الدولة فى الكويت، وشغلهم وظائف حساسة (مثل مديرو مكاتب الوزراء وكبار المسئولين)، وهو ما يسر لهم الاطلاع على كثير من الأسرار الأمنية والسياسية والاستراتيجية والاقتصادية فى الكويت.



الرئيس الجزائرى هوارى بومدين: دس له صدام السم فى عصير برتقال بمطار بغداد



الرئيس بشار الأسد: قال فى الكويت أنهم فى سوريا أقدر الناس على معرفة حقيقة صدام



هاشمى رافسنجانى رئيس إيران السابق: أبلغه صدام أن حدود العراق ستمتد ٨٠٠ ميل وحتى خليج عمان

هـ - صدام يتحسس الأوضاع فى الخليج قبل العدوان[37]

- يذكر اللواء وفيق السامرائى فى كتابه (حطام البوابة الشرقية) أن صدام حسين كلفه شخصياً بالقيام بجولة مع الفريق صابر الدورى فى بعض دول الخليج فى مارس ١٩٩٠، شملت البحرين والإمارات والكويت .. وبعد أن عادوا إلى بغداد استدعاهما صدام بعد أن اطلع على تقريرهما وقال لهما: "إن دول الخليج لم تف بالتزاماتها المالية تجاهنا .. لقد دخلنا حرباً طويلة وأعطينا دماءً وصرفنا أموالاً طائلة، وحجمنا الدور الإيرانى فى المنطقة .. ولم تكتف دول الخليج بعدم التزامها بتعويضنا عما خسرناه من أموال، بل إنهم أخذوا يتآمرون مع الأمريكان على ثورتكم". ثم أضاف: "إن أمريكا تنسق مع السعودية والإمارات والكويت فى التآمر علينا، ويحاولون تخفيض أسعار النفط للتأثير على برامج صناعتنا العسكرية وبحوثنا العلمية وإجبارنا على تقليص حجم قواتنا المسلحة، وعندئذ يتحول نصرنا العسكرى على إيران إلى تراجع وتقوقع .. علينا أن نبنى ونقوى أجهزة الأمن والمخابرات وأن يكون باعكم طويلاً فى الخارج، فإذا اضطررنا إلى الرد العسكرى فقواتنا تزداد قوة، وإذا اكتفينا بزعزعتهم عن طريق أجهزة المخابرات، فهذا يتطلب كفاءة عالية"، وأضاف صدام: "إن هناك خلافات مبطنة فى الخليج بين عمان والإمارات، وبين الإمارات والسعودية، وبين البحرين وقطر، كما أن عموم الخليجيين لا يحبون الكويتيين .. وعلينا أن نؤجج ذلك"، ثم اختتم حديثه مع السامرائى قائلاً: "إن الدول لا تتكون فى التقوقع، وإذا اضطررنا للرد الواسع على الخليج، فلن يمنعنا أحد من الوقوف على مضيق هرمز".

- ولقد حصل صدام حسين على معلومات من أجهزة مخابراته فى الخارج تتحدث عن تخوف عرب الخليج من تنامى قوة العراق السياسية والعسكرية، وكان مصدر هذه المعلومات بعض الدبلوماسيين الأجانب، فقرر صدام استثمار هذا التخوف بممارسة مزيداً من الضغط على الدول الخليجية بحجة تدهور موقف العراق بعد حربه مع إيران، وحاجة الشعب العراقى إلى مساعدات جديدة لتغطية مطالب إصلاح البنية الأساسية التى دمرت بفعل الحرب. ولقد أدت معرفة صدام بتخوف دول الخليج من تنامى قوته إلى زيادة إصراره على أن تصبح دول الخليج دولة واحدة تحت لواء العراق، لكى تتحكم فى مصادر النفط بالخليج وأكبر احتياطى نفطى فى العالم.

- وقد دأب صدام على أن يشيع فى أوساط الحزب وقيادات الجيش أن العراق مستهدف بمؤامرات من أعدائه الذين يسعون إلى تقزيم دوره القومى، وحصره فى إطاره القطرى فقط، وأن دول الخليج العربية مشاركة فى هذه المؤامرات مع الولايات المتحدة وإسرائيل. لذلك قرر أن يتخذ موقفاً مضاداً من الكويت بزعم أنها تقوم بتنسيق وتعاون مع الولايات المتحدة يضر بمصالح العراق القومية. لذلك اجتمع مع جهاز مخابراته وحدد لهم منهج الحملة السياسية والإعلامية الجديدة ضدها، وهى الزعم بأن الكويت كانت جزءً من قضاء البصرة، وذلك كله فى إطار هدفه الأساسى وهو ضم الكويت إلى العراق والاستفادة من مواردها. وذكر صدام فى هذا الاجتماع بعد أن راجع حساباته، أن دول الخليج طوال حرب العراق مع إيران كانت تبيع النفط كما تشاء، ولذلك جاء اليوم الذى ينبغى فيه للعراق أن يتحكم فى مستقبل هذا النفط وطريقة بيعه فى أسواق الغرب وبالأسعار التى تحددها العراق، وأضاف صدام لرجال مخابراته: "عليكم أن يعرف كل خليجى فى الشارع حقيقة الأزمة، وهى أننا دافعنا عن بوابة

العرب الشرقية، وأن العرب أنفسهم لا يعترفون بالجميل". وبالفعل لم يترك رجال المخابرات والإعلام العراقيين فرصة فى زياراتهم للدول العربية - والخليجية على وجه الخصوص - إلا وقالوا: لقد لعب العراق دور الدرع الواقى للأخوة العرب فى مواجهة الخطر الفارسى، وأنهم يتوقعون من الأخوة الأثرياء على الأخص فى الكويت والسعودية والإمارات العون والمساعدة فى تسديد كامل ديون العراق.

و - الإمعان فى الخداع والتضليل (٣٨)

- ومن القصص ذات المغزى فى هذه الفترة، أن وزراء الإعلام العرب فى اجتماعهم ببغداد عام ١٩٩٠، فوجئوا بوزير الإعلام العراقى (لطيف نصيف جاسم) يحثهم على إصدار قرار يشيد بدور العراق ورئيسه فى حماية البوابة الشرقية للأمة العربية، وكان هذا الطلب غريباً بعد مرور عام على انتهاء الحرب رسمياً مع إيران. إلا أن صدام حسين اعتبر هذا المطلب عادلاً وحقاً عراقياً على العرب أجمعين، وقد ذكر وزير الإعلام اليمنى حسن اللوزى: "أن مثل هذا القرار ليس له مناسبة، ولكننا وافقنا عليه رغم عدم اقتناعنا أمام إصرار العراق إرضاءً للرئيس صدام". وهو ما يظهر أن كثيراً من القرارات العربية كانت تصدر فى هذه الفترة لكسب ود بعض القادة أو خوفاً منهم أو طمعاً فى رضائهم. وعندما قابل صدام وزراء الإعلام العرب بعد ذلك، القى كلمة طويلة تعرض فيها لعلاقات العراق مع باقى دول الخليج العربية بعد انتصار (القادسية)، ذكر فيه: "وأن على هذه الدول أن تضحى بالأموال فى سبيل دعم العراق، ولا تقول مثلما كانت تقول لمصر فى حربها ضد إسرائيل: "من أجل فلسطين سنحارب حتى آخر جندى مصرى. وأن دماء العراقيين هى التى روت تراب البوابة الشرقية للأمة العربية ودفعت عنها ظلم وعدوان الفرس". وكان كلما ذكر صدام كلمات التضحية والفداء العراقية دوت القاعة بتصفيق العراقيين، ومعهم بالطبع الوزراء العرب مجاملين، وعندما جاء الدور على وزير الإعلام الكويتى ليصافح صدام قال له: "كل كلامى عن حماية العرب، أنتم أول من يستفيد بنصرنا المظفر على إيران، فقد حمى لكم العراق بكل قطرة دم لشهيد"!!

- وفى حديث لصدام حسين مع صحيفة النهار اللبنانية قال: "إن أصواتاً تقول للعراق: لا تصدقوا أن عرب الخليج يريدون لكم النصر فى المعركة مع إيران، ولكنها نفس الأصوات التى تقول باستمرار لعرب الخليج: خذوا حذركم لأن العراق عندما يخرج منتصراً سيلتف عليكم، وأؤكد أن هذا قول ساقط.

- وفى حديث آخر له مع نفس الصحيفة قال: "لو حصل عدوان على الكويت، فإن الجيش العراقى سيقاتل بحماسة لا تقل عن حماسة الجندى الكويتى، كذلك بالنسبة لدولة الإمارات، فنحن نقاتل عنها فى الوقت الذى يكون فيه جيش الإمارات فى ثكناته". ورداً على سؤال: هل يعتبر العراق نفسه حامياً لدول الخليج الصغيرة؟ أجاب صدام: "نعم بصيغة الأخ الذى يقدم الخدمة حين تطلب منه، بمعنى أننا لا نريد أن يفسر الموقف بأنه وصاية، والموقف هنا لا يقتصر على دول الخليج، بل هو موقف كل دولة عربية بمعزل عن رأينا فى الحكام".

- وفى إحدى خطبه فى ١٩٨٣/٢/١٥ قال صدام: "إن زمن الغزو قد تراجع إن لم يكن قد ولىّ، وأن الرأى العام العالمى أصبح يرفض توسع أى دولة على حساب دولة أخرى لتغيير الخارطة السياسية

للدول، ومن يعتمد مثل هذا الأسلوب أصبح يجد الرفض من قبل شعوب العالم بما يضعه فى مأزق جدى لا يستطيع الخروج منه إلا بالتراجع الفعلى.

- ويصل صدام إلى قمة الخداع والتضليل والكذب فى كلمته التى ألقاها أمام أعضاء المكتب الدائم لاتحاد المحامين العرب فى ١٩٨٨/١١/٢٧ قبل عدوانه على الكويت بأقل من سنتين، حيث قال: "وندعو العرب إذا انحرف العراق - لا سمح الله - عن هذه المبادئ (عدم التدخل فى شئون الدول الأخرى) أن يجيشوا عليه الجيوش إذا انحرف وذهب إلى قطر عربى وأعجبته قوته وأراد أن يطبقها على بلد عربى، فمن المشروع ومن المبادئ ومن الأخلاق أن يُجيش العرب على العراق جيوشهم ويوقفونه عند حده".

ز- خرائط العدوان العراقى تشمل السعودية والبحرين والإمارات (٣٩)

- تساؤلات كثيرة فرضت نفسها عقب عدوان العراق على الكويت حول الأهداف بعيدة المدى لهذا العدوان، ومن أبرز هذه التساؤلات: لماذا بادر العراق باتهام دولة الإمارات العربية إلى جانب الكويت بتخريب اقتصاده؟ ولماذا كان الحشد الهائل من القوات العراقية وعتادها العسكرى لاحتلال الكويت بما يفوق احتياجات غزوها واحتلالها، ورغم التفاوت الملحوظ بين القوتين؟ وما سبب اندفاع القوات العراقية بعد احتلال الكويت وبسرعة مذهلة إلى حدود المملكة السعودية واتخاذها وضعاً هجوميا إذا كانت الكويت وحدها هى الغاية والهدف؟ ولماذا هاجمت القوات العراقية مدينة الخفجى السعودية؟ .. إلى غير ذلك من التساؤلات التى تولت الوثائق التى تم الاستيلاء عليها من القوات العراقية عقب انسحابها من الكويت الإجابة عليها وكشف أسرارها، وهو ما أكدته الأحداث وشهادة الشهود من داخل مطبخ صنع القرار العراقى، بعد أن فروا من العراق وأتيحت لهم الفرصة أن يبوحوا بما لديهم من أسرار أظهرت حقيقة التآمر والتخطيط المسبق للعدوان العراقى ليس فقط على الكويت، بل على جميع دول الخليج تحقيقاً لأحلام صدام المريضة فى بسط هيمنته على هذه المنطقة، وكشفت عن مخطط مذهل مخيف كانت ستتعرض له المنطقة الخليجية، وهو مخطط توسعى يتعدى الكويت إلى السعودية والبحرين وقطر والإمارات وغيرها، وقد أطلق صدام على هذا المخطط الاسم الرمزى (روح الفتوح) لاجتياح جميع منابع النفط فى بلدان الخليج العربية، بعد أن فشل فى تحقيق ذلك فى إيران.

- لقد تشكلت الحملة العراقية المكلفة بغزو الكويت واحتلالها من فرقتين مدرعتين وفرقة ميكانيكية وفرقة قوات خاصة تابعين لفيلق الحرس الجمهورى، بالإضافة إلى تسع فرق مشاه من الجيش النظامى، وكانت قوام هذه الحملة حوالى ٧٥٠,٠٠٠ فرد، ٣٥٠٠ دبابة، ٢٥٠٠ عربة مدرعة، ١٧٠٠ قطعة مدفعية، بجانب المساندة الحيوية من مقاتلات يبلغ حجمها ٦٠٠ مقاتلة و ٤٠٠ هيلوكبتر هجومية واقتحامية، فإذا ما قارنا هذا الحجم من الجيش العراقى بحجم الجيش الكويتى الذى لم يتعد ٦٠٠٠ فرد، ٧٠ دبابة، ٥٦ عربة مدرعة، ١٢٢ مدفع وهاون، ٢٤ صواريخ مضادة للدبابات فسوف نجد أن مقارنة القوات تشير إلى نسبة تصل إلى ١٥: ١ لصالح العراق. ولتصور مدى عدم التكافؤ بين الجيشين عددا وعدةً، فقد حدث فى إحدى المعارك - وهى معركة الجهراء الثانية - أن كانت النسبة ١: ٣٠ لصالح العراق، أضف إلى ذلك أن أجهزة مخابرات النظام الصدامى كانت تعلم يقينا بواسطة طابورها الخامس

المزروع فى الكويت، أن الأخيرة وحتى أيام قليلة قبل الغزو لم تضع فى استراتيجيتها خططاً دفاعية تجاه العراق، وحتى عندما تأكدت معلومات الحشود العراقية على حدود الكويت الشمالية، وأثار النظام العراقى الاستفزازات السياسية المعروفة فى ١٧ يوليو ١٩٩٠ - قبل الغزو بأسبوعين - لم تعلن الكويت التعبئة، ولم ترفع درجة استعداد قواتها حتى لا تستفز الجار العراقى، وارتكازاً على تعهدات صدام حسين للزعماء العرب بعدم العدوان على الكويت، وحتى فى ذروة الأزمة رفضت الكويت طلب المساعدات الأجنبية التى عرضت عليها، استبعاداً منها لاحتمال حدوث اعتداء من الجار العراقى الذى بذلت الكويت كل إمكاناتها لمساعدته، فضلاً عن عدم وجود مبررات منطقية أصلا للغزو.

- يتضح من ذلك أنه لو كان الهدف الوحيد للقوات العراقية هو غزو الكويت واحتلالها فقط لما احتاج الأمر لحشد كل هذا العدد الضخم من القوات العراقية التى قاربت حجمها فى الحرب مع إيران، رغم الفارق الهائل بين مساحتى دولتى إيران والكويت، وحجم الجيش الإيرانى والجيش الكويتى. فضلاً عن أن النسق الأول من الجيش العراقى الذى قاد العدوان على الكويت كان من فرق الحرس الجمهورى التى يطلقون عليها فى العراق "قوات النخبة". إن ذلك يؤكد ببساطة أن غزو واحتلال الكويت كان المهمة المباشرة للحملة العسكرية العراقية، ثم استغلال النجاح الذى يتحقق بتطوير الهجوم لاجتياح المملكة العربية السعودية كمهمة تالية، ثم باقى دول الخليج العربية كمهمة نهائية. وكان احتلال الكويت بالنسبة للنظام العراقى اختباراً لردود الفعل العربية والدولية.

- يتأكد هذا المفهوم من الخرائط العراقية التى تم العثور عليها ضمن متروكات القوات العراقية عقب انسحابها السريع فور هزيمتها فى الكويت. فقد أعدت هيئة المساحة العسكرية العراقية خرائط تفصيلية لأجزاء عديدة من المملكة السعودية والبحرين وقطر والإمارات بمقياس ١:١٠٠,٠٠٠ والتى تحوى معلومات تفصيلية وحديثة عن التضاريس والمواقع والطرق والأهداف الاستراتيجية فى هذه البلدان، بالإضافة لبيانات تكتيكية مهمة تفيد فى تحرك القوات وانتشارها مثل درجة صلاحية الأرض للتحرك والانتشار، وأين يكون التحرك صعباً أو متعذراً، والأماكن الصالحة لتنفيذ عمليات الإبرار البحرى والجوى، والخطوط المناسبة لتبنى الدفاع وإقامة المعسكرات .. الخ، ناهيك عن مواقع حقول النفط ومنشآته، وسائر الأهداف والمواقع العسكرية، وهو ما سهل على القوات العراقية احتلال مدينة الخفجى والهجوم على مركز عرعر الحدودى داخل الأراضى السعودية. وقصف الأهداف العسكرية والمدنية فى السعودية. مثل مبنى وزارة الدفاع - بالصواريخ سكود العراقية، كذلك قصف مدينة المنامة (عاصمة البحرين) بالصواريخ سكود. ولم يكن الهجوم العراقى الذى تم على مركز (عرعر) الحدودى الواقع فى داخل الأراضى السعودية مجرد عملية إغارة تستهدف رفع الروح المعنوية للقوات العراقية التى كانت تتعرض للقصف الجوى من جانب قوات التحالف فى عملية عاصفة الصحراء يوم ٢٨ يناير ١٩٩١، بل كانت عملية هجوم واسعة كلف بها الفيلق السابع العراقى للقيام بعملية تعرضية ضمن قاطع الفيلق فى منطقة النخيب، بواسطة اللواء ٤٥ مدرع ولواء مغاوير الفيلق الثانى، وشن هجمات بعمق ٢٠ كم داخل الأراضى السعودية يتم خلالها تدمير جميع الأهداف العسكرية والمدنية المتواجدة فى هذه

المنطقة، وقد تمت العملية فى ليلة ٢٧ يناير ١٩٩١، ولكنها لم تحقق أهدافها حيث تم صد الهجوم العراقى بالقوات السعودية المدافعة، مما اضطر العراقيين إلى الانسحاب فى اليوم التالى.

- ثم كانت عملية الخفجى التى تبعد ١٥ كم جنوب خط الحدود بين الكويت والسعودية، والتى وضع خطة تنفيذها صدام حسين شخصياً فى مدينة البصرة، وقد وعده قائد الفيلق المكلف بالعملية بأن يقدمها هدية له. فبعد دخول حرب الكويت أسبوعها الثالث تحولت المناوشات الحدودية إلى معركة برية واسعة، حاول فيها الجيش العراقى انطلاقاً من مواقعه فى الأرض الكويتية المحتلة السيطرة على مدينة الخفجى، وذلك بشن هجوم من خمس محاور أبرزها محور ناحية الخفجى، ومحور إلى الغرب على الجبهة الشمالية، ومحور شمال الخفجى، وبدأ الهجوم العراقى ليلة ٣٠/٢٩ يناير ١٩٩١ بواسطة الفرقة الميكانيكية الخامسة بقيادة اللواء ياسين المعينى والتى تضم اللواءين ١٥، ٢٠ مشاه واللواء ٢٦٠ مدرع، إلا أن الهجوم المضاد الذى شنته القوات السعودية والقطرية تحت ستر المروحيات الهجومية أفشل الهجوم العراقى، وأجبر العراقيين على الانسحاب إلى مواقعهم الابتدائية داخل الكويت المحتلة. بعد أن تكبدت هذه الفرقة خسائر جسيمة تمثلت فى ٨٠ دبابة وعربة مدرعة، وحوالى ٦٠٠ قتيل وجريح ومفقود.

- ورغم فشل عملية الخفجى، فقد أصر صدام على تنفيذ عدة محاولات تعرضية أخرى كان قد خطط لها بواسطة ست فرق عراقية أخرى كانت تحتشد فى مدينة الوفرة وقرية أم الحجول الكويتية. ولكن قصف هذه التشكيلات بواسطة القاذفات الأمريكية (ب-٥٢) أحبط تنفيذ هذه المخططات بعد أن تكبدت خسائر بشرية ومادية جسيمة، مما أجبر صدام على العودة بقواته إلى الخنادق الدفاعية مرة أخرى.

ح - خطة (روح الفتوح) لاجتياح السعودية (٤٠)

- يؤكد ما سبق أن أشرنا إليه حول الأطماع التوسعية للنظام الصدامى وطموحه غير المحدود فى بسط هيمنته على كل منطقة الخليج، ما ورد فى كتاب اللواء وفيق السامرائى (حطام البوابة الشرقية) فهو خير من يصف ما كان يدور داخل (مطبخ) صنع القرار السياسى فى العراق، حيث يقول فى ص٣١٨: "كل الذين جاءوا إلى بغداد من المسئولين العرب قبيل اجتياح الكويت، أخذ القلق يساورهم بشكل أو بآخر، ولسبب أو لآخر، إلا أنهم لم يتنبهوا إلى البعد الحقيقى للنوايا. وأحد الأسباب يعود إلى أن التغلغل فى قراءة طبيعة صدام وهواجسه لم يدخل فى العمق المناسب لغاطسه الحقيقى، ولا إلى حجم تركة الحرب الفاشلة مع إيران، ولا حتى إلى رؤية صدام الداخلية تجاههم. أما العراقيون فيعرفون صدام، ويعرفون أنه لم يكن رجل سلام ليوم واحد وهو فى موضع القوة، بقدر ما هو رجل استسلام عندما يتعلق الأمر بكرسى الحكم، وهو ما يسميه صدام بـ "بالمرونة فى العمل الثورى طريقاً لاستئناف التعرض فى وقت آخر".

- ثم يضيف السامرائى موضحاً المخاوف التى سادت حول احتمال تطوير العدوان العراقى فى اتجاه السعودية، فيقول: "بعد اجتياح الكويت أخذ يبدو فى الآفاق خطر تقديرات النظام على المستويات والاتجاهات كافة، عربياً وإقليمياً ودولياً. وترك الإعلام السعودى الذى تجنب التصعيد فى الأيام الثلاثة

الأولى حالة ضبابية مشوبة بالحذر، إلا أن الوضع لم يدم إلا وقتاً قصيراً جداً في حساب الأزمات الكبيرة، واتضح أن الجميع في صراع مع الوقت لاستكمال إجراءات الحد الأدنى المقبول للدفاع تجاه احتمالات استئناف العمليات التعرضية نحو الأراضي السعودية الغنية بالنفط، عندما تم رصد قول مدرع عراقي متجه نحو الحدود مع السعودية".

- وعن إساءة تقدير مساعدو صدام للموقف المتشدد الذي اتخذته دول التحالف لمواجهة عدوان العراق على الكويت، واحتمالات تطويره، يقول السامرائي: "وعلى الرغم مما أظهرته الولايات المتحدة وبريطانيا ودول عربية من موقف متشدد، فقد بقي أعضاء الفريق السياسي الخاص المحيط بصدام يؤيدونه بقناعتهم أن ما يجري ما هو إلا عملية استعراض للقوة لإرغام العراق على الانسحاب من الكويت واستكمال الإجراءات العقابية ضد العراق من عقوبات اقتصادية وتآمر وفرض شروط عسكرية وأمنية وسياسية، وتدمير منشآت أسلحة الدمار الشامل، وبالتالي الإطاحة بنظام الحكم. كما نصحوا صدام بأنه كلما تمكنوا من إجراء تظاهرة واسعة بالقوة، فسيتردد الأمريكان في استخدام القوة، وتتحول الأزمة مع مرور الوقت إلى مداولات سياسية طويلة الأمد تفضي إلى الحصول على مكتسبات (إقليمية، جغرافية، سياسية، واقتصادية) في الحد الأدنى. وقد تضطر الإدارة الأمريكية للقبول بالأمر الواقع وبناء علاقة جديدة مع العراق. فالمسألة كما وصفها صدام في إحدى المرات لا تحتاج إلا "العض على البرطم" - المقصود الشفة السفلى - في إشارة إلى الصبر والمطاولة"!!

- ثم يكشف السامرائي في ص ٣٢٢ عن بروز اتجاه داخل القيادة السياسية في العراق يدعو إلى تنفيذ الخطط الموضوعة لاجتياح السعودية، فيقول: "في الأسبوع الثاني للاجتياح ظهر تيار ينادي بوضع الخطط المعدة سلفاً لمواصلة الاجتياح جنوباً للاستيلاء على منابع النفط في السعودية والمساومة بها على الاحتفاظ بالكويت. وكان أبرز المنادين به: على حسن المجيد، وحسين كامل، وسبعاوي إبراهيم الحسن (مدير المخابرات وأخ صدام)، وطه يسن رمضان. وجرى بالفعل تشكيل لجنة من التخطيط والحركات والقوة الجوية ومديرية الصنف الكيماوي والاستخبارات العسكرية، لدراسة وتجديد خطط الاندفاع جنوباً للاستيلاء على مناطق النفط والسواحل السعودية المطلة على الخليج، وطُلب من الاستخبارات إعداد آخر المواقف المنقحة عما يلي في السعودية: محطات تحلية المياه السعودية، وأماكن انتشار ومراحل تدفق قوات التحالف البرية والجوية والبحرية، وحجومها في السعودية ومنطقة الخليج، الأهداف المناسبة للضربات الكيماوية (ولم تجر الإشارة إلى أهداف الضربات البيولوجية حيث لا تتوافر أية معلومات عنها لدى القوات المسلحة عدا الاستخبارات وقيادة الصواريخ، فضلاً عن الجهات ذات العلاقة)، ومعلومات عن النوايا لدى الطرف المقابل، وبخاصة دول الخليج ومدى استعدادها لخوض الحرب على أراضيها، والوضع النفسي للمواطنين الخليجيين، بالإضافة لمعلومات مفصلة عن طبوغرافية الأرض، بعد أن ظهرت من الدراسات السابقة نقاط إبهام عن صلاحية الأرض على المحور الساحلي لاستيعاب قوات مدرعة كبيرة".

- وعن الترتيبات التي اتخذت لوضع الخطط موضع التنفيذ يقول السامرائي: "عقدت اللجنة سلسلة من الاجتماعات شبه المتواصلة، وجرى عرض الخطط في اجتماع خاص للقيادة العامة للقوات المسلحة،

واتخذ القرار بالمصادقة على الخطط المفصلة (الخاصة بالاندفاع جنوباً فى المنطقة الشرقية من السعودية، على أن تتابع الاستخبارات أعلى نقاط لكثافة الانتشار البشرى لقوات التحالف، واعتباره أعلى أسبقيات مهام الاستخبارات (يتضح من التركيز على المناطق ذات الكثافة البشرية العالية باعتبارها أنسب الأهداف للضربات البيولوجية)، وعلى أن تنفذ الخطط فى حينه بأمر من القائد العام للقوات المسلحة (صدام حسين)، مع الإشارة إلى احتمالين: **الأول**: إذا وجدت الظروف مناسبة لتحقيق النصر، أما الاحتمال **الثاني**: فهو فى حالة احتواء وامتصاص الهجوم البرى للحلفاء، تتهيأ قواتنا للتعرض المقابل الواسع بموجب الخطط، وأية تعديلات تطرأ عليه، وقد أعطيت هذه الخطة الاسم الرمزى (روح الفتوح). ونظراً لتصاعد وتيرة حشد الحلفاء، جرى صرف النظر عن تطبيق العملية قبل احتواء الهجوم البرى لقوى التحالف، تجنباً لاحتمالات الفشل، وإعطاء فسحة كافية من الوقت للمناورات السياسية الموجهة من قبل النظام، على أن تتخذ الاستعدادات اللازمة للمباشرة الفورية فى تنفيذها فور فشل احتواء هجوم الحلفاء البرى، وقلب التوقف إلى تراجع سريع يتحول إلى هزيمة للحلفاء".

- ثم يذكر السامرائى فى ص٢٣٤ أن كاتب عربى كبير (غير عراقى) حاول الحصول على معلومات عن النوايا والخطط العراقية لاستئناف الاندفاع نحو آبار النفط فى السعودية، وبذل جهوداً كبيرة فى أعوام ١٩٩١، ١٩٩٢، ١٩٩٣ فى هذا الاتجاه، إلا أن توجيهاً سرياً مباشراً من صدام أغلق أمامه كل المنافذ، علماً بأنه عمل فى العامين ١٩٩٢، ١٩٩٣ لصالح مركز صدام للدراسات العسكرية براتب شهرى قدره خمسة آلاف دولار، وقدم بحوثاً ودراسات لصالح صدام مباشرة.

ط - التخطيط لأعمال إرهابية ضد قوات التحالف والسعودية [٤١]

- وفى خضم التحضير والاستعداد للمجابهة، أصدر صدام أمراً بتشكيل لجنة إرهابية تسمى (لجنة العمل الفدائى) برئاسة عزت الدورى، وعضوية مديرى أجهزة الأمن والمخابرات مهمتها التخطيط لتنفيذ عمليات إرهابية (قتل وتخريب) ضد السعودية وقوات التحالف. وقد حددت اللجنة الأهداف التى ستوجه ضدها هذه العمليات الإرهابية، كما تم انتخاب عدد من الضباط وضباط الصف من القوات الخاصة وغيرها لتدريبهم وإعدادهم للقيام بهذه العمليات، وقد تحددت الأهداف التالية: "أبرز القادة السياسيين فى المملكة السعودية، الجنرال شوارسكوف، قائد القوات البريطانية، أفراد الأسرة الحاكمة فى الكويت، محطات تحلية المياه فى السعودية، محطات الطاقة الكهربائية، مواقع الاتصالات الهاتفية، الأهداف العامة فى أوروبا.

- ويضيف السامرائى فى هذا الصدد فى ص ٢٤٢ موضحاً دور المنظمات الفلسطينية فى هذه الخطة، فيقول: "بدا واضحاً عدم تيسر القدرة على تنفيذ أى من الأهداف المذكورة .. وأن اختراق المخابرات المنطوى على إغراءات مادية لا يجوز التعويل عليها هناك (السعودية)، فلم تكن لدى أى من أجهزة المخابرات العراقية قواعد أمنية داخل الأراضى السعودية فى ذلك الوقت، وإن وجدت فتكاد تكون عديمة القيمة حتى للعمليات البسيطة .. إلا أن بعض المنظمات الفلسطينية تعهدت بأنها ستشعل المنطقة وأوروبا، ولكنها لم تحرك ساكناً، وقد جرى التفكير من اللجنة فى التوجه للتنسيق مع بعض أفراد

القوات العربية للقيام بمثل هذه العمليات .. ألا أن هذه المحاولات واجهت سداً قوياً، فأقرب القوات إلى العراق جغرافياً القوات السورية المحصنة أمنياً بعيدة كل البعد عن صدام بعد قطيعة عشرين عاماً .. وقد ترددت معلومات فى وكالات الأنباء يوم ١٩٩٠/٨/١٧ أن صدام حسين استدعى الإرهابى (أبو نضال) من ليبيا إلى العراق، وأصدر له تعليماته بفتح جبهة جديدة للإرهاب فى حالة تصعيد النزاع العسكرى فى الخليج.

ى- أقمار التجسس تكشف استعدادات صدام لتطوير هجومه فى اتجاه السعودية[٤٢]

- لم يكن ما يجرى فى منطقة الخليج من حشود عسكرية عراقية بعيدة عن أعين أجهزة المخابرات الأمريكية، خاصة وأن أهداف صدام بعيدة المدى كانت ماثلة أمام صانع القرار الأمريكى، والمتمثلة فى بسط سيطرته على أكثر من نصف احتياطى النفط العالمى إذا ما تمكن من غزو واحتلال المنطقة الشرقية فى السعودية، ولذلك كثفت الولايات المتحدة أنشطتها الاستطلاعية والمخابراتية - خاصة أقمار التجسس - لمتابعة أنشطة القوات العراقية بعد احتلالها للكويت. وقد توصل صانع القرار الأمريكى إلى خلاصات مفادها أن كثافة القوات العراقية التى تدفقت على الكويت تؤكد أنها مرحلة حشد لخدمة أهداف هجومية فى مرحلة قادمة داخل المنطقة الشرقية من السعودية، يؤكد هذا الاستنتاج سرعة تمركز هذه القوات على الحدود الكويتية-السعودية، واتخاذها أوضاعاً ابتدائية للهجوم وليس أوضاعاً دفاعية نهائية إذا ما كان الهدف السياسى-الاستراتيجى للحملة العراقية قاصراً على الكويت فقط، خاصة وأن أياً من الدول العربية أو دول العالم الأخرى المعنية بالمنطقة فى هذا الوقت لم تكن قد بلورت مواقفها بعد اتجاه الاجتياح العراقى للكويت، وبالتالى لم تحدث أى تحركات عسكرية من قبل أى دولة فى العالم لمواجهة هذا الغزو. كما أظهرت صور أقمار التجسس الأمريكية أن إحدى الفرق المدرعة العراقية التى اجتاحت الكويت كانت تتحرك فى اتجاه الحدود السعودية، وباقى الفرق تتخذ أوضاعاً خلفها بما يوحى أنها الاحتياطى التعبوى للعملية الهجومية المقبلة.

- ويذكر (بوب وودورد) فى كتابه "القادة" نقلاً عن الأمير بندر بن سلطان سفير السعودية فى واشنطن أنه وقعت ثلاث حوادث اجتياز حدود من قبل العراقيين الذين دخلوا خمسة أميال أو أكثر فى الأراضى السعودية، وقد قال رئيس هيئة الأركان العراقى للسعوديين فى كل مرة أن قواته أخطأت، وفى المرة الثالثة قطع الجانب العراقى الاتصال الذى كان قائماً مع السعودية عبر الخط الهاتفى الساخن، وبعد أن انسحب العراقيون نسفوا الجسر الذى استخدموه. ويمكن تفسير ذلك بأن صدام بنى خطته على اعتقاد ثابت لديه، أنه بسيطرته على منابع النفط فى كل من الكويت والمنطقة الشرقية من السعودية سيجبر الولايات المتحدة والمعسكر الغربى وبعض الدول الأخرى على التفاوض معه لاقتسام الغنائم، خشية من هذه القوى أن يتعرض احتياطى النفط الكثيف فى تلك المنطقة إلى التبديد، تحت ما تعمد تسريبه من أنباء عن امتلاكه لأنواع من أسلحة الدمار الشامل، وظناً منه أن الكثير من دول التحالف سوف تتجنب تعريض قواتها المسلحة لها إذا ما غزا المنطقة.

ك - سحب القوات العراقية من الجبهة الإيرانية لتوفيرها للاتجاه الخليجي [٤٣]

- بذل النظام الصدامى جهوداً مكثفة لتحييد الخطر الإيرانى منذ نشوب أزمة عدوانه على الكويت. فمنذ انتهاء الحرب مع إيران طرح العراق عديداً من المبادرات للإسراع بتسوية النزاع معها، إلا أن الجانب الإيرانى رفضها جميعاً باعتبار أنها لا تلبى الشروط الإيرانية. غير أن الأمر تغير برمته بعد أقل من أسبوعين من عدوان العراق على الكويت، حيث أعلن صدام حسين فجأة ودون مقدمات ما أسماه "مبادرة حسن النية" والتى تضمنت ثلاثة مبادئ رئيسية هى: إقرار العراق باتفاقية الجزائر لعام ١٩٧٥ ، وتنازل العراق عن حقوقه فى شط العرب، وانسحاب القوات العراقية من الأراضى الإيرانية من جانب واحد، وتبادل الأسرى بين الدولتين فوراً، مع توقيع معاهدة سلام بين الجانبين، وإعادة العلاقات بينهما، وفى ختام خطابه الذى ألقاه يوم ١٥ أغسطس ١٩٩٠ قال: "إنى أختم هذه الرسالة بشعار "الإخوان المسلمين" فأقول الله أكبر ولله الحمد" !!

- وكان من الواضح أن صدام يستهدف من ذلك تحييد القوة الإيرانية فى أى صراع عسكرى قادم فى المنطقة يمكن أن يجد نفسه متورطاً فيه، ودفع المزيد من القوات العراقية التى تم سحبها من الجبهة الإيرانية إلى ساحة المواجهة المحتملة فى الكويت، ولتحقيق طموحاته التوسعية فى المنطقة. كذلك إغراء إيران بتقديم ومد يد العون إلى العراق ضد الحصار العسكرى والبحرى المفروض عليه، والسماح بتفريغ شحنات الأغذية والمواد والأدوية على الأراضى الإيرانية، إلى جانب إمكانية تصدير النفط العراقى عبر الأراضى الإيرانية (زيارة طارق عزيز لطهران فى ١٩٩٠/٩/٩). إلا أن صدام حسين فشل فى تحقيق هذه الأهداف، فقد رد الرئيس الإيرانى هاشمى رافسنجانى على هذه المبادرة بأن السلام مع العراق قضية منفصلة تماماً عن قضية العدوان العراقى على الكويت، وقال: "إن استسلام صدام لا يعنى تغيير موقفنا من هذا العدوان". وأشار إلى أن بلاده مازالت متمسكة بموقفها وهو ضرورة انسحاب القوات العراقية من الكويت حتى يتوفر المناخ الملائم لإعادة السلام إلى المنطقة.

- وهكذا فى إجراء فردى مفاجئ تنازل العراق لإيران عن كل مطالبه بعد معركة طويلة ومريرة استمرت ثمانى سنوات وبلغت تكاليفها على العراق نحو ثلاثمائة مليار دولار إلى جانب تدمير منشآت اقتصادية واستراتيجية عراقية وإيرانية، فضلاً عن نحو مليون قتيل من الجانبين. بل إن الأدهى من ذلك أن صدام حسين بلغ به سوء التقدير وسفه التفكير حد اتخاذه قراراً بإرسال ١١٥ طائرة عراقية إلى إيران غالبيتها من المقاتلات الحديثة فى محاولة لإنقاذها من الضربات الجوية لقوات التحالف، فكانت النتيجة أن استولت عليها إيران، واعتبرتها جزءً من تعويضات حرب الثمانى سنوات!!

ل- محاولة خداع السعودية بإبرام معاهدة عدم اعتداء معها [٤٤]

- وفى إطار خطة الخداع التى وضعها صدام تأميناً لعدوانه المخطط مسبقاً على الكويت، وبهدف تحييد السعودية ومنعها من التدخل دفاعاً عن جارتها الكويت، سعى صدام حسين لتوقيع معاهدة عدم اعتداء مع السعودية، حيث طلب ذلك بإلحاح من الملك فهد أثناء زيارته الأخيرة لبغداد فى مارس ١٩٨٩، وهو ما أثار دهشة واستغراب عاهل السعودية، لأنه لا يوجد بين الدولتين أى نوع من العداوة أو الخلافات

التى تستدعى توقيع مثل هذه المعاهدة، خاصة وأن ما قدمته السعودية من مساعدات للعراق أثناء الحرب مع إيران - وهو ما اعترف به صدام أكثر من مرة - تؤكد أن العلاقات بين البلدين يسودها أكثر من مجرد الصداقة، ولا تستلزم بالتالى مثل هذه المعاهدة، إلا أن الملك فهد إزاء إصرار صدام حسين على توقيع المعاهدة، لم يسعه إلا أن يستجيب لطلبه، ولم يدرك مغزى هذا الطلب إلا بعد غزو صدام حسين للكويت، حيث أراد صدام أن يحقق هدفين: **الأول**: خداع السعودية عن نواياه العدوانية المستقبلية، و**الثانى**: ضمان تحييد السعودية عندما يغزو الكويت، وحتى لا تتخذ إجراءات احتياطية قد تعرقل المرحلة الثانية من خطته عندما سيفاجئها بالهجوم على المنطقة الشرقية، ويكون الطريق ممهداً لاجتياح بقية دول الخليج. ولكن الأمور لم تسر كما كان يشتهى ديكتاتور العراق وزمرته العسكرية الباغية.

م - صدام يوظف القمة العربية لخدمة أهدافه العدوانية (٤٥)

- وفى إطار خطة صدام لتهيئة المسرح الإقليمى - والعربى خاصة - لعدوانه المبيت على الكويت - واستثماراً من جانبه لروح التأييد الشعبى العربى التى نتجت عن تهديده الذى أطلقه فى إبريل ١٩٩٠ بحرق إسرائيل بالكيماوى المزدوج، وكان هذا التهديد جزءً من خطة الخداع التى استهدفت من ورائها تضليل الحكومات والشعوب العربية عن حقيقة عدوانه المبيت على الكويت بعد ثلاثة أشهر، فقد نجح بالفعل النظام الصدامى فى تنفيذ خطة خداعه هذه التى أثمرت عقد مؤتمرات عربية وإسلامية شعبية ونقابية فى بغداد مساندة للعراق فى المواجهة المزعومة مع إسرائيل، والتى انتهت بمؤتمر القمة العربية الذى عقد فى مايو ١٩٩٠، وكان الهدف المعلن للمؤتمر هو: **بحث هجرة اليهود السوفييت إلى إسرائيل**.

- إلا أن أهداف صدام من وراء هذه القمة كانت تختلف عن ذلك تماماً، يوضح ذلك اللواء السامرائى فى كتابه "حطام البوابة الشرقية" ص٢١٤ فيقول: "إن الفشل الذى منى به صدام فى كسب قمة الرباط لمنحه الصفة المعنوية فى الزعامة العربية، والإقرار بهيمنته الإقليمية الذين أرادهما مفتاحاً لجذب الاهتمام العالمى به شخصياً، لتكوين تيار صدامى يخلف الناصرية .. إن هذا الفشل يكف لإعطائه الإشارة، فعجل بدعوة القمة فى أواخر مايو ١٩٩٠، وكانت غاياتها تختلف عن أهداف وغايات المرحلة السابقة، ويمكن تلخيصها فى الآتى: اعتبارها وسيلة لاستكشاف آخر مواقف الأطراف العربية، وخلق تبريرات مسبقة لأعمال لاحقة (تتمثل فى غزو الكويت)، وتهيئة تضامن عربى مع سياسة صدام تجاه الولايات المتحدة، وبما يساعده على فتح حوار متكافئ يعزز من سلطته الشخصية، وجر وتوريط الزعماء العرب لتبنى مواقف متشددة تجاه الغرب، تساعده على المساومة من وراء الكواليس مع الغرب، وأخيراً الحصول على دعم مالى كبير من دول الخليج، مع إلغاء الديون السابقة والحصول على هبات جديدة.

- وقد أوضح السامرائى كيف كانت تجرى أعمال التجسس على وفود القمة، فيقول فى ص٢١٥: "لقد أجريت استعدادات غير مسبوقة فى بغداد .. حيث تم تجهيز كافة السيارات وأماكن إقامة الوفود بأجهزة المراقبة الصوتية، وتم تركيب وصلات للمراقبة الفيديوية لأجنحة الإقامة، وتشكلت لجنة مشتركة من الأمن الخاص والمخابرات والاستخبارات لتأسيس المتطلبات اللازمة، وتفريغ الأشرطة وتقديم محما،

يومى بالتفاصيل المهمة، وفى إجراء نادر الاستخدام جرى توقيع أعضاء الفريق المشترك على تعهد يبين أن من يفشى هذا السر سيواجه حكماً فورياً بالإعدام".

- وعندما القى صدام خطابه الافتتاحى، علت نبرة صوته فى مزايدة مكشوفة عن ضرورة عدم التراجع عن تحرير فلسطين، ولكن كان من الواضح أنه يستخدم هذه القضية كحصان طروادة، ورابطاً بين الدعم لها وللعراق بأسلوب واضح ومفضوح، خاصة عندما انعقدت الجلسة المغلقة، وعلى عكس ما كان متوقعاً أن يدلى صدام بمواقف جديدة حول الهجرة اليهودية السوفيتية لإسرائيل، والتى من المفروض أن القمة منعقدة لبحثها، أنه لم يتطرق إلى هذا الموضوع على الإطلاق، وإنما بدأ مباشرة فى مهاجمة دول الخليج، حيث اتهمها بإحداث إرباك فى أسواق النفط بزعم عدم التزامها بمقررات الأوبك مما أدى إلى إغراق السوق بالنفط وتدهور أسعاره، وتسبب بالتالى فى خسارة للعراق بلغت مليار دولار سنوياً. ثم أرجع ذلك إلى عدم وجود رؤية قومية للتعامل مع هذا الموضوع الاقتصادى والاستراتيجى، ثم ختم خطابه بكلمات ذات مغزى وتنم عن نواياه العدوانية عندما قال: "النقل أن الحرب تحل أحياناً بالجنود، ويحصل الإيذاء بالتفجيرات، وبالقتل، وبمحاولات الانقلاب، وأحياناً أخرى بالاقتصاد .. لذلك أقول لإخواننا الذين لا يقصدون شن الحرب على العراق، أقول أن هذا نوع من الحرب على العراق". وهنا سيطرت لحظة صمت وذهول على القائمة، فبينما كان الرئيس مبارك يكظم غيظه فى محاولة لعدم الانفجار، كانت ملامح الملك فهد تنم عن استياء شديد.

- وقد لاحظ الكثيرون ممن حضروا قمة بغداد أن صدام كان يتصرف وكأنه السيد، ويخاطب الزعماء العرب وكأنهم مرؤوسين له!! كان متعالياً وشاعراً بالتفوق الكاذب، وكان واضحاً أنه لا يعد هؤلاء الزعماء المجتمعين أنداداً له. يقول الأمير الفريق أو ركن خالد بن سلطان فى هذا الصدد فى كتابه (مقاتل فى الصحراء) ص ١٩٣: "قفزت إلى ذهنى صورته (أى صدام) حين زار جدة بعد استيلاء الإيرانيين على شبه جزيرة الفاو فى الطرف الجنوبى من العراق فى فبراير ١٩٨٦، وهى خطوة استراتيجية كانت تنذر باحتلال البصرة. بدأ صدام فى ذلك اليوم وهو يسير إلى جانب الملك فهد مطأطئ الرأس، مقوس الكتفين، كسير النفس، جاء يلتمس المزيد من المساعدات. لكن مظهره المتغطرس فى مؤتمر قمة ١٩٩٠، نمَّ عن حقيقة شعوره، كان مفعماً بالحقد والخيلاء والتصميم على الانتقام، ويعانى إحساساً عميقاً بالظلم، ويعد عدته بلا شك كى يأخذ بالقوة ما يعده حقاً من حقوقه المشروعة. ومع أنه لم يكن فى استطاعة أحد التنبؤ بما سيقدم عليه فى المستقبل، إلا أن سلوكه وتصرفاته فى ذلك كانا مدعاة للحذر والقلق، حتى أصبحا محور حديثنا. وقد سببت لنا بالفعل كثيراً من القلق آنذاك، وفى المملكة بدأت مخاوفنا وشكوكنا فى نوايا صدام تتبلور منذ انعقاد تلك القمة". ويضيف الأمير خالد قائلاً: "من الواضح أن صدام أراد أن تكون تلك القمة تأكيداً لسيادته الإقليمية".

ن - التجسس على دولة البحرين (٤٦)

- وفى موقع آخر من كتاب (حطام البوابة الشرقية) يكشف السامرائى عن أعمال التجسس التى كان يمارسها النظام الصدامى بطرق غير مشروعة ضد دول الخليج العربية، والتى تتنافى مع أبسط حقوق حسن الجوار. فيقول فى شأن التجسس على البحرين قبل غزو العراق للكويت، وفى مجال مناقشة

موضوع التوازن العسكرى بين قوات التحالف والقوات العراقية: "وطبقاً للمعلومات المستقاة من مصدر بشرى موثوق عمل قريباً من غرفة عمليات القيادة العامة لدولة البحرين، تم استكمال أعداد وأنواع وأماكن انتشار الطائرات المقاتلة فى قاعدة الشيخ عيسى الجوية، وطلبت رئاسة الجمهورية توجيه ضربة صاروخية ثلاثية على القاعدة". ثم يضيف المؤلف: "لم تكن هناك مشكلة فى المعلومات، فقد عمل أحد ضباط الاستخبارات برتبة عميد بسفارتنا هناك بغطاء مدنى، وتولى إدارة التجسس على أوضاع البحرين إضافة إلى نشاطه تجاه إيران". وقد تم بالفعل إطلاق الصواريخ الثلاثة على القاعدة، إلا أنها وكما هو متوقع أخطأت أهدافها ولم تحقق نتيجة تذكر.

س - صدام يتنبأ بأن تكون اليمن مجاورة للعراق (٤٧)

- ومما يؤكد صحة الاستنتاجات الخاصة بالأطماع التوسعية للنظام العراقى فى منطقة الخليج، ويزيد من التيقن أن غزو الكويت لم يكن سوى مرحلة أولى من مراحل أخرى تالية لاحتلال دول أخرى فى المنطقة، ما تشير إليه بعض الوثائق التى أمكن الحصول عليها بعد هروب القوات العراقية مندحرة ومهزومة من الكويت مخلفة وراءها كميات هائلة من الوثائق التى تكشف عن النوايا العدوانية للنظام الصدامى تجاه دول الخليج العربية. وتشير إحدى هذه الوثائق إلى أنه فى اجتماع عقد بعد ظهر يوم الاثنين ١٤ يناير ١٩٩١ (أى قبل انتهاء الإنذار الموجه إلى العراق للانسحاب من الكويت بيوم واحد) بين صدام حسين وبعض القادة اليمنيين، حيث قال صدام لرئيس الوفد اليمنى: "ممكن تحويل اليمن إلى جوار العراق" !!

- إن هذه العبارة التى قالها صدام فى اجتماع رسمى لا تحتمل أكثر من تفسير، فهى تنطق بما كان يجول فى ذهنه وما كان يُعد له من خطط أفشلها الموقف العربى والدولى المناهض لأهدافه العدوانية والتوسعية. حيث يشير واقع الأمر أنه لولا هذا الموقف الحاسم والصارم من قبل المجتمع الدولى، لمضى صدام فى مخططاته بعد احتلاله للكويت لبسط هيمنته على المنطقة، ولتغيرت خريطة المنطقة. ويستدل على ذلك من السلوك العراقى بعد الغزو والاحتلال، لقد كان هذا السلوك يعبر عن محاولة للإفلات بالغنيمة الأولى وهى الكويت تمهيداً لغنائم أخرى إذا تقاعس المجتمع الدولى فى مواجهته، ولمغامرات جديدة فى المنطقة تتم حسب ما تسفر عنه الأحداث والتحركات العربية والدولية فى قضية الكويت المحتلة، فإذا تبين أن المجتمع الدولى اكتفى بالتنديد بما حدث للكويت، سار صدام فى غيه وفى تنفيذ مخططه التوسعى، ومن أجل ذلك أسرع النظام الصدامى بشكل مذهل فى محاولة ترسيخ الأمر الواقع بالإسراع فى خطوات ضم الكويت والقضاء على هويتها الدولية المستقلة اعتقاداً من رئيس النظام العراقى بقبول المجتمع الدولى للأمر الواقع.

ع - ماذا تعنى اتهامات العراق للإمارات بالأضرار بالاقتصاد العراقى ؟! (٤٨)

- عندما فجَّر النظام الصدامى مشكلته مع الكويت فى يوليو ١٩٩٠ بالمذكرة التى قدمها إلى الأمين العام للجامعة العربية، لم يكن الاتهام فيها موجهاً للكويت فحسب بالتآمر على الاقتصاد العراقى والإضرار به، وإقامة منشآت نفطية وعسكرية فى الأراضى العراقية وغير ذلك من المزاعم الباطلة، ولكن ما أثار

الدهشة ودعا إلى الريبة والشك معاً، أن هذه المذكرة أشركت دولة الإمارات العربية المتحدة فى الاتهامات الموجهة للكويت بأنهما ساهما معاً فى عملية مدبرة لإغراق السوق النفطية بمزيد من الإنتاج خارج حصتها المقررة بالأوبك، الأمر الذى أدى - كما تزعم المذكرة العراقية - إلى تدهور سعر برميل النفط، مما أصاب العراق بخسارة بلغت فى الفترة ما بين ١٩٨١-١٩٩٠ ما يقرب من ٨٩ مليار دولار، ومن أجل ذلك طالب العراق بإلغاء الديون المستحقة عليه، ووضع خطة عربية لتعويض العراق عن خسائره فى الحرب العراقية-الإيرانية. ولم يكن من الصعب على أى محلل أن يستنتج النوايا العدوانية للنظام الصدامى ضد الكويت والإمارات من اللهجة العدائية التى اتسمت بها المذكرة العراقية.

- وفى الواقع أن هذه اللهجة العدائية فى الخطاب الصدامى العام لم تقتصر فقط على الكويت والإمارات، بل لقد كان صدام يحرص فى كل لقاءاته مع المسئولين والقادة العرب والأجانب وفى خطبة على اتهام باقى دول الخليج أيضا بالتآمر على العراق، وأنهما يقودان معسكر العدوان ضد الشعب العراقى.

- والسؤال الذى يطرح نفسه فى هذا المجال هو: لماذا أشرك العراق دولة الإمارات فى هذه القضية ووجه الاتهامات لها؟ ولماذا اتهمها بالتآمر على اقتصاده رغم عدم وجود قضايا مشتركة بين العراق والإمارات، خاصة وأن جميع التقارير الاقتصادية ونشرات النفط العربية والدولية لم تشر إلى زيادة فى إنتاج النفط لدولة الإمارات؟ ومن المثير للاستغراب أنه إذا كانت الإمارات قد زادت إنتاجها النفطى مما أدى إلى انخفاض أسعار النفط خلال تسع سنوات كما تزعم بذلك المذكرة العراقية، فأين كان العراق طوال هذه الفترة؟ ولماذا لم تتم إثارة هذا الموضوع فى العديد من الاجتماعات التى عقدتها منظمة أوبك؟ والأكثر من ذلك أن انخفاض أسعار النفط لا تتضرر منه العراق فقط، وإنما كذلك باقى دول الخليج العربية بما فيها الكويت والإمارات.

ف - التجسس على سلطنة عمان [(٤٩)]

- لم تكن هذه النوايا الشريرة التى يبيتها النظام العراقى نحو الدول الخليجية وليدة الأحداث التى افتعلها النظام العراقى فى الشهور القليلة التى سبقت الاجتياح العراقى للكويت فى أغسطس ١٩٩٠، بل حصاد سنوات طويلة من تخطيط النظام العراقى للتجسس على هذه الدول، ومعرفة كل صغيرة وكبيرة عنها، بواسطة عناصر المخابرات المنتشرة فى السفارات العراقية وتبث عيونها فى جميع أجهزة ومؤسسات دول الخليج، وترسل تقاريرها إلى بغداد عن تطور الأوضاع الداخلية فى هذه الدولة وكذا علاقاتها الخارجية. وقد لوحظ فى هذه التقارير أنها تصور الدول الخليجية بالصورة المعادية للعراق، وأن ما تقوم به من أنشطة داخلية وخارجية هو نتاج تسليم لمخططات دول أجنبية معادية للعراق.

- وحقيقة الأمر أن دول الخليج العربية كانت تعطى الأمان لتلك السفارات، وتعتبرها سفارة دولة صديقة وشقيقة، وبالتالى تسهل لها كل مطالبها أياً كانت. إذ لم يدور بخلد أحد من المسئولين فى تلك الدول أن النظام العراقى يبيت الشر للجميع ولا يستثنى أحداً من عملياته الاستخبارية المنافية لكل المبادئ الأخلاقية والأعراف الدبلوماسية، والمناقضة لعلاقات الأخوة وحسن الجوار التى كانت جميع هذه الدول تفترض مراعاة النظام العراقى لها.

- ومن الأدلة الدامغة على تلك النيات الشريرة، ذلك المسلك الشائن تجاه دولة خليجية بعيدة عن العراق، هى سلطنة عمان والمتمثل فى التقرير السياسى والاقتصادى لسفارة العراق لدى سلطنة عمان لعام ١٩٧٨، وهو موجه من وزارة الخارجية العراقية إلى رئاسة الجمهورية ومجلس قيادة الثورة وأجهزة الاستخبارات العراقية، وجهات أخرى عراقية ذات علاقة بالموضوع، ليس ذلك فحسب بل تم إرسال نسخة منه إلى السفارات العراقية فى باقى دول الخليج مما يؤكد تكامل ووحدة شبكة التجسس فى جميع دول الخليج من حيث الأهداف والمخططات والممارسات ونتائج الأعمال المخابراتية، وأنها تعمل كمنظومة متكاملة تتبادل المعلومات فيما بينها كى تضعها فى خدمة صانع القرار العراقى.

- فقد تضمن التقرير المشار إليه عن سلطنة عمان معلومات مفصلة عن حجم وأوضاع القوات المسلحة العمانية، وخطة تطويرها تسليحاً وتنظيماً على المستويين الكمى والنوعى، وأنها خاضعة لضباط أجانب يتولون قيادتها، كما تضمن التقرير أيضاً معلومات عن الإعلام العمانى، والوجود الثقافى الأجنبى فى عمان، وأن أجهزة الإعلام والثقافة العمانية خاضعة للنفوذ الأجنبى ويوظفه لخدمة مصالحه، وأنها ذات هوية رجعية متخلفة مرتبطة بالإمبريالية، كما يدين التقرير السياسة الخارجية لسلطنة عمان، ويتهمها بالخضوع للنفوذ البريطانى، وتدور فى فلك القوى الاستعمارية.

- ويمضى التقرير فى هذا النمط المعادى فى تتبع كل أوجه النشاط فى عمان مشوهاً كل تحركاتها الداخلية والخارجية ومفسراً لها على هواه. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فيمضى أبعد من ذلك مقدماً مقترحات وتوصيات تدعو إلى التوسع فى الوجود العراقى فى سلطنة عمان فى مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإعلامية، ومن ذلك حث الجهات العراقية المختصة على إغراق السوق العمانية بالسلع العراقية، ومد خطوط المواصلات البرية والبحرية والجوية إلى السلطنة، وتكثيف حركتها، والاهتمام بدعوة العمانيين وبخاصة الشخصيات المسئولة والفعاليات الاقتصادية والاجتماعية فى شتى المناسبات لزيارة العراق بهدف احتوائهم والوقوف منهم بطريق مباشر أو غير مباشر على ما لديهم من إمكانيات وما ينتمون إليه أو يخططون له، مع التوصية بفتح فرع لبنك الرافدين فى السلطنة كى يكون هذا الفرع بؤرة أخرى من بؤر التآمر واستدراج العملاء وتمويل النشاط الإستخباراتى تحت غطاء التعاملات المصرفية والاهتمام بالسيطرة على القطاع التعليمى عن طريق تزويد عمان بالمعلمين وافتتاح مدارس عراقية فى بعض مناطق السلطنة. هذا فضلاً عن تصدير وسائط الإعلام العراقية من الأفلام والتمثيليات والأغانى، وإقامة نشاطات ثقافية مشتركة على أن تكون هذه النشاطات بعيدة عن الصبغة السياسية حتى يسهل انتشارها وتقبلها، وعدم تنبه السلطات العمانية إلى مراميها البعيدة.

- ويواكب ذلك النشاط زحف آخر فى الميدان الرياضى بتبادل الزيارات للفرق الرياضية، وتكثيف الوجود العراقى فى المجال الرياضى بالسلطنة، وبذلك لم يوفروا أى مجال من المجالات الحيوية فى السلطنة إلا وأوصوا باختراقه، ومحاولة السيطرة عليه بواسطة عملائهم تحت دعوى التعاون الثنائى وتبادل الخبرة .. الخ تلك المقولات العراقية الكاذبة.

- ويصدق ذلك التقرير أن العراق ما زال يدفع بأعداد كبيرة من عملائه فى صورة أساتذة وأطباء فى كل التخصصات، وقد لوحظ فى السنوات الأخيرة الانتشار الكبير للوجود العراقى فى دول الخليج العربية، فبعض مسئولى الإدارات الحكومية والشركات الخاصة، ومقدمى البرامج التلفزيونية والإذاعية هم عراقيون، وكثير من هؤلاء ليسوا بعيدين عن أن يكونوا فى خدمة الأهداف التى ترمى إليها الخطط الاستخبارية العراقية.

ص - مستحقات من أيدوا العدوان العراقى على الكويت (٥٠)

- ينبغى الاعتراف بأن النظام الصدامى نجح تماما فى خداع العالم، وخاصة المنطقة العربية، وفى تضليل الجميع عن نيته وعزمه المبيت على غزو الكويت وما وراءها فى منطقة الخليج. وأنه أعد لذلك منذ فترة طويلة. فحجم القوات العراقية المستخدمة فى الغزو، والطريقة التى تم بها تدل على تخطيط طويل الأمد، واستعداد وتدريب يصعب تصديق أنه تولد نتيجة تصاعد الأزمة التى نشبت فى منتصف يوليو ١٩٩٠. وأن قرار القيادة الصدامية بغزو الكويت كان مدفوعاً بأزمته الاقتصادية وشعوره بقوته العسكرية بعد توقف الحرب مع إيران وطموحات النظام الصدامى فى بسط هيمنته وسيطرته على منطقة الخليج والشرق الأوسط، ثم بعد القرار جاءت التفاصيل التى تمهد وتبرر وتؤمن تنفيذ هذا القرار. فقد كان مطلوباً تحييد مصر، وعزل سوريا، واجتذاب الأردن واليمن، فكان مجلس التعاون العربى. وفى هذا يقول د. عبد المنعم سعيد مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام: "لقد ظن العالم أن ذلك تحول جوهرى فى طبيعة النظام نحو استبعاد الأساليب الراديكالية العنيفة فى تحقيق الوحدة العربية، والتحول نحو بناء نظام عربى يقوم على التنمية التدريجية للمصالح المشتركة، بعدها تتالت الأزمات مع الأطراف الخارجية .. ثم كان مؤتمر القمة العربى فى بغداد لدعم العراق فى مواجهة التهديدات. ولكن المؤتمر نفسه - بالنسبة للعراق - كان شيئاً آخر، فقد طرح الرئيس العراقى خلافاً شديداً مع الكويت حول حصص النفط وإنتاجها، وهى مسألة بدت ساعتها مستغربة، فالعراق ليس معروفاً بالتزامه الشديد بحصص الإنتاج، كما أن دواعى أخرى كانت سبب الدعوة إلى المؤتمر ولكننا الآن نستطيع أن نفهم أن العراق كان يستهدف وضع سابقة سياسية مؤداها أن العراق حاولت بالطرق السلمية ولكن مسعاها لم ينجح. كما سعت العراق إلى تأمين جبهتها مع إيران عن طريق خلق تفاهم بين الجانبين اتضحت معالمه فيما بعد بالرضوخ لاتفاقية الجزائر، كل ذلك يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن العراق كان يخطط لجريمته منذ فترة طويلة، وأنها جاءت مع سبق الإصرار والترصد وليست نتيجة للأزمة المفتعلة".

- إذن فكرة اجتياح الكويت كانت مختمرة فى ذهن صدام حسين، ومن ثم فإن الاستنتاج الذى توصل إليه الرئيس مبارك من أن ملف اجتياح الكويت كان معداً ومهيئاً على طاولة صدام حسين قبل أن يقع ببضعة أشهر، هو استنتاج صحيح، ولكن ماذا عن الشق الثانى من استنتاجات الرئيس مبارك، وهو أن بعض المسئولين العرب كانوا على علم بما قرر صدام، وأنهم شجعوه على ذلك، وراحوا ينتظرون حصصهم من المستحقات المترتبة على ضم الكويت للعراق؟ هذا الواقع يضعنا مرة أخرى أمام مشكلة الدور الذى يمارسه بعض المسئولين العرب فى اللعب على حبال الصراعات الجانبية والفتن وإثارتها، بغية

تحقيق مصالح ذاتية على حساب المصالح القومية، وحتى على حساب المصالح الوطنية على المستوى القطرى. ولكى يكون صدام قد أطلع هؤلاء على قراره، فإن ذلك منطقى فى ضوء العديد من الشواهد التى برزت إبان الأزمة وبعدها، فقد اعترف بذلك ملك الأردن الراحل (حسين)، وأنه كان على علم بالغزو قبل وقوعه، وكما ذكر صدام لنائب الرئيس اليمنى سالم البيض أن الرئيس على عبد الله صالح كان على علم بكل شئ قبل أن يبدأ الغزو. أما المستحقات التى وعد بها صدام مؤيدوه من الزعماء العرب، فقد كشفت عنها الكثير من الإصدارات التى واكبت الغزو العراقى للكويت وبعد تحريرها .. فبجانب المستحقات المادية التى قدمها صدام لهؤلاء المؤيدين، فقد تمثلت المستحقات السياسية التى وعد بها الملك حسين فى استقطاع منطقة الحجاز من السعودية وتتويجه عليها (لذلك لم يكن غريباً أن يطلق الملك حسين لحيته، ويطالب بأن يقال له الشريف حسين بدلاً من الملك حسين) كما وعد صدام رئيس اليمن على عبد الله صالح بضم جيزان ونجران من جنوب السعودية إلى اليمن، كذلك وعد رئيس السودان بدعم حربه فى جنوب السودان، ووعد كذلك ميشيل عون بتمكينه من حكم لبنان، أما رئيس تونس فقد وعده بجعل مقر الجامعة العربية الدائم فى تونس بدلاً من القاهرة. وفى خطاب شخصى وسرى تلقاه صدام حسين من الملك حسين فى ٢٢ سبتمبر ١٩٩٠ يقول الملك بالحرف الواحد - والنقل هنا عن الوثيقة الرسمية للقصر الملكى الأردنى- : "لقد وقفت معك يا أخى بكل صدق وأمانة وإخلاص، كما لم أقف مع أحد من العرب، لما وجدته فيك من نبل وأصالة وعروبة صافية ورجولة حقه، وأنا واثق من إدراكك لذلك" !! [٥١]

ق- صدام بين الأقوال والأفعال

- قبل أن نتحدث عن الخطيئة الكبرى التى ارتكبها النظام الصدامى فى حق الكويت دولة وشعباً، وهى جريمة بكل المقاييس لا يمكن أن تغتفر لهذا النظام الجبان، لأنها تمثل طعنة خسيسة فى ظهر الكويت التى قدمت كل ما فى إمكاناتها وخارج إمكاناتها من أجل نجدة العراق فى شدته إبان حرب الثمانى سنوات، فكان جزاءها هو جزاء (سنمار) على النحو الذى وقع فى الثانى من أغسطس ١٩٩٠، قبل أن نتطرق للحديث عن هذه الخطيئة، ينبغى لنا أن نتوقف أمام موضوع مهم يكشف أبعاد الخداع والتضليل فى الخطاب الصدامى، ومدى التناقض الواضح بين أقواله وأفعاله. ذلك لأنه عندما اعتدى صدام على الكويت واحتلتها قواته وأعلن بنفسه ضمها للعراق، حبس العالم أنفاسه من هول ما جرى، حتى أن قادة العالم على تباينهم واختلاف انتماءاتهم اضطربت أفكارهم فى الساعات الأولى، ولم يستطيعوا فهمه أو تفسيره، ولم يكن ذلك إلا بسبب مناقضة هذا الفعل من جانب صدام مع كل ما سبق أن كان يردده من أقوال، وهى واردة ومسجلة فى خطبه وتصريحاته وكتاباته ونشراته ومؤتمراته التى كان الإعلام العراقى يحرص على نشرها بكثافة على المستوى العالمى، وبها يُجرِّم صدام نفسه على عدوانه، وذلك قبل أن يقع.

- فقد جاء فى أقوال صدام القاطعة بما لا يقبل أى شك فيها ضرورة حل مشاكل العرب بالطرق الودية والتفاوض، وأن القتال بين العرب أمر لا يقره هو شخصياً فضلاً عن عدم وجود أى أسباب تبرره لا فى الماضى ولا فى الحاضر ولا حتى فى المستقبل، وأن هذا لو حدث فهو نذير بتدخل أجنبى قد يؤثر على

استقلال وسلامة بلاد العرب. وفى مناسبات مختلفة كان يقول: "ينبغى أن نلين جانبنا لإخواننا العرب"، كما أكد فى مواضع عديدة قدسية دول الجوار (كالكويت التى اجتاحتها قواته والسعودية التى هددها)، واعتبر الاعتداء على هذا الجوار ضرباً من نكران المبادئ وإفساد للمستقبل وقد يصعب أو يستحيل حلها. وسنبين فى بعض النماذج التى سنوردها كيف أن (صدام الكلام) شئ يختلف تماماً عن (صدام الأفعال)، وكيف ينتقل صدام وبسرعة من حالة إلى نقيضها، ومن النقيض إلى نقيض النقيض.

١- صدام يدعو إلى الأخوة العربية والتفاعل فيما بين الأقطار العربية

- فلقد أسهب صدام كثيراً فى الحديث عن علاقة العراق بالأقطار العربية، والتى كان يطلق عليهم (الأشقاء العرب)، وكيف يجب أن تكون، ولماذا ينبغى أن تكون مميزة، كما يحدد الأسلوب الأمثل لمعالجة الخلافات العربية، فيقول: "إن علاقة العراق بأشقائه العرب يجب أن تكون علاقة تفاعل وأخوة وتعاون، إذا كان (يقصد العراق) فعلاً جاداً فى أن يحترم الأمة العربية، وليس مجرد أن نرفع الشعارات على الطريقة المعروفة .. وإنما نريد أن نخدم الأمة العربية بعقل وهدوء وبتصرف حكيم وعقلانى". ثم يشرح صدام كيفية تحقيق ذلك فيقول: "يجب أن يحاول العراق باستمرار أن يمد جسور عمل مشترك وفعلاً مشتركاً، وتفاعلاً حقيقياً وأخوياً مع الأقطار العربية". ويعتبر صدام أن هذا التعاون المشترك، ومبدأ إقامة علاقات حسنة من الأمور التى تفرحه والتى يعتبرها من صميم مبادئه ومنهجه الذى يسير عليه، فيقول: "نحن كما قلنا مع أية علاقات جيدة بين العرب، ومنهجنا هو أننا نفرح عندما يلتقى عدد من الأشقاء العرب معاً ويكونون أرضية من الثقة المشتركة لعمل مشترك." ثم يصف صدام العلاقة بين الأقطار العربية بأنها علاقة بناء وليست علاقة استعمارية، لأن الأمة العربية كما يقول: "تختلف عن بقية الأمم التى عندما امتدت خارج حدودها السياسية كانت تقيم علاقاتها على أساس استعمارى، فى حين أن الأمة العربية كانت تقيم علاقاتها على أسس البناء".

٢- سياسة صدام المعلنة عدم التدخل فى شئون العرب

- ألقى صدام خطاباً فى مكة المكرمة أثناء انعقاد مؤتمر القمة الثالث لمنظمة المؤتمر الإسلامى فى عام ١٩٨١، أوضح فيه سياسة العراق الخارجية تجاه الدول الأخرى العربية وغير العربية بشكل عام، قال فيه: "منذ ثورة ٢٧ تموز عام ١٩٦٨ كان العراق وسيبقى من أشد المتمسكين بسياسة عدم الانحياز القائمة على عدم التدخل فى الشئون الداخلية، واحترام السيادة الوطنية لجميع الدول، والحرص على السلام والأمن فى العالم".

٣- المحافظة على استقلال جميع الدول العربية

- أكد صدام فى العديد من خطبه أن سياسة العراق هى المحافظة على استقلال وسيادة كل دولة عربية، وحرمة المساس بأرضها مهما كانت المبررات، فيقول: "... وبجانب ذلك، فإن سياستنا الخارجية لا تسمح مطلقاً بالتساهل بأى شكل من الأشكال فيما يخص استقلال العراق والبلاد العربية وسيادتها

وحرمة أراضيها من قبل أى دولة كانت وتحت أى ذريعة وغطاء"، ثم يضيف: "ويصدق هذا بشكل خاص على الدول المتجاورة، إذ يفرض عليها الواقع الجغرافى التمسك بسياسة حسن الجوار، وعدم التدخل فى الشئون الداخلية". ويبرر صدام سياسته فى الحرص على احترام سيادة كل دولة بأن ذلك "انطلاقاً من مبادئ سياستنا الخارجية، من حاجة عميقة لها، ومن تجربة وطنية وقومية طويلة بهذا الاتجاه". ثم يعترف صراحة فإن أى خلل فى هذه السياسة سيؤدى إلى ظهور التوتر والأزمات، فيقول: "وللحيلولة دون حصول هذه الظاهرة التى كثيراً ما أدت إلى التوتر والأزمات ينبغى إرساء التعاون الدولى على قواعد تستهدف تحقيق المصالح المشتركة، ضمن أطر احترام السيادة وعدم التدخل فى الشئون الداخلية، ويصدق هذا بشكل خاص على الدول المتجاورة".

٤- صدام يعتبر الاختلاف فى وجهات النظر حالة صحية

- اعتبر صدام أن وجود اختلاف فى وجهات النظر بين الأقطار العربية (ظاهرة صحية) وأمراً طبيعياً لا يخرج عن كونه اختلافات فى الآراء قد تحدث بين عناصر القيادة الواحدة فى البلد الواحد، وأرجع هذه الخلافات إلى التعددية السياسية فى العالم العربى، وإلى الاختلاف فى العقائد السياسية، وهامشية المزاج الشخصى الموجود لدى كل إنسان وأى حاكم فى العالم، ولكنه يؤكد على أن هذه الخلافات ينبغى ألا تكون مدعاة لنشوب النزاعات والصراعات العربية-العربية، فيقول: "من الطبيعى أن تحصل خلافات دائماً فى وجهات النظر حتى داخل القيادة الواحدة .. ولا يعتبر ذلك خيانة ولا تقصيراً يقتضى المحاكمة والتنافر والابتعاد، فلماذا لا نفترض أنه يمكن أن نختلف فى وجهات النظر ونحن أقطار ودول كعرب؟".

٥- صدام يدعو إلى عدم تحميل الشقيق فوق طاقته، والابتعاد عن النفاق السياسى

- أسهب صدام فى طرح حلول عملية للقضاء على الخلافات العربية، فيقول واعظاً العرب: "ينبغى أن نقرر عوامل التلاقى وتقويتها ونضيف إليها، ويبقى الحوار قائماً وأخوياً لاختصار عوامل الاختلاف أو ما يتخلف عنه .. وألا نحولها إلى سياسات تأكل من حصة عناصر التلاقى". ثم يفسر لنا كيفية تحقيق ذلك، فيقول: "نتعاون فى شئون الحياة فى كل النقاط التى يجرى التلاقى عندها فى الميدان الاقتصادى أو ميادين العلم والتكنولوجيا، والميادين الأخرى الكثيرة"، ثم يطالب بالموضوعية فى التعامل مع الخلافات وعدم طلب شئ فوق الطاقة، فيقول: "يجب ألا نطالب أى شقيق بأى شئ فوق طاقته إذا كنا نريد تعاوناً حقيقياً، لأن الطلب فوق الطاقة بالموصوف الأخلاقى أولاً غير جائز لأننا عرب، ولا يجوز أن يطلب الأخ من أخيه فوق طاقته فيحرجه لكى يبدو أمامه ضعيفاً!! ثم يطالب بإلغاء النفاق السياسى، فيقول: "اليس المهم أن نخرج على شاشة التلفزيون عند عقد مؤتمر جماعى ونقول أننا اتفقنا، وبعد أن نخرج من الاجتماع يعمل كل واحد منا بطريقة أخرى، فهذا لا يجوز"، ثم يطالب صدام بضرورة توفير الثقة فى التعامل بين الأشقاء وحل الخلافات عن طريق (سماعة التليفون)، ثم يحذر من فقدان الثقة بالشكل الذى يؤذى الأمة العربية (وهو بالضبط على عكس ما فعل عقب مؤتمر جدة الذى سّبق عدوانه

على الكويت بساعات). ويرى صدام ضرورة توفير المرونة فى التعامل مع الخلافات القائمة بين الأشقاء العرب، فيقول: "إن هامش التسامح والمرونة بين العراق مثلاً وسويسرا أعلى من هامش التسامح والمرونة فى التعامل بين العراق وسوريا"، ثم يقدم كعادته نصيحة أخوية تدعو إلى تسبيق التسامح فيما بين الدول العربية على التسامح مع الدول الأخرى، فيقول: "مطلوب منا إخوانى من كل حاكم عربى ابتداءً من صدام حسين أن يسأل نفسه المرونة التى يعطيها للفرنسيين (على سبيل المثال)، أليس من الأفضل إعطاءها للعرب .. إن ذلك يضيف لنا عنصر قوة".

٦- صدام يدعو إلى نبذ خيار الحرب لحل المنازعات بين العرب

- دعا صدام إلى عدم اللجوء إلى استخدام السلاح، حينما يمكن حل المنازعات والخلافات بين الأشقاء مهما كانت المبررات وتحت أى ذريعة أو غطاء. وقد طرح صدام ذلك يوم ١٩٨٠/٢/٨ على شكل صيغة إعلان قومى تضمن ميثاقاً ينظم العلاقات بين الدول العربية، ولا يجيز لأى دولة أن تحل نزاعاتها مع دولة أخرى باستخدام القوة المسلحة، وفى ذلك يقول: "إن مبادئ الإعلان القومى فى غاية التبسيط، إنها دعوة لكيلا يقتل أحد الآخر، ويكرس بدلاً من ذلك جهده لقضية أخرى .. إن الإسلام لا يأمر بالفرقة والتناحر، ولا يجوز نقض العهود وخرق المواثيق ولا يرضى بهضم حقوق الآخرين، ولا يقر تأجيج الصراعات والعداوات واستخدام القوة والعنف ضد المسلمين بلا مسوغ مشروع، إن شق صفوف المسلمين وتفريق كلمتهم ليس من الإسلام فى شئ .. إن الدين الإسلامى الحنيف يأمرنا بالمعروف لا بالإساءة، وأن نعطى كل ذى حق حقه، وألا يعتدى أحدنا على الآخر .. يأمرنا أن نصون الجار ونحترم حقوقه ونساعده، لا أن نغتصب أراضيه ونسفك دماء أبنائه بالباطل"، ثم يمضى صدام فى حديثه إلى أبعد من هذا بكثير حينما يعلن أنه لا يوجد قانون فى هذه الحياة يجيز هذا العمل الذى يترتب عليه احتلال أراضى بالقوة، وفى ذلك يقول: "ليس من قوانين الحياة فى عصرنا اليوم أن يبتلع قطراً أقطاراً مجاورة، وليس من قوانين الإسلام أن يتجاوز المسلم المسلمين بهذه الكيفية التى يحلم بها، وليس من قوانين الإنسانية أن يستعبد أحد الآخرين، ويضعهم تحت سيفه كما يقول المثل الشعبى"!!

٧- صدام يعلن أن العراق لا يستقوى على أخوته

- يرى صدام أن استخدام السلاح فى حل الخلافات ين الأشقاء العرب مخالف لمبادئ وسياسة العراق فى علاقاته بهؤلاء الأشقاء، كما أنه مخالف لميثاق العراق القومى الذى أعلن فى عام ١٩٨١، والذى نص على "ألا يقتل أحد الآخر". ويعتبر صدام أن الحل العسكرى يؤدى إلى إراقة دماء العرب مما يعقد المشكلة لوقت طويل، وفى ذلك يقول: "ماذا لو دخل الجيش العراقى سوريا واحترب مع الجيش السورى، هل كان بالإمكان أن نصل إلى ما توصلنا إليه الآن فى علاقاتنا مع الأشقاء فى سوريا، كانت أنهار الدماء تسيل من أبناء العراق وسوريا، وستكون محيطاً أطلسياً بين البلدين يمنعهما من أن يلتقيا فى وقت قصير على طريق الوحدة وعلى طريق خدمة الأمة العربية"!!

٨- صدام يعلن أن الجيش العراقى لخدمة العرب وليس لاحتلالهم

وفى ذلك يقول: "إن الجيش العراقى مصمم على أساس استخدامه لأغراض الأمة على نفس الأسس التى أشرنا إليها، ليس بطريقة أن يحتل أياً من الأقطار العربية، وإنما فى الطريق الذى تجعله فى خدمة العرب أينما يطلب، فى خدمة العرب ضد الأجنبى مهما كان لونه". وفى حديثه حول مبدأ عدم جواز استخدام السلاح، يقول صدام: "إن ذلك من أجل الحيلولة دون أن تنصرف أى دولة عربية عن المهمة الكبرى التى أمامنا وهى مواجهة الكيان الصهيونى".

٩- صدام يدعو إلى إبعاد المنطقة عن أى تناحر ثنائى بين العرب يتيح الفرصة لتدخل أجنبى

- ويستمر صدام فى شرحه للنتائج الخطيرة التى يخلقها اللجوء إلى العمل العسكرى فى حل الخلافات بين العرب، وأن ذلك سيتيح الفرصة لتدخل أجنبى ممن أسماهم بالدول الاستعمارية، وفى ذلك يقول: "إنهم (يقصد الدول الأجنبية) يبحثون عن فرص فنية، يريدون خللا فنياً، يريدون تصرفاً خاطئاً من الناحية التعبوية والتكتيكية لكى يوسعوه ويجعلوا منه فرصة ذات نتائج استراتيجية لأغراض التغيير المضاد". ويوضح صدام ما يعنيه بـ (الفرصة الفنية) التى يمكن للدول الأجنبية أن تستغلها، فيقول أنها "يمكن أن تحدث من خلال الغفل، أو من خلال الأخطاء التى نرتكبها سواء فى استعجال العمل فى الزمن أو عدم توفير الشروط اللازمة للإخراج الصحيح .. ومن هنا ينبغى ألا نوفر لهم هذه الفرصة، يجب أن نحكم كل خطوة نقوم بها، ويجب أن تحسب بدقة .. ولكى لا نسمح للأجنبى بالتدخل بيننا، وهذا يكون بالسلم الدائم، وبسد الثغرة التى من الممكن للأجنبى من خلالها التسلل إلى العرب، وهذا يكون فى تعايش سلمى بين العرب والأمم المجاورة، أو فى عدم التدخل بالشئون الداخلية". وعن كيفية إبعاد الأجنبى عن التدخل فى منطقة الخليج العربية بالذات، فيقول صدام فى مذكرة نُشرت باسمه عام ١٩٨٠ تحت عنوان (مبادئ القومية تحدد علاقاتنا بالعالم): "أما بالنسبة إلى تصرف العراق مع الأشقاء فى الأقطار العربية فى الخليج لإبعاد الأجنبى من هذه المنطقة، فإننا ومنذ وقت طويل نقول بأن الشرط الأساسى لإبعاد الأجنبى من هذه المنطقة هو أن نتصرف باستقلالية، وأن نتعامل بروح أخوية صادقة، وأن نخدم حرية الملاحة فى الخليج العربى وفق القوانين الدولية، وأن نبعد المنطقة عن أى تناحر ثنائى يتخذ مدخلاً وغطاءً لدخول النفوذ الأجنبى إلى المنطقة، وهذا ما نؤمن به على صعيد علاقاتنا مع الأقطار العربية".

١٠- صدام يعتبر الحاكم مسئولاً عن حدوث أى خطأ يؤدى إلى آثار مدمرة على شعبه

- يلزم صدام نفسه وحزبه بالمسئولية عن حدوث أى خطأ يؤدى إلى آثار مدمرة على الشعب، فيقول: "من الخطأ الشنيع أن ندفع بجزء من الشعب أمام فوهة بنادقنا بسبب أخطاء نرتكبها نحن وليس بسبب نوايا أو عمل مضاد من جانبهم (يقصد الأجانب)". ثم يؤكد صدام على أن محافظة الحاكم على شعبه، هو أحد المبادئ الحيوية لديه، فيقول: "فمسألة ألا نخسر جزءً من الشعب هو منا الآن أو فى المستقبل مسألة حيوية عند معالجة أية قضايا قانونية أو اجتماعية أو أية قضية أخرى بشكل عام". ويحذر صدام من الإقدام على المغامرات التى تضر بالشعب، فيقول: "نحن لا نخاف ولكن يجب ألا نكون مغرورين، كما

يجب أن نحرص على ألا نخسر جزءً من شعبنا"، ثم يحمل صدام نفسه وحزب البعث الذى يرأسه هذه المسئولية، فيقول: "ولأن حزب البعث العربى الاشتراكى هو قائد المجتمع وقائد السلطة السياسية، ومثل هذا الموقع يرتب على البعثيين التزامات ومسئوليات خاصة، منها أن يتحملوا أكثر من غيرهم نتائج السلبيات".

- وعلى القارئ العربى الكريم أن يقارن بين هذه الأقوال وبين ممارسات النظام الصدامى فى حق الشعوب العربية خاصة شعب الكويت المجاور للعراق، ليدرك حجم التناقض بين الأقوال والأفعال، ليس ذلك فقط، بل يدرك حجم الخداع والتضليل الذى يتسم به الخطاب الصدامى والمستمر حتى اليوم، ومن ثم حجم الخطأ الذى يمكن أن تقع فيه القيادات والشعوب العربية إذا هى صدّقت حرفاً واحداً مما يجرى على ألسنة المسئولين وأجهزة الإعلام فى النظام الصدامى، لأنه خطأ من الممكن أن يؤدى إلى كوارث أخرى لا تقل فى خطورتها عن كارثة غزو النظام الصدامى لدولة الكويت.

الفصل الثانى

جريمة النظام الصدامى فى حق دولة الكويت وشعبها

- مضى على الجريمة الشنعاء التى اقترفها النظام الصدامى فى الثانى من أغسطس ١٩٩٠ قرابة اثنتى عشر عاماً، احتل فيها الكويت قرابة سبعة أشهر اقترف خلالها من ألوان جرائم القتل والهتك والسلب والنهب والحرق .. إلى آخر ما هنالك من جرائم يشيب لها الوليد، ما يعكس الواقع الحضارى المتخلف لهذا النظام، بل البربرية والهمجية فى أحط صورها ومعانيها. ولكن يظل السؤال هنا يفرض نفسه: لماذا أقدم صدام على غزو الكويت؟ وما هى الأسباب والدوافع؟ وهل هى أسباب استراتيجية واقتصادية فقط أم كان مدفوعاً بطموحاته التوسعية ونزواته الطارئة؟ وهل كان ضحية مؤامرة، أم أنه وقع فى مصيدة نصبت له بإحكام؟

دوافع صدام لغزو الكويت (٥٢)

- هذه الأسئلة وغيرها الكثير سوف تظل تشغل فكر المؤرخين والمحللين لسنوات طويلة، وربما لا تجد لها إجابات شافية أبداً، لأن الوحيد الذى يستطيع الإجابة عليها هو صدام حسين نفسه، لأنه هو وحده صاحب القرارات السياسية فى العراق، ولا يجرؤ أحد من معاونيه ومساعديه على معارضته لأنهم جميعا يريدون أن يسمعوه ما يحبه ويرضى عنه ويتوافق مع مزاجه، وكلهم يعرفون جيداً مدى تعطشه لضم الكويت للعراق، حتى يكتب عنه التاريخ أنه نجح فيما فشل فيه من سبقوه من زعماء العراق بدءً من فيصل الأول ١٩٢١، وغازى الأول ١٩٣٣، وعبد الإله ١٩٣٩، وعبد الكريم قاسم ١٩٥٨، وعبد السلام عارف ١٩٦٦، وأحمد البكر ١٩٦٨. فقد كرر صدام حسين دعاوى ومزاعم من سبقوه من ملوك ورؤساء العراق حول حقوق تاريخية للعراق فى الكويت - باعتبارها كما يدعى - كانت جزءً من ولاية البصرة أثناء الحكم العثمانى، وهو ما ردت عليه الكويت بوثائق تاريخية تثبت أن الكويت كانت دولة لها كيانها السياسى المستقل قبل أن ينال العراق استقلاله. ومن دعاويه أيضاً أن الحدود التى رسمها البريطانيون للعراق فى العشرينات لم تعطه منفذاً بحرياً كافياً على الخليج، بل شريطاً ضيقاً طوله خمسين كيلو متر، بينما نالت الكويت شريطاً ساحلياً يصل طوله إلى ٢٠٠ كم، كما أن جزيرتى (وربة) و(بوبيان) الكويتيتان يقعان فى طريق الملاحة بين ميناء أم القصر العراقى والخليج، مما يتطلب فى الرواية العراقية ضرورة ضم العراق لهاتين الجزيرتين.

- ومن ادعاءات صدام أيضاً أنه لم يحصل على المكافأة التى يستحقها نظير تصديه للثورة الإيرانية، وفى هذا ردَّد كثيراً أقواله بأن العراقيين بذلوا دماءهم طوال ثمانية أعوام من الحرب مع إيران للدفاع عن البوابة الشرقية للعالم العربى، وأن هذه الدماء التى بذلت تجعل العراق مستحقا للمكافأة السياسية والاستراتيجية والمالية من دول الخليج العربية المجاورة. لذلك توصل صدام اعتباراً من أغسطس ١٩٨٨ إلى قناعة بأن الحل الشامل للمعضلات التى يعانى منها العراق لن يتم عبر حلول جزئية أو مؤقتة، ولكن عبر حل شامل وكلى يتمثل فى أن يكون للعراق حصة (السيد) وحصة (الأخ الأكبر)

وحصة (الأخ الحامى) فى منطقة الخليج. لذلك ما أن وضعت الحرب مع إيران أوزارها فى عام ١٩٨٨ حتى طالب صدام بالمزيد .. أراد من جيرانه العرب الاعتراف بصدارة العراق فى الخليج، وأن يحصل على منفذ أكبر على الخليج لنشر أسطوله البحرى من أجل الدفاع عن الأمن العربى كله على حد زعمه، كما أراد إعفاءه من الديون التى تراكمت عليه من جرّاء الحرب، إضافة إلى منحه قروضاً جديدة، ولم يقف صدام عند ذلك الحد، بل أخذ يلوّح بمطامع أخرى تتجاوز حدود الخليج. كان يطمح فى أن يصبح الناطق الأول باسم العرب لدى أمريكا، أى أن يكون الرجل الذى تستطيع واشنطن أن تسوى معه مشاكل المنطقة، بما فيها المشكلة الفلسطينية، وبعبارة أخرى كان يطمع فى أن يبسط هيمنته على المنطقة بكاملها. لذلك اعتبر أن ضمه للكويت واستيلاءه على مقدراتها من ثروة نفطية تشكل ١٠% من الاحتياطى العالمى للنفط، والاستيلاء على أرصدتها الاستثمارية المحلية والعالمية ستجعله يتغلب على مشاكل الاقتصاد العراقى المتدهور، ويهيئ الفرص لتطوير هجومه فى مرحلة تالية فى اتجاه المنطقة الشرقية من السعودية، والاستيلاء أيضاً على حقول نفطها ثم حقول نفط باقى الدول الخليجية، خاصة بعد أن نجح فى تحييد السعودية بعد توقيع معاهدة عدم الاعتداء معها عام ١٩٨٩، وبذلك يتقدم العراق للعالم كقوة إقليمية عظمى مهيمنة على أمن الخليج.

- هذا بالطبع إلى جانب أسباب أخرى عجلت بقرار غزوه للكويت، منها خروج الجيش العراقى من حرب استمرت ثمانى سنوات مع إيران، ودخوله فى بطالة قد تتحول إلى أعمال عنف تنتهى بإسقاط النظام الصدامى. كما أن الحملة السياسية والإعلامية التى شنها ضد الغرب وإسرائيل فى ربيع ١٩٩٠، وتهديده بإحراقها بالكيميائى المزدوج - وهو ما لم يكن صحيحاً، بل كان فى إطار خطة الخداع لتضليل العالم عن نواياه الحقيقية بغزو الكويت بعد ثلاثة أشهر - إلا أن ذلك أثار الدول الغربية خاصة الولايات المتحدة، لاسيما بعد اكتشاف سر مصنع القعقاع الذى كان يعد فيه لتصنيع قنبلة نووية، وتسبب فى انفجار راح ضحيته ٧٠٠ من العاملين فى المصنع فى أغسطس ١٩٨٩، وهو ما كشف عنه الجاسوس البريطانى (بازوفت فرزاده) وأدى إلى إعدامه، وحدوث مواجهة سياسية بين العراق وبريطانيا، هذا بالإضافة (لاكتشاف المدفع العملاق) الذى كان يعده بخبرة كندية لإطلاق قذائف نووية .. كل ذلك وغيره دفع الدول الغربية والشركات الأجنبية إلى إيقاف تزويد العراق بالقروض والأسلحة والتقنيات المتقدمة كما كان يحدث فى الماضى، هذا بينما كانت الدول الدائنة تلح فى مطالبة العراق بتسديد ديونها، وفى ذات الوقت الذى كانت مشاريع الصناعة العسكرية العراقية - خاصة المتعلقة ببرامج أسلحة الدمار الشامل - قد وصلت إلى مرحلة حرجة تتطلب مزيداً من الإنفاق حتى يتم استكمالها. وكانت المحصلة النهائية لهذه الضغوط أن أصبح صدام فى حالة اضطراب سياسى ونفسى شديدة، خصوصاً مع تفاقم الإحساس لديه بأن خططه ومشروعاته الطموحة لبناء الإمبراطورية الصدامية الكبرى بالمنطقة مهددة بالفشل، انعكس ذلك فى التناقض الذى ساد مواقفه السياسية والاستراتيجية حيال المسائل الأمنية فى الخليج، فبينما كان صدام يؤيد الوجود البحرى الأمريكى فى الخليج إبان الحرب العراقية-الإيرانية، وكان للسفن الأمريكية آنذاك دور حاسم لمصلحته عندما كانت تتولى حراسة ناقلات النفط الكويتية التى كانت تحمل النفط لحساب العراق وتتعرض لهجمات السفن والطائرات الإيرانية، نجده فى فبراير ١٩٩٠ ينتقد وجود السفن الحربية الأمريكية فى الخليج، ويطالب بانسحابها.

- ولأن هذه الطموحات والمطالب الصدامية، لم تكن واقعية ولا مقبولة إقليميا ولا دوليا، لأنها ببساطة تنتهك مصالح الآخرين وتهدد أمنهم، فقد ازداد الرفض الخليجى لها حدة، كما اعترضت مصر بقوة على النزعات الصدامية التوسعية والابتزازية، خاصة عندما تعنت صدام فى الإصرار على مطالبه مشفوعة بالتهديدات. وكلما زاد صدام من حدة ضغوطه وتهديداته بإثارة القلاقل، تراجع جيرانه أكثر فأكثر عن مجاراة رغباته. ومجمل القول أن صدام حسين بأساليبه الابتزازية وممارساته الوحشية المعروفة، خسر مقدماً التأييد لقضيته عربياً وإقليمياً ودوليا، لأنها قضية لم تكن تستند إلى أسس قومية ولا دينية ولا ديموقراطية.

- ولقد كان للعامل النفسى تأثير كبير فى تشكيل مدركات صدام حسين السياسية، يتأكد ذلك من أن سيناريو اجتياح الكويت عسكرياً لم يكن السيناريو الوحيد المتاح والممكن لتحقيق أهدافه، ولا كان بالضرورة السيناريو الأكثر احتمالاً، فقد كانت هناك خيارات أخرى عديدة أمامه، ولكنه اختار السيناريو الذى يتفق مع ميوله النفسية التى تعشق الإقدام على المغامرات الكبرى رغم كونها غير مأمونة العواقب وأدت بالتالى إلى الأخطاء السياسية والاستراتيجية العديدة التى وقع فيها عندما أجرى حساباته وهو يصنع قرار غزو الكويت، الذى كان قراراً فردياً وعفوياً بجميع المقاييس. فلقد كان من الواضح أن نقمة صدام على العالم كله - وعلى الكويتيين بصفة خاصة - ظلت تتفاقم على مدى السنوات والشهور الأخيرة قبل الغزو، مما جعله يعانى من ضغوط جسيمة جعلته عصبى المزاج إلى أبعد الحدود ويثور لأتفه الأمور. وقد انصبت كل هذه المؤثرات فى ذهن صدام لتجعل من قرار الغزو أمراً حتميا لا مهرب منه ولا مناص. انعكس ذلك فى تصريح له أثناء اجتماع ضيق ضمه مع عدد من كبار ضباطه فى الكويت أثناء احتلالها فى نوفمبر ١٩٩٠، قال لهم صدام: "إن قرار الغزو كان القرار الوحيد فى حياته الذى لم يتخذه هو - بل اتخذه الله سبحانه وتعالى مباشرة !!". إلى هذه الحد من الافتراء على الله تعالى وصل الأمر بصدام حسين فى تشبعه بفكرة غزو الكويت وضمها إلى العراق.

هل يعانى العراق - حقيقة - من نقص فى حركة الملاحة، ويحتاج إلى منفذ بحرى إضافى على الخليج؟

- يدعى النظام الصدامى بأنه لا يتمتع بإطلالة على سواحل الخليج، أى عدم وجود موانئ بحرية له، ويطرح النظام هذه الفرية كمبرر لنواياه التوسعية لسرقة سواحل جيرانه. إلا أن الحقيقة تثبت عكس ذلك، وتؤكد أن العراق يتمتع بحركة ملاحية منتظمة، وتصل إليه أضخم البواخر فى ميناء البكر وميناء العميق، ولم ترتبك تلك الحركة إلا فى فترة حربه مع إيران، حينما طلب من الكويت استخدام موانئها، الأمر الذى عرَّض الكويت وسفنها إلى القصف الإيرانى، وتثبت الوثائق والخرائط المعتمدة من الأمم المتحدة أن إطلالة العراق على الخليج تصل إلى نحو ٢٣٥ كيلومتر، وهذا لا يتوافر لكثير من الدول. حيث تطل العراق على الخليج بواجهة بحرية يبلغ طولها حوالى ٧٠ كم يزداد طولها إلى نحو ٢٣٥ كم إذا ما أضفنا إليها طول كل من خور الزبير (٢٥ كم) والمسافة بين مدخل شط العرب وميناء البصرة (١٤٠ كم) كامتداد للواجهة البحرية.

- وقد استثمر العراق هذه الواجهة البحرية، حيث شيَّد ستة موانئ ثلاثة منها تجارية هى: ميناء البصرة، ميناء أم قصر، وميناء خور الزبير. والثلاثة الباقية نفطية هى: ميناء الفاو، ميناء خور العمية، ميناء البكر(خور القفقة). ومما يجدر ذكره أن أربعة من هذه الموانئ الستة تقع على خور الزبير وشط العرب، مما يؤكد أهمية كل منها كامتداد طبيعى للواجهة البحرية. ويبلغ إجمالى الطاقة التشغيلية لهذه الموانئ حوالى ١٨٦,٥ مليون طن سنوياً، منها ١١,٥ مليون طن سنوياً للموانئ التجارية بنسبة ٦%، ١٧٥ مليون طن سنوياً للموانئ النفطية بنسبة ٩٤% وهى طاقات قابلة للزيادة المطردة مع تنفيذ برامج تنميتها وتطويرها، فضلاً عن إمكان إنشاء موانئ جديدة على طول الواجهة البحرية. ويخدم حركة الملاحة نحو الموانئ العراقية عدة ممرات مائية بعضها عميقة طبيعياً والأخرى تم تعميقها اصطناعياً، كما تتحدد القنوات الملاحية خلالها بعوامات مضيئة، مما يتيح للسفن التجارية المحيطية الضخمة والناقلات النفطية العملاقة أن تبحر فيها تجاه الموانئ العراقية بأمان كامل. من هذه الممرات المائية العميقة طبيعياً الممر الملاحى عبر خور العمية الذى تتراوح أعماقه ما بين ١٧-٢٦ متراً (٥٦-٨٦ قدماً) وهو الممر الذى يقع عند طرفه الشمالى ميناء خور العمية النفطى. وكذلك الممر المائى عبر خور القفقة الذى تتراوح أعماقه ما بين ٢٢-٢٨ متراً (٧٣-٩٣ قدماً) وهو الممر الذى يقع عند طرفه الشمالى ميناء البكر النفطى، ويقع داخل نطاق خور العمية وخور القفقة مناطق للإرساء والانتظار المؤقت للسفن التجارية والناقلات النفطية لحين السماح لها بالتوجه إلى الموانئ (وهذه الأعماق تعتبر أكثر عمقاً من قناة السويس، والتى تعتبر أحد الممرات المائية العالمية، حيث يبلغ عمقها بعد عملية التعميق التى تمت فى الثمانينات ١٥,٨ متراً (٥٣ قدماً)).

- أما الممرات المائية التى تربط الموانئ العراقية التجارية بالخليج، والتى كانت تتسم نسبياً بقلة عمقها الطبيعى ممثلة فى خور عبد الله وخور شتيانه وخور الزبير، فقد تم تعميقها لتواكب غاطس السفن التجارية المحيطية الضخمة حيث تتراوح أعماقها ما بين ١٢,٥-١٣,٢ متراً (٤٠-٤٣ قدماً) وهى أعماق قابلة للزيادة مع استمرار تنفيذ أعمال الحفر والتعميق مما يزيد من قدرات وإمكانات الموانئ العراقية التجارية على استقبال المزيد من السفن التجارية الضخمة ذات الغاطس الكبير. كما يخدم أعمال المناولة فى هذه الموانئ معدات وتجهيزات حديثة عالية الكفاءة مما يعزز من قدرات هذه الموانئ على الشحن والتفريغ والتخزين.

- وقد اعترف وزير النقل والمواصلات العراقى د. أحمد مرتضى لوكالة الأنباء العراقية بقدرة الموانئ العراقية على استقبال السفن العملاقة، وهو ما نشرته الصحف العراقية فى ٢٠٠٠/٧/٢٧ تحت عنوان "باخرة صينية عملاقة ترسو فى ميناء أم القصر العراقى"، ورد فيه: "إن هذه الباخرة تعد أكبر باخرة من نوعها تستقبلها الموانئ العراقية منذ تأسيسها، موضحاً أن رسو مثل هذه البواخر فى موانئنا خير دليل على سلامة قنواتنا الملاحية، ويكشف زيف الادعاءات الباطلة التى تطلقها بعض الجهات عن عدم صلاحية موانئنا لاستقبال مثل هذه البواخر". إذن أين ذهبت الأبواق التى كانت تعوى بأنه لا إطلالة ولا منافذ بحرية للعراق على سواحل الخليج؟

- وعن حقيقة أهمية الجزيرتين الكويتيتين (وربة، وبوبيان) التى يطالب بهما العراق، يقول اللواء السامرائى فى كتابه (حطام البوابة الشرقية) ص٢٢٤: "إن الحاجة العراقية لجزيرتى وربة وبوبيان لا تستحق المغامرة، وبإمكان العراق الاستفادة من موانئ البصرة، السيبة، الفاو، وأم القصر، وتحسين سواحله لتطوير ميناء كبير على رأس الخليج العربى. أما التفكير بالحاجة إلى نفوذ أعمق لبناء قوة بحرية فلا يستند إلى تفكير منطقى أو علمى، فليس ممكناً ولا ضرورياً أن يصبح العراق قوة بحرية قوية. لأنه رغم وقوع العراق على رأس الخليج العربى، فإنه لا يحتل موقعاً بحرياً متميزاً، وليست له أهداف استراتيجية أو مدنية كبرى على السواحل تستلزم الحال الدفاع عنها. كما أن حالة التضاد فى القوى الإقليمية البحرية تشمل القوات البحرية الإيرانية حصراً، أما التفوق البحرى العراقى فى الخليج فهو غير ممكن على الإطلاق مهما بلغت التكاليف المادية بسبب ضيق الساحل العراقى وعدم قدرته على استيعاب نشر قوات بحرية كبيرة، ومن ثم فإنها تشكل هدفاً سهلاً للغارات الجوية والبحرية الإيرانية، لاسيما وأن طول السواحل البحرية الجنوبية الإيرانية تبلغ أكثر من ١٥٠٠ كيلومتر مع ما تؤمنه من قدرة واسعة على الانتشار وصعوبة السيطرة عليها من قبل قوة بحرية محدودة، وهذا الامتداد الطويل للسواحل الإيرانية على الخليج يُعرِّض القطع البحرية العراقية المبحرة جنوباً لهجمات جانبية عديدة بمختلف الوسائل الثقيلة والخفيفة، ناهيك عن حقيقة إمكانية سيطرة إيران على الخليج من خلال إغلاق مضيق هرمز الواقع فعلاً تحت سيطرتها الفعلية. وبغض النظر عن عدم شرعية مطالبة العراق فى الجزيرتين الكويتيتين، فإن إيران ما كانت لتسمح للعراق بالسيطرة عليهما لما فى ذلك من تهديد لحرية الملاحة الإيرانية.

كذب ادعاءات العراق حول زيادة إنتاج الكويت من النفط [(٥٤)]

- بدأ افتعال الأزمة من جانب العراق عندما بعث وزير خارجيته بمذكرة إلى الجامعة العربية فى ٧/١٥/ ١٩٩٠ اتهم فيها الكويت والإمارات بإغراق السوق النفطية بمزيد من الإنتاج خارج حصتهما المقررة فى أوبك، الأمر الذى أدى إلى تدهور أسعار النفط من ١٨ دولار للبرميل إلى ١٢ دولار للبرميل، مما أصاب العراق بخسارة بلغت فى الفترة من ٨١-١٩٩٠ حوالى ٨٩ مليار دولار، مشيراً إلى أن نقص كل دولار فى البرميل يصيب العراق بخسارة تبلغ مليار دولار سنوياً. كما اتهمت المذكرة العراقية الكويت بأنها استغلت انشغال العراق فى الحرب مع إيران فى إقامة منشآت عسكرية ومخافر ومنشآت نفطية ومزارع على أرض العراق، وأنها أقامت كذلك منشآت نفطية على الجزء الجنوبى من حقل نفط الرميلة العراقى وسحب نفط منه. وأن قيمة النفط الذى سحبته الكويت وفقاً للادعاء العراقى ٢٤٠٠ مليون دولار خلال الفترة من ١٩٨٠-١٩٩٠، وطالب العراق بإلغاء الديون المستحقة عليه من دول الخليج، وتنظيم خطة عربية على غرار مشروع مارشال لتعويض العراق بعض ما خسره فى الحرب.

- وفى ١٧ يوليو ألقى صدام حسين خطاباً فى ذكرى الثورة العراقية هدد فيه علانية باللجوء إلى الحل العسكرى، عندما قال: "بفضل أسلحتنا الجديدة لن يستطيع الإمبرياليون بعد الآن خوض معركة عسكرية معنا، وبديل ذلك نجدهم يخوضون حرب استنزاف اقتصادى بمساعدة بعض عملاء الإمبريالية

من حكام الخليج. إن سياسة تخفيض أسعار النفط التى يطبقونها هى الخنجر المسموم فى ظهر العراق". ولأول مرة أشار صدام إلى احتمالات التدخل العسكرى، فقال: "إذا لم تنفع الكلمات فى حمايتنا، فلن يكون أمامنا سوى العمل على إعادة الأمور إلى نصابها واستعادة حقوقنا". ثم ردَّد القول "ضرب الأعناق ولا قطع الأرزاق".

- وقد عبرت الكويت فى ردها على المذكرة العراقية عن استيائها من هذه المذكرة، وأنه لم يكن فى نية الكويت أن تطرح للتداول فى جو من الإعلام المحموم قضايا معلقة موكولة إلى لجان متخصصة فى البلدين، ودعت الكويت إلى تشكيل لجنة عربية فى نطاق الجامعة العربية لتفصل فى موضوع ترسيم الحدود بين البلدين على أساس المعاهدات والوثائق القائمة بين البلدين، أما فيما يتعلق بأسعار النفط فمما لا شك فيه أن الكويت - شأنها شأن جميع الدول المنتجة للنفط - تضررت بفعل انخفاض أسعاره، كما عانت الكويت مثلما عانى العراق من قلة الإنتاج فى فترة الثمانينات، فى الوقت الذى كان بمقدور الكويت أن تنتج النفط بطاقة كبيرة مقارنة بما لديها من مخزون نفطى هائل. كما أكدت المذكرة الكويتية أن الجزء الجنوبى من حقل الرميلة يقع ضمن الأراضى الكويتية وأن عمليات الإنتاج تتم داخل الأراضى الكويتية.

- وفى اجتماع جدة الذى ضم الشيخ سعد العبد الله الصباح ولى عهد الكويت ورئيس الوزراء، وعزت إبراهيم نائب صدام حسين، أوضح الشيخ سعد أن حقل نفط الرميلة يبعد عن حدود العراق ٥ كم، وأنه عندما بدأت الكويت الضخ من هذا الحقل كان بمعدل ١٢ ألف برميل يومياً بينما كان العراق ينتج من ٥٠٠-٦٠٠ ألف برميل يومياً، وتساءل: من الذى يسرق نحن أم أنتم؟ واقترح تشكيل لجنة محايدة من الخبراء للتفتيش على سجلات إنتاج النفط ليتأكدوا من المعدلات، وكذلك للتفتيش على المنشآت التى يزعم العراق أن الكويت أقامتها فى منطقة حقل الرميلة. كما ذكَّر الشيخ سعد نائب الرئيس العراقى بما سبق أن أبداه الرئيس العراقى إبان الحرب مع إيران من ثناء ومديح للكويت على مساعداتها للعراق آنذاك، وأنهم فى العراق بدءوا فى تثقيف وتدوين القيادات القطرية لحزب البعث على محبة الكويت، وتعريفهم بأن الخبز الذى كانوا يأكلونه فى الخنادق يأتيهم من الكويت، ثم تساءل الشيخ سعد: "ثم بعد ذلك تتهمون الكويت بتبنى سياسة إمبريالية؟! أما عن الخلافات حول الحدود، فقد ذكَّر الشيخ سعد الوفد العراقى كيف اعترفت العراق فى أكتوبر ١٩٦٣ بحدود الكويت كتابة، وبأن الجزر بوبيان ووربة وغيرها كلها جزر كويتية. ولم يستطع عزت إبراهيم نائب صدام أن يرد على الحجج التى ساقها الشيخ سعد فى مواجهة الاتهامات العراقية، وفى البداية طالب عزت إبراهيم بإعادة ٢,٤ مليار دولار إلى العراق تعويضاً عن استنزاف نفط حقل الرميلة. أما عن قضية ادعاء العراق بأن الكويت ترفض محاولات توصيل مياه شط العرب إليها، فقد رد عليها الشيخ سعد: "إن العكس هو الصحيح، ذلك لأن الكويت فى حاجة إلى الماء، ونحن لا نضع أية عراقيل لتوصيل الماء إلى الكويت، ولكن ليس بالشروط التى يفرضها العراق. وعن قضية عودة الممر الجوى بين العراق والكويت، والذى يعبر الأجواء الكويتية، والذى أغلق ومنع عبوره للطائرات أثناء الحرب مع إيران، وكان ذلك لصالح العراق، فقد وافق الشيخ سعد على إعادة فتحه. ولكن كان واضحاً للوفد الكويتى أن عزت إبراهيم لم يكن لديه نية

لبحث أى قضايا، لأنه لم يكن أصلاً مفوضاً بذلك، بل كان اجتماع جدة - كما قال طارق عزيز - اجتماع بروتوكولى ذراً للرماد فى العيون، وبأن العراق قد استنفذ سبل الحل السياسى مع الكويت، ولم يبق أمامه سوى الخيار العسكرى لحل مشاكله معها. حتى أن الوفد العراقى رفض إصدار بيان مشترك، وأن كل دولة تصدر بيان خاص بها، وأن البيان العراقى سيصدر من بغداد. وعن حقيقة مليارات الدولارات التى طلبها الوفد العراقى من الوفد الكويتى، قال الشيخ سعد لرئيس تحرير الأهرام - إبراهيم نافع - "إنهم فى حقيقة الأمر ما كانوا يريدون عشرات المليارات، بل مئات المليارات من الدولارات وعندما عاد الوفد الكويتى إلى الكويت مساء يوم ٣٠ يوليو، وبعد أقل من ٢٤ بدأ الغزو العراقى للكويت فى الساعة الواحدة والنصف من صباح يوم ١٩٩٠/٨/٢.

- أما فى عمان، وفى مساء يوم أول أغسطس، فقد كان (مضر بدران) رئيس وزراء الأردن - الذى شارك الملك حسين جولاته بين الكويت وبغداد - يعقد اجتماعاً مع أعضاء مجلس الأعيان الأردنى، شرح فيه بدران الموقف كاملاً مؤكداً أن العراق لن يتنازل عن أى مطلب من مطالبه، وأن العراق يعتبر نفسه فى حالة حرب مع الكويت. ومن خلال الحوارات التى دارت فى هذا الاجتماع تأكدت حقيقة عرفها كل الحاضرين، وهى أن بدران كان مكلفاً بتهيئة الشارع الأردنى للأحداث التى ستقع فى اليوم التالى، فقد كان يشرح الموقف العراقى خلال ثلاث ساعات استغرقها الاجتماع وكأنه على علم كامل بتفاصيل الاجتياح القادم!!

محاولات صدام للايقاع بين مصر والكويت (٥٥)

- فى اجتماع وزراء الخارجية العرب فى تونس، والذى وزّع فيه العراق مذكرته السابق الإشارة إليها، شن طارق عزيز وزير خارجية العراق هجوماً غير مبرر على مصر والرئيس مبارك. ووصل إلى الرئيس مبارك شريط مسجل عليه هذا التهجم. وعندما سمع صدام بما حدث، أسرع وأوفد طارق عزيز إلى القاهرة ومعه شريط أجرى عليه عملية (مونتاج)، وحُذفت منه الألفاظ التى تفوه بها عزيز ضد مصر. إلا أن الرئيس مبارك رفض الاستماع إلى الشريط الذى جاء به عزيز، واعتبر مبارك أن مجرد حضور طارق عزيز للقاهرة بمثابة اعتذار تفادياً لأى أزمة قد تعرقل جهود التسوية بين الكويت والعراق.

- ومنذ بداية الأزمة دعت مصر - ومعها السعودية - إلى تسوية الخلافات القائمة بالحوار الأخوى الهادف البعيد عن جو الإثارة والتوتر، مع استعدادها للقيام بالوساطة بين الطرفين بحكم علاقاتها المتميزة معهما. وقد سعت القاهرة إلى الحصول على ضمانات بعدم تصعيد الأزمة إلى المستوى العسكرى، وهو ما انعكس فى التعهد الذى تلقاه كل من الرئيس مبارك والملك فهد ورؤساء آخرين من صدام حسين بأن العراق لا ينوى اللجوء إلى الحل العسكرى.

- وعندما توجه الرئيس مبارك إلى بغداد والتقى يوم ٢٤ يوليو مع صدام حسين، بادر الأخير مخاطباً الرئيس مبارك: "يا أبا علاء إن حكام الكويت مذعورون رغم أننى لا أنوى القيام بأى عمل عسكرى .. وأعتقد أنك تستطيع أن تنتهز الفرصة وتطلب منهم ما تشاء وأن تطرق الحديد وهو ساخن، لأنهم سوف

يبادرون بالاستجابة إلى طلباتكم، وسوف يتعاملون معها على نحو مختلف عن الأسلوب الذى اتبعوه معكم فى الماضى". وبالطبع رفض الرئيس مبارك هذا المنطق الابتزازى فى التعامل بين الدول لأنه ليس من الأخلاقيات الإسلامية ولا العربية، فضلاً عن أنه أبعد ما يكون عن شيم مصر والمصريين الحضارية التى عرفت على مدار التاريخ بالعطاء دون من ولا أذى. لذلك ركز الرئيس مبارك حديثه مع صدام على ضرورة إنهاء الحشود العسكرية المتواجدة فى منطقة الحدود مع الكويت، فرد عليه صدام قائلاً: "إذا كنت أريد الغزو فلست بحاجة إلى حشد قوات عراقية، وهدفى فقط هو تخويفهم، والضغط عليهم حتى يستجيبوا إلى مطالبى". ثم أكد صدام للرئيس مبارك "إننى سوف أعمل على بحث كافة المسائل المختلف عليها فى المحادثات التى اتفقنا على إجرائها فى جدة ثم فى عاصمة البلدين، وآمل فى التوصل إلى تسوية مرضية خلال هذه المباحثات". وأثناء توجه الرئيس مبارك بالطائرة من بغداد إلى الكويت سمع وهو فى الطائرة بيان رسمى صادر من بغداد عن لقائه مع صدام، أفاد بأن الرئيسين مبارك وصدام لم يناقشا سوى العلاقات الثنائية بين البلدين!! وكان ذلك الأمر غريباً وأثار استياء الرئيس مبارك الذى فضّل أن يتجاوز عن تلك التصريحات فى ذاك التوقيت الحرج، لأن دور مصر كما حدده هو تهيئة المناخ وتقريب وجهات النظر بين أطراف الأزمة، والاتفاق على آلية لحل النزاع وإبطال مفعول القنبلة التى زرعها صدام حسين. ولم يكن الرئيس مبارك يتصور أن تقاليد التعامل بين الرؤساء قد انحدرت إلى هذه الدرجة، وهو ما أصابه بالصدمة، وأن يصل الخداع والتضليل بالرئيس صدام حسين أن ينكر ما سبق أن اتفق عليه معه من أنه لا ينوى الهجوم على الكويت، وتعهده بعدم استخدام القوة، حيث ادعى صدام بعد ذلك أنه تعهد فقط بعدم استخدام القوة المسلحة فى لقاء جدة. وهذا هو قمة الخداع والتضليل والكذب أيضاً لأنه كانت هناك استحالة لحل كل المشاكل التى أثارها صدام (الحدود، نفط الرميلة، المطالبة بعشرة مليارات دولار، الجزيرتين، إلغاء الديون) فى جلسة واحدة، ناهيك عن أن عزت إبراهيم لم يكن لديه أصلاً صلاحيات بالتفاوض حول هذه الموضوعات، ولكن تقديم المطالب فقط.

- ولم يكن الرئيس مبارك هو الوحيد الذى قدم له صدام حسين تعهدات بعدم الاعتداء على الكويت، بل الملك فهد أيضاً، والرئيس اليمنى عبد الله صالح الذى نقل هذا التعهد إلى الدكتور عبد الرحمن العوضى وزير الصحة الكويتى، وياسر عرفات، وكذلك أمين عام الجامعة العربية .. حيث طمأنهم صدام بأنه لا حشود ولا نوايا عدوانية من جانب العراق.

- وعندما عاد الرئيس مبارك إلى القاهرة يوم ٢٥ يوليو، كلّف د.أسامة الباز مدير مكتبه للشئون السياسية بالتوجه إلى بغداد فوراً، ونقل رسالة شفهية هدفها التعرف على النوايا الحقيقية لصدام حسين، ومعرفة السبب وراء إصدار طارق عزيز تصريحه الذى قال فيه أن لقاء جدة المرتقب هو "لقاء بروتوكولى". ولماذا يصر صدام على عدم إشراك طرف ثالث مع العراق والكويت لتهدئة الجو وخلق مناخ مناسب للتفاهم وحتى لا تحتدم المشاكل وتتفاقم أكثر وأكثر؟!

- وعندما التقى الباز مع صدام حسين أوضح أنهم ليسوا فى حاجة لطرف ثالث لأنهم ليسوا غرباء، وأكد أنه لن يهاجم الكويت، ولكنه حريص على أن يستمر شعور الكويتيين بالخوف منه، وتنمية هذا الشعور

لديهم حتى يلبوا طلباته. ثم تحدث صدام طويلاً عن علاقة الكويت بمصر، محاولاً الإيقاع بين البلدين، قائلاً: "ماذا فعلوا لكم طوال سنوات طويلة، وكم حجم الديون التى عليكم، الديون دى مش نابعة أساساً من المسئوليات القومية التى تحملتموها تجاه القضية فلسطين؟ عملوا لكم إيه دول الخليج والكوايته بالذات، إيه الدور اللى قاموا به؟! إحنا لما حاربنا إيران لم نحارب من أجل الدفاع عن العراق فقط، كنا نحارب أساساً على خط النار لحماية البحرين والكويت والسعودية، ولما تعمل هذا ما يجوش يقولوا إحنا بنساعد وده دين وما أعرفش إيه. لما نيجى نقول لهم عايزين كذا لازم يكونوا فاهمين أن ده هو دورهم ومساهمتهم اللى يقدروا يعملوها، لأنهم لا عندهم شعب كبير ولا عندهم قوات مسلحة تقدر تعمل شئ، كل اللى يقدروا يعملوه أقل شئ أنهم يساهموا بالمال، وهذه المساهمة ما تبقاش تفضلاً ويقولوا قروض وكلام فاضى من ده، يقولوا هذه مساهمتى وحصتى كذا، والمفروض أنه ييجى للواحد منا ويقول له انت عايز كام، مش انت اللى تروح تطلب منه، مش انت اللى تتسول".

- ثم تحدث صدام طويلاً عن ضرورة تصحيح الأوضاع الاجتماعية بين جميع الشعوب العربية، وتوزيع الثروات، فذكّره أسامة الباز بالدور الكبير الذى لعبته الكويت لصالح العراق فى حربها مع إيران، وما تعرضت له من مخاطر بسبب ذلك، وأن أمر توزيع الثروات أمر لا يطبق عليهم فقط، بل على كافة الدول العربية (يقصد الباز أن العراق الذى يحصل على ثانى أعلى عائدات نفطية تصل إلى ١٥ مليار دولار سنوياً بعد السعودية،ينبغى أن يكون هو أيضاً مشاركاً فى مساعدة الشعوب العربية الأخرى المحتاجة، هذا إذا ما أجزنا فرضية توزيع الثروة، وأن الأسلوب العسكرى ليس هو الأسلوب الأمثل لتحقيق ذلك) فأجابه صدام: "لا أنا مش باهددهم بالقوة العسكرية، ولكن كونهم يبقوا خايفين يخليهم يتصرفوا كويس، وانتم وغيركم فى الدول العربية تقدروا تستغلوا هذه الفترة وتحصلوا على ما تريدون".

سوء تقدير صدام لموقف مصر والسعودية والكويت [٥٦]

- اتصفت حسابات صدام حسين فى تقديره للموقفين الإقليمى والدولى عندما اتخذ قراره بغزو الكويت، بأخطاء فادحة تدل على جهل مطبق بقواعد وأصول صنع القرار السياسى خاصة ذو الصبغة العسكرية، فكما أساء فهم الموقف الأمريكى بعد اجتماعه بالسفيرة الأمريكية (أبريل جلاسبى)، واعتقد أن الولايات المتحدة ستغض الطرف عن غزوه الكويت، أساء أيضاً تقدير الموقف السوفيتى، حيث اعتبر أن العلاقات التجارية والعسكرية التى تربط العراق بالاتحاد السوفيتى، كفيلة بجعل موسكو تساند غزوه للكويت، نفس الأمر بالنسبة لفرنسا.

- إلا أن إساءة تقديره للموقف المصرى كانت تتم ليس فقط عن خطأ فى الحسابات، ولكن عن جهل بحقيقة أخلاقيات وخصائص شعب مصر وقياداته، وحجم مصر ليس فقط بالمعايير الجيوبوليتيكية، ولكن بمعيار مسئوليتها تجاه الأمة العربية والإسلامية، وهو ما جعلها تتبوأ هذه المكانة المتميزة عربياً وإسلامياً عبر التاريخ ويكون لها هذا الثقل على المستويين الإقليمى والدولى. فقد نسى صدام أن مصر التى تصدت فى القرنين العاشر والحادى عشر لأشرس غزوتين تعرضت لهما الأمة العربية والإسلامية، أولهما عندما اكتسح الصليبيون المشرق العربى واستعمروه مائتى عام، تصدى لهم الجيش

المصرى بقيادة صلاح الدين وهزمهم فى حطين والمنصورة وكانت نهايتهم على أيدى المصريين. وكانت الثانية عندما اكتسح التتار بلدان آسيا الوسطى وإيران والعراق وسوريا وفلسطين، تصدى لهم الجيش المصرى بقيادة قطز وهزمهم فى عين جالوت وكانت نهاية التتار فى هذه المعركة، ولم تمنع الأزمات الداخلية التى كانت تتعرض لها مصر آنذاك عن الاضطلاع بدورها الذى كلفه بها سيدنا رسول الله ﷺ عندما وصفها بأنها "**كنانة الله فى أرضه**" وعندما وصف أبناءها بأنهم "**خير أجناد الأرض وهم فى رباط إلى يوم القيامة**". كذلك أخطأ صدام كثيراً فى حساباته عندما تصور أن مشاكل مصر الاقتصادية التى كانت تعانيها فى عام ١٩٩٠ ستجعلها تتكفئ على نفسها دون التورط فى أزمات كبيرة مثل التى افتعلها صدام مع الكويت، وأنه إذا قدم بضع عشرات من ملايين الدولارات لمصر على سبيل الرشوة يمكن أن يضمن صوتها إلى جانبه أو على الأقل تحييدها، خاصة وأن لديه أكثر من مليون مصرى يعملون فى العراق رهينة فى يده، لن تجازف الحكومة المصرية باتخاذ موقف سياسى يهدد حياتهم فى العراق. ولكن رغم أن هذا التاريخ معروف للجميع، فإن صدام حسين الذى تحكمه الحسابات التكتيكية الضيقة، وأسلوب (الرشاوى) ليس لديه المقدرة على استيعاب دروس التاريخ، وأن مصر لم تستطع - ولن تستطيع - أى دولة فى العالم أن تشترى قرارها السياسى أو تؤثر فيه بأموالها.

- وكما أساء صدام فهم مصر، فقد أساء أيضاً فهم موقف المملكة السعودية وشخصية الملك فهد. فقد اعتقد صدام أن السعودية سيكون ردها سلبياً فى حالة غزوه للكويت بسبب معاهدة عدم الاعتداء التى وقعها مع الملك فهد. وأن السعودية لن تجرؤ على استدعاء قوات أجنبية إلى أراضيها حتى لا تثير غضب العالم العربى والإسلامى ضدها. فقد لاحظ صدام أن الملك فهد حتى فى أوج المد الإيرانى خلال الحرب العراقية-الإيرانية - رفض رفضاً باتاً أن يعطى الولايات المتحدة أية قواعد أو تسهيلات فى الأراضى السعودية، وأنه على استعداد للذهاب إلى أبعد مدى من أجل تجنيب بلاده ويلات الحرب والأزمات، ولكن أخطأ صدام فى حساباته للموقف السعودى إذا ما أقدم على غزو الكويت، شريكة السعودية فى مجلس التعاون الخليجى، والتى تربطها بالسعودية علاقات قديمة وحديثة، خاصة عندما يصبح التهديد العراقى ليس قاصراً على الكويت بل يستهدف السعودية وباقى دول الخليج العربية.

- وكما أساء صدام حسين تقدير الموقفين المصرى والسعودى، فقد أساء أيضاً تقدير موقف الكويت، التى بدت فى أعين صدام غنيمة أكثر من سهلة، ذلك أنه لم يكن أبداً بمقدور القوات المسلحة الكويتية بحجمها التى كانت عليه فى عام ١٩٩٠ أن تتصدى لقوات عراقية تتفوق عليها كمياً عشرات المرات، كما لم ترتبط الكويت بالولايات المتحدة بأية معاهدة أمنية، ولم يغب عن بال صدام حسين أن الكويت عندما اضطرت إلى أن تطلب حماية الولايات المتحدة لحركة ناقلاتها النفطية فى الخليج إبان الحرب العراقية-الإيرانية، لم تسمح للبوارج الأمريكية بدخول مياهها الإقليمية، كما لم تسمح للطائرات المقاتلة الأمريكية بالهبوط فى مطاراتها. لذلك اعتقد صدام خاطئاً أن الكويت لن تطلب من الولايات المتحدة مساعدتها فى التصدى للغزو العراقى. كما أخطأ صدام أيضاً عندما اعتقد أن النشاط السياسى المكثف الذى كان يموج به المجتمع الكويتى آنذاك من الممكن أن يجعل المعارضة الكويتية ترحب بغزوه للكويت واحتلاله لها. ونسى صدام حسين أن الكويت بجميع طوائفها وفئاتها على اختلاف توجهاتهم السياسية

والطائفية ما كانوا أبداً ليرضوا بأن يضعوا مصائرهم ومصائر أجيالهم من بعدهم تحت رحمة نظام الحكم الدكتاتورى البعثى الذى يرأسه صدام حسين، وهم يرون بأعينهم كيف حوّل هذا النظام الدموى شعب العراق - الذى من المفروض أن يكون فى مستوى أعلى من مستوى الشعب السويسرى - إلى شعب فقير معدم يتسول لقمة غذائه من الخارج، وثلاثة ملايين منه هاربون من بطش النظام الصدامى فى الخارج، والباقون فى الداخل محكومين بقوة الحديد والنار التى يمارسها هذا النظام الدموى.

انفراد صدام باتخاذ قرار غزو الكويت (٥٧)

- يصف اللواء السامرائى قرار صدام بغزو الكويت فى كتابه (حطام البوابة الشرقية) ص ٢٢٥ فيقول: "إن جهل صدام بفلسفة السوق (الاستراتيجية) العسكرية، وموازنات الصراع المقرون بالاستبداد والفردية، وما يترتب على ذلك من تقلص حجم وأبعاد المشورة التى تقدم إليه، هو جهل يقوده إلى أخطاء قاتلة. إلا أن طموحاته فى الزعامة تقوده إلى أخطاء أعظم وتصور له أحلاماً خيالية .. وهذا ما قاده إلى اجتياح الكويت". ثم يضيف السامرائى فى ص٢٢٦ قائلاً: "كان اجتياح الكويت قراراً فردياً بالدرجة الأساسية، ولكن من الناحية الشكلية حصل عدد من الاجتماعات حضرها صدام مع كل من عزت الدورى - ولم يكن له رأى فى الاجتماع - وطه يسن رمضان (الجزراوى) نائب الرئيس - والمعروف بانسياقه وراء صدام، وتأييده له حفاظاً على مصالحه الشخصية، ولارتكابه جرائم بشعة فى المحاكمات الصورية لقادة حزب البعث، وطارق عزيز وزير الخارجية الذى أيد الغزو وقلل من احتمالات ردود الفعل الغربية والعربية، وعلى حسن المجيد، وحسين كامل، ومدير الاستخبارات العسكرية الفريق صابر الدورى، الذى قدَّم تقريراً عن الموقف يتضمن المحاذير المترتبة على الغزو، إلا أن صدام ركن التقرير جانبا من غير أن يقرأه قائلاً: "الاستخبارات العسكرية لا تريد تحرير الكويت" (ويقصد بذلك تحريرها من الأسرة الحاكمة فيها وضمها إلى العراق، بزعم إعادة الفرع إلى الأصل كما يدعى). كما شارك فى التخطيط العسكرى كل من الفريق حسين راشد معاون رئيس الأركان للعمليات آنذاك، والفريق إياد فتيح الراوى قائد قوات الحرس الجمهورى، والفريق صابر الدورى، وقائد القوة الجوية. وأخفى الأمر عن وزير الدفاع ورئيس أركان الجيش وهيئة الأركان العامة".

- ويشير كتاب (صدام حسين، والصعود إلى الهاوية)، وكذلك كتاب (السيرة الدموية لصدام) إلى أن صدام حسين لم يجد موافقة من بعض ضباط جيشه لغزو الكويت، وأن وكالات الأنباء أفادت أنه أعدم أكثر من ٢٠٠ ضحية عارضوا أو تخاذلوا، فدفع كل منهم رقبته فى الحال ثمناً لموقفه، تماما كما أعدم من قبل كثيراً من ضباط جيشه الذين عارضوا أو ترددوا فى غزو إيران من قبل، كذلك أعدم قائد الوحدة الخاصة الذى كان مكلفاً بتصفية الأسرة الحاكمة فى الكويت أو أسرها بسبب فشله فى تنفيذ المهمة.

خطة الغزو (٥٨)

- لم يكن التخطيط لغزو الكويت وليد اللحظة، ولكنه كان مسبقاً ودقيقاً، وكان الغرض الاستراتيجى الاستيلاء على كل الكويت بسرعة وبأقل خسائر. لذلك استهدفت خطة الهجوم سرعة الاستيلاء على

الأهداف الحيوية فى مدينة الكويت ليلاً لشل الدولة، وتجنب القتال داخل المناطق السكنية، وأسر أو قتل القيادات السياسية والعسكرية فى الكويت، والوصول إلى الحدود الدولية مع السعودية، مع التمسك بالمواقع الحيوية التى تم الاستيلاء عليها وتأمينها، ومنع أى قوات من استعادتها، وردع أى عناصر مقاومة داخلية عن تهديد القوات العراقية ومكتسباتها داخل الكويت. وهو ما يستلزم وجود طابور خامس كان مزروعاً بالفعل داخل أجهزة الدولة فى الكويت ومؤسساتها المختلفة للقيام بعمليات الإرشاد المطلوبة وتسهيل الأمر على الغزاة.

- وقد اختارت القيادة العراقية ساعة الصفر فى منتصف ليلة الخميس ٢ أغسطس ١٩٩٠ بالنظر لوجود الكثير من الكويتيين فى إجازاتهم الصيفية خارج البلاد، أو يقضون عطلة نهاية الأسبوع على البلاجات، كما أن تلك الليلة كانت مقمرة لاقترابها من نصف شهر المحرم، وهو ما يناسب التحركات الليلية للقوات العراقية، ولتضمن وجود أعضاء الأسرة الحاكمة فى الكويت فى منازلهم، وقد أوكلت مهمة قيادة الغزو إلى قيادة الجبهة الجنوبية، والتى وضع فيلق الحرس لجمهورى تحت قيادتها.

- ومن أهداف الهجوم الليلى أيضاً - وهو نادر الحدوث عند استخدام القوات المدرعة - تأمين أقصى درجات المفاجأة، كما يُسهِّل التحول من الأوضاع الابتدائية للهجوم إلى الهجوم الفعلى دون تدخل من القوات الأمريكية المتواجدة بالخليج إذا قررت ذلك، كما يؤمن الليل أيضاً حرمان القوات الجوية الكويتية من استخدام طائراتها، وإعماء الأسلحة المضادة للدبابات، ناهيك عن تأمين قوة الصدمة النفسية والعسكرية فى الجانب الكويتى، مع الاستفادة بالظلام فى ستر حركة طائرات الهليكوبتر العراقية التى تستهدف بما تحمله من قوات خاصة احتلال الأهداف الحساسة، وقتل وأسر القيادات السياسية والعسكرية فى الكويت، بالإضافة لتجنب حرارة الصيف الشديدة وتأثيراتها السلبية على المعدات القتالية.

وتمثلت قوة الهجوم فى ٤ فرق مدرعة، و ٢ فرقة ميكانيكية يتشكلون فى نسقين واحتياطى تعبوى واحتياطى جبهة على النحو التالى:

النسق الأول: الفرقة التاسعة ميكانيكية، الفرق ٢٣ مدرعة، ٤ لواء مدفعية، ٢ فوج استطلاع، ٢ كتيبة مغاوير، لواء إبرار جوى.

النسق الثانى: الفرقة العاشرة ميكانيكية، الفرقة ٢٥ مدرعة، الفرقة ٢٧ مدرعة.

احتياطى تعبوى: الفرقة ٢٠ مدرعة، مجموعة مدفعية الفيلق، احتياطى مضاد للدبابات، احتياطى هندسة ميدان، مفارز مواقع متحركة وتأمين تحرك، احتياطى دفاع جوى، لواء ٩٥ مظلات.

احتياطى الجبهة الجنوبية: الفرقة الخامسة ميكانيكية، الفرقة ١٥٠ مدرعة، مجموعة مدفعية الفيلق السابع، احتياطيات تخصصية.

احتياطى قيادة عامة: فرقة مدرعة، فرقة ميكانيكية، لواء مظلى، لواء قوات خاصة، لواء صواريخ سكود.

- كان الوضع على الجانب العراقى معداً تماماً للغزو، فالخطط مدروسة ومعدة مسبقاً، التدريب تم على قدم وساق منذ عامين، مواقع الهجوم مجهزة، التأمين اللوجيستى للقوات تم استكماله، والشحن المعنوى للقوات العراقية كان زائداً ضد أهل الكويت مع إثارة الأحقاد والضغائن، هذا إلى جانب السخاء فى تقديم الوعود للضباط والجنود. وكانت المنطقة الجنوبية تشهد نشاطاً عسكرياً ضخماً لاستكمال الاستعدادات القتالية، وكانت العلاقات أخوية بين عناصر الحدود فى الجانبين حتى ساعة الصفر، فقام الضباط والأفراد العراقيون فى نقاط الحدود باعتقال أفراد نقاط الحدود الكويتية وأسرهم وإرسالهم إلى العراق والاستيلاء على مواقعهم بما فيها من ممتلكات خاصة لاسيما السيارات.

- أما على الجانب الكويتى، فقد كانت ثقة الكويت زائدة - حكومة وشعباً - فى عدم وجود نوايا عراقية بغزوها عسكرياً، لذلك لم تضع استراتيجية دفاعية تجاه العراق، وكان ذلك إلى حد كبير اعتماداً على التعهدات التى قطعها صدام حسين على نفسه أمام الرؤساء العرب بعدم مهاجمة الكويت عسكرياً. وحتى عندما ترددت الأنباء عن الحشود العراقية على حدود الكويت، وتم رصدها بالفعل لم يصدق الكثيرون احتمال حدوث اجتياح عسكرى عراقى كامل للكويت، وأقصى ما توقعه البعض أن تشن القوات العراقية هجوماً محدوداً فى منطقة حقل الرميلة (كما وقع فى أحداث السامطة عام ١٩٧٣). كما لم يتم رفع درجة استعداد القوات الكويتية بدعوى عدم إثارة العراق أو استفزاز صدام، كذلك لم تفكر الكويت فى عقد تحالفات عسكرية مع دول أخرى، أو استدعاء قوات عربية أو صديقة.

إحباطات صدام بعد الغزو (٥٩)

- يصف اللواء وفيق السامرائى عملية الغزو فى كتابه (حطام البوابة الشرقية) ص٢٢٦ فيقول: "بعد منتصف ليلة ١، ٢ أغسطس ١٩٩٠ شرعت قوات الحرس الجمهورى فى التقدم واجتياز الحدود بين البلدين، ومع الفجر أقلعت عشرات طائرات الهليكوبتر بالقوات الخاصة التابعة للحرس الجمهورى فى طريقها إلى مدينة الكويت لاحتلال بعض الأهداف المهمة، وأبرزها القصر الأميرى لاعتقال القيادات السياسية والعسكرية الكويتية وأفراد الأسرة الحاكمة هناك أو قتلهم لاعتقاد صدام بأن ذلك من الممكن أن يحدث فراغاً سياسياً يسهل عملية ضم الكويت للعراق، وهو ما لم يحدث، إذ تمكن المسئولون الكويتيون من التوجه إلى السعودية".

- وكانت أولى إحباطات صدام حسين فى الخسائر التى تكبدتها طائراته المروحية التى تحمل قواته الخاصة، فيصف السامرائى أولى خسائر هذه الساعات فيقول: "تصدت الطائرات المقاتلة الكويتية للطائرات الهليكوبتر العراقية المحملة بالقوات الخاصة التى كانت متوجهة إلى القصر الأميرى، فتلاطمت فيما بينها وتحطمت ٢٦ هليكوبتر عراقية بمن فيها من أشخاص. وبعد السيطرة على إذاعة الكويت أذيع (البيان رقم ١) الخاص بالثورة من قبل مذيع عراقى حاول تصنع النبرة الكويتية، وكان غطاء الثورة للاجتياح العسكرى غطاءً هزيلاً يعكس عمق التخلف فى ذهنية الطاغية .. بلد غنى وشعب ينعم بثرواته وتصونه القوانين (يقصد شعب الكويت)، من يُصدق أنه مستعد تحت أى ظرف من الظروف للتفكير فى التوحد مع بلد تحكمه شلة ظالمة بقيادة فرد أهوج".

- ثم توالت الإحباطات التى واجهها صدام، عسكرياً وعربياً ودولياً، يصفها السامرائى على النحو التالى: "إن تمكن القيادة الكويتية من الانسحاب السريع والوصول على الأراضى السعودية سالمة، ولّد إحباطاً نفسياً مرحلياً لدى صدام للفشل الذى أصاب عمليات الصولة الجوية التى صُمِّمت أساساً كجزء رئيسى من خطة القبض على القيادة الكويتية، لإثارة التفتت والضياع وإتاحة الفرصة للصراع على المرجعية السياسية هناك، الأمر الذى يضع صانعى القرار فى الولايات المتحدة وبريطانيا والخليج أمام وضع حرج من وقائع الموقف .."، ويصف السامرائى باقى الإحباطات التى أصيب بها صدام، فيقول: "وقد أخذت الأحداث اليومية تتمخض بطريقة ديناميكية عن تجمع خانق لسُحُب الإحباط نتيجة للموقف المصرى المشحون بردة فعل عنيفة، والاستدعاء السعودى للقوات الأمريكية التى تضاربت التحليلات داخل القيادة العراقية حول حقيقة مهمتها، فمن القادة من أراد رفع المعنويات بطريقة بدائية ساذجة فى وصف التحشد الأمريكى الأولى بأنه للدفاع عن المملكة السعودية، وفريق آخر أخذ الموقف بجدية ولكنها مذعورة".

- ويصف السامرائى حالة التوتر التى أصابت صدام فى هذه المرحلة، فيقول: " وتمشياً مع التطورات السريعة وللمحافظة على قوة الضربة الفاعلة، أصدر صدام أمراً بتسريع دفع تشكيلات إلى الكويت لتأمين سحب قوات الحرس الجمهورى بأسرع ما يمكن من هناك، وظهرت عليه علامات توتر لم تكن مسبوقة بتلك الدرجة من الوضوح .. إلا أن حسه الأمنى وحرصه الشديد على حياته دفعاه لإصدار أوامر صارمة يمنع بموجبها منعاً باتاً فتح ستائر النوافذ فى كافة دوائر القصر ليلاً ونهاراً تجنباً لقيام أقمار التجسس الأمريكية بالتقاط صور تساعد فى معرفة وجوده". ثم يشرح السامرائى توجهات صدام حسين لاستخدام الحرس الجمهورى لتأمين الدفاع عن جنوب العراق فى مواجهة احتمالات تدخل قوات التحالف، فيقول: "باشر الحرس الجمهورى بالانسحاب وسط فوضى عدم وجود خطط حقيقية وشاملة للدفاع الاستراتيجى، لأن الأركان العامة لم تكن على بيّنة من نوايا الغزو، فبدأت مرحلة التخطيط للانتشار الدفاعى وسط تلك الفوضى".

تضارب مبررات صدام لغزو الكويت (٦٠)

- تعددت وتضاربت المبررات التى أبداها صدام لغزوه الكويت، ففى أول بيان رسمى صدر عن الحكومة العراقية يوم ١٩٩٠/٨/٢ زعم أن القوات العراقية زحفت على الكويت استجابة لنداءات من الشعب الكويتى الذى أطاح بالنظام القائم، وبعد أن أصدر مجلس الأمن قراره رقم ٦٦٠ بإدانة الغزو العراقى للكويت وطالب بانسحاب العراق فوراً من الكويت، أعلن العراق رفضه للقرار بزعم أن العمل العسكرى العراقى أمر داخلى!! ثم صدر بيان آخر عن الحكومة العراقية فى ١٩٩٠/٨/٤ زعم فيه صدام تشكيل ما أسماه حكومة الكويت الحرة المؤقتة، وفى نفس اليوم ١٩٩٠/٨/٤ أعلن العراق أن الحكومة الكويتية المؤقتة قد شكلت جيشاً شعبياً وأن الآلاف من المواطنين العراقيين قد اشتركوا فيه، ثم اتضح بعد ذلك أن هذا الإعلان كان عملية خداع مكشوفة لتغطية عملية سحب فرق الحرس الجمهورى واستبدالها بقوات من الجيش الشعبى العراقى التى حل محلها، عندما أعلن العراق يوم ١٩٩٠/٨/٥ أنه بدء فى سحب قواته النظامية من الكويت بالاتفاق مع ما يسمى بحكومة الكويت المؤقتة.

- وفى ١٩٩٠/٨/٧ أعلن العراق أن ما يسمى بحكومة الكويت المؤقتة قررت إعلان الجمهورية الكويتية، ثم أردف ذلك بإعلان آخر فى ١٩٩٠/٨/٨ أن هذه الحكومة طلبت إعلان وحدة الكويت مع العراق، ثم بدأت وسائل الإعلام العراقية فى ترديد المزاعم بان الكويت جزء من العراق، وأن الفرع عاد إلى الأصل وأصبحت الكويت المحافظة رقم ١٩ بين محافظات العراق. ثم ظهر صدام فى نفس اليوم فى التلفزيون العراقى ووصف غزوه للكويت بأنها حرب مقدسة، وادعى أنه يضع ثروات الأمة العربية فى خدمة ما وصفه بالأهداف النبيلة. وفى مذكرة بعثت بها الحكومة العراقية إلى الجامعة العربية وصفت فيها احتلال العراق للكويت بأنه "شمساً جديدة تشرق على الخليج"!!

- وتظهر هذه الإجراءات السياسية والإعلامية العراقية أن غزو الكويت واحتلالها وضمها للعراق، هو الهدف السياسى من الحملة العسكرية العراقية ضد الكويت، منذ اليوم الأول الذى فكر وخطط فيه صدام حسين لعدوانه على الكويت، نهباً لثرواتها واستحلاباً لخيراتها وقهراً وإذلالاً لشعبها. وما رددته وسائل الإعلام العراقى عن ثورة فى الكويت وإقامة حكومة مؤقتة هناك طلبت مساندة العراق لها، ما هى إلا مزاعم وأباطيل وأكاذيب مكشوفة كان يرددها النظام الصدامى لتبرير ضمه النهائى للكويت، وهو ما لم ينطل لا على الرأى العام العربى ولا الرأى العام الدولى.

- يكشف عن هذه الحقيقة سعد البزاز رئيس تحرير جريدة الجمهورية العراقية، وأحد القيادات السياسية السابقين فى النظام الصدامى فى كتابه (حرب تلد أخرى) والذى يهدد فيه بحرب جديدة يقتص فيها العراق من الكويت مرة أخرى: "إن العراقيين توصلوا فى وقت مبكر بعد انتهاء الحرب مع إيران إلى أن حل المعضلات التى يعانى منها العراق لن يتم عبر حلول جزئية أو مؤقتة، وأن الدور الذى لعبه العراق فى حماية الخليج يستحق أن يجعل دول هذه المنطقة تتحمل القسط الأكبر فى إيجاد حل شامل وكلى لمجموعة مشكلات مركبة نتجت عن تضحيات كبيرة قدمها العراق من أجل الآخرين ..."، ثم يوضح سعد البزاز تكاليف هذه التضحيات والفاتورة التى ينبغى أن تدفعها الكويت ودول الخليج فيذكر أنها بلغت "٧٠ مليار دولار يضاف إليها ما أنفقه العراق من احتياطية قبل بدء الحرب مع إيران، والذى كان يزيد عن ٥٠ مليار دولار، وكانت المساهمات الضئيلة والرمزية التى قدمتها السعودية والإمارات وعائلة الصباح فى حملات إعادة بناء العراق التى تلت الحرب قد عجلت فى الاستنتاج بأن هذه الهبات المحدودة لن تقدم حلاً". ومن ثم يتضح لنا أن المطلوب من وجهة نظر النظام الصدامى ليس الحصول على بعض ما تملك الكويت ودول الخليج، بل المطلوب كل ما يملكون. وقد كتب سعد البزاز هذا الكتاب قبل أن يهرب من العراق فراراً بجلده من بطش النظام الصدامى وغدره حتى برجاله أمثال البزاز، ولكنه لم يتراجع حتى الآن فى مقابلاته التلفزيونية وأحاديثه عن إصراره على ما كتب وتأكيده عليه، مما يؤكد أن عملية غزو الكويت ومحاولات ابتلاعها وضمها إلى العراق قديمة وحديثة ومستمرة، حتى من قبل بعض الفئات المعارضة للنظام الصدامى، وهو ما برز عندما اعترضت هذه الفئات على موافقة صدام حسين على اتفاقية ترسيم الحدود مع الكويت التى تم توقيعها تحت إشراف الأمم المتحدة عام ١٩٩٤ بعد هزيمة عدوانه على الكويت.

- ويؤكد طارق عزيز هذا الحل الشامل للمشكلات العراقية التى يقف فيها العراق "على شفا انهيار اقتصادى محتم" بقوله: "كان لابد من حماية العراق بأسلوب الهجوم". ثم يوضح البزاز هدف هذا الهجوم فى كلمات لا تحتاج لشرح: "عندما يكون لديك جيش من مليون رجل لا تستطيع أن تؤكله، فأرسله إلى أرض أخرى يأكل من أنعامها"!! ولا يخفى طارق عزيز ذلك، بل يبشر به شعب العراق بأن ذلك سوف "يقدم للعراق دخلاً يسدد به ديونه فى غضون سنتين أو أربع". ومن ثم يتبين لنا أن قرار استباحة أموال الكويت وإمكاناتها وإطلاق جيش العراق "ليأكل من أنعامها" كان هدفاً أساسياً من أهداف مخطط العدوان على الكويت أعلنه قادة العراق ومسئولوها، وأن الإعداد لذلك كان مسبقاً شهده عام ١٩٨٩ (العام السابق للعدوان) عندما أرسل العراق وفوده الرسمية إلى الوزارات والمؤسسات الحيوية وجهات البحث والمتاحف والجامعة وغيرها بدعوى الإفادة بتجربة الكويت المتقدمة فى عمليات إعادة بناء العراق بعد الحرب مع إيران فى نطاق التعاون "الأخوى". وقد تكونت تلك الوفود من متخصصين فى المجالات التى أوفدوا إليها، أفسحت لهم الكويت بروح الأخوة المجال للتعرف على كل ما تحتويه تلك المؤسسات وأبرز إمكاناتها وأجهزتها المتقدمة. وقد حصل أعضاء تلك الوفود على كافة المعلومات التى مكنتهم عندما وقع العدوان أن يتجهوا رأساً إلى هذه المؤسسات لإرشاد قوات الغزو لما ينبغى الاستيلاء عليه ونقله إلى العراق. وقد اتضح من طريقة السرقة التى تمت على نحو دقيق مما يشير إلى توافر معلومات كاملة مسبقة عنها، وعلى أيدى متخصصين يعلمون تماماً ما أتوا لنهبه.

جحافل البغى وانتهاك حرمات الكويتيين (٦١)

- عند اللحظات الأولى لفجر الثانى من أغسطس ١٩٩٠، انقضت جحافل البغى والشر العراقية على شعب الكويت، تقتحمها بمدرعاتها، وتصعقها بمدافعها .. وانطلق عتاة الوحشية والإجرام من جند صدام يقتلون ويسرقون وينهبون ويحرقون وينتهكون الأعراض فى خسة بشعة لم يعرف لها تاريخ الحروب مثيلاً، فلقد كانوا ينفذون أوامر صدام بإخلاص وتفان وإحكام، بل لم يكونوا فى حاجة إلى أوامر لتنطلق غرائزهم الوحشية النابعة من نفوسهم الشريرة والمريضة ليفعلوا ما فعلوا من إهلاك الحرث والنسل على أرض الكويت. فلقد أباح النظام الصدامى لقادته وجنوده أن يأخذوا كل ما يشتهون، ينتزعونه عنوة من أهله دون حياء رادع أو ضمير وازع.

- وإذا كان الاحتلال، والقتل، والتعذيب، والتشريد، والاغتصاب، والتهجير، والتوطين، والصلف، والجلافة، والسفالة، والوقاحة .. الخ الخ هذه المصطلحات والتى كانت لصيقة بإسرائيل، وترد دائماً فى وصف اعتداءاتها على البلدان العربية، فإنه منذ الثانى من أغسطس ١٩٩٠ أصبحت هذه المصطلحات ومثيلتها تعنى (العراق) بأكثر مما تعنى إسرائيل، بل تعنى صدام حسين بأكثر مما تعنى بن جوريون أو جولدا مائير، أو موشى ديان أو شارون! ذلك أن الذى فعله صدام حسين فى الكويت لا يقل عما فعله زعماء إسرائيل بفلسطين المحتلة، لسبب بسيط جداً هو أن ما فعله زعماء إسرائيل هو فعل عدو بأعدائه، أما ما فعله صدام حسين فهو فعل ضد تراب عربى إسلامى، وضد أخوة أشقاء فى الدين والدم واللغة فضلاً عن حرمة الجوار، وهذا ما يجعل الفعل أفظع وأشنع.

100 عام من الأطماع

فيصل الأول (1921 ـ 1933)

أراد اتلاع السعودية والكويت في مؤتمر العقير في أواخر نوفمبر 1922، وقال ممثله الدعو صبيح بك في حضور الممثل البريطاني السير بيرسي كوكس والملك عبدالعزيز آل سعود، ان حدود العراق تنتهي جنوبا على بعد 12 ميلا من الرياض، وغربا حتى البحر الاحمر، وشرقا الى الهفوف والقطيف على الخليج.

غازي الأول (1933 ـ 1939)

ـ في مايو 1934 طالبت جريدة «الإخاء» العراقية بضم الكويت.

ـ منتصف 1934 قالت جريدة «الشعب» العراقية ان «الكويت تابعة للبصرة» وانضمت الى قائمة الاشاعات صحف «الناس والكرخ والطريق والزمان» بايعاز من غازي الاول.

ـ في 1935 طالب وزير الدفاع العراقي المدعو جعفر العسكري بضم جزيرتي بوبيان ووربة بحجة انهما تكونتا من مواد طينية قادمة من انهار عبر في العراق.

ـ 1938 اقام غازي الاول اذاعة باسمه انطلقت من قصر الزهور تبث سمومها المطالبة بضم الكويت.

ـ في العام نفسه، باستخدام القوة العسكرية ضد الكويت، ودفع الميارات المدرعة لاعتاب الجهراء لولا تدخل القوات البريطانية.

ـ عاد رستم حيدر القائم باعمال الخارجية العراقية الى القول في مجلس المبعوثين العراقي ان «الكويت ليست قابلة للانفصال عن لواء البصرة».

ـ بعد انتشاف النفط في حقل برقان عام 1939 الاطماع العراقية بغرض التخلص من الازمات الاقتصادية الداخلية.



عبد الإله وصي على عرش الملك فيصل الثاني (1939 ـ 1953)



... التي ازالها العراقيون.

ـ من 1940 الى 1952 استمر عبد الإله في شن الحملات الاعلامية المطالبة بضم الكويت دون تصعيد عسكري تحت ضغط بريطانيا.

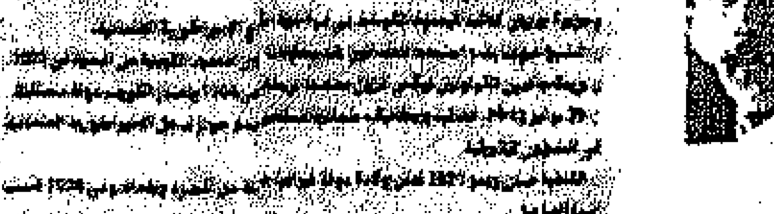
فيصل الثاني (1953 ـ 1958)

ـ جدد نوري السعيد رئيس الوزراء في عهد فيصل الثاني مطالبة العراق بانشاء ميناء على الخليج بعد التدفق الهائل للنفط.

ـ ديسمبر 1955 طالب نوري السعيد باستئجار اراض كويتية لمدة 99 عاما، ورفضت الكويت التي فطنت الى الخدعة العراقية.

ـ مارس 1956 اعرب وزير خارجية العراق برهان الدين باشا عن دهشته للرفض الكويتي لمبدأ التأجير.

ـ ابريل 1957 صعد العراق من ابتزازه وطالب بضم الاراضي التي سبق ان طلبت بغداد تأجيرها قبل عامين.



ـ مايو 1957 وقف نوري السعيد وراء المطالبة بضم الاراضي الكويتية رغم انه اعترف في رسالة بخط يده الى بريطانيا بالحدود بما فيها الارض التي يطالب بضمها في 21 يوليو 1932.

ـ في اوائل 1958 عاد نوري السعيد الى اسلوب الخداع والمناورة وعرض على الكويت الانضمام الى ما يسمى «الاتحاد الهاشمي» مع العراق والاردن، والا يزيد من تهديداته بضم الكويت عسكريا في تشنيع انواع الابتزاز السياسي.

عبدالكريم قاسم (1958 ـ 1963)

ـ 12 / 8 / 1958 كتب قاسم في خطابه الى الشيخ عبدالله السالم الصباح مشيدا بالمشاعر الاخوية التي ابداها نحو العراق.

ـ 10 / 12 / 1958 كتب الخارجية العراقية الى سمو امير البلاد تناشد الموافقة على التمثيل القنصلي بين دولتي العراق والكويت.

ـ 20 / 4 / 1961 صعد قاسم من لهجته العدائية تجاه الكويت وسخر من اتفاقية 1899، واعتبر نفسه وصيا على الشعب الكويتي.

ـ 17 / 5 / 1961 ابلغ وزير الخارجية العراقي سفير بريطانيا في بغداد ان الكويت كانت جزءا من ولاية البصرة.





... في الكويت لاتفاقية 1899، وفي اليوم نفسه تعتبر بريطانيا ضم الكويت.

... الاستعمارية البريطانية، وتعرضت في اليوم نفسه ... الكويت.

... الى وزارة الدفاع العراقية وعاد الى سياسة الابتزاز معتبرا الكويت تابعة لولاية البصرة.

... السفارات العربية في بغداد ... ان الكويت جزء من العراق.

... قاسم برقيات تهنئة من قادة الفرق العسكرية والوزارات.

العراق وان يقع الاستعمار في ...

ـ 27 / 6 اعلام رفيع ... بمفعل ...

والهيئات تبارك خطوته بضم الكويت.

ـ 29 / 6 قامت القوات العراقية بانطلاق ...

ـ 30 / 6 قام قاسم بجولة بالطائرة على ... من زوارقها على السفن الكويتية.

ـ 4 / 7 / 1961 قال قاسم للصحافيين ان ... المناطق الحدودية مؤكدا ان الكويت ستعود قريبا الى العراق.

للفرصة مدنية لان فيها جيلا ... العراقيين وكانه حسم امر ضم الكويت ...

ـ 14 / 7 اكد قاسم انه سيتم حل ... قرارات وصولا الى مبدأ الاجماع.

ـ 18 / 7 / 1961 انتقد قاسم موقف الجامعة العربية ورفضها مسعى العراق لضم الكويت.

ـ 4 / 12 / 1961 تعرض قاسم لمحاولة ... سلام وهدد على الوقت بالتدخل في الشرق الاوسط ...

تبقى ولا تقل لا بقيت الكويت منفصلة عن ال...

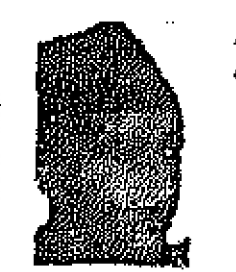
ـ 25 / 12 / 1961 استولى قاسم على ... الكويتية وارغم قادة السفن على تبديل اوراقها باوراق عراقية، كما جند اموال الكويتيين في البنوك العراقية.

ـ 29 / 12 / 1961 كشفت تركيا انها ... على تقارير من سفارتها في بغداد تؤكد استعداد قاسم لمهاجمة الكويت في 6 / 1 / 1962.

ـ 2 / 1 / 1962 قال قاسم في مؤتمر صحفي انه لقطة سخنة ... في طريقه الى الكويت.

ـ 11 / 3 / 1962 قال وزير الصحة العراقي في مؤتمر الاطباء العرب ببغداد ان الكويت اصبحت لعبة مضيعة وسوف تتخلص قريبا من ...

ـ 14 / 3 / 1962 قال قاسم ان «الكويت شبر مسروق من العراق».



عبد السلام عارف (1963 ـ 1966)

ـ ابريل 1964 مارس عارف ابتزازه للكويت وطلب 30 مليون دينار كويتي مقابل ضمان عدم استخدام السوفييت لحق الفيتو ضد طلب الكويت الانضمام الى الامم المتحدة.

ـ منتصف 1965 ... عبد السلام عارف محمد ... ضرورة تأجير اراض كويتية للعراق.

عبد الرحمن عارف (1966 ـ 1968)

ـ انشغل عبد الرحمن عارف بالاوضاع الداخلية مما دفعا معارضيه ووسائل الاعلام الى اتهامه بالضعف لعدم تصعيد المطالب العراقية في الكويت.

احمد حسن البكر (1968 ـ 1979)

ـ 20 / 2 / 1973 طالب الطاغية صدام نائب البكر بضم جزيرتي وربة وبوبيان.

ـ 8 / 3 / 1973 صعدت العراق من ضغطها على الكويت لاجبارها على توقيع اتفاق لانشاء حصون وموانئ ومطارات وخطوط للسكك الحديدة تمتد بين البلدين ورفضت الكويت.

ـ 20 / 3 / 1973 دخل العراقيون الحدود الكويتية واستولوا على مركز الصامتة.

الطاغية صدام (1979 ـ ؟)

ـ 23 / 6 / 1980 قال مسؤول عراقي ان «الحدود مع الكويت لم يبت فيها».

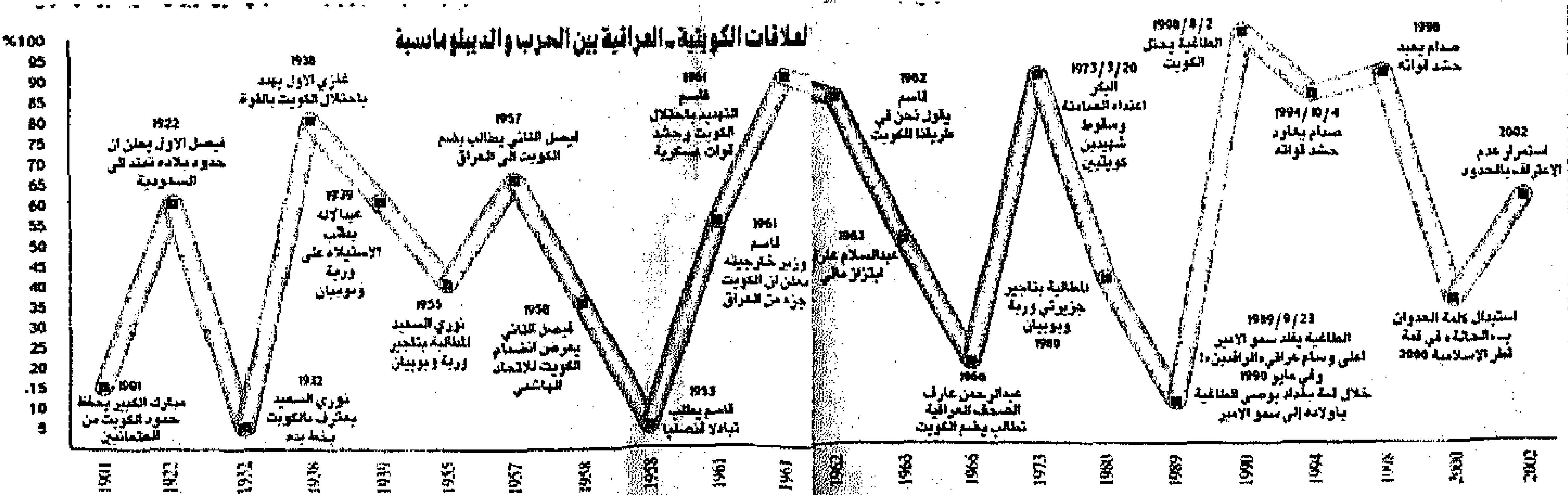
ـ من 84 ـ 1988 اعاد النظام العراقي اثارة طلب تأجير اراض كويتية.

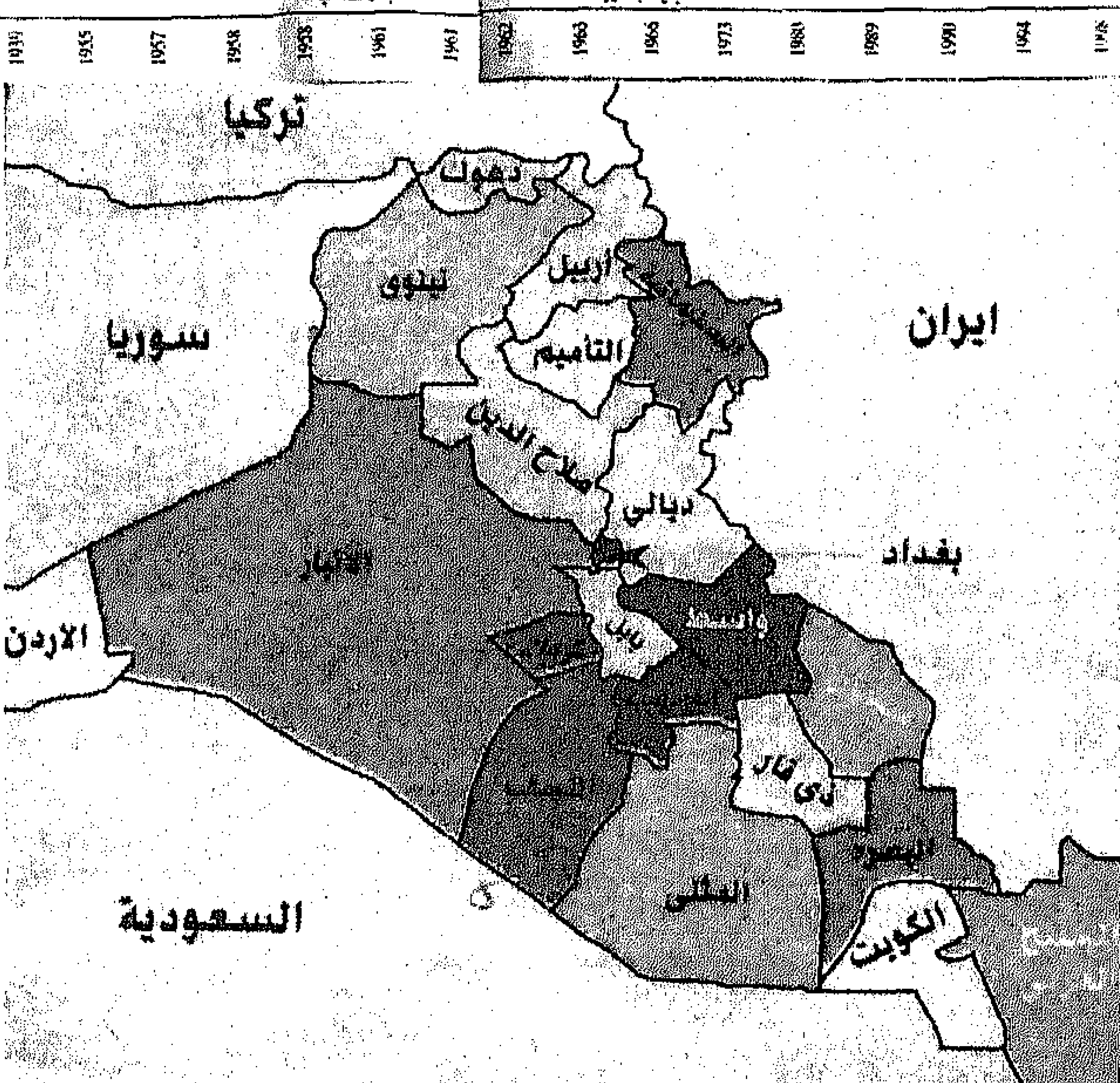
ـ 2 / 8 / 1990 حول الطاغية صدام الاطماع العراقية منذ 100 عام الى واقع واحتل الكويت.

ـ طيلة 11 عاما منذ اندحر لم يتعلم صدام الدرس وواصل تهديده الكويت.

ـ 15 / 7 / 2000 دعا حول الطاغية عدي الى تقليص المنطقة العازلة بين العراق والكويت وطلب من ابواق النظام اثارة هذا الموضوع مجددا.

ـ 5 / 8 / 2001 اعاد نائب رئيس النظام العراقي طارق عزيز ان «الكويت جزء من العراق».

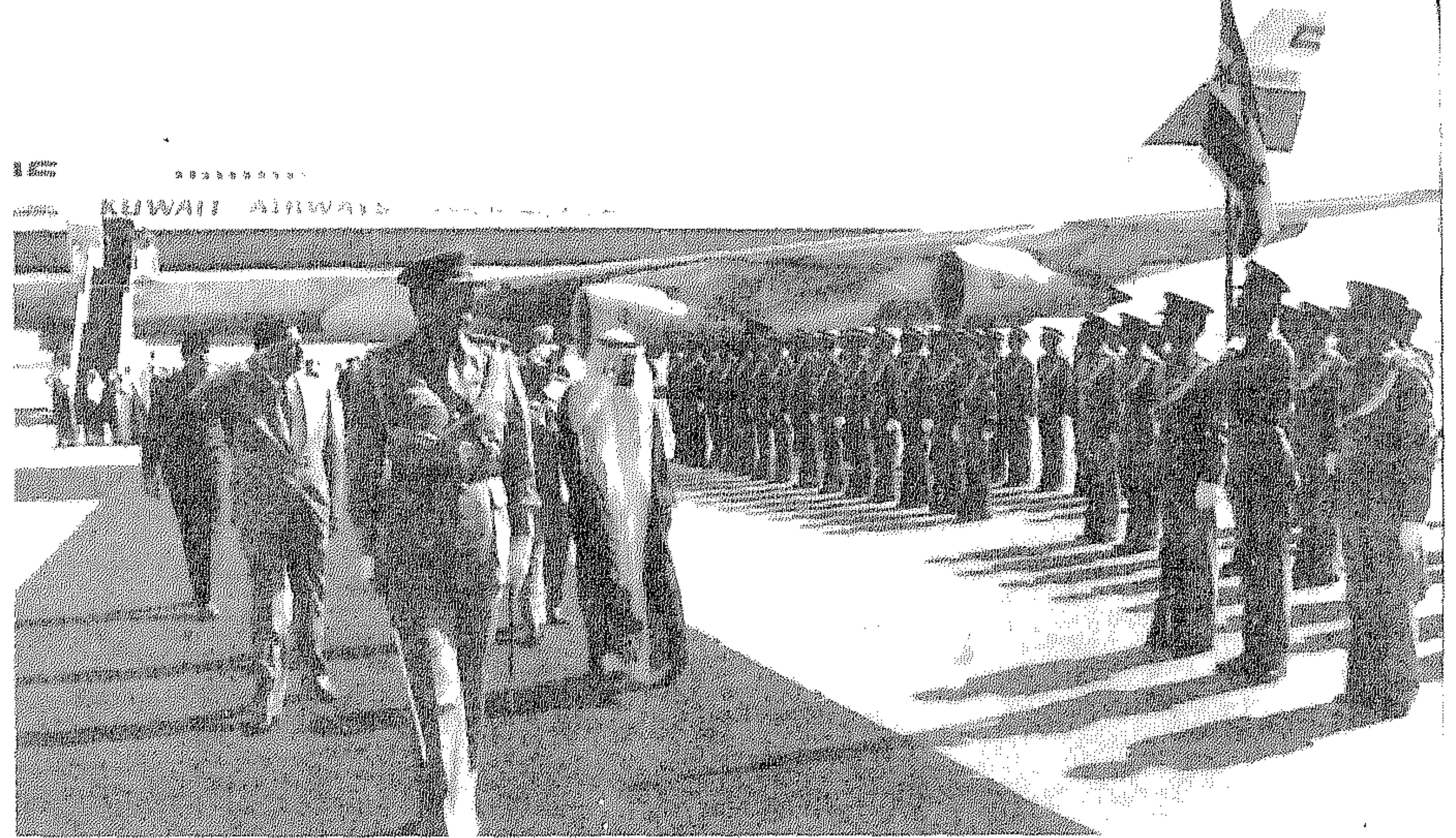




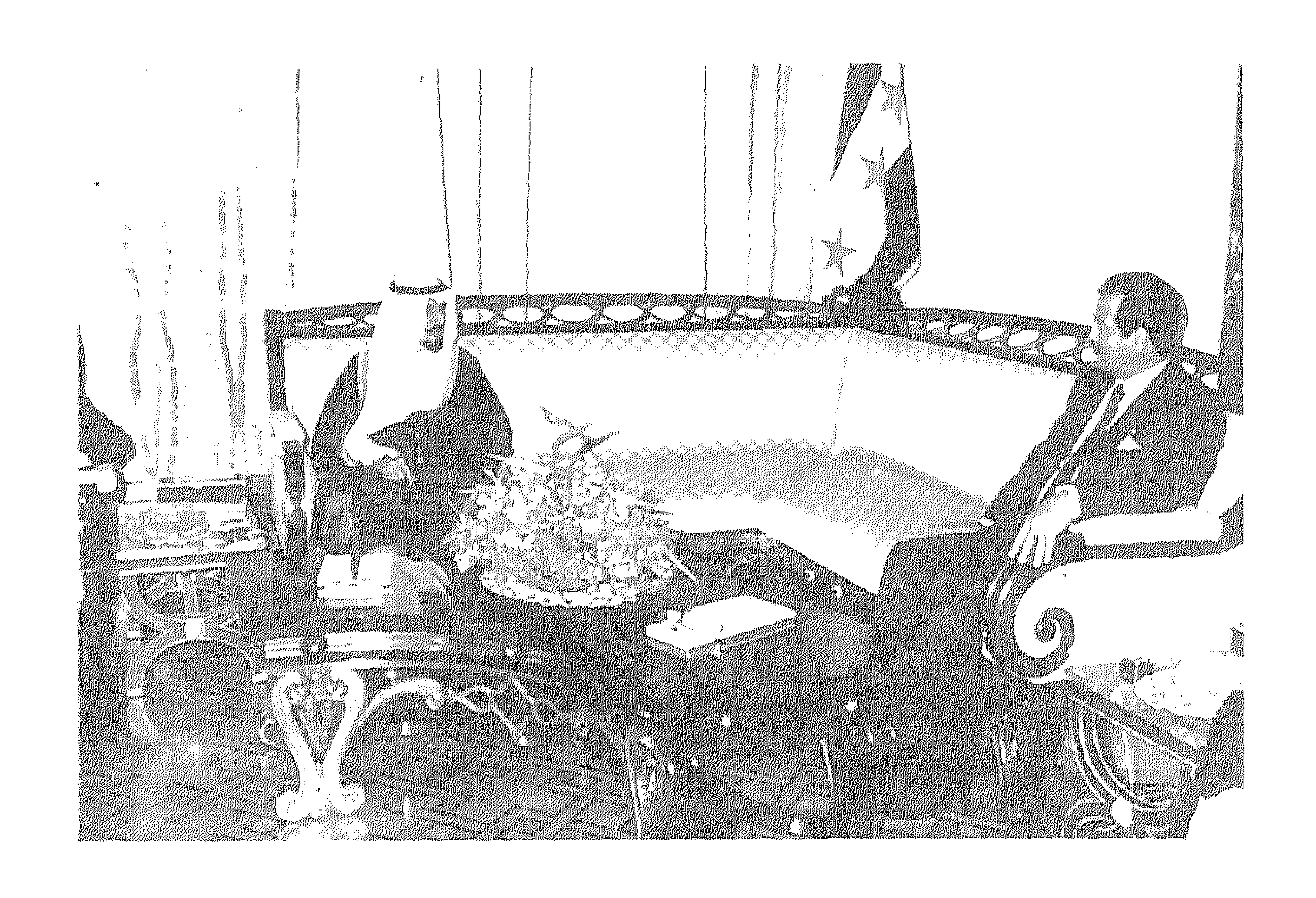
خريطة محافظات العراق (الانباء خاص).

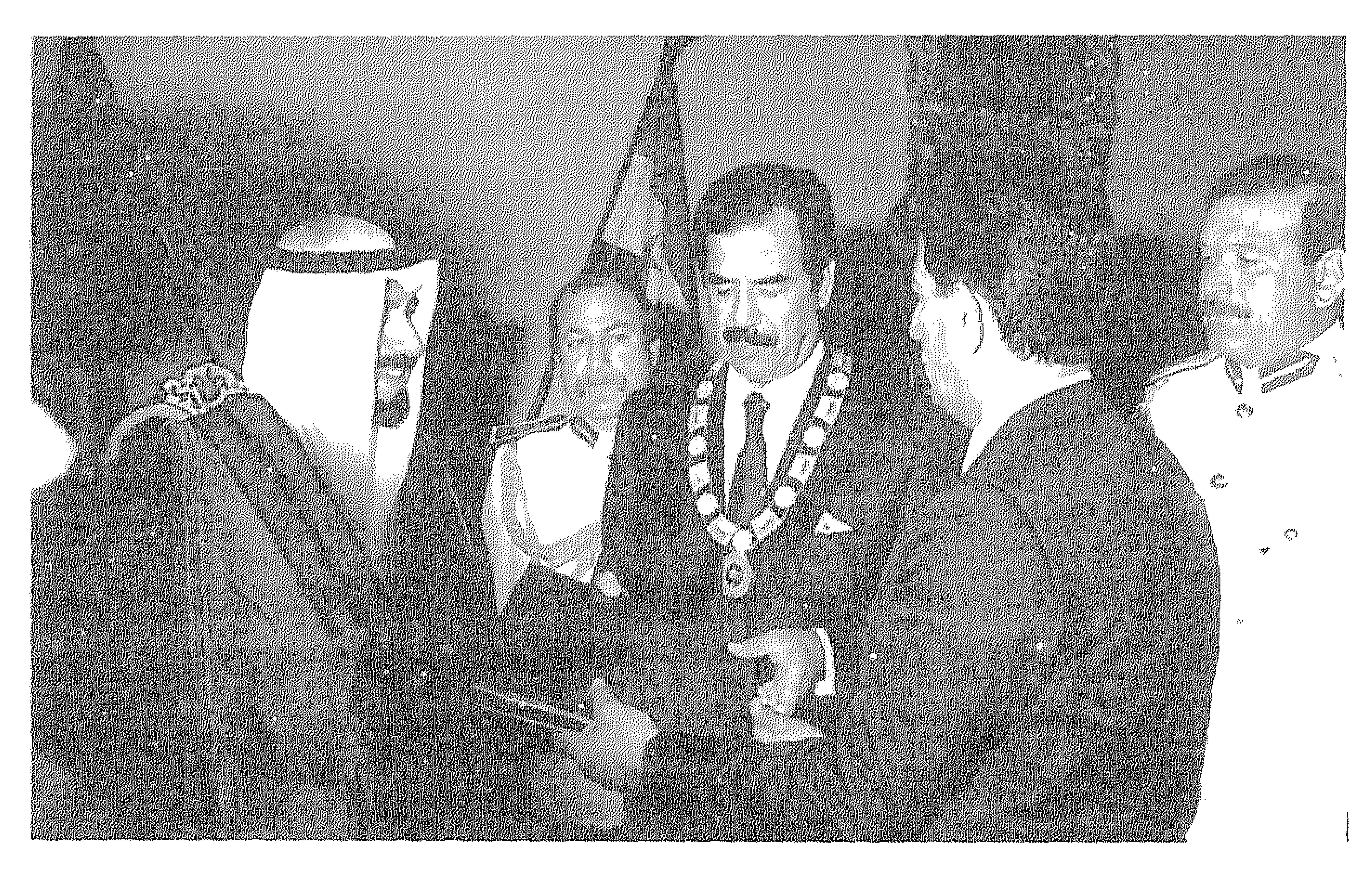
الغدْر



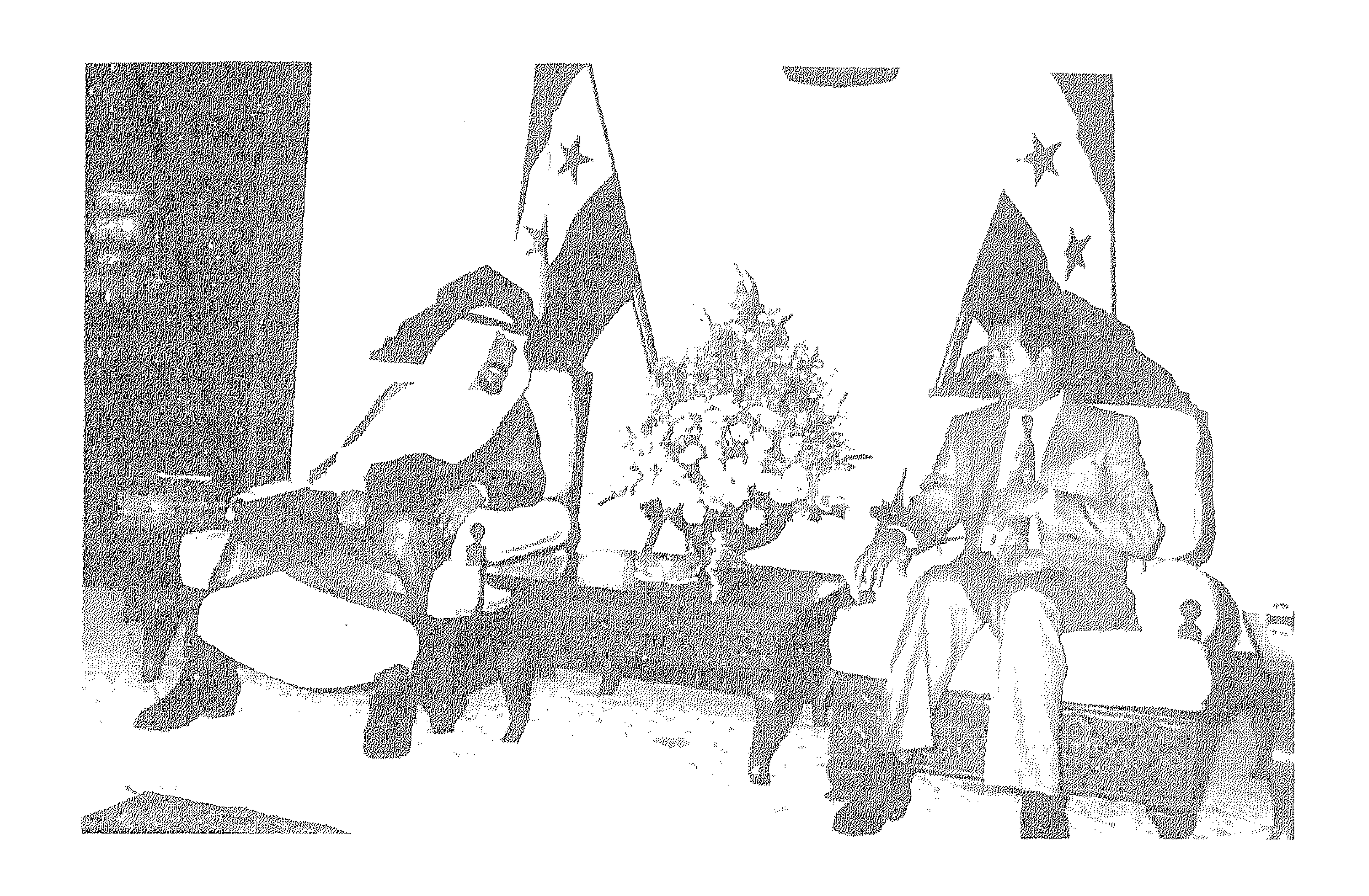


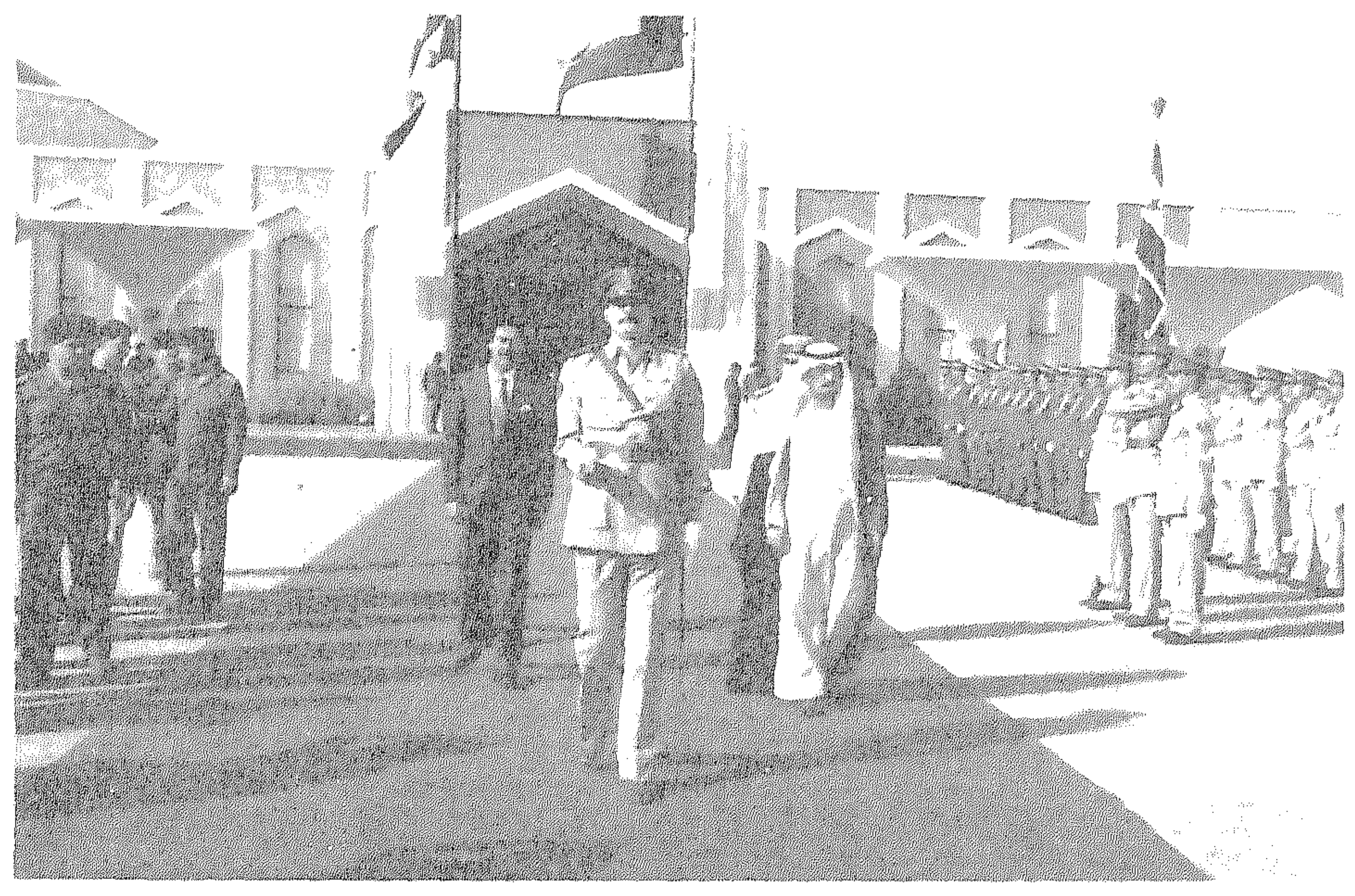
صدام حسين يكرم أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح أثناء زيارته إلى بغداد عام ١٩٩٠ ويقلده أعلى وسام فى العراق، فى ذات الوقت الذى كان يخطط فيه لاجتياح الكويت بعد عدة أشهر





الغدر والخيانة والتآمر.. سمات أساسية فى شخصية صدام





دعاه أمير الكويت فى مايو ١٩٩٠ لزيارة بلاده.. فقال له: سأحضر وستفاجأ بوجودى،
وقد حصل فعلا عندما حضر بجنوده بعد ثلاثة أشهر لاحتلال الكويت..
فعل بعد ذلك غدر؟!

أ- جرائم القتل [٦٢]

- بلغ عدد جرائم القتل التى ارتكبتها القوات العراقية ضد المدنيين فى الكويت ٥٥٦ حالة، تراوحت أسبابها بين إطلاق النار عمداً، وعمليات تعذيب واعتداءات جسدية أفضت إلى الموت، ودهس بالسيارات عمداً فى الشوارع، وانفجار ألغام، وحالات إجهاض، وانفجارات، ونقص رعاية صحية. أما الإصابات فقد بلغت ١٧٦٨ حالة. وحتى تكون لدينا رؤية حية عن حجم المأساة التى لم يسمع بها العالم من قبل، فإننا سنعرض بعض النماذج من المشاهد الدامية التى تعرض لها شعب الكويت.

- ففى شهادة لمنظمة (الأطباء من أجل حقوق الإنسان) ذكر أحد الشهود الأطباء أنه كانت ترد لهم حوالى ٢-٣ حالات إعدام يومياً طوال فترة الاحتلال، وقد تراوحت أعمار الضحايا بين ١٤ و ٣٠ عاماً، كما جرت مذابح جماعية ارتكبها الجنود العراقيون ضد تجمعات من الشعب الكويتى تظاهرت ضد الاحتلال العراقى لبلادهم، بل إن نيران العراقيين طالت أطفالاً فى الكويت لم يتجاوز أعمارهم ٥-١٠ سنوات، فقد ذكر أحد الأطباء أنه شاهد أكثر من ثلاثين جثة ملقاة فى الشارع بجوار المستشفى، كما شاهد إخراج الكويتيين من عرباتهم وقتل بعضهم وتكبيل أيادى آخرين وسرقة ما يحملونه من نقود ومجوهرات.

- وفى شهادة طبيب آخر بمستشفى الصباح للولادة ذكر أنه شهد بعينيه نقل ٦٠ حضانة من أحد عنابر العناية المركزة للأطفال ناقصى النمو فى سيارات الجيش العراقى، واستمر ذلك لمدة ثلاثة أسابيع بعد الغزو كما أفاد بأن الجنود العراقيين منعوه وزملائه من دخول العنبر، وقاموا بوضع ٤٥ طفلاً على الأرض، مات منهم أربعة أطفال.

- أما جرائم قتل الرجال أمام زوجاتهم وأطفالهم فى الشوارع دون ذنب اقترفوه وسرقة سياراتهم وممتلكاتهم واحتجاز نساءهم، فإن الحديث عنها تقشعر له الأبدان، حيث كانت ترتكب هذه الجرائم فى عروض دموية بشعة وسط صراخ وعويل النساء والأطفال، بينما كانت أصوات الرصاص تمتزج بضحكات وصيحات هستيرية مجنونة يطلقها وحوش الطاغية المجنون الأحمق التى أطلقها على شعب الكويت.

ب - جرائم التعذيب [٦٣]

- أما وسائل وأساليب التعذيب التى مارسها الجنود العراقيون ضد الشعب الكويتى، فإنها فاقت تلك الممارسات الوحشية التى كانت ترتكبها الأنظمة البربرية الحاكمة فى القرون الوسطى. فلم يترك مجرمو النظام الصدامى من ضباط ورجال مخابرات وتحقيق وجنود وسيلة يمكن لهم أن يمارسوا بها ومن خلالها ساديتهم، وينفسوا عن أحقادهم، وينفذوا أوامر الطاغية إلا واستخدموها فى تعذيب الأسرى. ومع توالى أيام الاحتلال العراقى الغاشم، عرف المواطنون الكويتيون الذين وقعوا فى قبضة جلادى النظام، وسيقوا إلى المعتقلات والسجون ألواناً من التعذيب الجسدى، التى تفتقت عنها غريزة الإجرام الكامنة فى نفوس الجلادين، الذين لم يميزوا بين رجل وامرأة أو شاب وشيخ، بل إن أطفال الكويت تلقوا

من صنوف التعذيب أشكالاً وألواناً لم تشهد مثيلاً لها أقبية السجون فى العصور الغابرة. لأن المطلوب كان إذلال المواطن الكويتي بعد اغتصاب أرضه.

- ولقد أحصت منظمة العفو الدولية فى تقريرها الذى رفعته إلى الأمين العام للأمم المتحدة - نتيجة الجولات الميدانية التى قام بها ممثلوها فى الكويت بعد تحريرها - ٣٨ وسيلة وأداة للتعذيب استخدمها جنود الاحتلال ضد الكويتيين شملت ضرب كل أنحاء الجسم بالعصى والقضبان المعدنية والبلاستيكية والسياط والأسلاك والخراطيم والهراوات المطاطية وأعقاب البنادق، وربط الأسير من قدميه وتعليقه بسقف المعتقل أثناء ضربه ولفترات طويلة، وكان البعض يتم تعليقه بمروحة السقف ويجرى ضربه وهى تدور بأقصى سرعة، بالإضافة لتكسير الضلوع وشد مفاصل اليدين والرجلين لخلعها، وتقطيع الأطراف والآذان واللسان، ونزع الأظافر، واستخدام المثاقب الكهربائية واليدوية لإحداث ثقوب فى رأس وأطراف الأسرى، وفقء العينين ونزعهما أو إلقاء مواد كيميائية عليها، والإخصاء وهتك أعراض الرجال، ودق مسامير فى كف اليد، وخرق الجلد بالدباسات وإطلاق النار على الأسير فى مواضع غير قاتلة وجعله ينزف، وإدخال أجسام صلبة وعنق زجاجة مكسور فى المستقيم، وتعريض الأجزاء الحساسة فى الجسم للشد والصعقات الكهربائية، ونفخ الهواء فى دبر الصبيان الصغار، وحرق أجزاء من جسم الأسير بأعقاب السجائر والمكاوى الكهربائية والقضبان الحديدية المحماة بالنار، وإغراق الوجه فى وعاء مملوء بالمياه الآسنة، وصب ماء ساخن وبارد بالتناوب على الأسير، ورش الجسم بالأحماض المركزة،وصب مياه حارقة على العينين ووضع سماعات على الأذنين لسماع أصوات عالية، وانتزاع شعر الوجه واللحية بالكماشة، ووضع أحمال ثقيلة على جسم المعتقل، وإجباره على شرب مياه المجارى، ناهيك عن الحرمان من الشراب والطعام والنوم لفترات طويلة، وإجبار المعتقل على مشاهدة تعذيب أهله.

- ومن المعتقلات فى الكويت تم ترحيل الآلاف باتجاه سجون النظام الصدامى فى مختلف المناطق العراقية، ليتواصل هناك مشوار القهر والظلم والخضوع للممارسات الإجرامية بحقهم من قبل جلادى النظام، الذين حولوا الأسرى والمعتقلين إلى وسيلة يفرغون فيها أحقادهم الدفينة، ويخفون وراءها ذل الهزيمة المنكرة التى تعرض لها جيشهم ونظامهم فى حرب تحرير الكويت. ولقد جسدت قوافل الأسرى الذين تمكنوا من الهرب من المعتقلات أثناء انتفاضة مدن جنوب العراق فى مارس ١٩٩١، آثار الجرائم والممارسات الوحشية التى ارتكبها رجال طاغية العراق بحقهم متجاوزين بذلك كل الأعراف والقوانين والقيم والمبادئ، حيث تجلت فى أنحاء أجساد الأسرى وفى طيات نفوسهم معالم روح الانتقام العراقية تجاه شباب ونساء وأطفال وشيوخ كل ذنبهم أنهم رفضوا الخضوع ولم يرتضوا الذل ولم يساوموا على حقهم بالانتماء لوطنهم الكويت.

- وقد أجريت دراسة على ٣٣٠ أسير عائد بينت نتائجها أن ٦٣% منهم تعرضوا لإصابات جسدية وهم يمثلون ٢٠٩ أفراد من المجموعة،وقد توزعت النسب كالآتى: ٦٢% ضرب مبرح، ١٥% اعتداء جنسى،٢٨% تعذيب بالكهرباء، ٤% خنق بالحبال وإغراق الرأس فى الماء، ٣% إجبار على تناول مخدرات، ٨% حروق، ٢% خلع وتكسير أسنان، ٢٧% تعليق من الأيدى والأرجل، ١٤% إصابات

متفرقة ناهيك بالطبع عن الصدمات النفسية التى صاحبت ونتجت عن هذه العمليات، سواء لمن تعرض لها أو أهله.

- وقد قال أحد الأطباء أنه تلقى فى مرات عديدة جثث لأشخاص مقطوعى الرأس، وبعضهم فقدوا أعينهم وآذانهم وألسنتهم، وبعض الرؤوس كانت مثقوبة بالمثقاب. ويعتبر ما فعله رجال المخابرات العراقية مع الشهيد الكويتى قبازرد لاتهامه بقيادة مجموعة من المقاومة الكويتية، مثالاً صارخاً على مدى التوحش والبربرية التى أصابت هؤلاء الجلادين، وانعدام صفة الإنسانية فيهم، فبعد أن لاقى صنوفاً من التعذيب فى المعتقل قطعت خلالها أطرافه، حملوه أمام منزله ليشاهد إحراقهم له، قبل أن يطلقوا عليه النار أمام والديه وزوجته وأبنائه.

ج- جرائم الاغتصاب (٦٤)

- إن ما تعرضت له بعض النساء والبنات من حرائر الكويت فى الأسر لأبشع صنوف التعذيب النفسى والجسد، وهتك الأعراض، لمما يصعب الحديث فيه لما يمثله من سلوكيات تتسم بالبشاعة والدمامة والانحطاط الخلقى. ولكن من الضرورى تذكير الضمير العربى والإسلامى والعالمى بها، لأنه لا يزال فى الأسر بسجون طاغية العراق عدد من النساء والفتيات الكويتيات يتعرضن لهذا النوع من الممارسات اللاإنسانية. فقد بلغت حالات الاغتصاب التى تم تسجيلها حوالى ١١٠ حالة، إلا أن حالات أخرى كثيرة رفضن الكشف عنها ستراً لأنفسهن، ولما فى ذلك من إيذاء لعائلاتهن.

- إلا أن الشواهد التى ذكرتها تقارير منظمة العفو الدولية ومنظمات حقوق الإنسان والدفاع عن المرأة، أكدت أن جرائم الاغتصاب كانت تتم يومياً بالعشرات لمختلف النساء والفتيات من كل الجنسيات ومن مختلف الأعمار بواسطة الجنود العراقيين، وهو ما يدل على أن البناء الأيديولوجى لهؤلاء الجنود ليس فقط متجرد من كل معانى الخلق والدين والنخوة والشهامة والشرف. بل إن البناء العقائدى لهؤلاء العراقيين يبيح لهم إشباع غرائزهم الحيوانية على هذا النحو مع نساء عربيات ومسلمات، طالما كان ذلك يدخل فى إطار تحقيق أهداف النظام الصدامى العدوانى، ضاربين عرض الحائط بحرمات الدين والجيرة.

- لقد وصلت الدناءة بهؤلاء الأنذال حد الحرص على تنفيذ جرائمهم هذه أمام أزواج وإخوان وأولاد ضحاياهن لتحقيق المزيد من الإذلال والامتهان لهم، بل لقد بلغ الأمر ببعض الكويتيات أن فضلن الموت على الاستجابة لرغبات تهديدات الجنود العراقيين، خاصة أولئك اللاتى كن ضمن عناصر المقاومة الكويتية، حيث تعرضن فى المعتقلات لصنوف مضاعفة من القسوة والوحشية وأساليب مبتكرة من البطش لا يمكن لبشر أن يتحمله أو يتخيله أو يتصور حدوثه فى يوم من الأيام .. خاصة ممن كان الكويتيون يعتقدون فيهم أنهم إخوانهم وأنسبائهم وجيرانهم من أبناء العروبة والإسلام، ولكن للأسف الشديد، فقد أثبتت الأحداث أن هؤلاء مارسوه بكل دناءة ووحشية وقذارة بحق حرائر الكويت. ولم يكن ذلك فقط من أجل دفعهن للاعتراف .. إنما لإذلالهن وإهانتهن وامتهان كرامتهن وشرفهن، تنفيساً عن أحقادهم وكراهيتهم للكويت، ولكل من يمت إليها بصلة.

- لذلك لم يكن غريباً على هذا النظام الصدامى المتسم بهذا القدر من الانحطاط الخلقى والدناءة والوضاعة، أن يقوم باحتجاز الأجانب من النساء والأطفال، ويعتبر ذلك أمراً مشروعاً. بل ويتخذهن رهائن ويقوم بتوزيعهن على الأماكن الاستراتيجية وحبسهن فى قواعد الصواريخ ومخازن الأسلحة الكيميائية، تفادياً لقصفها من جانب قوات التحالف، وهو السلوك الذى أصاب الرأى العام العالمى بالتقزز من هذا النظام الصدامى الذى بلغت الخسة والدناءة به أن يتخذ من النساء والأطفال دروعاً بشرية يحمى نفسه بها، مما جعله محل احتقار وازدراء العالم كله.

د - جرائم السرقة (٦٥)

- إن عمليات السرقة والنهب التى مارستها عصابة النظام الصدامى وجنوده فى الكويت، من الصعب حصرها. فلقد طالت أيديهم كل شئ .. حيث شملت البنوك والمحلات والسيارات والمساكن والأجهزة والمعدات المتعلقة بمنشآت ومرافق الخدمات العامة حتى بلغ الأمر خلع أعمدة الكهرباء، وسرقة الأجهزة الطبية، ناهيك عن سرقة الوثائق وما يتعلق بالتراث، والطائرات والسفن .. وكل شئ يمكن أن تطوله أيدى الغزاة. فقد صدر قرار بمصادرة الأموال المنقولة وغير المنقولة للعائلة الحاكمة، كما جرى نقل المعدات الثقيلة وأنابيب المياه الضخمة ومحتويات مخازن الكويت متعددة الأشكال إلى العراق بإشراف وسيطرة القوات العراقية. كما سمح صدام لبعض التجار من أقاربه بشراء سلع ومواد المحلات التجارية والسيارات بأسعار زهيدة بعد أن جرى تحديد سعر الدينار الكويتى بدينار عراقى، وكان فى السابق يعادل ١٥ دينار عراقى. أما أفراد وعائلة صدام فقد تخصصوا بشكل رئيسى فى سرقة محلات الذهب والمجوهرات، كما استولوا على أرقى أنواع التحف والسيارات. وكانت وكالات الأنباء قد أذاعت فى ١٩٩٠/٨/١٤ أن القوات العراقية الغازية استولت على سبائك وعملات أجنبية وبضائع فى الكويت خلال الأيام الأولى من الغزو وتقدر بحوالى ٤ مليار دولار تم نقلها إلى بغداد. كما تم نقل ١٥ طائرة مدنية كويتية إلى العراق. وقد تأكد فى يوم ١٩٩٠/٨/١٨ استيلاء قوات الغزو على كل الأرصدة المالية والذهب والوثائق الرسمية من خزانة البنك المركزى، ويقدر حجم ما استولى عليه العراق بـ ٣٥% من احتياطى الذهب الكويتى - وكان وزير المالية الكويتى قد صرح بأن القوات العراقية سرقت ما قيمته ٤٠٠ مليون دولار ذهب، ومليار دولار نقداً من البنك المركزى. وبجانب سرقة البنك المركزى، فقد تمت أيضاً سرقة باقى البنوك ومكاتب الصيارفة الخاصة بما تحويه من سيولة نقدية وودائع وصناديق أمانات. وفى المستشفيات تم سرقة معظم معداتها وما بها من أجهزة أشعة وفحوصات ومختبرات حديثة، كذلك مستودعات وزارة الصحة وشركات الأدوية وتقدر قيمتها بأكثر من ٥٠ مليون دينار كويتى، بالإضافة لمخازن جمعية الهلال الأحمر من مواد تموينية وطبية وخيام. أما المخازن والمستودعات الحكومية والتابعة للشركات الخاصة فقد تم تفريغها من محتوياتها ونقلها إلى بغداد. كما لم تسلم من السرقة المتاحف والجامعات والمعاهد والمدارس ودور الصحف والمكتبة المركزية ومقار الوزارات والمطابع الحكومية والخاصة من سرقة ما بها من معدات ومطابع وأجهزة كمبيوتر وتحف ووثائق ومعدات وأثاث ومواد، وحتى أنابيب المياه والنفط ومستودعاته ومحولات كهرباء ومقاسم الهاتف، والأجهزة الموجودة باستوديوهات الإذاعة والتلفزيون بوزارة

الإعلام ومكتباتها. كما تم تفكيك محتويات مدينة الكويت الترفيهية والمخابز الآلية. وقد شملت السرقات أيضاً الثروة الحيوانية فى الكويت من المزارع والحظائر الحكومية والخاصة، ومحتويات حديقة الحيوان، أما ميناء الشويخ التجارى فقد تم تفريغه من جميع ما يحتويه من معدات شحن وتفريغ شملت رافعات عملاقة ورافعات شوكية، ناهيك عن جميع البضائع التى كانت بالمخازن التابعة للميناء. أما على الصعيد العسكرى، فقد تم تشكيل فرقة للحرس الجمهورى أطلق عليها (النداء) وتسلحت بالأسلحة والمعدات التى تم سرقتها من الكويت، وهى وحدات صواريخ أرض/جو (هوك)، كذلك الدبابات والمدافع والعربات المدرعة والأسلحة بأنواعها، ومعظمها أمريكية الصنع، بالإضافة لنقل زوارق سلاح البحرية والكويتى إلى ميناء أم القصر العراقى، كذلك جميع المعدات والمهمات والأجهزة والذخائر والأسلحة المتواجدة فى مخازن ومستودعات الجيش الكويتى، وحتى ورش الإصلاح بأنواعها.

- وإذا كان التاريخ قد سجّل على التتار أثناء غزوهم للعراق فى القرن الحادى عشر ما فعلوه بمكتبات بغداد التى ألقيت فى نهر دجلة، ولا يزال حتى اليوم حديثاً يتردد، ويضرب به المثل فى البربرية والهمجية، ترى ماذا سوف يسجل التاريخ من صفحات سوداء حول مذبحة الثقافة والعلم فى الكويت على أيدى العراقيين فى نهاية القرن العشرين؟ يكفى فى هذا المجال أن ننقل عبارات (جون بيتون) عضو وفد هيئة الأمم المتحدة لحصر الأضرار التى لحقت بالمؤسسات التربوية والعلمية والثقافية والبحثية والاتصالاتية بالكويت من جراء العدوان العراقى على الكويت، حيث يذكر فى تقريره: "إن جميع المدارس العامة والخاصة قد نهبت وسلبت، وأن التدمير والتخريب أثر فى المدارس والأثاث والمعدات والتعليمية .. والقليل الذى تبقى من هذه المعدات قد دمر بطرقة حقود". وضرب مثلاً بما حدث من نهب فى جامعة الكويت، فيقول: "نهبت جميع الكليات، وألقيت جميع محتويات الملفات على الأرض، وترك الجنود العراقيون بصماتهم وتعليقاتهم وأنقاضهم، إضافة إلى تشويه وتدمير شمل حتى الحوائط والأرضيات والسقوف باستخدام الآلات الحادة، وحتى النظام الهاتفى للجامعة قد تم تدميره وسرقت مفاتيح الكهرباء" ويختتم التقرير ذاكراً أن "٩٨% من معدات الجامعة تم سرقتها، وأن التقرير المبدئى لذلك يبلغ ٣٠٠ مليون دولار".

- أما خبيراً اليونسكو لحصر هذه الأضرار (آر ريفز) و (جون الفيك) فإن تقريرهما ينضح بألم مرير، فيقولان: "ربما كان من طبيعة الجيوش أن تدمر المبانى وأن تسرق الأشياء للاحتفاظ بها، ولكن ما يدعو للأسى والحسرة أن نرى لعب الأطفال مهشمة فى المدارس التى احتلتها القوات العراقية، وأن نجد سجلات التلاميذ التى تحوى بيانات تقدمهم فى الدراسة ملقاة تحت أكوام القمامة على الأرض". أما البروفيسور (أيان) عميد كلية الدراسات العليا بجامعة وسكونسون فيقول فى تقريره: "لقد تركتنى زيارتى للكويت بعد تحريرها فى ذهول وصدمة رغم أن زيارتى جاءت بعد تسعة أشهر من تحرير الكويت تم خلالها عمليات تعمير كثيرة .. فلقد كانت الكتب المطبوعة بطريقة بريل للمكفوفين تستخدم وقوداً لعمل وجبات الأكل للجنود .. كما كانت الكتب تستخدم لرفع السيارات وسرقة إطاراتها". وقد أشار إلى ما حدث للمركز الوطنى للمعلومات العلمية من حرق وتدمير كامل لكل محتوياته، ويسجل

ألمه لهذه الخسارة العلمية التى لم يسلم منها شئ، خاصة مكتبة المركز التى تمثل معلومات علمية ظلت تنمو وتتضخم على مدى أكثر من عشرين عاماً، ولا يمكن إحلالها إلا جزئياً، وأن هذا الأمر سوف يستغرق عدة سنوات.

- أما السرقات فى المؤسسات الثقافية والإعلامية، فقد أثبتتها تقارير منظمات دولية مثل (اليونسكو) ومنظمات عربية وإسلامية مثل تقرير وفد المنظمة العربية (أليكسو) وتقرير وفد المنظمة الإسلامية (إيسيسكو). حيث أشارت هذه التقارير إلى قيام المحتلين العراقيين بتفكيك معظم أجهزة الإنتاج فى مؤسسات الإعلام ونقلها إلى العراق، وقد شملت السرقة المعدات السمعية والبصرية المتخصصة، ومعدات الإضاءة، وقطع الغيار المختلفة، إضافة إلى سرقة الكاميرات الحديثة، واثنتى عشرة سيارة مجهزة بالكامل لنقل الأخبار الخارجية، وجميع الوصلات التلفزيونية الخاصة بالإدارة والتحكم، كذلك مكتبة التلفزيون والإذاعة، ومعدات الترجمة، ووحدات العنونة الآلية، وأجهزة المؤثرات الخاصة، وجميع أفلام الكارتون والتسجيلات الصوتية والمرئية لمجلس الأمة منذ عام ١٩٦٢، إضافة لسرقة محتويات وأجهزة مركز التوثيق والترابط وبنك المعلومات. كما سلبت جميع مكتبات الصحف الحكومية والخاصة وآلات الطباعة وأجهزة الكمبيوتر، وكذلك جميع معدات وكالة الأنباء الكويتية (كونا). وقد كان النهب شاملاً لمكتبات التعليم العالى، ومعهد الكويت للأبحاث العلمية ومكتبات المؤسسات العربية والدولية التى كان لها فروع فى الكويت وكما سجل تقرير (اليونسكو) قيام المحتلين العراقيين بإحراق متحف الكويت الوطنى بكامله حتى لم يبق منه إلا الحطام بعد أن قاموا بنهب جميع محتوياته من مجموعات مملوكة للدولة، ومجموعات خاصة بالأفراد، ومجموعة الفن الإسلامى وتضم ٢٠ ألف قطعة تمثل اثنى عشر قرناً من العصور الإسلامية الأولى .. وغير ذلك من الممتلكات النفيسة التى لا تقدر بثمن، مما يدل على أنها عملية تدمير إجرامية تمت عن عمد لتغطية السرقة، ويطرح بالتالى سؤالاً بديهياً يفرض نفسه: "كيف سيتم تبرير هذه الممارسات أمام التاريخ والأجيال القادمة من قبل النظام العراقى الذى دقت طبوله وأبواقه طيلة فترة الغزو والعدوان على الكويت بشعارات الأمة العربية الواحدة ذات الرسالة الخالدة"؟ فأى رسالة خالدة قام بها هؤلاء الذين نهبوا وسرقوا ودمروا مقومات الحضارة والثقافة العربية فى الكويت، وموروثاتها التاريخية؟!

هـ - صدام يصدر أذونات تسمح بسرقة ممتلكات الكويت (٦٦)

- ومع تزايد عمليات السلب والنهب التى مارستها القوات العراقية فى الكويت، صدر قرار من صدام بالسيطرة على تلك العمليات من خلال أذونات خاصة تصدر من مكتبه، وأن تتولى نقطة حدود المطلاع السيطرة على حركة نقل المسروقات إلى العراق، ولم تمنح هذه الأذونات إلا لأفراد عائلة صدام ورفاقه فى قيادة الحزب. وتم تعيين على حسن المجيد - المشهور بـ (على الكيماوى) نظراً لاستخدامه الأسلحة الكيماوية ضد أعداء النظام الصدامى - حاكماً عسكرياً عاماً على الكويت، يساعده سبعاوى إبراهيم الحسن (الأخ غير الشقيق لصدام) مسئولاً عن النواحى الأمنية، وفتحت فى الكويت مكاتب للمخابرات والاستخبارات العسكرية مرتبطة بالمراكز الرئيسية فى بغداد، وتم تغيير لوحات أرقام السيارات إلى

(العراق-الكويت) وسميت الكويت بـ (المحافظة ١٩) وتضم ثلاثة أقضيه: هى الكاظمة، والجهراء، والنداء (بدلاً من مدينة الأحمدى)، مع إنشاء قضاء جديد باسم (صدامية المطلاع) جهة العبدلى فى محافظة البصرة، وما صاحب ذلك من تغيير أسماء الشوارع والجامعات والمدارس والمستشفيات. كذلك البدء فى إنشاء سلسلة مشروعات لربط الكويت بالعراق عن طريق السكك الحديدية وخط أنابيب المياه، كما صدرت صحيفة (النداء). وبجانب إجراءات الدمج الاقتصادى الشامل جرت أيضاً محاولات لتغيير الأوضاع السكانية التى كانت سائدة فى الكويت عن طريق إجبار الرعايا الأجانب على الرحيل من الكويت، والبدء فى سياسة توطين عائلات عراقية لخلق واقع يدعم السيطرة العراقية فى حال قبول العراق بحل وسط يتضمن حق تقرير المصير للكويت.

- لقد أثبتت العديد من الوثائق والقرارات الرسمية العراقية أن سرقة الكويت ونهبها كان أحد مكونات مخطط العدوان على الكويت الذى تم إعداده من قبل بواسطة قيادة النظام الصدامى على نحو يستهدف استئصال دولة الكويت من الخارطة، وأن يعامل الكويتيون - وفقا لنص وثيقة عراقية رسمية حددت كيفية معاملة الكويتيين - على اعتبار أن "جميع مواطنى الكويت قد شاركوا فى إيذاء العراق" وأنه وفقاً لذلك يجب أن يقتلوا" و "يجب أن نتفنن فى إلحاق الأذى بهم" - محضر اجتماع على حسن المجيد مع سبعاوى إبراهيم وقيادات الجيش الشعبى والقوات الخاصة والأمن والشرطة فى ١٩٩٠/٨/٢٢ لبيان توجيهات القيادة العراقية بشأن معاملة الكويتيين.

- إن تنفيذ أهداف مخططات العدوان العراقى فى مجال استباحة أموال الكويت، جاء فى صورة مجموعة قرارات على أعلى مستوى عراقى لتكسب قوة وسرعة فى التنفيذ، منها القرارات الآتية:

أ- قرار من صدام حسين شخصياً نقله حسين كامل وزير الصناعة والتصنيع العسكرى، يقضى بجلب كل ما يمكن نقله من محافظة الكويت من معدات ومواد وأجهزة تساعد على بناء شبكات الخدمات العامة فى (العراق) وإعادة تشغيلها.

ب- قرار بنقل جميع أدوات ووسائل الدراسة فى مراحل التعليم المختلفة إلى العراق.

ج- قرار مصادرة موجودات جمعيتى المكفوفين والمعوقين ونقلها إلى العراق.

د- أمر إدارى عراقى بالاستيلاء على ألعاب الأطفال بالمدينة الترفيهية بالكويت وبيعها.

هـ - قرار مجلس قيادة الثورة بتسليم موجودات الخطوط الجوية الكويتية، وأموالها المنقولة وغير المنقولة إلى شركة الخطوط الجوية العراقية.

و- قرار من وزارة الصناعة والتصنيع العسكرى بجلب كل ما يمكن نقله من الكويت.

ز- رسالة بخط يد عدى الابن الأكبر لصدام حسين يأمر فيها بنقل مطبعة كاملة بالنادى العلمى الكويتى إلى صحيفة عدى (بابل) فى العراق.

- ولقد كان لصدور قرارات الاستيلاء والنهب للممتلكات الكويتية من أعلى الجهات الرسمية العراقية أثره الواضح فى تشجيع جهات أخرى للقيام بأعمال مماثلة، مثل أفراد شرطة النظام الصدامى المسئولة عن

الأمن فى الكويت، حيث كانوا بالاشتراك مع قوات النجدة والمرور يقومون بمحاصرة بعض أحياء الكويت بدعوى التفتيش عن عناصر المقاومة، وخلال عمليات التفتيش يستولون على كل ما تطوله أيديهم. كما شجع هذا التوجه العام لاستباحة أموال الكويت مجموعات من الشعب العراقى على القدوم إلى الكويت بسيارات والمشاركة أيضاً فى عمليات السلب والنهب وتعبئة سياراتهم بما نهبوه والعودة إلى العراق دون اعتراض من نقاط التفتيش العراقية الموجودة على مداخل ومخارج كل طرق الكويت. ولم يتوقف ذلك حتى يوم انسحاب القوات العراقية من الكويت، حيث عثر فى الدبابات والعربات المدرعة والشاحنات العسكرية العراقية التى هاجمتها قوات التحالف أثناء عملية تحرير الكويت وانسحاب القوات العراقية، إلى جانب أشلاء الفارين على كم هائل من المسروقات المبعثرة على جانبى الطريق، والتى شملت أجهزة كهربائية وأثاث وملابس، الأمر الذى كشف كثيراً من فضائح العدوان وجرائمه، حيث تركت القوات العراقية القتال وعكفت على سرقة الأموال والأجهزة والمعدات، فقد كان ذلك همهم الأكبر، حتى أطلق على طريق الجهراء-البصرة الذى انسحبوا عليه بطريق "الموت والعار" من كثرة جثث الجنود العراقيين، وعار المسروقات التى تناثرت على جانبية.

- ولم يستطع العراق فيما بعد أن ينفى ما قامت به سلطاته وقواته المتواجدة فى الكويت من سرقات، بعد أن وثقت الأمم المتحدة من خلال أجهزتها المعنية ذلك الأمر، وتحققت لجان التعويضات التابعة للأمم المتحدة من هذه الجرائم، وصدرت قرارات مجلس الأمن مؤكدة ضرورة إعادة هذه المسروقات ودفع التعويضات اللازمة عنها. وقد أشرفت الأمم المتحدة عن طريق لجانها المختصة على إعادة بعض مسروقات الكويت، لاسيما موجودات البنك المركزى الكويتى من سبائك ذهبية وعملات تذكارية وحاضنات أطفال وإن أعيدت مهشمة، ولا يزال الكثير من الطائرات والمعدات العسكرية موجوداً لدى العراق، وتم رصد عمليات سرقته بواسطة الأقمار الصناعية إبان الحشود التى قام العراق بنشرها على حدود الكويت فى أكتوبر ١٩٩٤.

- فرغم كل هذه الوثائق التى تؤكد سرقات العراق ونهبه لممتلكات الكويت، نجد المسئولين العراقيين -مثل نبيل نجم الذى كان ممثلاً للعراق فى الجامعة العربية- ينكرون ذلك إنكاراً قطعياً، ويصفون ما ذكر بأنه دعايات ضد العراق "حامى بوابة العرب الشرقية". وذلك أسلوب سار عليه النظام الصدامى فى كل تعاملاته: إنكار وتحد وادعاء بأن العراق هدف للادعاءات لما يقوم به من دور بطولى فى حماية العرب، وحين يشتد الضغط ويضيق عليه الحصار يظهر بعض الحقيقة معلناً أنها كل ما عنده، فإذا انكشف الأمر وظهرت الحقائق كاملة سكت دون تعليق. وقد وضح للعالم هذا النهج فى إنكاره لوجود أى أسلحة للدمار الشامل لديه ثم اعترافه بها. كما سلك النظام العراقى نفس النهج فيما يتصل بما قام به من سلب ونهب، فأنكر تماماً ثم اعترف بذلك. انعكس ذلك فيما ذكرته مصادر الأمم المتحدة فى ١٧ مارس ١٩٩١ من أن سفير العراق لدى الأمم المتحدة عبد الأمير الإبنارى قدم معلومات إلى رئيس مجلس الأمن حول نوعية الممتلكات التى أخذها الجنود العراقيون من الكويت، وأعرب عن استعداد حكومته لإعادة هذه الممتلكات لأى شخص أو منظمة تعينها الأمم المتحدة. وكان محمد أبو الحسن سفير الكويت فى الأمم المتحدة قد قدم قائمة إلى الأمم المتحدة فى وقت سابق تقدر قيمة المسروقات

بحوالى مائة ألف مليون دولار. وفى ٢٧ مارس ١٩٩١ قدمت الحكومة العراقية خطاباً إلى الأمم المتحدة تعترف به باستعدادها لإعادة الأموال الكويتية المسروقة والتى تقدر بالآتى:٣٢١٦ سبيكة ذهبية قياسية تزن الواحدة ٤٠٠ أوقية ذهب (ويتفق هذا مع التقدير الكويتى)، ١٧١ مليوناً و ٩٥٣ دينار كويتى، ٣٤٩ ألف دينار كويتى فى شكل مسكوكات نقدية من فئات مختلفة. ويعزز كل ذلك ويؤكده أن محطات التلفزيون فى العالم بأسره قد نقلت إلى مشاهديها فى القارات الخمس وقائع تسليم وتسلم بعض هذه المسروقات تحت إشراف الأمم المتحدة، مما لا يبقى معه أى مجال للإنكار والتنصل من المسئولية. وتجدر الإشارة إلى أن معظم المسروقات التى أعادها العراق قد أعادها تالفة وغير صالحة للاستخدام، وما تمت إعادته لا يتجاوز ٢٠% من المسروقات الثمينة التى لا يمكن تقدير أثمانها معنوياً ومادياً.

- إن المرء يحار كثيراً فى تفسير هذا المسلك ومدى اتفاقه مع ادعاءات ودعايات النظام الصدامى حول حماية الثروة العربية، والانتفاع بها وعدالة توزيعها بعد عودة الفرع (الكويت) إلى الأصل (العراق) كما كان يدعى. وكيف نفسر قيام هذا الأصل المزعوم بالتخطيط والتنفيذ لسرقة الفرع ونهبه وتدميره بحيث يجعل الحياة فيه مستحيلة. وإذا كان الاعتراف سيد الأدلة، فماذا يبقى بعد ذلك للعمل على تقديم هؤلاء الجناة لمحاكمتهم كمجرمى حرب قتلوا وسرقوا ودمَّروا وخَّربوا، وأشاعوا الرعب والخوف من المجهول، واعتدوا على الحرمات والأعراض وموروثات التاريخ والحضارة وصنعوا بسلوكهم البربرى والوحشى جريمة العصر؟

و- حملات الاعتقال الجماعى (٦٧)

- منذ احتلال العراق للكويت، وتمشياً مع أساليب النظام الصدامى التى اتبعها أثناء الحرب مع إيران فى احتجاز أعداد من المدنيين رهائن عنده للضغط بهم عند التفاوض، وابتزاز الدول التى يناصبها العداء، حرصت قوات الأمن العراقية خلال فترة الاحتلال على اعتقال مئات الكويتيين واحتجازهم إما فى معتقلات داخل الكويت أو فى الخارج والبعض كانت تحتجزهم فى أماكن خاصة توطئة لترحيلهم إلى أماكن غير معروفة فى العراق.

- ومع بدء العمليات البرية لقوات التحالف لتحرير الكويت، قامت القوات العراقية المتواجدة داخل مدينة الكويت بحملات اعتقال واسعة أخرى ضد أبناء الكويت فى الشوارع، وذلك بأوامر مسبقة صدرت من الطاغية صدام حسين إلى قادته العسكريين من قبل بدء الحرب البرية. وهو ما يكشف عنه كتاب رئيس أركان الجيش العراقى فريق أول حسين رشيد محمد برقم ١١٤٤/١٠/٣ بتاريخ ١٩٩١/٢/٤ الموجه إلى جميع قيادات التشكيلات البرية وقيادة القوات البحرية ويحمل درجة (سرى للغاية وشخصى وعلى الفور)، ويشير إلى كتاب أمانة السر للقيادة العامة للقوات المسلحة رقم ١٧٨ فى ١٩٩١ ونصه كالآتى: "أمر السيد الرئيس القائد العام للقوات المسلحة (حفظه الله) بما يلى: "عند القيام بأى عمل برى فى المستقبل إن شاء الله كالإغارات والداوريات على مواضع العدو، يجرى إخلاء أى مواطن عمره (٤٠) أربعون سنة فما دون من أرض العدو إلى أراضينا فوراً سواء كان من العسكريين أو المدنيين، وبعدها يتم التعرف على هويته فى الداخل"".

- وبناء على هذه الأوامر، كانت القوات العراقية داخل مدينة الكويت تقوم بعمليات اعتقال المواطنين الذكور الذين لم يتم ترحيلهم إلى العراق، وقد بلغ عدد الكويتيين الذين تم اعتقالهم وترحيلهم عنوة في الأيام الأخيرة قبل الانسحاب حوالى ٥٠٠٠ معظمهم من المدنيين، وذلك إلى معسكر (أبو صخير) فى البصرة، ليصل إجمالى عدد الأسرى الكويتيين بعد توقف إطلاق النار إلى ٧٤٩٤ أسير كويتى، تم الإفراج عن معظمهم بضغط من الولايات المتحدة على دفعات كالآتى: ١٦٦١ فى مارس، ١٤٧ فى إبريل، ٢٣ فى مايو، ٢٥ فى يونيو، ١٥ فى يوليو، ٨ فى أغسطس ١٩٩١ كما تمكن أكثر من ٥٠٠٠ أسير كويتى كانوا معتقلين فى سجن البصرة من الفرار والعودة إلى الكويت عندما نشبت انتفاضة الشعب العراقى فى مدن جنوب العراق فى مارس ١٩٩١، وبذلك يتبقى فى المعتقلات والسجون العراقية حتى اليوم ٦٠٥ أسير ينكر النظام الصدامى وجودهم رغم وجود العديد من الإثباتات التى تفيد احتجازهم داخل العراق، منهم ٥٧٠ كويتى، ١٤ سعودى، ٦ إيرانيين، ٥ مصريين، ٤ سوريين، ٣ لبنانيين، ١ بحرينى، ١ عمانى، ١ هندى، ومن بين الأسرى الكويتيين ٧ سيدات.

- وقد أفادت التقارير القادمة من العراق أن هؤلاء الأسرى يلقون أبشع أساليب التعذيب على أيدى عناصر الأمن والمخابرات العراقية، ناهيك عن الأوضاع السيئة واللاإنسانية التى يعيشها هؤلاء الأسرى فى سجون العراق والتى لم يراع فيها توفير أدنى المتطلبات الإنسانية، حيث كان يعتبر الشخص المعتقل مفقود والمفرج عنه مولود. فقد أشار تقرير منظمة العفو الدولية الصادر فى ديسمبر ١٩٩٠ إلى عمليات التعذيب والترويع التى وصلت إلى منظمة العفو الدولية، وبعضها تؤيده الدلائل الطبية والصور، وشهادات الأسرى المفرج عنهم، والذين يكشفون عن حالات من التعذيب فى حوض الماء المشحون بالكهرباء، وحرق المعتقلين وهم أحياء فى براميل مشتعلة ويتركونه طعما للنيران إلى أن تأتى على لحمه وعظامه، وأحياناً كانوا يطلقون النار عليه وهو وسط هذا الآتون المشتعل من النيران، وسحب الدم من الأسرى بإبر ملوثة، واستخدام المعتقلين فى أعمال السخرة الشاقة، وما يطلق عليه العراقيون (المشنقة الذكية) حيث يلف حبل حول عنق المعتقل ويعلق فى مروحة مدلاة من السقف تدور بأقصى سرعة.

ز- لماذا هذا المستوى من الوحشية العراقية؟! (٦٨)

- إن هذه المذابح الوحشية والانتهاكات البربرية لحرمات الناس فى الكويت .. إلى غير ذلك من الجرائم التى ارتكبتها القوات العراقية هناك، فرضت أسئلة كثيرة لم تكن مطروحة من قبل: لماذا كل هذه الدموية التى اتسمت بها عملية غزو العراق للكويت؟ ولماذا يقتل صدام الناس كما يتنفس؟ ولماذا يعاند العقل ويخرج على قوانين الدين والإنسانية والتاريخ؟ وقد جاءت الإجابة على كل هذه التساؤلات من تصريح أدلى به صدام يوماً قال فيه: "إن النهج السياسى اللاحق للإنسان لا يستقل عن تاريخه السابق، عن ولادته،وحياته، والصعوبات التى واجهها فى حياته". بهذا الاعتراف أجاب الباحثون فى شخصية صدام عن هذه التساؤلات، فقالوا أنه مغرور، بارد الدم، يحتل الموت عينيه، يتفتح زهواً كلما قتل إنساناً، تختلط فى داخله المتعة بالتعذيب، يكره الحياة وكل ما هو جميل فيها وكل من يقول له (لا)، يريد

أن يحصل على كل شئ بالقوة، بما فى ذلك شجرة عائلته تمتد إلى الإمام على بن أبى طالب .. إن القوة المتفجرة فى قلب ميت هى مفتاح شخصيته، وقد درب نفسه على التعامل معها منذ كان صبياً صغيراً، وعلى التخلص من المشاعر الإنسانية. إن سحب المسدس أول ما يخطر على بال صدام حسين، وقرارات الإعدام هى أسرع القرارات التى يتخذها ويطلب تنفيذها، والترخيص بالقتل هو الترخيص الوحيد بالتصرف الحر الذى منحه لرجاله فى العراق وفى الكويت، حتى تحول العنف إلى سلوك شعبى، وأصبح الرصاص لغة التفاهم الوحيدة هناك.

- والسؤال الآخر البديهى الذى يفرض نفسه، أنه إذا كان صدام قد أصدر أوامره إلى قادته وزبانيته بارتكاب هذه المجازر الوحشية، فقد كان بإمكان القيادات الصغرى المنفذة إذا كان لديها بقية من ضمير حى، وقدر ولو ضئيل من الإنسانية، والشعور بحرمة ارتكاب هذه الجرائم فى حق جيران أبرياء مسلمين وعرب لم يقصروا قط فى حق العراقيين عندما كانوا يعانون الأزمات المتوالية إبان حربهم مع إيران، بل قدموا لهم كل المساعدة والمساندة والدعم، ومن ثم لا ينبغى على الإطلاق أن يكون هذا هو رد الجميل وجزاءهم من العراقيين. لو كان هذا الإدراك والشعور قائماً لدى الضباط والجنود العراقيين المنفذين لأوامر الطاغية صدام، لامتنعوا عن تنفيذ هذه الأوامر، أو على الأقل تردد أو تراخوا فى تنفيذها، إلا أنه للأسف الشديد تشير كل الشواهد إلى إن الضباط والجنود العراقيين بكل مستوياتهم متورطون فى تنفيذ كل الأوامر التى صدرت من الطاغية بلا أدنى تحفظ أو تردد، بل على العكس كانوا يمعنون ويتشددون فى تنفيذ هذه الجرائم بتصميم وإصرار وغل ينم عن روح إجرامية متأصلة فيهم، ونفوس حاقدة ممعنة فى حقدها ضد كل ما يمت للكويت بصلة. وهو ما يعود بنا إلى قضية التأهيل السياسى والأيديولوجى الذى تلقاه هؤلاء الضباط والجنود قبل الحرب تجاه جيرانهم العرب والمسلمين، ليس فقط ضد الكويت وإيران، ولكن فى كل منطقة الخليج والشرق الأوسط. بل يعود بنا فى الأساس إلى المناهج الدراسية التى كان هؤلاء الضباط والجنود يدرسونها فى المدارس الثانوية والإعدادية قبل التحاقهم بالسلك العسكرى، والتى كانت ولا تزال تحوى من المزاعم والادعاءات التاريخية الباطلة ما يحض هؤلاء عندما ينضجون على كراهية جيرانهم، والعدوان عليهم وانتهاك حرماتهم وسلبهم أرضهم وثرواتهم، بل واستعبادهم، وذلك بما كان النظام الصدامى يزرعه من خلال المناهج الدراسية فى نفوس الشباب العراقى الذى ولد من رحم حزب البعث، والتى حوت مفاهيم وتطلعات حزبية ذات صبغة عدوانية توسعية، تعطى المبرر والمشروعية للعراقيين لبسط هيمنتهم وسيطرتهم على الآخرين، باعتبار أن ذلك ينبغى أن تكون عقيدة البعثى وواجبه، بل وحقه بدعوى مزاعم باطلة حول تفوق البعثيين على الآخرين، وباستغلال المتاجرة بالشعارات القومية حول الوحدة والحرية .. إلى غير ذلك من الشعارات البراقة التى تستهوى السذج من الشباب الذين لا يدركون ماذا دّسّ الصداميون فيها من سم زعاف، ولا ماذا تحمل وراءها من مصائب وأهوال.

سرقة النفط وحرق آباره (٦٩)

- كان قطاع النفط الكويتى من الأهداف الاستراتيجية الهامة التى استهدفتها أيدى السرقة والنهب والتخريب التى مارسها العراقيون أثناء فترة احتلالهم للكويت، حيث شملت المعدات والآلات وقطع

الغيار والأجهزة الخاصة بالمؤسسات والشركات النفطية. وقاموا بنقل الكثير منها بأسلوب منظم ومخطط إلى العراق. بل إن الخطط العراقية الموضوعة مسبقاً - كما تشير بذلك الوثائق - حددت بدقة المواد والمعدات التى يتم نقلها وأسماء المشرفين على عمليات النقل وأساليب النقل والجهة التى تنقل إليها داخل العراق.

- فقد أثبتت إحدى هذه الوثائق أن وزير الصناعة والنفط آنذاك حسين كامل قد طلب من زميله الحاكم العسكرى العراقى فى الكويت على حسن المجيد، تسهيل جلب كل ما يمكن نقله من الكويت من مواد ومعدات وأجهزة وذلك تنفيذاً لتوجيهات صدام حسين، كما كانت عمليات نقل المواد والمعدات من الكويت إلى العراق هى المحور الرئيسى لاجتماعات كبار المسئولين العراقيين، وهو ما يتضح من الوثائق المرفقة، خاصة المعدات التى سرقت من مخازن إدارة الشعيبة والدوحة وغيرها ونقلت إلى خور الزبير بالعراق.

- أما جريمة تفجير وإحراق حقول ومنشآت النفط فى الكويت، فقد شملت ١١٦٤ بئراً بنسبة ٩١,٨% من مجموع الآبار المنتجة للنفط فى الكويت آنذاك وعددها ١٢٦٨ بئراً، بالإضافة إلى تفجير مصافى النفط وخزانات الوقود ومحطات توليد الكهرباء ومحطات تحلية المياه. فقد كانت هذه الجريمة ضمن ما خطط له النظام العراقى فى إطار خطة العدوان الشاملة، باعتبار أن الاستيلاء على الثروة النفطية الكويتية كانت أحد الأهداف الاستراتيجية لعملية الغزو بما تضمه من احتياطى نفطى ضخم يبلغ حوالى ٩٦,٥ مليار برميل، بجانب احتياطى هائل من الغاز الطبيعى. وألحقَ بهذا الهدف هدفاً آخر يحل محل الهدف الأول فى حالة فشل العراق فى تحقيقه، واضطرار قواته إلى الانسحاب من الكويت، وهو تدمير الآبار النفطية والمنشآت الحيوية الأخرى.

- وتثبت الوثائق المرفقة أن توجيهات وزير الصناعة والنفط العراقى تنص على تكليف الحرس الجمهورى بمهمة التخريب المؤجل لحقول النفط، حيث أمرت بالآتى: "تخصيص وتسمية جماعات التخريب الخاصة بآبار النفط ومحطات الكهرباء والماء التى تمت تهيئتها للتخريب المؤجل، وتهيئة وإكمال متطلبات التفجير بحيث تكون كل مجموعة ثابتة فى المكان المحدد لها بغرض تفجير هذه الأهداف حال صدور الأمر بذلك". ويرجع تاريخ هذه الوثيقة إلى ١٩٩٠/٨/١٢، أى فى الأيام الأولى للغزو. أما توقيت تنفيذ عمليات التخريب، فتشير له وثيقة أخرى بعنوان: توجيهات بأمر السيد الرئيس القائد (صدام حسين) فى اجتماع القيادة العامة للقوات المسلحة يوم ١٣ يناير ١٩٩١ تقول: "إن المنشآت النفطية المهيأة للتخريب تنفذ عندما يصبح الموقف خطيراً بحيث لا تسلم للعدو سالمة بل مدمرة".

- وتشير خطة التفجير المؤجل أن يكون التركيز على الآبار المنتجة دون الآبار المغلقة، وأعدت خمس وسائل لتنفيذ عملية التخريب المؤجل: منها وسيلتان أساسيتان (دورة تخريب مؤجل كهربائية، وأخرى اعتيادية) وثلاث وسائل بديلة (باستخدام المدفعية، والرمى بالدبابات، وأسلحة حراس التخريب إذا فشلت أو تعذرت الوسائل السابقة). كما تضمنت خطة التخريب المؤجل أهمية إجراء تجارب لضمان مغالبة الوسائل والآليات المستخدمة للتفجير، وتفادى السلبيات التى قد تعترض التنفيذ. وقد تم استخدام عبوات تفجيرية من نوعيات وبكميات تضمن فعالية التفجير والتدمير، كما أضيف إليها قنابل عنقودية لمزيد من

عنف التدمير وشدته. كما حددت خطة التخريب المؤجل مهمات جماعات فيلق التخريب، وجماعة حرس التخريب ومهمتها المحددة على النحو التالى: "إفشال نوايا العدو فى إبطال مفعول خطة التخريب المؤجل".

- وتظهر وثيقة أخرى صدرت فى ٢٥ يناير ١٩٩١ - بعد القصف الجوى للتحالف للأهداف العسكرية العراقية - أن القيادة العراقية أصدرت أوامرها "بتحويل درجة استعداد جماعات التخريب المؤجل إلى الدرجة القصوى بحيث يقل الوقت المستغرق للتخريب من ٢-٥ ساعات إلى ١-٢ ساعة فقط حتى يمكن تنفيذ التخريب عندما يصبح الموقف خطيراً حتى لا تسلم آبار النفط إلى العدو سالمة، بل مدمرة".

- وقد بدأت بالفعل عمليات تخريب آبار النفط يوم الخميس ١٩٩١/٢/٢١ وشملت: حرق شركة النفط فى الأحمدى، وحرق وحدات السيطرة على النفط، كذلك حرق خزانات النفط فى الرصيف الشمالى، بالإضافة لتدمير المنشآت الحيوية للمياه والكهرباء والمواصلات فى المدينة ذاتها.

- ويكشف اللواء وفيق السامرائى فى ص٢٨٣ من كتابه (حطام البوابة الشرقية) أسرار عملية التخطيط للتخريب المؤجل لآبار النفط الكويتية، فيذكر أن صدام حسين كلف ابن عمه على حسن المجيد بالإشراف شخصياً على عمليات التخريب، ليس ذلك فقط، بل تهيئة كافة المنشآت والبنايات الرئيسية داخل الكويت للتخريب بوقت مبكر قبل وقوع الحرب الجوية. وبالطبع كانت أقمار التجسس الأمريكية ترصد يومياً تطور عملية تهيئة إعداد الآبار للتخريب. كما يوضح السامرائى أنه قد تم تشكيل لجنة من كل من مديرية التخطيط، ومديرية التحركات العسكرية، ومديرية الهندسة العسكرية، ووزارة النفط، ومدير منظومة استخبارات الخليج (المستحدثة فى الكويت) لتحديد المنشآت النفطية وغير النفطية التى سيتم تخريبها فى الكويت، وإعداد خطط التخريب المؤجل. وأن هذه اللجنة كانت تعقد اجتماعاتها تحت إشراف على حسن المجيد الذى كان يؤكد على ضرورة إبقاء خطط التخريب المؤجل تحت درجة عالية من السرية، حتى لا يؤدى تسريبها إلى إضعاف معنويات الجيش والشعب العراقيين، لأنه سيعد دليلاً على وجود نوايا لدى صدام بالانسحاب من الكويت. ويضيف السامرائى موضحاً أحاديث صدام مع كبار ضباط المخابرات أثناء الحرب الجوية، عندما تطرق إلى عملية تفجير آبار النفط، فيقول: "ومن بين الكثير من أحاديثه تطرق صدام إلى تفجير آبار النفط الكويتية باستفساره عن مدى الرؤية الأرضية، وعما كانت سحب الدخان الأسود قد غطت ساحة المعركة، ومدى انعكاسها على الأداء القتالى ودقة إصابة الأهداف من قبل الطائرات المقاتلة ومروحيات الحلفاء، وما تأثير الأمر على الروح المعنوية". وطبعاً لم يكن لهذه الاستفسارات معنى، لأن إحداثيات أماكن الأهداف الاستراتيجية العراقية كانت مسجلة مسبقاً لدى قيادات التحالف بدقة عالية، مما يجعل تأثير العوامل الجوية محدوداً للغاية، خاصة مع وجود أجهزة ملاحية ووسائل إطلاق إلكترونية دقيقة. أما الجانب الصحى والنفسى للقوات العراقية نتيجة السموم المنبعثة من إحراق آبار النفط وسحب الدخان، ناهيك عن تأثيره على الشعب الكويتى - كما يقول السامرائى - "فليس بذى أهمية لدى صدام، ولو طبقت فحوص حرب الخليج الجارية على الجنود الأمريكيين والبريطانيين على جنودنا (العراقيين) لكشف عن حالات تثير السخط، وتتطلب إجراءات علاجية وتعويضات فردية طائلة، إلا أن الإنسان العراقى لا قيمة له فى فكر صدام حتى يأخذ

حقه بنفسه". ثم يتساءل السامرائى: "إذا كان صدام لم يكن مؤمناً أو مقتنعاً بإمكانية الاحتفاظ بالكويت، فإن السؤال الذى يفرض نفسه هنا: إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يوافق صدام على إعداد خطط الانسحاب من الكويت، ولعل الأدهى من إشعال آبار النفط قوله فى أحد هذه اللقاءات بعد تعمق وازدياد قصف الأهداف الاستراتيجية العراقية بواسطة قوات التحالف يوماً بعد آخر: "والله لآخذ قيمتها منهم مربع - أى أربعة أضعاف القيمة - ولكن بالنتيجة فرضت لجنة التعويضات ٣١٠ مليون دولار غرامة على العراق بسبب إشعال صدام لآبار النفط فقط، وقد قدمت تسع دول طلبات بتعويض عن تلوث البيئة قدرها ٣٢ مليار دولار".

- وقد نتج عن جريمة تفجير آبار النفط النتائج المباشرة الآتية: ٦٥٢ بئراً اشتعلت فيها النيران بعد تفجيرها، أى بنسبة ٥١,٤%، ٧٥ بئراً نازفة هى التى تدفق منها النفط بعد تفجيرها دون أن تشتعل، وتبلغ نسبتها ٥,٩%، ٤٣٧ بئراً دمرت تماماً أى بنسبة ٣٤,٥% معظمها كان فى حقل الوفرة، أما الآبار السليمة التى نجت من التفجير فهى تبلغ ١٠٤ بئراً بنسبة ٨,٢% أمكن تشغيلها بعد التحرير مباشرة.

- يتبين لنا مما سبق أن جريمة حرق آبار نفط الكويت لم تحدث صدفة أو بالخطأ، ولم تفرضها ظروف لا إرادية، ولم تكن نتيجة القصف الجوى من قبل دول التحالف، كما لم تكن أيضاً رد فعل أو نتيجة نشوب معارك برية مع قوات التحالف، وهى المزاعم التى يرددها النظام الصدامى لخداع البسطاء والسذج فى العالم العربى، بل كانت جريمة متعمدة مبيتة، وجزء لا يتجزأ من استراتيجية مخطط العدوان العراقى على الكويت.

- وإذا كان من الصعب تقدير قيمة الخسائر التى لحقت بالكويت وقطاعاتها الاقتصادية المختلفة من جراء العدوان العراقى وممارساته وسلبه ونهبه وتدميره للمتلكات العامة والخاصة، فإن تقديرات قطاع النفط الأولية بلغت (٣٨,١٨٤ مليار دولار) مقسمة كالآتى: إطفاء الحرائق النفطية (٨٨٣,٧٢ مليون دولار). البنية الأساسية للقطاع بما فى ذلك تكلفة إزالة مخلفات الحرب ومعالجة بحيرات النفط (٣٥٥٧,١٤ مليون دولار)، هدر المخزون النفطى والنفط المتسرب نتيجة الحرائق (١٤٣١٠ مليون دولار)، الإيرادات النفطية الضائعة حتى العودة إلى الوضع السائد قبل الغزو (١٦٨٤٤,٤٦ مليون دولار)، ومصافى البترول (٢١٤٨ مليون دولار)، باقى شركات النفط الأخرى (٤٤٠,٧ مليون دولار).

التدمير المتعمد للبيئة فى الخليج [٧٠]

- لم يكتف النظام الصدامى بما ارتكبه من جرائم قتل وتعذيب وتخريب وانتهاك كافة حرمات الشعب الكويتى، فنجده يرتكب جرماً كبيراً آخر أصاب عماد حياة الإنسان فى مقتل، ألا وهو التدمير المتعمد والمنظم للبيئة، والذى لم يقتصر أثره على الكويت وحدها، وإنما امتد ليشمل دولاً كثيرة فى العالم، إذ أن تلويث الهواء والبحار يؤدى إلى انتشار هذه الملوثات بسرعة مذهلة قد تصل إلى مستوى يصعب بل يستحيل التحكم فيه. فقد عمد النظام الصدامى إلى ضخ مئات الآلاف من أطنان النفط الخام فى مياه الخليج مما دمَّر البيئة البحرية التى تكونت عبر آلاف السنين وقتل الحيوانات والنباتات البحرية، وما

زال أثر هذه البقعة النفطية الهائلة يؤثر على الحياة البحرية فى منطقة الخليج العربى، ثم بحر العرب وما يليه من بحور. كما أدت الحرائق المشتعلة إلى تصاعد كميات كبيرة من الملوثات الغازية التى ساعدت فى تكوين الأمطار الحمضية، إضافة إلى الدخان الكثيف والملوثات المصاحبة له.

- ولم تقتصر مشكلة تلوث الهواء على احتراق الآبار، وإنما أدى تدفق النفط غير المحترق وتكون برك نفطية معرضة للهواء الجوى وحرارة الشمس والحرارة الناتجة من الآبار المحترقة إلى تبخر المكونات الخفيفة للنفط وانتشارها بكميات كبيرة فى الهواء. كما أدى التصاق النفط برمال التربة وانتقالها بفعل الرياح مع العواصف الترابية إلى ظهور مشكلة لم تعهدها الكويت عند حدوث العواصف الترابية، حيث حملت الأتربة والرمال الكثير من المواد البترولية معها. ولم يقتصر الدمار البيئى على المياه والهواء، بل امتد أيضاً للتأثير على التربة، وتأثرت بدرجة كبيرة النباتات البرية بسبب تساقط قطرات النفط غير المحترق والحرارة الشديدة الناتجة عن حرق الآبار، وتكونت برك نفطية كبيرة حول الآبار المحترقة، وهلك الجانب الأكبر من الثروة الحيوانية فى الكويت - وتأثرت الأعداد التى بقيت منها تأثراً شديداً من جراء حرائق النفط، وتوقفت تماماً أنشطة الصيد، وكان من الصعب التعرف على ما أصاب الحياة الفطرية من دمار سواء داخل مناطق الحقول أو خارجها بسبب حقول الألغام التى غطت مساحات هائلة من الصحراء الكويتية، وهددت البشر والحيوانات البرية على السواء، كما أثرت على المياه الجوفية أيضاً.

الخنادق النفطية: (٧١)

- يذكر اللواء السامرائى فى كتابه (حطام البوابة الشرقية) أن صدام حسين طلب من الاستخبارات تفاصيل مكونات (خط بارليف) الحصين الذى أقامه الإسرائيليون على الضفة الشرقية للقناة بعد عام ١٩٦٧، خاصة ما يتعلق بالجزء الخاص بضخ مواد قابلة للاشتعال (نابالم) على سطح القناة، وأمر بتشكيل لجنة من المختصين فى هذا المجال لدراسة جدوى شق خندق بطول الحدود الكويتية-السعودية لضخ النفط إليه وإشعاله فى الوقت المتوقع لهجوم قوات التحالف البرية، بهدف تدميرها ومنعها من الاختراق فى اتجاه الكويت ورغم السلبيات العديدة لهذا المشروع، وأبرزها أن المثل الإسرائيلى الذى احتذى به صدام، وهو خط بارليف، لم يفلح فى منع المصريين من اقتحام القناة عنوة واجتياح خط بارليف وهزيمة القوات الإسرائيلية عليه، إلا أن اللجنة أوصت بتنفيذ المشروع. وقد حدد الفريق عبد الجبار شنشل عدداً من سلبيات هذا المشروع تمثلت فى طبيعة المنطقة الصحراوية والحركة المستمرة للكثبان الرملية التى ستؤدى إلى طمر الخندق بمرور الوقت وغلق منافذ تدفق النفط، أما فى حالة ملئ الخندق بالنفط بوقت مبكر، فستختلط معه كميات كبيرة من الرمال التى تقلل من فرص اشتعاله، هذا إلى جانب صعوبة حماية مستودعات ومحطات ضخ النفط من الضربات الجوية والصاروخية، وبالتالى عدم ضمان ضخ النفط بالكميات المطلوبة، بالإضافة لما سيعطيه هذا المشروع من دلالة على تمسك العراق فعلياً بالكويت، وعدم وجود نوايا لدى العراق باستئناف الهجوم فى اتجاه السعودية. ناهيك بالطبع عن القدرة المتفوقة لعناصر المهندسين لدى قوات التحالف على ردم أجزاء كبيرة من هذا

الخندق والنفاذ منها. إلا أن صدام حسين ضرب بهذه الاعتراضات عرض الحائط، وأصر على تنفيذ المشروع متصوراً أن هذا الخندق النفطى المشتعل سيسهم فى تكبيد قوات التحالف خسائر بشرية جسيمة إذا ما أقدموا على الهجوم، وخداعهم فى ذات الوقت عن النوايا المبيتة على اجتياح المنطقة الشرقية من السعودية فى الوقت المناسب، وأضاف صدام: "عندما يشعر السعوديون بأننا لا ننوى مهاجمتهم، فسيتضاءل اندفاعهم نحو الحرب، وبذلك يتمزق التحالف". وبالفعل أقامت القوات العراقية خطاً دفاعياً حصيناً بعرض الكويت وعلى مسافة ١٠-١٥ كم شمالى الحدود مع السعودية؛ وبامتداد ١٩٧ كم من ساحل الخليج العربى شرقاً إلى وادى الباطن غرباً، وعرض يتراوح ما بين ١,٥-٢كم. ويتكون هذا الخط الحصين من خنادق قتال ومرابض نيران أسلحة مباشرة (دبابات، ورشاشات، ومدافع، وصواريخ مضادة للدبابات)، وعدة صفوف من الأسلاك الشائكة، وحقول ألغام مضادة للأفراد والدبابات والخنادق النفطية والتى تحتل أقصى الشريط الجنوبى من الخط الدفاعى الحصين الذى يواجه السعودية، حيث تشكل هذه الخنادق عند إشعال ما بها من نفط حاجزاً مرتفعاً من النيران لا يمكن اقتحامه بسهولة بواسطة قوات التحالف القادمة من السعودية لتحرير الكويت. ويصل عرض الخندق النفطى ما بين ٢,٥-٣ أمتار وبعمق ١,٥-٢ متر. وقد قامت القوات العراقية بملء الخنادق بكميات كبيرة من النفط حوالى ٣٧٥٠ م^{3} نفط لكل كيلومتر طولى من الخندق) مع تجهيزها بوسائل إشعال عالية الكفاءة، وذلك بتفجير عبوات من النابالم موزعة توزيعاً مناسباً فى وسط الخنادق، حتى إذا تم تفجير وإشعال النابالم سرعان ما يتحول النفط إلى كتلة رهيبة من النيران والأدخنة المتصاعدة تكون بمثابة حائط مرتفع من النيران يمنع قوات التحالف من اقتحام الحدود السعودية الكويتية. وقد روعى عند تصميم الخنادق أن تكون متواصلة دون انقطاع حتى لا تحدث ثغرات بينها يمكن أن تستغلها القوات المهاجمة. وينهى السامرائى حديثه عن هذا الموضوع فى ص ٣٧٨ من كتابه، فيذكر أنه تم إنفاق ملايين الدولارات، وأهدرت مجهودات بشرية وفنية دون أن تحقق أوهام صدام فى "شويهم بنفط الكويت، وبإبداعات لم يألفوها"، على حد قوله، فلم يؤد هذا المشروع أى من أغراضه، كما لم تقدح النار التى أرادها صدام!!

إجمالى خسائر الكويت الناتجة عن الغزو العراقى: (٧٢)

- احتسبت التقديرات الأولية لإجمالى الخسائر الناتجة عن الغزو العراقى لدولة الكويت، بناء على ما هو متوافر من معلومات داخل وخارج الكويت، وقد بلغت فى مجموعها ٤٨٤٤٧ مليون دينار كويتى، أى ما يعادل ١٦٨,٤ مليار دولار، وتقسم هذه التقديرات إلى الأقسام التالية:

أ- **الخسائر المباشرة (الديناميكية) التى لحقت بالأفراد:** والتى تشمل التعويضات التى صرفت لحالات الوفاة والإصابة، وإعالة أهالى الشهداء والأسرى، والدخل المفقود للشهداء، بما يساوى ٨٣٤٤,٩ مليون دينار كويتى (٢٥,٨٧ مليار دولار).

ب- **الخسائر المباشرة (الاستاتيكية) عن الخسائر التى لحقت بدولة الكويت:** والتى تشمل مطالبات الأفراد بالمغادرة، والأضرار المادية الخاصة بالأفراد، والخسائر المادية للشركات والمؤسسات الخاصة من

أصول ثابتة وسائلة، وخسائر قطاع النفط، وخسائر القطاعات الحكومية، ومساهمة الكويت فى تكاليف حرب تحرير الكويت، وإعاشة الأفراد والعائلات الكويتية فى الخارج خلال فترة الاحتلال، بما يساوى ٢٧٧٧٢,٤ مليون دينار كويتى (٨٦,٠٩٤ مليار دولار).

ج- **التكلفة غير المباشرة (الاستاتيكية):** والتى تشمل التحويلات والإعانات المالية التى قدمتها دولة الكويت إلى الدول العربية والإسلامية الصديقة التى شاركت فى تحرير الكويت. وقد بلغت هذه التحويلات ١٩٦٤ مليون دينار كويتى (٦,٠٨٨ مليار دولار).

د - **التكلفة غير المباشرة (الديناميكية):** وتشمل تدهور المعدلات الإنتاجية، والتغيرات التى طرأت على سوق العمل الكويتى، وما ترتب على تدمير القاعدة الإنتاجية وسرقة المخزون السلعى للشركات والحكومة، وعدم القدرة على تسديد الديون والالتزامات المالية تجاه البنوك المحلية، مما أدى إلى تدهور أداء الاقتصاد الوطنى، وفرض على الحكومة أن تدعم البنوك وتعيد الثقة إليها. إلى جانب تكلفة فوائد القرض الذى حصلت عليه الكويت بعد التحرير لإعادة بناء الاقتصاد الوطنى، وقد بلغت ٦٩٨٠,٤ مليون دينار كويتى (٢١,٦ مليار دولار).

هـ - **الأضرار غير الملموسة:** وتشمل النتائج المترتبة على تأخر مواعيد تخرج طلبة جامعة الكويت والهيئة العامة للتعليم التطبيقى والتدريب، وقيمة الفوائد المعدومة على الأضرار غير المؤهلة للتعويض من قبل الأمم المتحدة، وتقدر بـ ٣٣٨٥,١ مليون دينار كويتى (١٠,٩٤ مليار دولار).

فشل أحلام صدام: (٧٣)

أما أحلام وأوهام صدام أثناء إعداد التحالف لحرب تحرير الكويت، فقد ملأ نعيقها سماء العراق والمنطقة، فكما صدَّق ادعاءات الجهلة والمزايدين من أزلامه حول كفاءة خندق النفط والنار فى إحراق قوات التحالف، صدق ادعاءاتهم أيضاً حول أسراب الطيارين الانتحاريين لتدمير أساطيل التحالف التى ملأت ظهر الخليج، وأراد حماية الطائرات العراقية (الإيرانية) بتهريبها إلى إيران، ومفاجأة الحلفاء بتشغيل شبكات لا سلكية يوم بدء الحرب بمخابرين يتكلمون اللغة الكردية والفارسية لإعطاء انطباع بأن الأكراد وإيران دخلوا الحرب إلى جانب العراق، وتدمير كبرى بنايات الكويت وتسويتها بالأرض، والاحتفاظ بجزيرتى وربة وبوبيان على الأقل، كذلك إمكانية أسر ٣٠٠٠ جندى غربى للمراهنة عليهم، وشق التحالف العربى-الغربى، وبحصول ثورة عربية وإسلامية "تفقع كروشاً، وتسقط عروشاً" على حد قوله، وإرهاب العالم بسلسلة من التفجيرات وأعمال إرهاب فى عدة عواصم عربية وغربية تقوم بها منظمات إرهابية تابعة للنظام الصدامى .. إلى غير ذلك من الأحلام التى واكبت غزوه لإيران، عندما أوهم نفسه بإمكان ضم منطقة عربستان الإيرانية إلى العراق، والسيطرة على كل شط العرب، وجعل العراق قوة عظمى هو قائدها، وزيادة نسل عائلته لتحكم العراق ٣٠٠ سنة على الأقل .. وحتى ختام خطاباته المطولة بعبارة (الله أكبر وليخسأ الخاسئون) التى أراد تمييز خطاباته بها.

- إلا أن كل هذه الأحلام باءت بالفشل، فأسراب الانتحاريين التى اعتقد أن بإمكانهم بواسطة ٦٠٠ طائرة قتال شن هجمات انتحارية ضد أساطيل الدول الغربية على طريقة الهجوم اليابانى على ميناء (بيرل

هاربور)، ثبت فشلها حيث أن هذه الطائرات كان سيتم رصدها بواسطة طائرات الإنذار المبكر الأمريكية حتى قبل إقلاعها وسيتم اعتراضها وتدميرها فور إقلاعها، ولن تتمكن أى منها من الوصول إلى أهدافها لذلك لم تقلع هذه الطائرات أصلاً. وعن دس أحاديث لا سلكية باللغتين الكردية والفارسية، ثبت عدم وجود إمكانات فنية لتحقيق هذا الهدف، كما سيكون من السهل كشف هذه الخديعة بواسطة عناصر المخابرات الأمريكية. أما إحداث شق فى التحالف الغربى-العربى الذى دأب صدام بكافة الوسائل على تحقيقه، فقد فشل تماماً فى ذلك حتى عندما أطلق صواريخه على بعض المدن الإسرائيلية، حيث أدرك الجميع فى التحالف حقيقة هدف صدام من ذلك، واستمر التحالف متماسكاً حتى تم تحرير الكويت. كذلك لم تفلح أكاذيبه وحملاته الإعلامية فى خداع وتضليل الجماهير العربية التى كشفت حقيقة الهوية العدوانية للنظام الصدامى، فلم تقع الثورة العربية والإسلامية التى كان صدام يحلم بها تأييداً له. أما مخططاته لتنفيذ عمليات إرهابية فى عواصم دول التحالف، فقد ذهبت أيضاً أدراج الرياح، حيث لم تتمكن العصابات الإرهابية التابعة له - مثل عصابة أبى نضال - من تحقيق أى من عملياتها الإرهابية بسبب التأهب الأمنى القوى فى جميع دول التحالف، والذى أحبط هذه المخططات.

صدام يجدد عرضه بأن يعمل رجل شرطة لحساب الولايات المتحدة فى المنطقة[٧٤]

- وفى الوقت الذى كان صدام يستسلم لإيران بمبادرته المشار إليها، ومحرضاً إياها على الولايات المتحدة، كان فى ذات ا لوقت يجدد عرضه للولايات المتحدة بأن يعمل رجل شرطة لحسابها فى المنطقة. اتضح ذلك فى طلبه يوم ١٩٩٠/٨/٦ الاجتماع بالقائم بالأعمال الأمريكى فى بغداد، حيث أوضح فى هذا الاجتماع حرصه على المصالح الأمريكية فى المنطقة، ودلل على ذلك بأنه كان الدولة العربية الوحيدة التى تحدت فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ قرار الدول العربية المنتجة للبترول بحظر تصديره إلى الدول الغربية حتى يتم انسحاب إسرائيل من الأراضى المحتلة، حيث استمر العراق فى تصدير نفطه إلى الولايات المتحدة. وأضاف أن النظام العراقى هو الأصلح للحفاظ على مصالح الولايات المتحدة، وأكثر قدرة من المملكة السعودية، كما طالب صدام بتحديد واضح للمصالح الأمريكية فى المنطقة حتى يمكن أن يقدم لهم الخطط التى تساعد على وجود خط للرجعة، وفى نهاية اللقاء طلب من القائم بالإعمال الأمريكى بإلحاح توصيل أفكاره إلى الرئيس بوش وبشكل عاجل، وبالطبع فشل صدام أيضاً بغبائه المعهود فى خداع الإدارة الأمريكية المدركة تماماً لحقيقة أهدافه، وأساليب مناوراته، فرفضت مبادرته وطالبته بالانسحاب من الكويت دون شرط.

تحريض الشعوب العربية على حكامها[٧٥]

- شن صدام حملة دعائية واسعة فى جميع أجهزة إعلامه استهدف من ورائها تحريض الشعوب العربية ضد حكامها، خاصة مصر والسعودية، فقال: "أيها العرب، أيها المسلمون .. أيها المؤمنون بالله حيثما كنتم .. هذا يومكم لتهبوا لتدافعوا عن مكة الأسيرة بحراب الأمريكان والصهاينة .. لتدافعوا عن الرسول محمد بن عبد الله الذى حمل الرسالة الكريمة فى هذه الأرض الكريمة لتبقى مقدسة .. ثوروا على الظلم والفساد والخيانة والغدر، وافضحوا الحكام الذين لا يعرفون النخوة، وقولوا للسماسرة من الحكام وهم يمارسون دورهم فى خدمة الأجنبى، أو يمارسون السمسرة فى خدمة أمراء البترول على نساء العرب،

وقولوا للخونة أن لا مكان لهم على أرض العرب". وهكذا استخدم صدام الخطاب الديني في غير موضعه للتحريض على الثورة ضد الحكومات التي أدانت غزوه للكويت، وطالبت بضرورة وضع حد للعدوان. ثم نجد صدام يوجه خطابه مباشرة إلى الشعب (في مصر الكنانة) قائلاً: "إنه يومكم ودوركم لتمنعوا الأجنبي وأساطيله أن تمر من سماء مصر وقناة السويس".

- ورغم هذا التهجم الذي مارسه صدام ضد الرئيس مبارك، فإن الأخير كان حريصاً على ألا يكشف كل الأسرار التي يعرفها، فلم يقل مثلاً أنه قبل الغزو بيومين حول صدام حسين إلى الرئيس مبارك مبلغ خمسين مليون دولار لمعاونة الاقتصاد المصري على مواجهة متاعبه!! وقد رفض مبارك أن يدخل هذا المبلغ ميزانية الدولة، ووضعه في حساب تسديد الديون التي على العراق لمصر، والتي كان حجمها ٧٨٨,٦ مليون دولار، وكان صدام قد توهم أنه اشترى إرادة مصر بهذا المبلغ، كما عرض بعد ذلك عدة مليارات على مصر حتى تغير موقفها، ولكن قوبل كل ذلك بالرفض مما زاد من حدة تهجمه على مصر وقائدها.

- ولقد بلغت مناشدات الرئيس مبارك إلى صدام حسين أكثر من ثلاثين نداءً يدعوه فيها إلى إعمال العقل والانسحاب من الكويت حتى يقي العراق شرور الدمار والخراب التي سيتعرض له العراق إذا ما اشتعلت الحرب. إلا أن صدام كان يرد على كل هذه النداءات والمناشدات علناً في وسائل الإعلام العراقية بمزيد من التصميم والإصرار على احتلال الكويت، معللا ذلك بأنه "إعادة الأمور إلى نصابها بعد أن انحرفت كثيراً". والمراقب لردود صدام وخطاباته هذه، سيكتشف شيئاً فشيئاً كيف تتضاءل عنده الأمة العربية ومصالحها إلى مصلحة العراق وحده، ثم تتضاءل مصلحة العراق عنده إلى مصلحة حزب البعث وسلطته، ثم تتضاءل مصلحة حزب البعث والسلطة إلى مصلحة صدام حسين وحده بشخصه وذاته. وبالتالي ندرك أن كل ما كان يريد الوصول إليه في كل ما قدمه من مشروعات وأفكار ومخططات ورؤى سياسية، هو تطبيق لنزعات وأفكار ديكتاتورية نابعة من ذاته هو، حتى تصور أنه بديكتاتوريته وفرديته المطلقة يستطيع أن يسيطر ليس فقط على الأمة العراقية وحدها، بل على الأمة العربية كلها. ومن هنا كان المقتل السياسي لصدام حسين، لأن منطلقه منطلق شخصي بحت، وهو أمر لا تستطيع قوة شخص واحد مهما كان أن تحققه. وفي هذا الإطار النفسي كان صدام يحاول أن يقنع نفسه، أو يدخل في روعه أنه ليس مثل كل البشر. وقد تضاعف عنده هذا الإحساس بالذات المطلقة، حتى أنه وبتدبير من مريديه أعلن انتسابه إلى الرسول ﷺ ، بل إنهم رسموا له شجرة عائلية تنتهي به إلى الجد الأكبر الرسول الكريم!! حتى أنه في إحدى ردوده على الرئيس مبارك وصف نفسه بأنه (عبد الله القرشي). فبعد أن اتهم الرئيس مبارك بأسلوب غامز ورخيص بأنه لايفهم القومية العربية، وأنه ليس من ا لصالحين الذين يدركون مفهوم العدل والحق، دلف إلى نقطة خطيرة أخرى، حيث ذكر أنه (قرشي) فهو ليس فقط سليل العرب، بل سليل خير قبائل العرب!! ثم يشير إلى حديث رسول الله ﷺ : "الأئمة من قريش)، وذلك في محاولة مكشوفة منه تستهدف تعريف العرب والمسلمين بأنه أحق حكام العرب والمسلمين بالإمامة والخلافة!!

جرائم النظام الصدامى فى حق الشعب الكويتى



● .. يروي قصته مع الغزاة



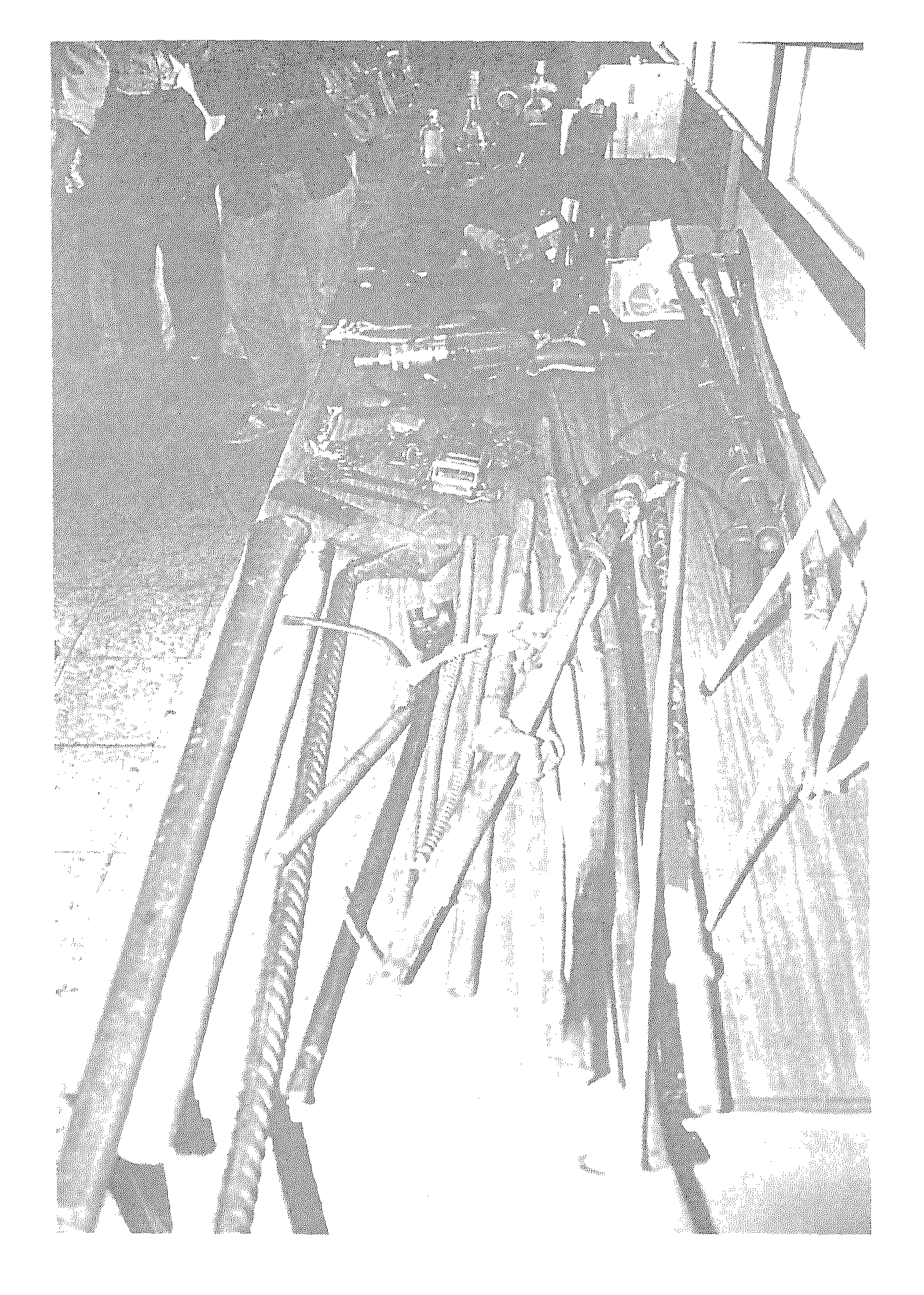
● حتى العجزة لم يسلموا من التعذيب

قتل وتعذيب وطرد وتهجير.. شمل حتى الأطفال والشيوخ والنساء





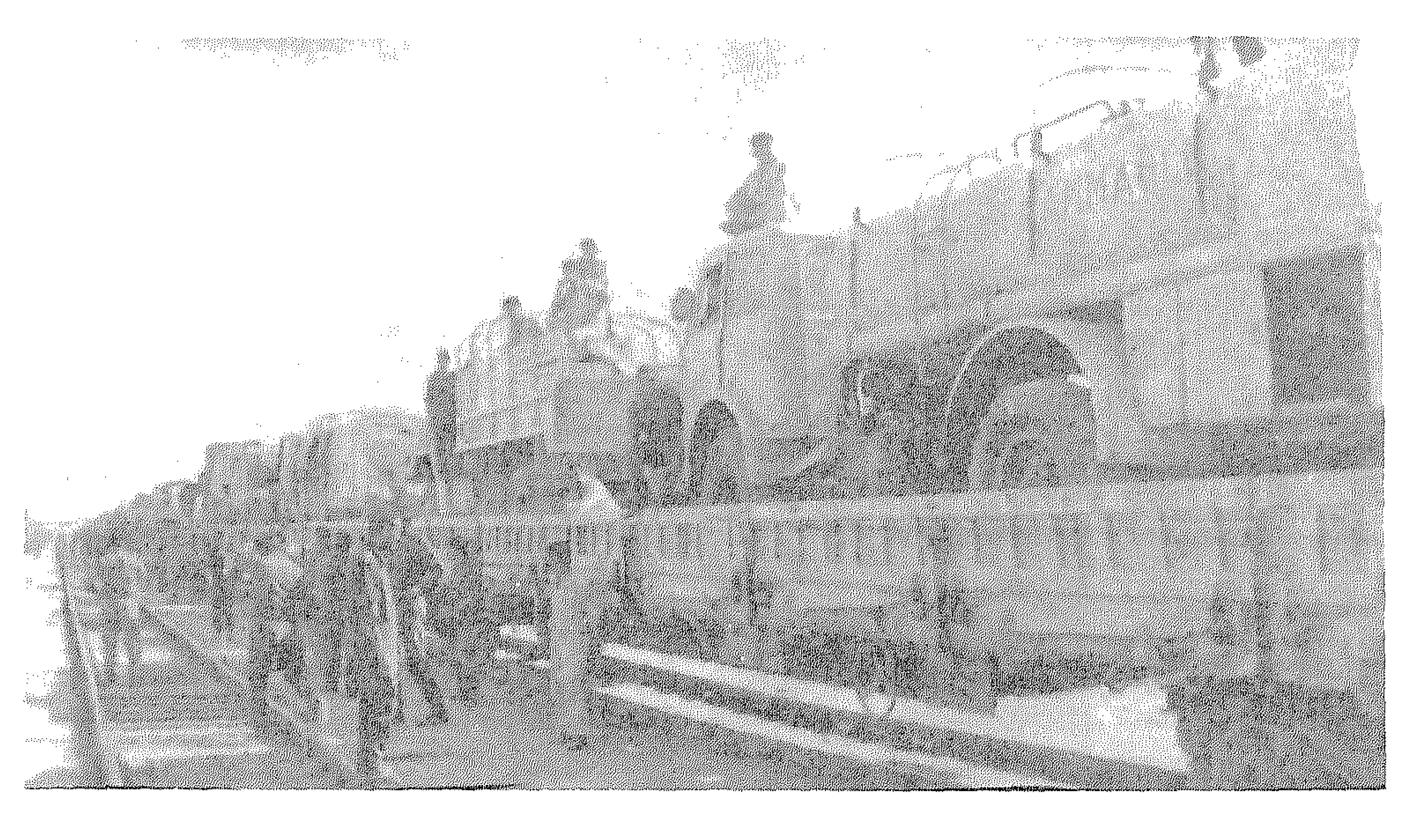
عمليات الإعدام علنا فى الشوارع



صورة لأدوات التعذيب التي استخدمها النظام العراقي أثناء الغزو



الخراب والدمار والسرقة.. أينما حل جيش صدام



معاودة محاولة العدوان على الكويت فى أكتوبر ١٩٩٤

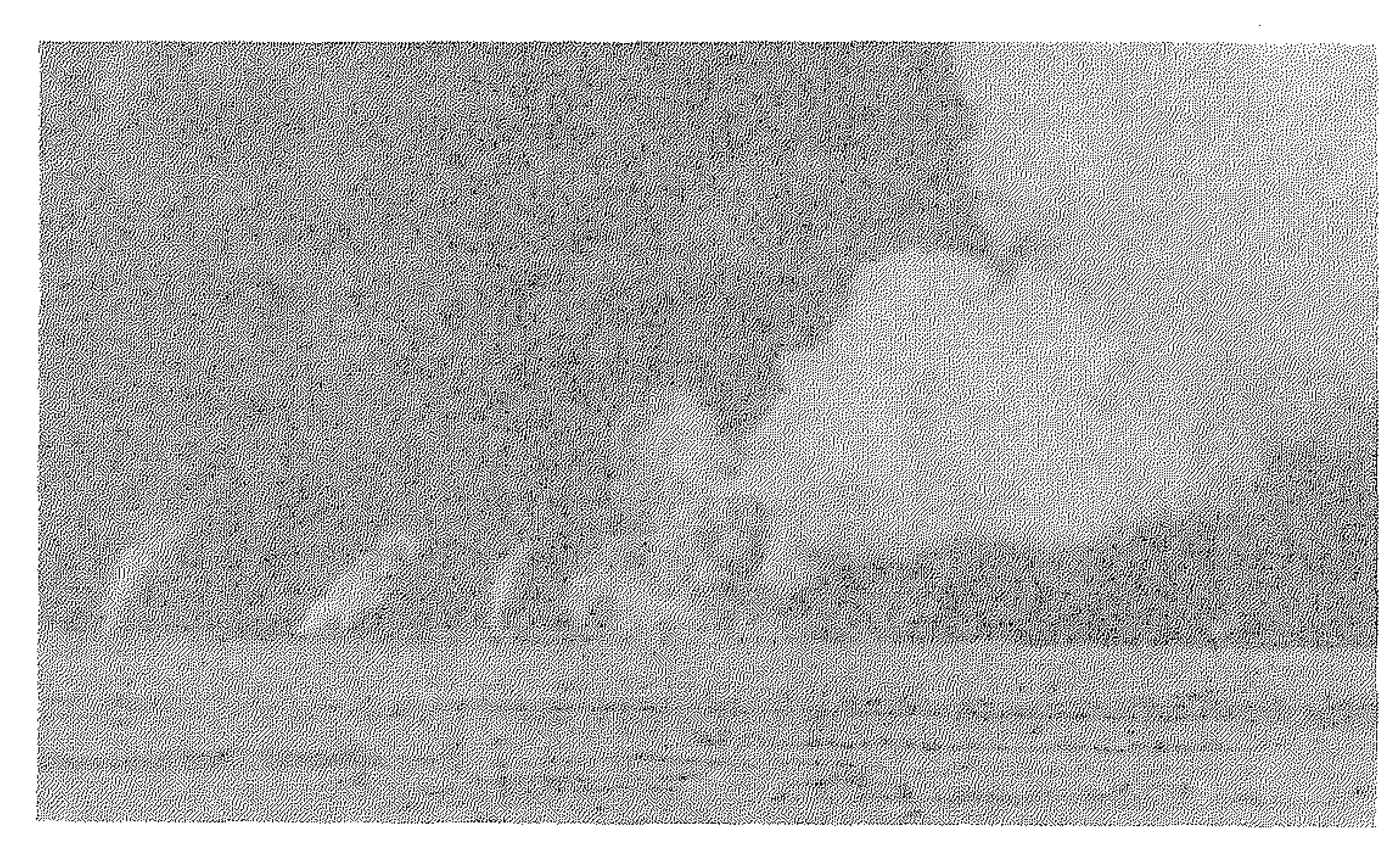
جريمة تدمير حقول النفط فى الكويت



صورة توضح إحدى البحيرات النفطية الضخمة

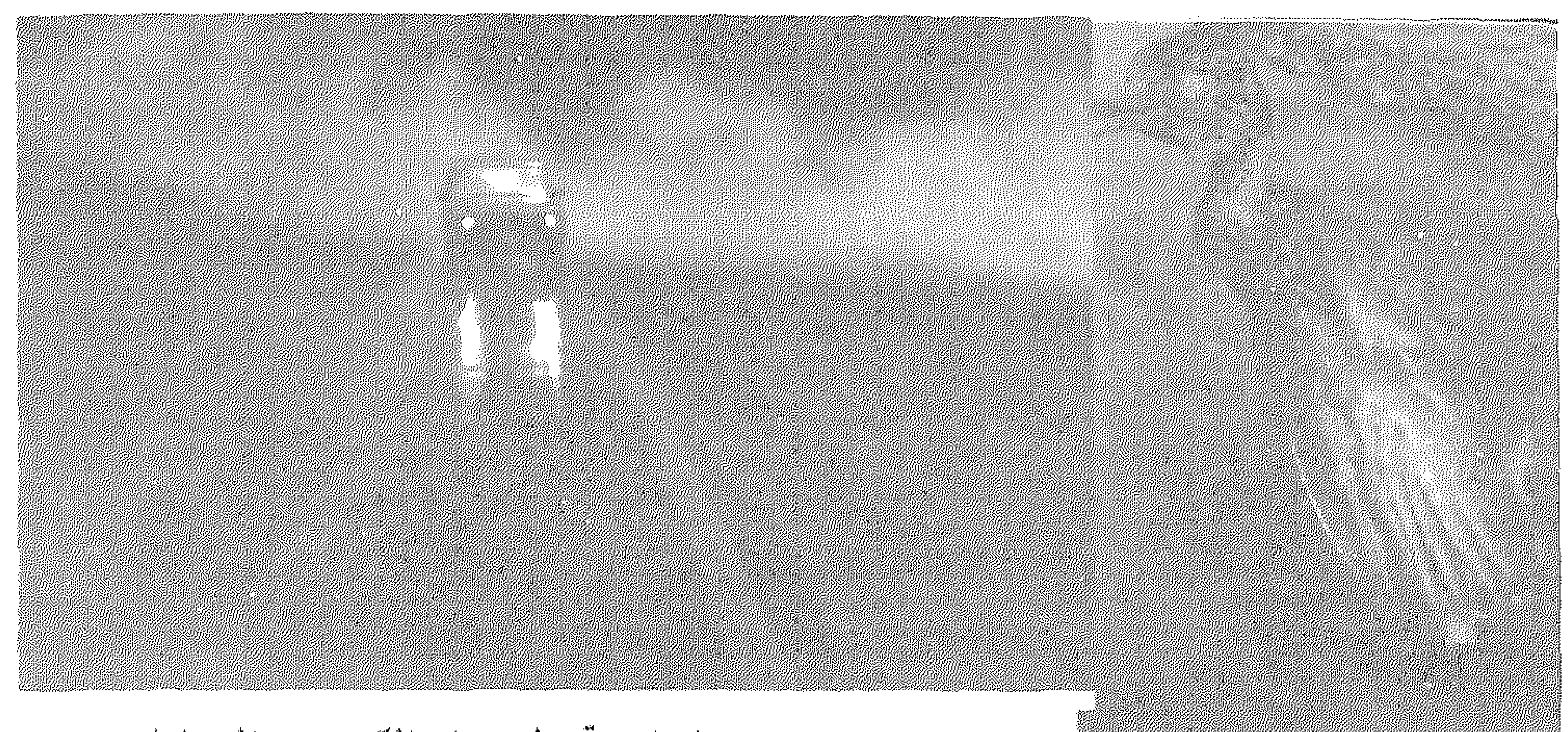






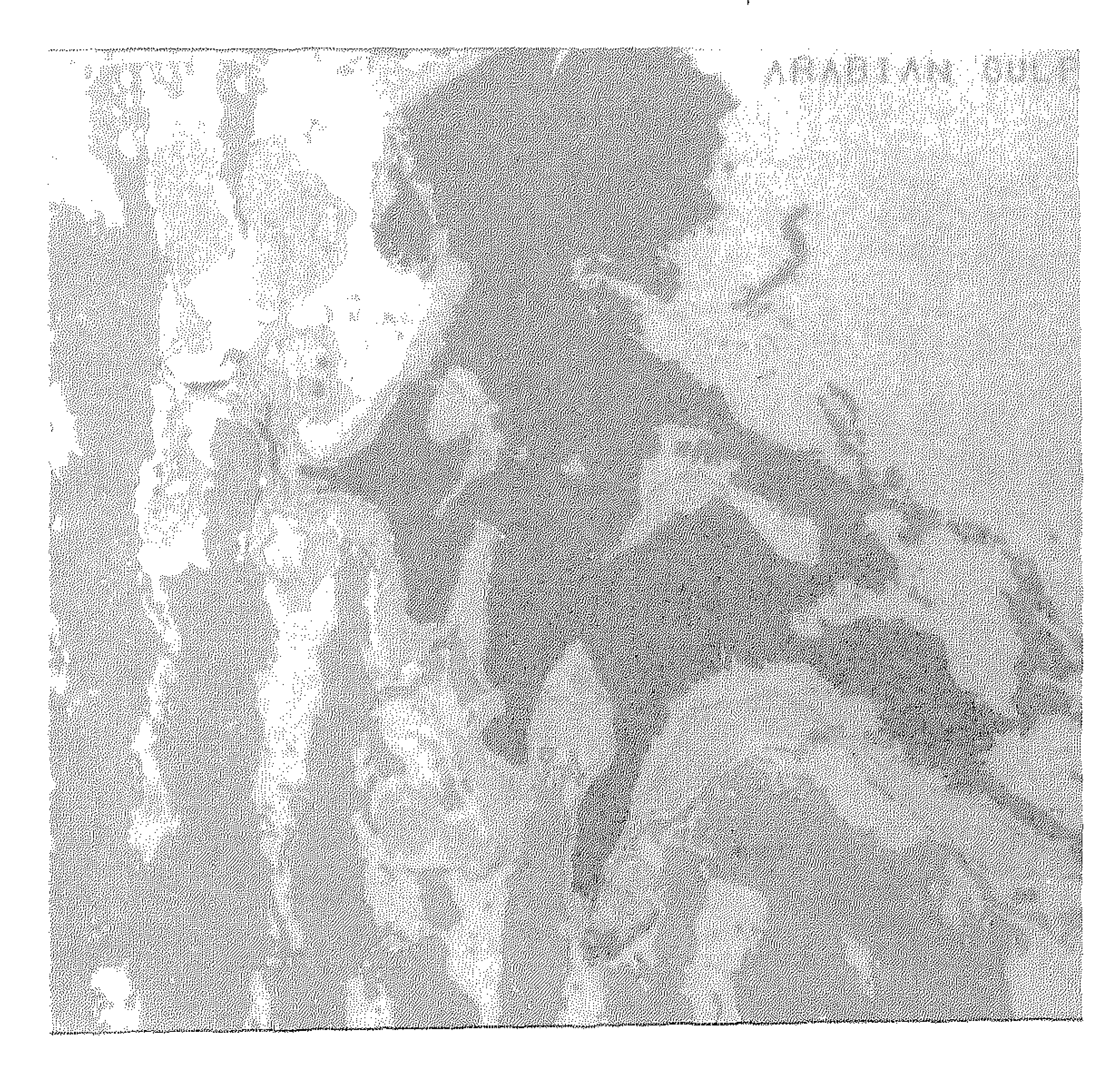


جنود صدام ينسحبون تحت دخان حريق النفط الذى أشعله قائدهم



صورة الطائر الغارق فى بحيرة النفط، والتى أثرت شعور العالم

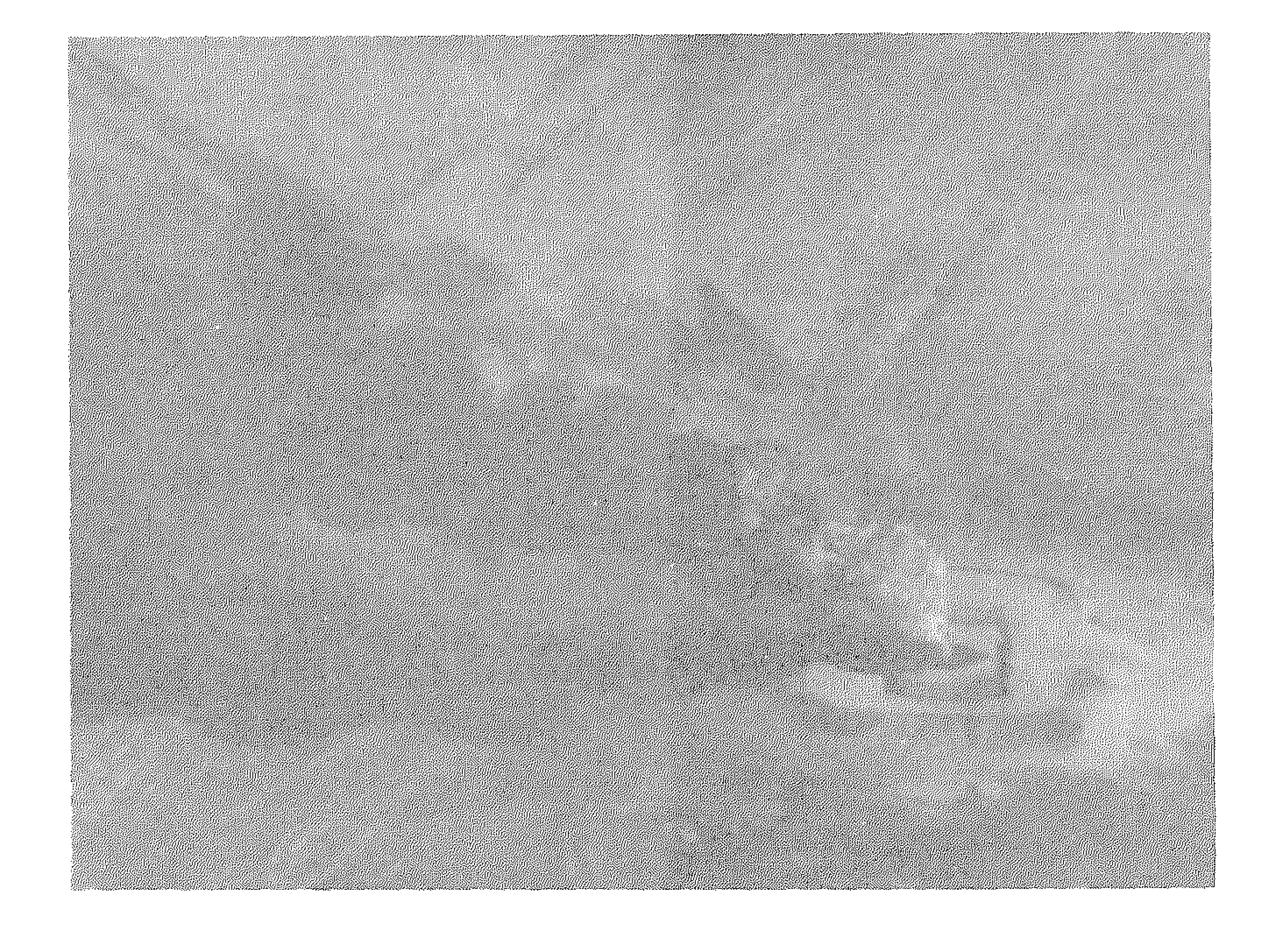
صورة تبين كيف تحول نهار الكويت إلى ليل بسبب الدخان الكثيف المتصاعد من حرق الآبار



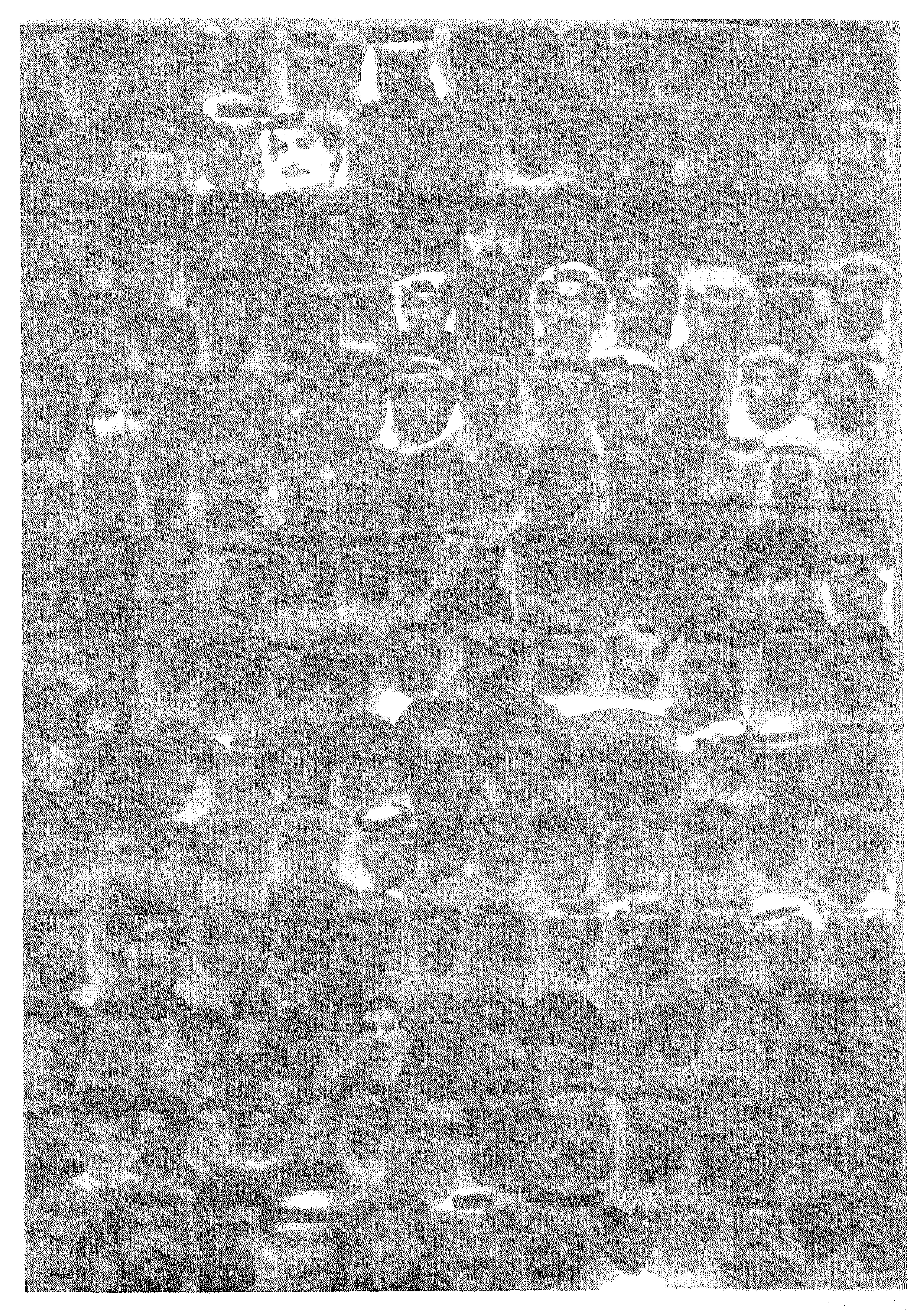
صورة توضح بقعة النفط في الخليج العربي نتيجة ضخ النفط المتعمد من جانب النظام العراقي



صورة تبين عملية إطفاء الآبار النفطية



الأسرى الكويتيون فى سجون العراق



أماكن معتقلات الأسرى الكويتيين





تهجم الوفد العراقي في القمة العربية على دول الخليج (٧٦)

- أاذرسل صدام في ١٩٩٠/٨/٧ نائبه عزت إبراهيم إلى مصر لمقابلة الرئيس مبارك، وإبلاغه رسالة مفادها أن العراق سيبقى في الكويت إلى الأبد، واعتبار ضمه للكويت إجراءً نهائياً لا رجعة فيه ولا تفاوض ولا تنازل باعتبار الكويت في زعمه جزءً من العراق. كما اعتبر صدام أن إدانة مصر للعراق بسبب غزوها للكويت هو بمثابة (ذبح للعراق)، وكان مطلب صدام أن تعمل مصر على تهدئة ثورة الغضب التي تجتاح العالم كله ضد العراق. وعندما سأل الرئيس مبارك نائب صدام عن تصور بغداد لعواقب هذا الموقف في ظل تدفق الحشود العسكرية الضخمة لدول التحالف على المنطقة، أجاب عزت إبراهيم: "حتى لو حاصرونا براً وبحراً وجواً وقصفوا كل شئ بالقنابل، فسنبقى صامدين في الكويت". وعندما قَدِم طه يسن رمضان إلى القمة العربية التي عقدت بالقاهرة في ١٩٩٠/٨/٩ نائباً عن صدام حسين، أصر على التمسك بموقف العراق من احتلال وضم العراق للكويت، وأن ذلك قراراً نهائياً ولا يحق للقمة مناقشته. وبجانب الألفاظ البذيئة والنابية التي استخدمها طه رمضان ضد الوفد الكويتي في القمة، فقد مارس الوفد العراقي - خاصة طارق عزيز - أساليب مبتذلة ضد الوفود العربية الأخرى في القمة، مهدداً وزراء خارجية دول الخليج ومتوعداً بالويل وعظائم الأمور إذا ما أدانوا العراق لاحتلاله الكويت، وكان صوت طارق عزيز يعلو وكأنه في مزاد الجاهلية. وكان كل هم الوفد العراقي هو المطالبة بسحب التواجد الأجنبي من منطقة الخليج، واستصدار قرار بذلك من القمة. كما ربط العراق بين انسحاب العراق من الكويت وانسحاب سوريا من لبنان، وانسحاب إسرائيل من فلسطين. وهدد طه رمضان قائلاً: "إذا وقع عدوان على العراق فسوف ندمر كل شئ". ثم أضاف: "إن الكويت لنا تاريخاً، وسوف نقلب حكمكم رأساً على عقب .. وسنساعد المعارضة في بلادكم ونحن نحذركم".

تهجم صدام على مصر والسعودية، والتحريض ضدهما (٧٧)

- كان الرئيس مبارك حريصاً على نجاح قمة القاهرة واستصدار قرارات عملية تدين غزو العراق للكويت، وتطالبه بسحب قواته منها، وهو ما صدر فعلاً عن القمة. إلا أن هذا الموقف أثار الوفد العراقي الذي أرسل برقية في ١٩٩٠/٨/١٠ إلى صدام وصف فيها الموقف المصري والسعودي المشترك بأنه (خطة مدبرة لاستصدار قرار يوفر غطاءً عربياً لضرب العراق، وأن العملية كلها يقودها مبارك وفهد). فكان من نتيجة ذلك أن شن صدام حملة إعلامية عنيفة ضد كل من مصر والسعودية، اتهمهما فيها بالعمالة للولايات المتحدة والإمبريالية، وبخيانة القومية العربية والقضية الفلسطينية، وطالب الشعبين المصري والسعودي بالانتفاضة ضد حكومتيهما، والجيشين المصري والسعودي بالانقلاب على قادتهما. وقد ظن صدام واهماً أن هناك في مصر والسعودية من يسمع ترهاته أو ينصت لأكاذيبه، فقد كان الجميع على علم وإدراك ووعى بأنه مخادع ومضلل وكاذب في دعاويه، وأنه أكبر خائن للأمة العربية.

الرهان على إثارة الشارع العربى [٧٨]

- وفى الوقت الذى كان فيه صدام يهدد بضرب المصالح الأمريكية، ومصالح المتحالفين معها فى الوطن العربى وعلى كل الساحة العالمية، كان يسعى فى ذات الوقت إلى إثارة الوجدان العربى والإسلامى معتمداً على المساندة الشعبية التى افترض صدام أنه سيتمتع بها فى معظم البلدان العربية والإسلامية، بحيث يمكن فى ظنه أن تتبلور تلك المساندة لتصبح قوة ضغط مؤثرة ضد الحكومات التى تتخذ مواقف متشددة ضد العراق. وهو ما انعكس فى النداء الذى وجهه صدام إلى العرب والمسلمين كافة فى يوم ١٩٩٠/٨/١٠، والذى تضمن تحريضاً على الثورة ضد حكام الخليج ومصر.

- يكشف عن هذه الحقيقة وفيق السامرائى فى كتابه (حطام البوابة الشرقية) ص ٢٣٧ فيذكر ضمن أوهام صدام حسين: "أن الحرب ستشكل هزة عنيفة على المستويين العربى والإسلامى، وستعلن شعوب الأمة العربية موقفها الرافض للحرب والمؤيد للعراق، وعندئذ ستسقط حكومات وتتراجع أخرى، وتبدأ انطلاقة زعامته القومية دونما حدود .. ولقد كان صدام يحلم إلى حد كبير بالموقف الشعبى العارم المؤيد لعبد الناصر عندما أمم قناة السويس وحرب ١٩٥٦ .. ولم يكن مستعداً لتفهم التباين بين المرحلتين، والاختلاف فى الموقف الأخلاقى والتاريخى لكل منهما". ثم يضيف السامرائى موضحاً مدى الوهم والغرور الذى كان مسيطراً على صدام، أنه دعا فى ١٩٩١/١/١٠ إلى اجتماع ضم ١٨ ضابطاً من أقدم ضباط الاستخبارات العسكرية قال فيه: "إن أميركا دولة ضعيفة وعليها ديوناً لليابان تبلغ ٣٠٠ مليار دولار .. وإن طائرة الشبح (ف ١١٧) التى لا يكتشفها الرادار يمكن رؤيتها بالعين المجردة، وأن صواريخ الكروز يمكن إعماء إدارتها بلطخة من الطين والغبار المتطاير .. إن ما تريدونه كاستخبارات سواء كان فى الجزائر أو مصر، فبمجرد أن تقولوا صدام يريد أن تقوموا بهذا العمل فستزغرد لكم النسوة .. لن نتراجع عن الكويت وسننتصر". هكذا بلغ الجهل والغرور مبلغه من صدام، فهل نندهش بعد ذلك إذا ما أصم أذنيه عن كل النصائح التى وجهت له لكى ينسحب طوعاً من الكويت، ويوفر على العراق المهلكة التى أوقعه فيها بتعنته وتصلبه وغبائه؟!

محاولات شق التحالف الغربى-العربى [٧٩]

- يصف السامرائى اجتماع حضره صدام فى مبنى الاستخبارات فى بداية أكتوبر ١٩٩٠ أجرى فيه تقييماً للموقف قال فيه: "منذ جاءت ثورتكم فى ١٧، ٣٠ تموز ١٩٦٨، ورياح التآمر تهب على العراق من كل اتجاه، غالبية الحكومات العربية وبالتتابع شعرت بالخطر من أن يكون العراق مثالاً حياً للتطلعات التاريخية، وشعرت أمريكا وبريطانيا وتركيا وإيران وحتى الاتحاد السوفيتى فى بعض الأحيان بخطر جدى، وسعت الرجعية فى الخليج للتآمر علينا بطرق سرية أو اقتصادية .. والآن علينا فهم حقيقة وأبعاد التحالف الغربى-العربى كى نتمكن من تجزئة الصراع وكسب الوقت، وإذا ما نجحنا فى تفتيت التحالف فسوف نحدث قفزة عظيمة على أرض الواقع". وبعد أن أوضح صدام أنه يعتمد على فرنسا ومصالحها فى العراق لشق التحالف الغربى، انتقل إلى التحالف العربى، حيث أجرى تقييماً على النحو التالى: "إن الدويلات الخليجية تمر بحالة من الرعب الآن، ويحاول الأمريكيون والإنجليز الضغط بقوة على جروحهم، وسواء حاولنا تهدئتهم أم لم نحاول فالأمر واحد. وبالنسبة لسوريا فما بيننا وبينهم لا يحتاج

إلى توضيح (يقصد الصراع بين طرفى حزب البعث فى بغداد ودمشق). ولقد حاولنا كثيراً تعديل مسار العلاقات مع مصر، وساعدناهم على العودة إلى الحظيرة العربية وكسر المقاطعة، وحاولنا إقامة مشاريع صناعية مشتركة، فأفشلوها متعمدين، وأعطيناهم مبالغ طائلة لملايين المصريين الذى وفدوا للعمل خلال الحرب مع إيران، وألزمنا أنفسنا بتحويلات سنوية بالعملة الصعبة للأعداد الضخمة العاطلة عن العمل منهم، وقبلنا شراء أعتدة للمدفعية من مصر بأسعار عالية جداً. كانت العلاقة معهم ثقيلة علينا فى ثقل يلى ثقل الحرب .. وللأسف نراهم اليوم أشد دعاة الحرب علينا، ويسخرون أبواق دعايتهم علينا، ويبدو أنهم يريدون الانتقام من قيادة العراق لمؤتمر قمة بغداد ١٩٧٨ الذى نتج عنه قرار مقاطعة مصر .. على أى حال هم يتحملون وزر فعلهم هذا ولن ننساه لهم .. هم يتناسون أن بإمكاننا التأثير فى شوارعهم عندما يحين الوقت".

- هذه هى حقيقة نظرة صدام وتقييمه للموقف العربى، وهى بالطبع نظرة ضيقة وتقييم خاطئ للموقف يدل على شعور مفرط بالعداء والكراهية والحقد منه على باقى الدول العربية، سواء الخليجية أو سوريا أو مصر، وتدل هذه النظرة فى ذات الوقت على إمعان من جانب صدام فى نكران الجميل الذى بادرت بتقديمه الدول الخليجية ومصر للعراق إبان أزمته وحربه مع إيران، وهو ما سبق أن أقر واعترف به كما أوضحنا فى فقرات سابقة، حيث لم تبخل أى من هذه الدول بكل ما تملكه من إمكانات مادية وبشرية على العراق للخروج من أزمته التى ورطه فيها صدام حسين ثمانى سنوات، فكان جزاء هذه الدول العربية جزاء (سنمار)، فلم يكتف صدام بغزوه واحتلاله الغاشم للكويت، بل نجده مستمراً فى تهديده وتوعده الدول العربية التى وقفت فى وجه عدوانه على الكويت، وهو ما سنراه مستمراً فى مرحلة ما بعد هزيمة واندحار جيشه فى الكويت.

- والذى يؤكد النوايا الشريرة لصدام حسين ما عمد إليه النظام الصدامى من تخويف وترهيب القادة العرب الذين وقفوا ضد عدوانه على الكويت، حيث خرجت شائعات من بغداد وعواصم الدول العربية التى أيدتها تهدد بالقتل والتنكيل بكل دولة عربية وقفت ضد صدام. حيث سرت شائعة تقول بأنه سيتم ضرب مصر من السودان، وان الفدائيين الفلسطينيين سوف يضربون فى دول مجلس التعاون الخليجى، وأن الضربات ستصل إلى العمق وفى المدارس والشوارع، وعاش الشارع العربى جواً من الإرهاب الحقيقى، كما خرجت شائعات أخرى مقصودة من بغداد تضخم من حجم قوة صدام حسين، وكيف أن الحرب إذا قامت فسوف تحول المنطقة إلى جحيم وستأكل النيران الأخضر واليابس. ولم يفطن صدام وهو يدير هذه الحملة الدعائية إلى أن الإدارة الأمريكية تستغلها ضده فى تدعيم حججها فى الكونجرس وأمام الرأى العام الأمريكى، بأنه لا بديل عن الحرب لإجبار صدام على التراجع، وفى زيادة حجم القوات الأمريكية والأوروبية بمنطقة الخليج. كما استغل بوش (الأب) جيداً ما كان يصدر عن النظام الصدامى من تهديدات تتصف بالغرور والصلف والتكبر فى تدعيم حججه من أجل استقطاب الرئيس السوفيتى جورباتشوف إلى جانبه، وإقناع الكونجرس بخطورة النظام الصدامى على المصالح الأمريكية فى المنطقة.

إضاعة الفرص الأخيرة (٨٠)

- وكما رفض صدام الاستجابة للنصائح التى قدمها له الرئيس مبارك وغيره من الرؤساء العرب وغيرهم للانسحاب طوعاً من الكويت، حتى يجنب العراق الويلات التى سيتعرض لها إذا ما نشبت الحرب، أضاع أيضاً فرصاً كثيرة أتيحت له للتخلص من الأزمة. مثل اللقاء الذى تم فى جنيف بين وزير الخارجية الأمريكى جيمس بيكر وطارق عزيز قبل المهلة التى منحها مجلس الأمن للانسحاب بـ ٧٢ ساعة، حيث رفض صدام هذه المهلة كما أفشل أيضاً اجتماع جنيف،وهكذا كشف بنفسه عن اللعبة التى كان يديرها من أجل كسب الوقت، وشعر العرب من جديد انهم أصبحوا ألعوبة فى يد صدام، وهو ما أكده لقادته من أنه قبل خيار الحرب تصميماً منه على الاحتفاظ بالكويت، وعندما أبدى الفريق عبد الجبار شنشل تخوفه من نتائج الحرب، عزله صدام كما عزل أيضاً الفريق نزار الخزرجي رئيس الأركان، بينما كانت القوات المسلحة العراقية على وشك الدخول فى حرب بعد بضعة أيام!!

- وكما أفشل صدام العرض الأمريكى الذى قدمه جيمس بيكر، أفشل أيضاً مهمة الرئيس الجزائرى بن جديد الذى طرح مبادرة لانسحاب مشرف للعراق من الكويت. كذلك أفشل مهمة خافير دى كويلار سكرتير الأمم المتحدة الذى سعى إلى بغداد لإقناع صدام بخطورة الموقف الذى يواجهه العراق، فأهانه صدام بتعطيل مقابلته لأكثر من ساعة، ثم أخذ يتحدث معه عن رأيه فى الشاى العراقى!! فخرج من العراق يوم ١ يناير ١٩٩١ وهو يقول: "الله وحده يعلم هل يمكن تجنب الحرب فى الخليج". وكان الرئيس الفرنسى (ميتران) قد أبدى استعداده لزيارة بغداد إذا ما أعلن صدام عن استعداده للانسحاب، إلا أن مصير هذه المبادرة الفرنسية لم يكن أفضل من المبادرات الأخرى التى طرحها زعماء العالم على صدام فأبى وتصلب فى تمسكه بضم الكويت.

- وحتى المبادرة التى جاءت إليه من أقوى أصدقائه فى العالم - الاتحاد السوفيتيي السابق - فى رسالة بعث بها الرئيس السوفيتى جورباتشوف مع بريماكوف وزير الخارجية السوفيتية يحثه فيها على الانسحاب قبل فوات الأوان لم يستجب لها صدام. فقد كرر على أسماع الوفد السوفيتى الاتهامات التى وجهها إلى الكويت والسعودية، "وأن العراق ضحية مؤامرة متعددة الأطراف لأن لا الولايات المتحدة ولا إسرائيل تتحمل وجود عراق ذو عضلات حربية"!! وكان بريماكوف قد قام بثلاث رحلات إلى بغداد أولهما فى ١٩٩٠/٣/٥ وآخرها فى ١٩٩١/٢/٢٣ أثناء الحرب فى محاولات محمومة لإقناع صدام بخطورة موقفه، إلا أن كل محاولاته تحطمت على صخرة العناد والغباء والغرور الصدامى.

محاولات إقحام إسرائيل فى الحرب لإحراج الدول العربية (٨١)

- وعندما بدأت الحرب ليلة ١٧/١٦ يناير ١٩٩١ بالقصف الصاروخي والجوى ضد الأهداف الاستراتيجية والعسكرية العراقية، وما لحق بها فى ساعات محدودة من دمار وشلل، ورغم إدراك صدام حجم الكارثة التى ستحل بالعراق، إلا أنه بقى مكابراً متمسكاً بأوهامه السابقة، حين لم يعد مجال سوى المكابرة والاستمرار فى تلقى الضربات. ويكشف البيان الرسمى العراقى الذى صدر عقب الضربة الجوية والصاروخية الأولى عن مدى الكذب والمتاجرة بالدين الذى اتسم به السلوك الصدامى

فى هذه المرحلة الحرجة من تاريخ العراق، حيث بدأ البيان بالآية الكريمة "**يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم**"، ثم استطرد فى مزاعم لا أساس لها من الصحة حول نجاح الدفاعات الجوية العراقية فى إسقاط عشرات من طائرات التحالف، وهو ما لم يحدث على الإطلاق.

- وفى مناورة رخيصة ومكشوفة، أمر صدام وحدات الصواريخ أرض/أرض بتوجيه ضربات صاروخية ضد إسرائيل، وكان بذلك يسعى إلى كسب ود وعطف الشعوب العربية من جهة، ولإحراج الدول العربية المشاركة فى التحالف فى حالة رد إسرائيل، وهو أيضاً ما فشل فيه صدام، حيث نجحت الإدارة الأمريكية فى منع إسرائيل من الرد. وفى هذا الصدد يتساءل السامرائى: "لا ندرى ما هو الربط وما هى العلاقة بين حرب الكويت وفلسطين؟ وماذا قدم صدام فعلاً لفلسطين؟ وحتى الأموال التى قدمها للمنظمات الفلسطينية كانت لأهداف معلومة، وقد أثبتت الأحداث أن الإفراط فى استخدام (المصلحة القومية) من قبل صدام كان ادعاءً مرتبطاً مباشرةً بأغراض دعائية".

- وقد ثبت فشل صدام فى تحقيق أية نتائج سياسية أو استراتيجية من وراء قصفه إسرائيل بالصواريخ، بل على العكس فقد كسبت إسرائيل كثيراً من وراء ذلك، حيث قدمت لها الولايات المتحدة ١٣ مليار دولار مساعدات، بالإضافة لنشر عدد من الصواريخ باتريوت فى إسرائيل، كما رست حاملة طائرات أمريكية بالقرب من السواحل الإسرائيلية إعلاناً عن الدعم والمساندة الأمريكية لإسرائيل. وهكذا كان قرار صدام بقصف إسرائيل بالصواريخ سبباً فى حصول إسرائيل على دعمٍ مالىٍ وعسكرىٍ وسياسىٍ لم تكن لتحصل عليه إلا نتيجة قرار صدام الطائش، ناهيك عن أن قصف إسرائيل بالصواريخ العراقية لم يحدث فيها حجماً يذكر من الخسائر على غير ما توقع الكثيرون فى العالم العربى.

الرهان الخاسر على الحرب البرية (٨٢)

- ورغم الخسائر الجسيمة التى تعرضت لها العراق طوال ستة أسابيع بفعل الضربات الصاروخية والجوية، استمر صدام فى رهانه الخاسر على قواته البرية فى إدارة حرب تكبد فيها قوات التحالف خسائر بشرية جسيمة يكون لها انعكاساً سيئاً فى الرأى العام الأمريكى، والذى فى ظن صدام سيضغط على الإدارة الأمريكية لتسحب قواتها من العراق. يتبين لنا مدى غرق صدام حسين فى هذه الأوهام من حديثه عشية الهجوم البرى مع مندوب محطة CNN (بيتر أرنيت) يوم الجمعة ٢٢ فبراير، عندما استدعاه صدام إلى مقره لإذاعة هذا الحديث ليكون بمثابة تهديد لقوات التحالف بإبادتها بـ (أسلحته السرية) إذا ما أقدمت على شن هجوم برى. قال صدام: "إنهم يريدون من العراق أن يستسلم ولكن أملهم سيخيب، وعندما تبدأ المنازلة الكبرى سيعرفون حقيقة الجندى العراقى. وسيفوز الجندى العراقى بإعجاب العالم لقدرته الفائقة فى القتال"!! وعندما سأله (أرنيت) عن نسبة احتمالات فشله فى الحرب البرية؟ أجاب صدام بكل الغرور الكاذب: "ولا واحد فى المليون .. إننا لن نهزم"!! ثم هدد قائلاً: "إن دماء كثيرة سوف تسيل على كل جانب، وسوف نستخدم كل أسلحتنا"!! ثم ادعى بأن التفوق الجوى لقوات التحالف قد فشل، وأن العراق قد نجح فى تحقيق التوازن باستخدام أسلحته التقليدية، وأنه يدعو الله ألا يستخدم أسلحة أخرى غير تقليدية. وهو تهديد واضح بأنه قد يلجأ إلى استخدام مالديه من أسلحة دمار شامل كيميائية وبيولوجية. وكانت صحيفة الجمهورية العراقية قد نشرت فى ذات التوقيت: إن قوة

العراق تتركز فى جوانب خفية لم يعلن عنها حتى الآن .. وأنه من الخطأ أن يظن البعض أن تركيز قوة العراق فى أسلحتها التقليدية أو التفوق العددى لقواته البرية فقط .. إن قوة العراق اعتبارية (ليست مادية أو عسكرية فقط)!!

- وقد شاهد العالم كله على شاشات التلفزيون مدى الوهم الذى كان يعيش فيه صدام حول قوة الجيش العراقى وصلابة الجندى العراقى، عندما بدأت وحدات الجيش العراقى فى الكويت ترفع رايات الاستسلام البيضاء أمام قوات التحالف، حتى من قبل بدء الحرب الجوية - حين استسلم مئات الجنود العراقيين للقوات المصرية فى حفر الباطن معلنين رفضهم الاشتراك فى هذه الحرب - وشاهد العالم كذلك الجنود (الأشاوس) العراقيين وهم يجثون على الأرض يقبلون فى مذلة أقدام الجنود الأمريكيين، وحقيقة الأمر أن القوات العراقية - سواء التى كانت متواجدة فى الكويت أو فى جنوب العراق - كانت تتطلع لقدوم قوات التحالف، ليس لقتالها كما كان يعتقد صدام بحساباته الخاطئة وظنه الخائب، ولكن كانت تنتظرها لتستسلم لها لتخلصها من الجحيم الذى كانت تعيش فيه نتيجة الأوضاع السيئة التى فرضها عليها النظام الصدامى بعد أن ألقاها فى صحراء الكويت والعراق دون إعاشة أو إمداد لوجيستى، كما انقطعت خطوط اتصالات الوحدات مع قياداتها الأعلى، ناهيك عن التأثيرات المادية والمعنوية الرهيبة التى أحدثها القصف الجوى والصاروخى للتحالف ضد هذه القوات العراقية فى مواقعها لأكثر من ستة أسابيع، وهو ما أدى بقوات التحالف إلى أن تشرخ فى الدفاعات العراقية بسهولة ودون مقاومة تذكر، كما يشرخ السكين فى قالب الزبد، وهو ما يثبته حجم الخسائر الضئيلة جداً التى تكبدتها قوات التحالف فى حرب تحرير الكويت والتى لم تتعد ٣٥٠ فرد فقط، فى حين كان صدام يَعِد الشعب الأمريكى بعشرات الآلاف من جثث الجنود الأمريكيين تحملهم التوابيت إلى ذويهم فى الولايات المتحدة !! ومما يؤكد أيضاً خيبة ظنون صدام حسين. إن معركة تحرير الكويت البرية، وتدمير القوة الأساسية للجيش العراقى فى جنوب العراق، لم تستغرق من قوات التحالف أكثر من أربعة أيام فقط، وليس أسابيعاً أو شهوراً كما كان يهدد ويتوعد صدام وحيث بلغ حجم الخسائر التى تكبدها العراق بحلول يوم ٢٦ فبراير الآتى طبقاً لشهادة وفيق السامرائى رئيس الاستخبارات العسكرية العراقية آنذاك: تدمير شبه كلى لعدد ٢٦ فرقة عراقية، ٤٥ ألف قتيل، ١٨٠، ألف جريح، ١٥٣ ألف هارب، ٧٠ ألف أسير، كما سيطرت قوات التحالف على مساحة من جنوب العراق تقدر بحوالى ٧٢ ألف كيلومتر مربع. ثم يسجل السامرائى بعد ذلك فى كتابه تفاصيل حجم الخسائر فى الأسلحة والمعدات على النحو التالى: "لقد خسرنا فى هذه الحرب ما بين ٢٥٠٠-٢٧٠٠ دبابة من أصل ٤٥٠٠ دبابة، وحوالى الرقم نفسه من العربات المدرعة والمدفعية لكل منهما، وبقى لدينا ٢٦٠ طائرة قتال عدا الطائرات التى هُرِّبت إلى إيران وهى ١١٥ طائرة قتال من اصل ٦٤٠ طائرة قتال، ولم يستطع صدام حتى التلويح باستخدام الأسلحة الكيماوية والبيولوجية التى يعتبر توسع العراق فيها وفى قدرته النووية سبباً من أسباب حرب تدمير العراق .. إن عدم قدرة صدام على استخدام الأسلحة الممنوعة سواء تجاه الحلفاء أو إسرائيل برغم هزيمته النكراء أثبت أنها عديمة الجدوى، ولم تجلب لنا سوى الدمار، ولا نرى فرصة لاستخدامها إلا لقمع الشعب العراقى (كما حدث فى حلبجة عام ١٩٨٦) وفى لحظة انهيار صدام إن سنحت له الفرصة".

- وكان إدراك القيادة الصدامية لمخاطر الموقف العسكرى وراء التحول الكامل الذى حدث فى التوجه الإعلامى العراقى، حيث اختفت تماماً أحاديث القوة والردع وتدمير المدن والعواصم العربية وإشعال مياه الخليج، ودفن الجنود (الكفرة) فى الصحراء، وإرسال الجثث فى توابيت إلى أمريكا. كما اختفى أيضاً الكلام عن (المحافظة رقم ١٩)، وارتفع فى المقابل الصراخ الإعلامى من بغداد متجهاً إلى الضمير العالمى من أجل إنقاذ الأطفال والنساء الذين ادعت بغداد أنهم قتلوا داخل ملاجئهم، وأن العراق يتعرض لعملية تصفية شاملة، وكان ذلك بالطبع تمهيداً لما تلى ذلك من بيانات عراقية تشير إلى بداية تراجع نحو الانسحاب من الكويت، وهو القرار الذى أصدره صدام ليلة ٢٥ فبراير متأخراً من دون خطط انسحاب مجهزة مسبقة يمكن أن تؤمن وصول القوات سليمة إلى داخل العراق، حيث كان يرفض صدام ذكر مجرد كلمة الانسحاب من الكويت، كدليل على تمسكه باحتلالها وضمها رغم كل الظروف المعاكسة والتى تثبت استحالة ذلك. لذلك جاء انسحاب القوات العراقية من الكويت فى شبه فوضى لا مثيل لها، مما أدى إلى وقوع شبه مذبحة على طريق واحد فقط للانسحاب هو طريق الجهراء-البصرة الذى تكدست عليه أعداد هائلة من الأفراد وآلاف من الدبابات والعربات المدرعة والمدفعية والشاحنات، سواء تلك المنسحبة من الكويت، أو قوات الحرس الجمهورى التى كانت تدافع فى جنوب العراق واخترقتها وعزلتها قوات التحالف بعد أن قطعت عليها طريق الانسحاب، وكلا القوات العراقية المنسحبة كانتا تحت وابل من غارات مقاتلات ومروحيات التحالف مما ضاعف من حجم الخسائر المادية والبشرية التى لحقت بها. وبذلك ثبت لصدام وأزلامه من السياسيين والعسكريين مدى الوهم الذى كان قابعاً فى عقولهم حول التعويل على قدرة الحرس الجمهورى فى تحويل المنطقة إلى مقبرة واسعة للحلفاء، فالحالة المعاكسة أثبتت صحتها، حيث تعذر على الحرس الجمهورى ليس فقط شن هجوم مضاد، بل لقد تعرضت دفاعاته جنوب العراق إلى انهيار سريع بشكل كارثى، مما كان له أبلغ الأثر السيئ فى معنويات الضباط والجنود العراقيين التى انهارت بشكل كامل أفقدها القدرة على إبداء أية مقاومة رغم ما فى أيديهم من أسلحة.

- وبذلك اتضح فعلاً أن قيادة التحالف كانت تعرف حقيقة قدرات الجيش العراقى وحالته أكثر من صدام نفسه وقادته العسكريين. وكان الجنرال شوارسكوف صادقاً عندما وصف صدام بأنه: "ليس استراتيجياً ولا تكتيكياً ولا يفهم فى الحرب، ولا يستحق حتى أن يكون جندياً". لأنه كان من الواضح أن أى خيار أو مبادرة يسلكها صدام حتى وإن كانت سلبية - سيكون مآلها الفشل بعد أن ضاقت أمامه السبل - فتضاربت وتناقضت قراراته، واتسمت تعليماته وأوامره بالغموض والتذبذب، وكانت تعكس بوضوح حالة الارتباك والفوضى والتخبط الذى ساد هذه القيادة بين أن تقاتل أو تستعد للانسحاب أو تنسحب فعلاً أو تجمع قواتها، وكانت كل هذه الأوامر والتعليمات المتعارضة تصدر من صدام فى وقت واحد، وخلال ساعات قليلة متلاحقة، وكان الأمل الذى يسود كل العراقيين - وفى مقدمتهم صدام - أن يصدر مجلس الأمن قراراً بوقف إطلاق النار، وعندما صدر هذا القرار من بوش، وهو ما كان يتلهف صدام على سماعه، أسرع بالاستجابة له وأصدر أوامره بالانسحاب متأخراً جداً، وبعد أن حدث الانهيار فعلاً فى الجيش والشعب العراقيين.

صدام يحاول تحويل الهزيمة إلى نصر [٨٣]

- لم يكن ما حدث من هزيمة واندحار كاملين للجيش العراقى، وما أصاب الشعب العراقى كله من خسائر مادية وبشرية ومعنوية جسيمة من جراء مغامرة صدام المجنونة والحمقاء فى الكويت، بالشىء الذى يهم صدام حسين أو يعيره اهتماماً. ولكن الشىء الوحيد الذى كان يهمه ويخشى أن يفقده هو كرسى الحكم فى بغداد. لذلك عندما أدرك أن قوات التحالف لن تطارد قواته حتى بغداد لتسقط نظامه، اعتبر ذلك انتصاراً له. لذلك وجدنا صدام يذيع بصوته بياناً للشعب العراقى - طبقاً للشرط الأمريكى - يعلن فيه قبوله وقف إطلاق النار دون شروط وانسحابه من الكويت، وكان ذلك صباح يوم ٢٦ فبراير ١٩٩١ بعد ٣٩ يوماً من انطلاق الضربة الجوية الأولى.

- ولأنه اعتبر بقاءه انتصاراً رغم هزيمة جيشه، نجده يقول فى خطابه: "لقد واجهتم ثلاثين دولة، وواجهتم الشرور التى أوقعوها بالعراق .. أيها العراقيون الشجعان، لقد انتصرتم، لقد فزتم"، ثم يقول: "إن القضية الفلسطينية ستحل فيما بعد بمعرفة الشعب الفلسطينى .. وأن أشاوس العراق الأبطال فازوا فى أم المعارك والمنازلة الكبرى .. إن العراق حصد ما زرعه من خير، ويا أيها العراقيون استبشروا بالفوز، ولقد كان نصركم مؤزراً"!!

- إلى هذا الحد من الخداع والكذب بلغ صدام حسين فى تضليله لشعبه، الذى كان يعرف كل فرد فيه أن صدام قد هزم فى (أم المعارك)، إلا أن صداماً ورجاله كانوا قد حولوا الهزيمة إلى نصر بطريقة سحرية أثارت سخرية العالم كله. وبعد توقف الحرب من جانب قوات التحالف ضد العراق بعد هزيمته فى الحرب، وأدرك صدام أن شخصه ليس مستهدفاً، استعاد أنفاسه وأخذت المكابرة تطفو على سطح وجهه من جديد، وحاول أن يسد فوهة البركان الذى يعيش فوقه العراق، فأتى بوزارة جديدة لتهدئة ثورة جماهير الشعب العراقى - خاصة الأكراد فى الشمال والشيعة فى الجنوب - الذى انتفض عن بكرة أبيه فى انتفاضة عارمة شملت معظم المدن العراقية. ولكن المجىء بوزارة جديدة لم يشفع أمام الجماهير الغاضبة فى الشمال والجنوب، والتى عرفت حقيقة الذل والمهانة التى لحقت بصدام وزعامته، خاصة بعد أن سيطرت قوات التحالف على جنوب البصرة، وأن صدام قبل وقف النار واستسلم دون قيد أو شرط، بل واستجاب لشرط أمريكا بأن يعلن استسلامه بنفسه. وكان الشعب العراقى كله يعرف حجم الكارثة التى حلت به بعد أن وصلت طلائع الفرقة السابعة الأمريكية، والفرقة المدرعة البريطانية إلى ضفاف نهر الفرات، وأصبح أهالى القرى المحيطة بها يرونهم وعلى اتصال بهم ليل نهار، وبذلك فقد صدام بريقه عند الشعب العراقى، مما شجع الشيعة والأكراد على الثورة ضده. وكان ذلك أيضاً فى إطار مسلسل الحسابات الخاطئة التى وقع فيها من قبل غزوه الكويت وقراره الفردى بالاحتفاظ بها، حيث لم يأخذ فى الحسبان احتمال تفجر الوضع الأمنى داخل العراق مغروراً بقبضته الأمنية التى تمسك بزمام الأمور.

- يصف السامرائى موقف صدام من الانتفاضة الشعبية فى العراق فيقول: "أخذ صدام يبكى ويقول: لا ندرى ماذا يبيت الله لنا غداً" ؟ ويضيف السامرائى: "لقد شاهدته مكسوراً مرتين، فى هذه المرة، والأخرى عندما توغلت قوات التحالف داخل العراق وخشى اندفاعهم إلى بغداد".

- واجه صدام انتفاضة شعبه بأقصى صور الوحشية والدموية التى عرفها التاريخ، حيث استخدم المروحيات الهجومية التى بقيت فى حوزته فى قصف مدن جنوب وشمال العراق، وبعضها تم قصفه بغازات الحرب الكيماوية، بجانب وحدات الحرس الجمهورى التى كانت تدافع عن بغداد والتى أدارت عمليات سحق وتدمير وإبادة للجماهير العراقية بأساليب بربرية استخدمت فيها نيران الدبابات والمدفعية وراجمات الصواريخ، وحتى الصواريخ أرض/أرض (لونا) التى رشقت المئات منها مدينة النجف مما أدى إلى مقتل أكثر من ٢٠ ألف عراقى منهم ٦٠٠٠ أعدموا فى بغداد دون محاكمة بأوامر من صدام كامل (زوج ابنة صدام حسين الذى هرب مع شقيقه حسين كامل إلى الأردن فى عام ١٩٩٥ وعندما عادا أعدمهما صدام حسين)، بالإضافة لهروب حوالى ٢ مليون كردى إلى تركيا وإيران.

- وفى لقاء لصدام حسين مع الزعيم الكردى جلال طالبانى أعاد صدام الحديث عن الحرب قائلاً: "لا أستطيع التخلى عن فكرة العراق العظيم .. إن استعادة الكويت تحت السيادة العراقية والحرب مع الحلفاء تعتبران مجداً لكل العراقيين". وفىاعتراف واضح وللمرة الأولى بالخطأ استأنف صدام حديثه قائلاً: "بعد مرور ٢٠٠ عام من الآن لن يعرف أحد خطأ حصل فى تقديرنا للموقف، وسيفهمون الحرب بأنها مجد"!! وهو ما يعنى أن كل ما كان يهم صدام - سواء فى حربه مع إيران أو فى عدوانه على الكويت - هو البحث عن مجد شخصى لنفسه من خلال التورط فى المغامرات العسكرية وخوض الحروب، حيث يعتبرها هى مصدر التوثيق والتخليد لشخصه. بغض النظر عما تسببه من خسائر بشرية وما يحل بالبلاد من خراب ودمار. فالمهم عند صدام أن يسجل له التاريخ أنه أشعل حروباً كثيرة، فلا قيمة عنده للتعليم والتقدم الاقتصادى والاجتماعى للشعب، مقابل أن يدخل اسم صدام التاريخ من باب شن الحروب، حتى وإن مُنى فيها جميعاً بالهزيمة على النحو الذى وقع له بالفعل. وليس بغائب على من يقرأ أقوال صدام فى هذا الشأن أن يدرك نواياه الانتقامية والمبيتة ضد الدول العربية التى تصدت لعدوانه على الكويت، فأطماعه فى الكويت لا تزال مستعرة فى نفسه، وهو القائل عقب هزيمته: "لقد أعدنا الكويت إلى العراق للمرة الأولى، وقاتلنا من أجل المحافظة عليها، والحرب سجال، وكما يقول المثل (القادم أعظم)، وأن القسطنطينية لم تفتح من أول مرة .."، ثم يضيف صدام ما يثبت عدم اكتراثه بما قد يصيب شعبه من نتائج وخيمة من جراء تهوره ومغامراته العدوانية، فيقول: "لقد كان رفاقى فى القيادة السياسية يتوقعون بعد أن بدأت الحرب ضربة نووية، فقلت لهم: ياليت كى تزداد صورة العراق مجداً وعظمة". إلى هذا الحد من الجنون بلغ صدام حسين فى استهتاره بأرواح شعب العراق.

- ومن الأمور المهمة التى ساعدت صدام على التماسك بعد توقف الحرب، إدراكه لحقيقة الهدف النهائى لقيادة التحالف، وهو تحرير الكويت وتدمير القوة العسكرية العراقية، وليس التخلص من شخصه أو تدمير نظامه بشكل نهائى ولكن إضعافه فقط. وقد كان ذلك واضحاً فى الإنذار النهائى الذى وجهه الرئيس الأمريكى بوش عشية الحرب البرية، وعند إعلانه عن توقف القتال. وقد كان لبوش حساباته الخاصة فى هذا الشأن وأبرزها عدم وجود شخصية بديلة يمكن أن تقود العراق، واحتمالات تعرض شمال وجنوب العراق للانفصال وبروز دولة كردية وشيعية وسنية، وهو ما تخشاه دول المنطقة، بالإضافة لتخوف القيادة الأمريكية من حدوث خسائر بشرية جسيمة فى قواتها إذا ما طورت هجومها

فى اتجاه بغداد، إلى جانب حسابات سياسية أخرى حول تدعيم النفوذ السياسى الأمريكى فى منطقة الخليج مع استمرار وجود صدام حسين. لذلك لم توافق القيادة الأمريكية على مساندة الانتفاضة الشعبية التى وقعت بعد الحرب فى شمال وجنوب العراق، وسمحت لصدام حسين بتصفيتها. وبسبب كل هذه الاعتبارات استطاع صدام التماسك رغم قسوة الهزيمة التى لحقت به، ونجح بتصميم فى تصفية الانتفاضة دون خوف من احتمالات تدخل قوى التحالف ضده.

خسائر الأمة العربية من عدوان العراق على الكويت (٨٤)

- لقد أحدث العدوان العراقى على الكويت جملة خسائر سياسية واقتصادية وأمنية ومعنوية واستراتيجية، لم تقتصر آثارها على طرفى العدوان - المعتدى (العراق) والمعتدى عليه (الكويت) - بل شملت كل الأمة العربية فى واقعها ومستقبلها أيضاً، حيث شكلت - ولا تزال تشكل - بآثارها السلبية وبالاً على الجميع، ولم يستفد منها سوى أعداء الأمة العربية فقط. فبجانب التدمير الهائل الذى أصاب المنشآت والبنية الأساسية فى كل من العراق والكويت، وسقوط آلاف الضحايا على الجانبين، وتدمير جانب كبير من رصيد القوة العسكرية العربية (العراقية والكويتية) نتيجة استخدام النظام الصدامى لقوته العسكرية فى عدوان غير مشروع بدلاً من توجيهه إلى القضية الأساسية ونقصد بها الاحتلال الإسرائيلى لفلسطين، أضف إلى ذلك تقديم الجيش العراقى الذى أنفق عليه قرابة ٢٧٠ مليار دولار لقمة سائغة لقوة معروف مقدماً مدى تفوقها، وما وقع من تهديد بيئى ما زالت آثاره تتوالى حتى الآن فى منطقة الخليج، وفى العراق أيضاً سواء كان من نتيجة إحراق آبار النفط الكويتية، أو من ناتج القنابل التى استخدمت فى الحرب. هذا إلى جانب تبديد مليارات الدولارات على الجانبين سواء كان فى الإنفاق على معركة خاطئة، أو فيما تنفقه دول الخليج للحفاظ على أمنها أو ما أنفقته الكويت فى إعادة إعمار ما خربه هذا العدوان. كذلك ما تنفقه العراق فى إعادة إعمار ما تم تخريبه داخلها بسبب حملة عدوانية مجنونة لم تراع أى قاعدة عقلانية، حيث نلاحظ تدهور الوضع الاقتصادى والاجتماعى فى العراق، وتزايد المعاناة التى يتعرض لها الشعب العراقى نتيجة الحصار الدولى المفروض عليه من الخارج والحصار الداخلى المفروض عليه من نظامه الديكتاتورى والدموى، وتعنت هذا النظام ست سنوات فى تنفيذ قرار مجلس الأمن المعروف بـ (النفط مقابل الغذاء)، فى ذات الوقت الذى أصاب الموازنة العامة فى الكويت من عجز بحيث تحولت الكويت من دولة دائنة للعالم إلى دولة مدينة، مما اضطر الحكومة إلى اتباع سياسات انكماشية مختلفة؛ بجانب كل هذه الخسائر المادية، فقد أفرز العدوان العراقى على الكويت مشاكل إنسانية متعددة من أبرزها مشكلة الأسرى الكويتيين (٦٠٥ أسير) مرتهنين فى سجون النظام الصدامى لا يريد الإفصاح عن مصيرهم، وما تسببه هذه المأساة الإنسانية من آلام مستمرة لأهالى هؤلاء الأسرى الذين يريدون مجرد معرفة مصيرهم: هل هم أحياء ومتى يتم الإفراج عنهم، أو أموات فيتسلمون رفاتهم ويواروهم المثوى فى الأرض الكويتية مفوضين أمرهم إلى الله تعالى. هذا بالطبع إلى ما يعتمل فى نفوس كل من أصابه العدوان العراقى من أبناء الأمة العربية - وليس الكويت فقط - من غضب وكراهية ورغبة فى الانتقام من العراقيين الذين انتهكوا حرمات الأبرياء من أرواح وأعراض وممتلكات، وأشاعوا الخراب والدمار فى كل مكان، وهى رغبة لن تكون قاصرة على الجيل الحالى

الذى أصابه العدوان، بل ستتوارثها الأجيال القادمة على الجانبين، وهذا هو أخطر إفرازات العدوان العراقى، لأنها جرائم لا يمكن أن تمحى من ذاكرة الناس ولا ذاكرة التاريخ.

- وإذا كانت التكاليف المادية للحرب على كل الأمة العربية، بحسابات التدمير الكلى للعراق والكويت وبلدان الخليج الأخرى التى تضررت مادياً، وتكاليف المعارك العسكرية، وحرائق النفط وخسائر البيئة تقدر بـ ٢٠٠ مليار دولار، وهى خسارة فادحة بكل المقاييس، فإنه ينبغى النظر إليها فى ضوء مطالبات الكويت بتعويضات مادية ومعنوية من العراق تقدر بحوالى ٤٥٠ مليار دولار، ناهيك عن ٩٠٠ مليار دولار، أخرى قيمة تعويضات تطالب بها إيران نتيجة حرب الثمانى السنوات التى بدأتها العراق عام ١٩٨٠، ولنا أن نتخيل كم سيمضى من السنين ومن الأجيال العراقية القادمة سيتحملون تبعة دفع هذه التعويضات، واضعين فى الاعتبار أن الشعب الألمانى لا يزال حتى اليوم يتحمل وزر الحرب التى شنها النظام النازى فى نهاية الثلاثينيات، وأدت إلى الحرب العالمية الثانية التى انتهت عام ١٩٤٥، ولكن الشعب الألمانى لا يزال يدفع تعويضاتها حتى اليوم.

- إلا أن الأسوأ هو ما أصاب الأمة العربية من انقسام - حكومات وشعوب - خلال العدوان وما بعده، فقد كان هذا الانقسام كبيراً، أما الذين وقفوا مؤيدين للعدوان أو متحفظين عليه بغية الحصول على مكاسب مادية من النظام الصدامى، وتحت دعاوى شتى، فإن أحداً منهم لم يقدم مساعدة تذكر اقتصادية أو عسكرية أو دبلوماسية للنظام الصدامى.

- ولا يخفى على أحد ما سببه هذا العدوان من تزايد نفوذ الدول الكبرى - خاصة الولايات المتحدة - فى منطقة الخليج، وهو نفوذ سياسى وعسكرى واقتصادى ترتب على قيام هذه الدول الكبرى بكفالة أمن واستقرار دول منطقة الخليج، والتعهد بالتصدى لأى عدوان تتعرض له هذه الدول، وهو ما انعكس فى الاتفاقيات الدفاعية التى اضطرت الكويت وغيرها من دول المنطقة إلى إبرامها مع الدول الخمس الكبرى ذات العضوية الدائمة فى مجلس الأمن، ومن البديهى أن هذه الكفالة والتعهدات ليست بلا ثمن مادى ونفوذ سياسى لا تزال تدفعه وتتحمله دول منطقة الخليج العربية حتى تكفل أمن شعوبها فى مواجهة استمرار التهديدات العراقية حتى بعد هزيمة العدوان وتحرير الكويت كما سنوضح فيما بعد فى الفصل الأخير من هذا الكتاب.

- ومما لا شك فيه أن إسرائيل حققت كثيراً من المكاسب المادية والسياسية من وراء العدوان العراقى على الكويت، تمثلت فى حصولها على نوعيات متقدمة من الأسلحة، ومعونات دولية هائلة، وتحقيق أكبر معدل للهجرة اليهودية، وتحجيم قوة عسكرية وتكنولوجية عربية هامة، فضلاً عن أن كل انقسام عربى فى النهاية هو مكسب صافى لها. وفى ذلك يقول القائد الإسرائيلى السابق جنرال بيليد: "إن غزو صدام حسين للكويت قدم لإسحاق شامير أكبر خدمة يمكن أن يحلم بها مسئول إسرائيلى. لقد أعفاه صدام حسين من عملية السلام التى كانت تحاصره فى الداخل والخارج، وأطفأ نور الانتفاضة وعاد بالقضية الفلسطينية إلى الوراء". أما وزير خارجية بريطانيا الأسبق (دوجلاس هيرد) فقد قال: "إن صدام حسين بغزوه الكويت قد أعاد القضية الفلسطينية سنوات إلى الوراء، والذين أيدوه هم شركاؤه فى ذلك". واتفقت الصحف الغربية على أن غزو الكويت قد صرف الاهتمام العالمى وليس العربى وحده عن

أخبار الانتفاضة الفلسطينية الأولى ونشاطها وضحاياها، كما أنه جمّد المساعدات المالية التى كانت تمدها بها المؤسسات العربية والفلسطينية خارج فلسطين، وأعطى إسرائيل فترة هدوء وصمت تواصل فيها إقامة وإنشاء المزيد من المستوطنات الجديدة فى الضفة الغربية والقدس لاستيعاب المهاجرين الجدد من اليهود المندفعين كالسيل على فلسطين.

أثر شخصية صدام على عدوانه على الكويت (٨٥)

- لا يمكن أن تنفصل عملية عدوان النظام الصدامى على الكويت، وما واكبها من مذابح وجرائم عن الأبعاد الدموية فى شخصية صدام حسين.

- فلقد أفاد علماء النفس الذين درسوا وحللوا شخصية صدام حسين أنه مصاب بعدة أمراض نفسية منها جنون العظمة، وعبادة الشخصية، وعصاب النجاح، وإبدال الأعراض، والتوحد مع المعتدى، والهلوسة التصغيرية، وخداع الحواس، والدمج الغريزى، والاستدلال الكاذب، وضيق الأفق، وقال البعض منهم أنه مصاب بـ (البارانويا) وما تعكسه من حذر مفرط، وهذيان الاضطهاد، وتضخيم الأنا، وخطأ الحكم، والعجز عن التكيف مع الآخرين، وقال آخرون أن صدام حسين شخصية سيكوباتية، وأنه مصاب بانفصام الشخصية، وأنه سادى، وأنه تركيب فريد من العقد والانحرافات النفسية، وأن التحجر والنفاق والكذب سمات أساسية فى شخصيته، ويعانى دائماً من الكبرياء المهزوم، لذلك صنفه البعض مريضاً فى حين صنفه آخرون مجنوناً.

هل اندحار العراق فى الكويت هزيمة أم عار ؟ (٨٦)

- تتقاتل الدول والجيوش منذ فجر التاريخ، وتُخاض الحروب أشهراً أو سنيناً، ولابد فى كل حرب أو معركة أن يكون هناك منتصراً أو مهزوماً. وتكون هناك بالتالى أسباباً لانتصار المنتصر، وأسباباً أخرى لهزيمة المهزوم. ويسجل التاريخ للمنتصر الأسباب والعوامل التى أدت لانتصاره، وكذلك الأسباب التى أدت إلى هزيمة المهزوم، ويعطى لكل طرف حقه من الإنصاف. إلا أن التاريخ لم يشهد هزيمة جيش يمكن أن يطلق عليها عاراً أكثر من كونها هزيمة، كتلك التى حاقت بالجيش العراقى فى حرب تحرير الكويت.

- والفرق بين الهزيمة المشرفة والهزيمة العار يتمثل فى أن الهزيمة المشرفة تكون نتيجة خوض حرب أو معركة يتم فيها الدفاع بصبر وعناد عن قضية وطنية ذات شرف ومبادئ حقيقية، مثل الدفاع عن الوطن وحرماته فى مواجهة الغزاة والمحتلين، أو نجدة جار تعرض لعدوان غاشم، أو دفاعاً عن مقدسات دينية تتعرض حرماتها للانتهاك .. إلى غير ذلك من القضايا التى يتم تكريس كل الجهود من أجل الدفاع عنها، مهما كانت موازين القوى تميل فى غير صالح أصحابها، فهم مستعدون للقتال والصمود فى القتال لآخر نقطة من دمائهم فى سبيل الدفاع عن قضاياهم العادلة والمشروعة. فإذا ما قاتلوا وصمدوا فى قتالهم، وقُتل منهم الكثير، إلا أنهم لا يجعلون من انتصار عدوهم انتصاراً سهلاً، بل يكبدوه من الخسائر ما يجعل انتصاره مكلفاً لما يدفعه من ثمن باهظ. فإذا ما انهزم أصحاب هذه

القضايا العادلة والمشروعة بعد كل ذلك بسبب التفوق المادى لأعدائهم، فإن هزيمتهم فى هذه الحالة تعد هزيمة مشرفة لأنها حدثت نتيجة أسباب خارجة عن إرادتهم.

- أما العار كل العار أن تكون الحرب دفاعاً عن عدوان، وألا يجد الجنود قضية شريفة أو مبادئ وطنية أو دينية يدافعون عنها، ويكتشفون أن قياداتهم مصابة بالكذب والنفاق والجنون، وأنها تدفعهم إلى معركة خاسرة بجميع المقاييس المادية، فلا يجدون أمامهم سوى الاستسلام ورفع الرايات البيضاء دون القتال بينما الأسلحة والمعدات سليمة فى أيديهم لم تستخدم، فهذا هو العار كل العار.

- والمقاتل الشريف لا يتاجر بالقضايا والشعارات لأغراض شخصية، المقاتل الحق لا يخون من أيدوه، المقاتل الحق لا يغدر بأخيه ولا يطعن أقرب الناس إليه ولا يزيف العقيدة. المقاتل الحق لا ينتهك حرمة الأوطان ويغزو ليغتصب النساء ويسرق الأموال، وبالتالى ولأنه يدافع عن قضية يؤمن بها فإنه لا يستسلم طواعية واختياراً، بل يخوض قتالاً عنيفاً شرساً من أجل هذه القضية ودفاعاً عنها، ولا يستسلم إلا بعد أن يتحطم سلاحه أو تنفذ ذخيرته، هذه هى مبررات الهزيمة المشرفة، فأين الجيش العراقى من كل ذلك؟!

- لقد هاجم الجيش العراقى الكويت فى الثانى من أغسطس ١٩٩٠ وتعداده يفوق تعداد شعب الكويت كله برجاله ونسائه وأطفاله، وهو مسلح بالحقد والضغينة، والكبر والخيلاء والغطرسة تملأ قلوب جنوده ضد هذا الشعب المسالم المسلم الأعزل الذى وقف بجانب العراق فى وقت الشدة والمحنة، فكان جزاءه جزاء سنمار كما يقولون. فهل كان هناك أدنى أمل فى أن ينتصر شعب الكويت وجيشه على جحافل الجيش العراقى، والذى كان ينظر إليه شعب الكويت باعتباره ستره وغطاءه، بينما الخلل فى الميزان العسكرى بين الجيشين العراقى والكويتى لصالح الأول بما يفوق الخيال؟

- لذلك كان ميدان المعركة التى أحسن الجيش العراقى خوضه طبقاً لأهدافه ومبادئ قيادته المجرمة، هو الساحة المدنية لشعب الكويت، الذى وجه إليه جيش العراق طاقاته البربرية التى تمثلت فى اقتلاع كل ما هو أخضر ويابس على أرض الكويت، وفى إحراق قلوب الشعب الكويتى على أبنائه وبناته الذين أعمل فيهم أشاوس صدام قتلاً وتعذيباً واغتصاباً وخطفاً، وفى تدمير منشآته وتخريب آبار نفطه وإبادة كل أشكال الحياة على أرضه. فهل هذا جيش مقاتل؟ ذلك الذى جاء على الدبابات والمدافع ليقتل المدنيين الأبرياء العزل، وينتهك الحرمات ويغتصب النساء ويهتك الأعراض ويخطف الرهائن، ويسرق وينهب ويدمر؟

- لقد عانى الشعب الكويتى تحت الاحتلال العراقى اعتى صنوف الطغيان والتعذيب والاضطهاد، إن عشرات القصص المفزعة لا تزال تروى عن أيام الاحتلال، إن أحكام الإعدام والتعذيب والخطف والاغتصاب كانت فى أيدى أى ضابط أو جندى عراقى. إن ما حدث من جنود وضباط الجيش العراقى شئ يندى له الجبين حقاً ويخجل أى إنسان لديه قدرٌ من الحياء أن يذكره. إنهم لم يتورعوا عن فعل أى شئ للإنسان الكويتى الذى كان يقع تحت أيديهم سواء أمام عائلته، أو فى عائلته أمام ناظريه. إنهم لا يختلفون كثيراً فى وحشيتهم ودمويتهم وبربريتهم عما يقصه علينا التاريخ من ممارسات التتار

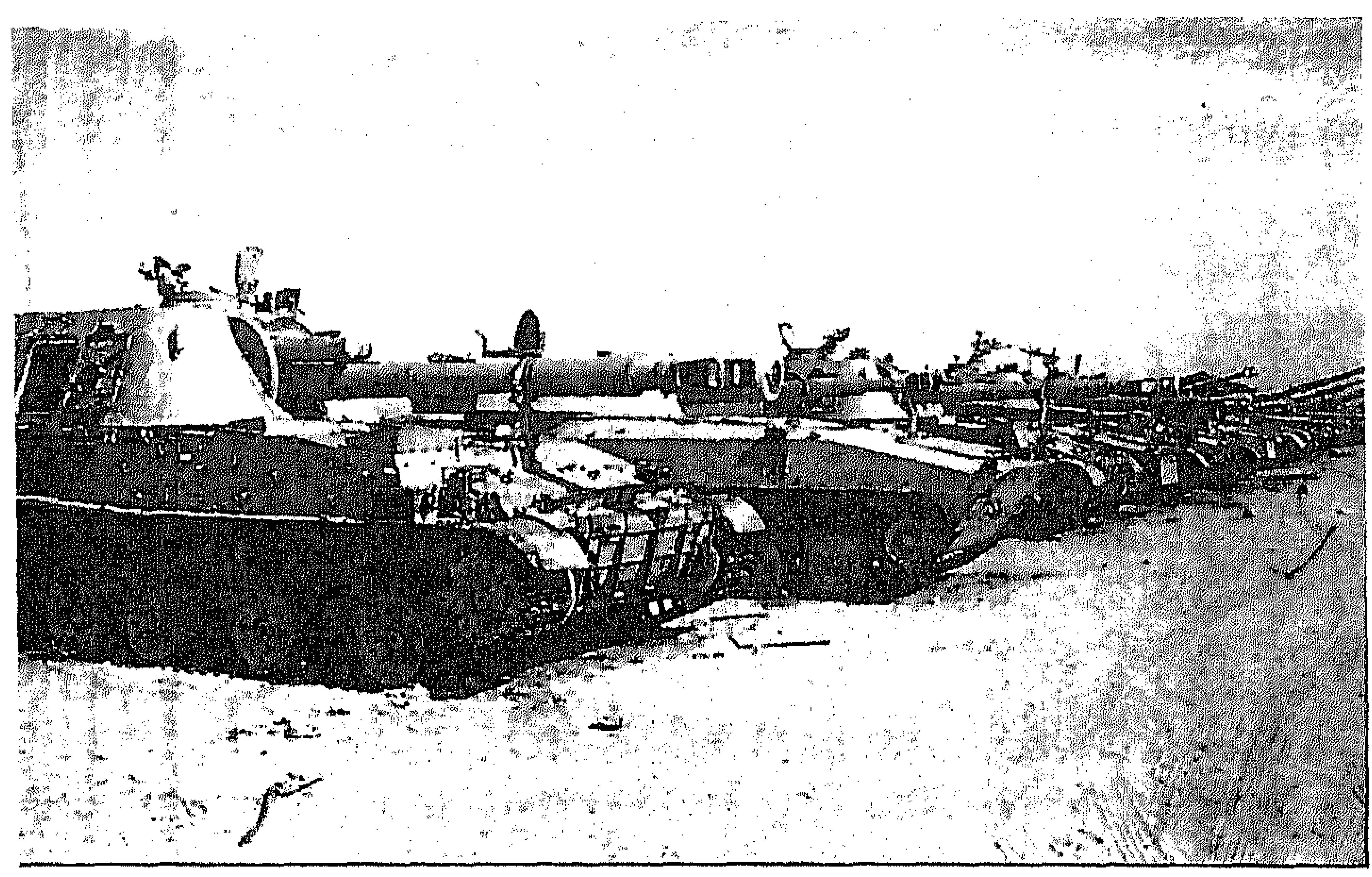
والصليبيين والنازى والفاشيست والصهاينة فى البلدان التى غزوها واحتلوها. لقد اتسم هؤلاء الجنود والضباط العراقيين الذين صيغت أخلاقهم وتشكلت فى مدارس البعث العراقى بفظاظة القلب وقسوة العاطفة وانعدام الإنسانية. لقد كان جنود العراق فى واقع الأمر أسرى مذاهب وإجراميات البعث العراقى، فإن أى إنسان عراقى حر يستحيل أن يصل به الإجرام إلى هذا المستوى من الانحطاط البشرى .. حتى مع الأعداء، فما بالنا بالأخوة الجيران العرب المسلمون، أصحاب الفضل والسوابق الخيِّرة على العراق؟! لكنه كما ذكرنا جيش صدام حسين وتلامذته، جيش صنعه صدام حسين بيديه، واستنبته من دهاليز التاريخ المظلمة .. من ممارسات التتار والفاشيست ومحاكم التفتيش فى أسبانيا، وأساليب النازى، وخبرات أجهزة مخابرات الاتحاد السوفيتى وألمانيا الشرقية وكوبا، وعصابات الصهاينة فى دير ياسين وقبية وصابرا وشاتيلا .. ومن كل الساقطين فى التاريخ، لتكون المحصلة هذا السيل الجارف من الحقد الأعمى والسم الزعاف، حيث كتب جيش صدام حسين أكثر صفحات التاريخ سواداً على أرض الكويت، وهو الجيش الذى يتشدق رجاله بشعار أمة عربية واحدة .. ذات رسالة خالدة!! وهذا هو أول ما فعلوه بأول شعب أرادوا توحيده معهم، ويقينى أنهم زرعوا فى نفوس الكثير من العرب كراهية الوحدة إذا كان هذا هو السبيل إليها، وإذا كان هؤلاء هم روادها.

لقد بحث الكثيرون فى أسباب سرعة الهزيمة المهينة التى لحقت بالجيش العراقى، وذلك الاستسلام المفاجئ والمخزى للجندى العراقى دون أن يقاتل أو يطلق طلقة واحدة، وفى أقل من مائة ساعة كان الجندى العراقى إما هارباً وفاراً فى اتجاه العراق، أو قابعاً فى معسكرات الأسر فى السعودية بعد استسلامه، فوجد المحللون أن هذا الاستسلام يحمل كل المعانى ويكشف حقيقة الحرب التى دارت. فهذا الجندى المنهار نفسياً ومعنوياً باستسلامه هذا يكشف كذب قياداته التى دفعته إلى حرب بدون قضية، ولم توفر له الاستعداد الحقيقى للقتال، وبالتالى فإنه يعلن باستسلامه السريع هذا عن رأيه فى قياداته وفى كل ما كان يجرى حوله من أحداث، وهو فى إيجاز شديد موقفه العملى تجاه الحرب التى دُفع إليها دفعاً دون اقتناع وجدانى كامل. فهذا الجندى العراقى هو أول من يعرف أن قياداته كانت كاذبة عندما ادعت أنها انتصرت فى الحرب ضد إيران، لأنه أول من يعرف حجم الدمار الذى لحق بالعراق وجيشه من وراء هذه المغامرة العبثية التى أدت إلى المحرقة التى دفعه فيها صدام لمدة ثمانى سنوات. وهى أول من يعرف حقيقة الأداء القتالى السيئ لقيادات وقوات الجيش العراقى فى هذه الحرب أو عدوانه على الكويت، ولكن كل ذلك حوله الطاغية بوسائل إعلامه إلى انتصار كاذب، وبالتالى يدرك تماماً حقيقة قيادته التى تاجرت بكل الشعارات بما فيها الدينية، وأنها قيادة كاذبة ومنافقة ومهترئة ولا يمكن الاطمئنان لها أو التعويل عليها. لذلك أعلن هذا الجندى رأيه ببساطة عندما رفع الراية البيضاء بسرعة أذهلت المعلقين والمحللين فى العالم.

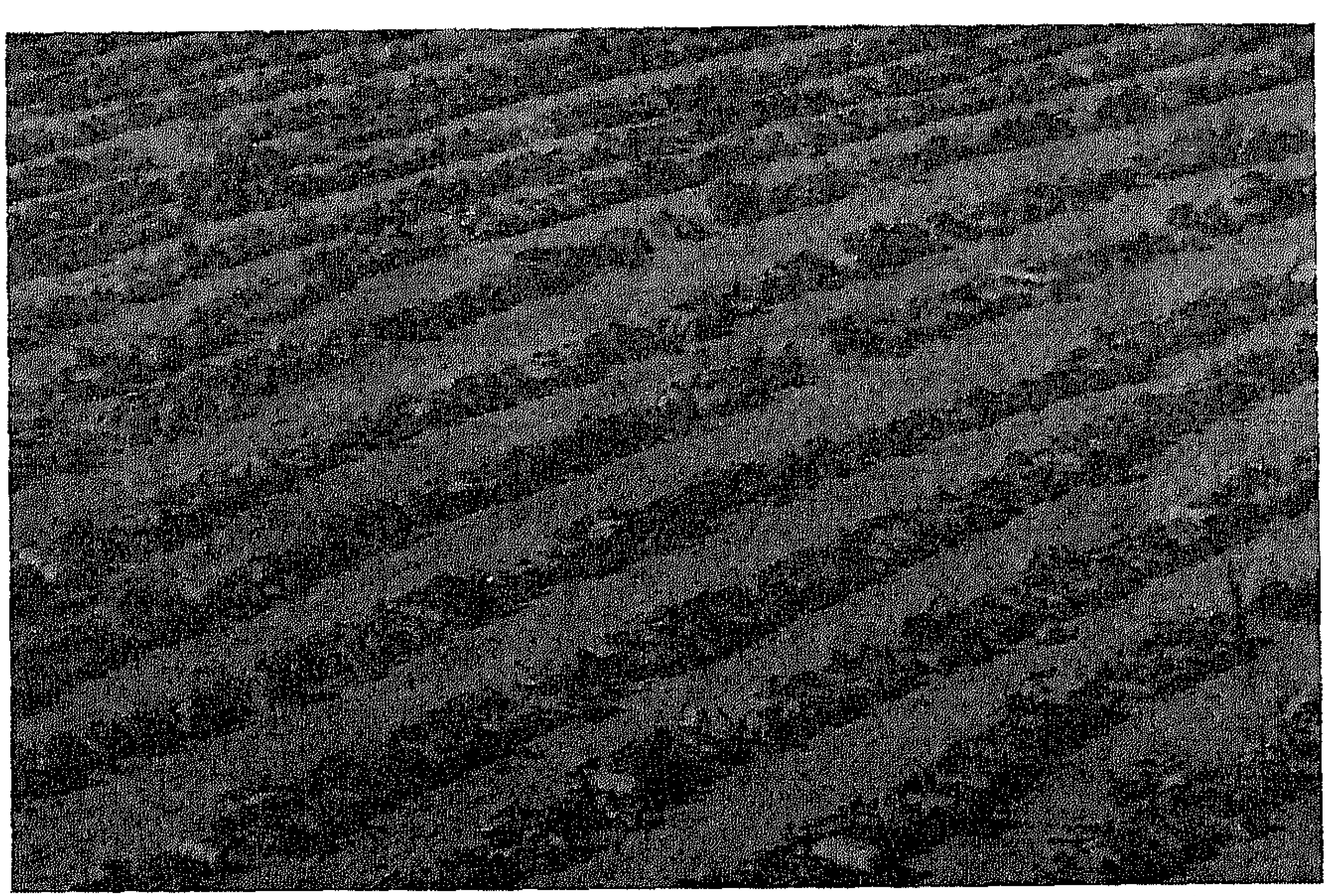
ومن ثم فإننا أمام حادثة من حوادث التاريخ النادرة، ليست هزيمة جيش فقط، ولكنه عار الحَقبَةُ قائد مجنون بشعبه وجيشه. لهذا فإن الجندى العراقى باستسلامه على النحو الذى جرى إنما يؤكد أن من يستحق العقاب هو ذلك الطاغية الذى دفع جيشه إلى محرقة، أهدر فيها أرواح عشرات الألوف من أبناء شعبه وجيشه دون أن يحقق شيئاً، بل واجه مسئولياته فقط بالشعارات والكلمات الجوفاء، وترك شعبه

وجيشه يتعرضان للدمار دون سبب مفهوم، فأى جريمة وأى عار هذا الذى لم نشهد له مثيلاً فى التاريخ؟ وكيف يمكن أن ينجو هذا المجرم الطاغية من محكمة التاريخ؟ أما (أم المعارك) و (المنازلة الكبرى) فلا يعلم أحد مصيرها إلا من وعد بها، فإنها لم تكن سوى خيالاً مريضاً فى عقل صدام حسين المتعفن، الذى أصر على أن يكابد العراق الكارثة التى لم يكن أحد يريدها له.

هزيمة الجيش العراقى



مدافع ذاتية الحركة ١٥٥ملم استولى عليها الحلفاء في حرب الكويت نتيجة جهالة الاستخدام الصدامي للقوات، فيما كانت قوات الحرس الجمهوري يوماً ما روح القوة الضاربة للدفاع عن العراق.



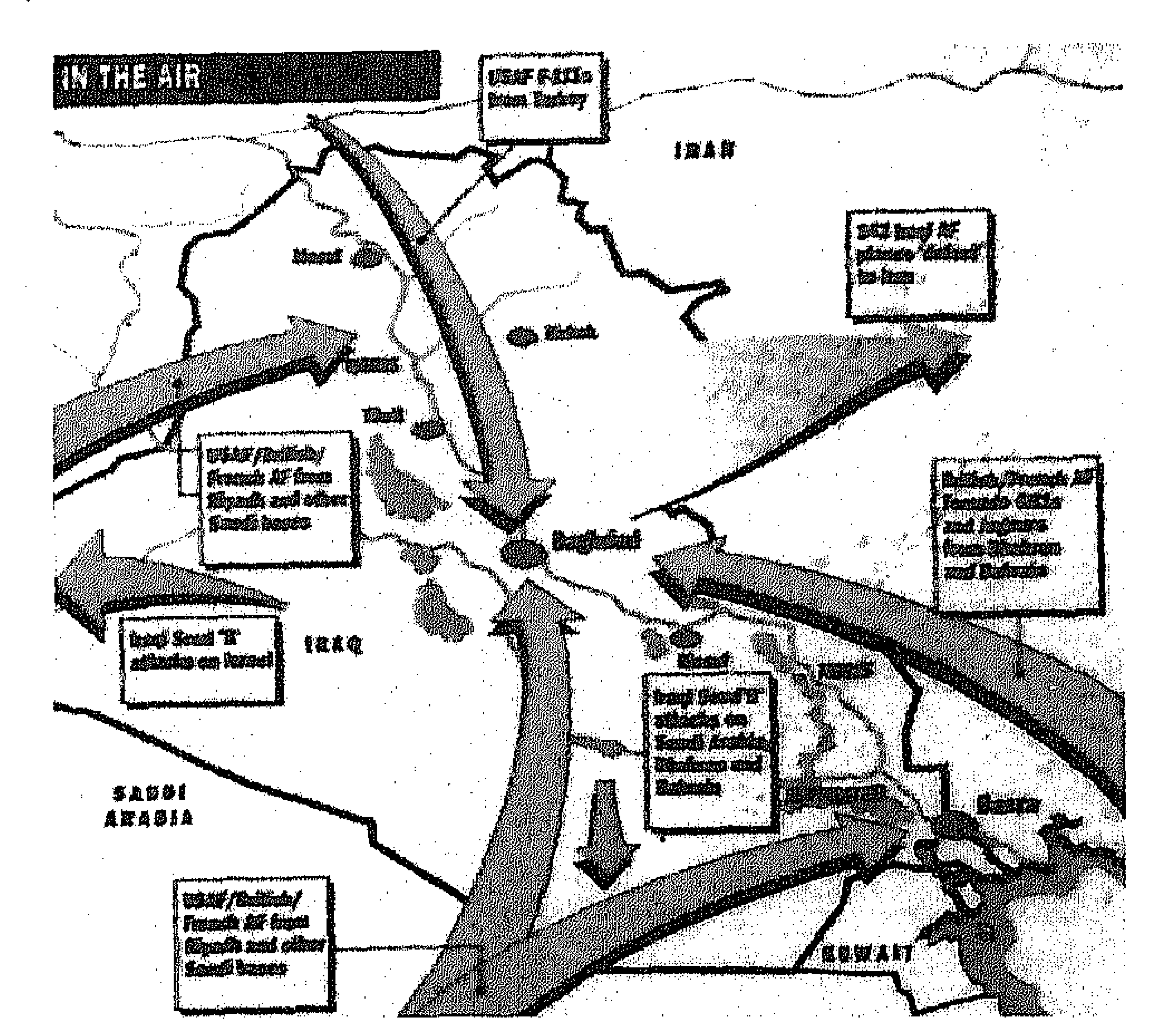
آلاف الأسلحة والمركبات العراقية المدمرة والمتروكة بعد الهزيمة



طوابير استسلام الجنود العراقيين
بلغت ٦٠ ألف جندى



دبابات ومدافع سليمة تركها
الجنود العراقيون أثناء
انسحابهم



اتجاهات الضربة الجوية الافتتاحية لتحرير الكويت

الفصل الثالث

صدام صناعة المخابرات البريطانية، وخدماته لإسرائيل

- بحث وتساءل كثير من المحللين عن القوى الخفية التي ساندت صدام حسين في الوصول إلى الحكم، وبقاءه حتى اليوم، وعن الجهات الحقيقية التي رسمت له مسار سياساته ومغامراته، خاصة بعد أن ثبت للجميع بعد أكثر من ثلاثين عاماً أن كل ممارسات صدام على الصعيدين العربي والإسلامي، كانت مناهضة للغايات والأهداف القومية العربية، ومدمرة للأمن القومي العربي، بل وتصب كلها في صالح القوى المعادية للعالم العربي سواء كانت الدول الاستعمارية أو إسرائيل. لاسيما وأنه حتى بعد هزيمته في حرب تحرير الكويت حرصت هذه القوى الخفية على بقاء صدام رغم ضعفه ليكون بمثابة شبح (أو بعبع) يخيف الدول المجاورة له، ويشكل تهديداً مستمراً لأمنها واستقرارها.

- وفي هذا الفصل سنحاول باختصار أن نجيب على هذه الأسئلة، حيث تثبت جميع الشواهد والوثائق أن صدام حسين كان من صنع أجهزة المخابرات البريطانية، والماسونية العالمية، والتي استثمرت طبيعة شخصيته المتسمة بالجهل والغرور والغباء الممزوج بالوحشية والدموية في تحقيق أهدافها، كما استغلت أيضاً طبيعة البيئة التي نشأ فيها (تكريت والعوجة)، وهي بيئة مشكوك في هويتها لما تتصف به من عداء للإسلام والمسلمين، لتحقيق أهدافها في ضرب العرب والمسلمين.

أولاً: دور اليهود وتأثيرهم في حياة العراقيين، وحقيقة أهل تكريت (٨٧)

- يؤكد العديد من المؤرخين على أن العراق كان طيلة الفترة الممتدة من عام ١٩٠٠ إلى ١٩٦٨ - أي حتى وصول حزب البعث لحكم البلاد - مرتعاً خصباً لليهود. يذكر المؤرخ العراقي د. فاضل البراك في كتابه "المدارس اليهودية والإيرانية في العراق - دراسة مقارنة - بغداد ١٩٨٤"، أن الحركة الصهيونية كان لها منذ نشأتها مجالات واسعة للتغلغل في صفوف يهود العراق، وقد سعت في سبيل ذلك إلى إيجاد تماثل بين مفهومي اليهودية والصهيونية، ومارست دورها من خلال مدارسهم ونواديهم ومعابدهم، بالإضافة للمجالات الاقتصادية والمالية التي يستحوذ عليها أثرياؤهم.

- ومنذ عام ١٩٠٣ مارست المدرسة اليهودية في البصرة نشر الدعاية الصهيونية بشكل خطير داخل المدرسة وخارجها، وحظيت بدعم جيش الاحتلال البريطاني الذي قدم له أثرياء اليهود الإسناد الكامل. وعندما أحرز العراق الاستقلال الشكلي في نهاية الحرب العالمية الأولى لعب اليهود دوراً مهماً في اقتصاد العراق وسياسة حكومته - وكانت شبكة المدارس التابعة لمنظمة "الاتحاد الإسرائيلي العالمي" أو (الاليانس) تدرس اللغات الأوروبية إضافة للتعليم العام، وقد تطور النشاط الصهيوني في العلن، وفي عام ١٩٣٠ كان ثمة عشر مدارس يهودية في بغداد وحدها تضم ٧٢٠٠ تلميذ منهم ألفان من البنات.

- ويضيف د. براك قائلاً: "ولقد ساعدت عدة عوامل مؤثرة على تعزيز دور المدارس اليهودية فى العراق فى تنفيذ المخططات الصهيونية، من أبرزها وجود رجال بريطانيا التنفيذيين فى الحكم إبان العهد الملكى والذين عملوا على إقامة المحافل الماسونية والبهائية فى العراق، وحماية اليهود العراقيين ومساعدتهم فى احتلال مراكز مهمة فى الحياة الاقتصادية وفى دوائر الدولة ومؤسساتها التشريعية وغيرها، وفى فتح المجال أمام دعاة الصهيونية القادمين من فلسطين وغيرها، وإقامة تنظيمات صهيونية من يهود العراق داخل المدارس اليهودية وخارجها، بالإضافة إلى تعاون الشخصيات اليهودية العاملة مع رجال الحكم والإقطاعيين من أجل تيسير أعمال المدارس اليهودية بالشكل الذى يخدم الدعاية الصهيونية، إلى جانب المساعدات المادية والثقافية التى تقدمها. وقد أكدت الأحداث التى جرت فى العراق فيما بعد أن الحركة الصهيونية العالمية قد استطاعت التغلغل فى صفوف اليهود العراقيين على اختلاف انتماءاتهم ومراكز تجمعهم حتى ليصبح القول بأن الذين كانوا يعتبرون فى نظر المواطنين العراقيين أناساً بعيدين عن التأثير الصهيونى قد أسهموا بشكل أو آخر كلٌ فى مجال نشاطه فى خدمة الحركة الصهيونية، وتشجيع اليهود العراقيين على الهجرة إلى فلسطين".

- ثم يورد د. فاضل البراك فى كتابه توزيعاً لليهود العراقيين على المدن، وكان وفقاً لمصالحهم التجارية وأعمالهم الزراعية ومراكزهم السياسية والاجتماعية ومؤسساتهم الدينية والتعليمية. وكما كان كبار التجار اليهود يحافظون على صلات قوية مع البريطانيين، فقد استمرت هذه الصلات مع رجال الحكم الملكى مستفيدين من نفوذهم الاقتصادى القوى فى مجالات الاستيراد والتصدير وأعمال البنوك والمصارف. وطبقاً لإحصاء نشرته حكومة الاحتلال البريطانى فى عام ١٩٢٠ كان إجمالى اليهود فى العراق ٨٧١٠٧ يهودى موزعين على المدن الآتية: بغداد ٥٠٠٠٠، سامراء ٣٠٠٠، ديالى ١٦٨٩، الديوانية ٦٠٠٠، الشامية ٥٣٠، الحلة ١٠٦٥، الدليم ٢٦٠٠، الموصل ٧٦٣٥، أربيل ٤٨٠٠، كركوك ١٤٠٠، السليمانية ١٠٠٠، البصرة ٦٩٢٨، العمارة ٣٠٠٠، كربلاء ١٦٠. وفى عام ١٩٤٧ ارتفع عدد اليهود فى العراق إلى ١١٧٨٦٩ يهودى نصفهم تقريباً فى بغداد، وتأتى بعدها البصرة والموصل. وقد ترتب على ذلك أن كانت معظم مراكز أنشطة اليهود ومعابدهم ونواديهم ومدارسهم فى بغداد، وفى مارس ١٩٢١ استطاع اليهودى (أهارون ساسون) تأسيس أول جمعية صهيونية علنية بترخيص رسمى فى البصرة ساهمت فى جلب عدد من دعاة الصهيونية العالمية لحث يهود العراق على الهجرة إلى فلسطين .. كان منهم (د. الفونسينوف هولان) الذى قدم من الهند إلى العراق فى فبراير ١٩٢٣، و (ميخائيل سركيس) الذى حضر من القاهرة لنفس الغرض ولجمع تبرعات لتوطين اليهود فى فلسطين. ولقد استطاع يهود العراق بما جمعوه من ثروات طائلة أن يمتلكوا العديد من العقارات والأراضى على نطاق واسع، حتى أن أثرياءهم أوقفوا تسعة أوقاف تصرف وارداتها على المدارس اليهودية أبرزها وقف (حزقيل يوسف شمطون) ووقف (رفقة بنت الياهو نوراتيل) ووقف (شاؤول صالح حردون) ووقف (مدرسة بثياين شماش)، وكانت عائدات هذه الأوقاف تذهب مباشرة لإقامة المستعمرات والمزارع الصهيونية والمجمعات السكنية لليهود فى فلسطين.

- ولقد تأسست جمعيات ومنظمات صهيونية سرية فى العراق للترويج لهجرة اليهود إلى فلسطين، وكانت المدارس اليهودية هى المكان الأفضل لأنشطة هذه الجمعيات، وأخطرها ممارسة الأنشطة التجسسية والتخريبية داخل العراق، كما كانت المعابد اليهودية - مثل معبد (مسعودة شحطوب) وكنيس (الحاخام حزقيل) وكنيس (عزرا داوود) - مخزناً للأسلحة والذخائر والمتفجرات. وقد نشرت صحيفة الأخبار العراقية فى عددها فى ١٩٥٠/١٢/١٧ مقالاً عن دور هذه المنظمات الصهيونية فى القيام بعمليات تخريبية داخل العراق وغيره من الدول العربية بهدفين: **الأول** دفع اليهود العراقيين إلى سرعة الهجرة إلى فلسطين خوفاً على حياتهم إذا ما بقوا فى العراق، وللتدليل على اضطهادهم من قبل السلطات العراقية، أما الهدف **الثانى** فهو إنشاء طابور خامس لإسرائيل داخل الدول العربية. وكانت أبرز هذه المنظمات التخريبية (جمعية تنوعة)، (هاجاناه)، (هاشوراه) والتى أثبتت التحقيقات أنها كانت تتلقى تعليماتها من (إيجال آلون) رئيس مقاتلى البلماخ فى إسرائيل ووزير خارجيتها بعد ذلك.

- وتؤكد الحقائق التى يوردها د. باراك فى كتابه أن المخابرات البريطانية كان لها دور رئيسى فى إنشاء حزب البعث وتوليه الحكم فى العراق عام ١٩٦٨، وفى صعود نجم صدام حسين وحمايته فى القاهرة خلال فترة الثلاث سنوات التى تواجد فيها ما بين عامى ١٩٦٠، ١٩٦٣، وتردده على معهد (شملان) فى بيروت الخاص بالتجسس والتابع للمنظمة الماسونية. وتؤكد قائمة أسماء اليهود الذين التحقوا بالحزب الشيوعى العراقى ثم بحزب البعث بعد ذلك أن عددهم كان ٢٤٥ يهودياً.

أ- الأصل اليهودى لأهل تكريت [٨٨]

- يشير كتاب (خالدة عبد القهار .. سكرتيرة صدام حسين تتكلم) أن أهل تكريت كانوا من أصل يهودى، وليسوا عرباً، وأنهم ينحدرون من أصول أخرى سكنت المنطقة وتكلموا بلغة عربية غير أصيلة، لذلك فإن لهجتهم حتى اليوم تختلف عن اللهجات العربية الأخرى. وأن اليهود والنصارى النسطوريين كانوا يسكنون تلك المنطقة ويرأسهم (عبد السطيح)، وعند الفتح الإسلامى وانتشاره خُيِّر عبد السطيح بين اعتناق الإسلام أو ترك المنطقة التى يسكنها، فوافق مرغماً على الخيار الأول، وتظاهر بالإسلام (مثل يهود الدونمة فى تركيا)، ثم مات منتحراً بعد ذلك.

- كما تشير المعلومات التاريخية أن الموجودين حالياً فى منطقة تكريت هم من أبناء عمومة (الألقوشيين) الذين ينحدرون من القس عبد المسيح، وهو شقيق عبد السطيح. وقد بقى الألقوشيين إلى الآن نصارى يعيشون فى قضاء (تلكيف) التابع لمحافظة البصرة، ومن هذا النسل جاء أهل تكريت. كما تشير معلومات أخرى إلى أن أعداداً غفيرة من اليهود سكنوا تكريت، وبقوا فيها وتناسلوا محافظين سراً على عقيدتهم اليهودية حتى اليوم. ويذكر كبار السن فى تكريت أن والد صدام حسين كان يقضى حاجات اليهود القاطنين فى تكريت لقاء قوت يومه وملابسه، وأنه كان قريباً منهم ومعايشاً لهم ومديناً لهم بالولاء، كما كان مديناً بالولاء أيضاً لأسياده الإنجليز الذين كان يخدمهم فى السفارة البريطانية.

- وكانت مجلة (الجويش برس) التى تصدر فى نيويورك قد نشرت فى عدد فبراير ١٩٩٨ حديثاً مطولاً مع (ندام كوهين - ٧١ عاماً) والذى هاجر أخيراً مع أقربائه من بغداد إلى إسرائيل، كشف فيه أن صدام

وعائلته يحتفظون بعلاقات تاريخية وثيقة بعائلات العراق اليهودية. من ذلك أن والدة صدام حسين (صابحة طلفاح) قامت حال نصح أطباء تكريت لها عند حملها فى صدام حسين بالتوجه إلى بغداد، وقد استضافتها عائلة يهودية فى الحى الخاص باليهود هناك حيث وضعته. وقد دلّل (نادام كوهين) على حسن العلاقة القائمة بين اليهود اليوم وبين صدام حسين، أنه قام بعد حرب الخليج بإعادة إعمار المعابد اليهودية فى العراق.

- وإذا انتقلنا إلى الفرع الآخر لعائلة صدام من جهة أمه، ونعنى به خاله خير الله طلفاح ووالد زوجته، فسنجد أن معظم كبار السن فى مدينة العوجة مسقط رأس صدام يؤكدون أنه يهودى الأصل، وكان يكن عداءً شديداً للإسلام والمسلمين، سواء من السُنّة أو الشيعة، كما تسبب فى إعدام الكثيرين منهم، خاصة عندما عينه صدام بعد ذلك محافظاً على بغداد، حيث اشتهر بأنه كان من أكبر لصوصها، كما كان يصدر جريدة تدعى (المحارب) تضع صدام فى منزلة أفضل من سيدنا رسول الله ﷺ، كذلك كان يسئ لسيدنا رسول الله ﷺ فى هذه الجريدة أبلغ إساءة، ويسميه ابن عبد المطلب وكان لخير الله طلفاح علاقات سرية مع السفارة البريطانية فى بغداد عام ١٩٥٨ عندما كان مديراً للتعليم فى بغداد.

- ولتكريت وضع خاص فى تاريخ العراق، فعندما كانت تتوقف معظم الغزوات القادمة من الشمال والشرق والمتجهة لاحتلال بغداد أيام الدولة العباسية، حيث تعسكر الجيوش فيها بالنظر لموقعها العسكرى القريب من بغداد، وهو ما جعلها موطناً للكثير من الأصول العربية والفارسية والتركية والكردية، كما كان خلفاء الفترة العباسية الأخيرة ينسحبون من بغداد ويعسكرون فى تكريت عندما كان يحيق بهم الخطر من جراء تزايد نفوذ قادة الجند، وهو ما فعله (المعتضد) وغيره.

- ولقد استوطن تكريت المسلمون كما استوطنها النصارى واليهود، ولكنها تميزت عن المدن العراقية الأخرى بكثرة أديرتها، لاسيما بزمن الدولتين العباسية والعثمانية، حيث كان النصارى السريان يتمركزون فيها وفى الموصل. وحينما غزا السلاجقة بغداد احتلوا تكريت وتركوا فيها حامية استوطنتها بعد ذلك. لذلك لا تزال اللهجة التى تجرى على ألسنة أهل تكريت عبارة عن مزيج من لهجات مُهجَّنة تلتحق بها تأثيرات جماعات عرقية مختلفة.

ب- أهل العوجة قطّاع طرق (٨٩)

- لم تكن العوجة - مسقط رأس صدام حسين - موجودة على خريطة تكريت فى مطلع هذا القرن، ولكن تؤكد روايات أهل تكريت أنهم أسموها (العوجة) لأن أهلها كانوا خارجين عن المألوف فى المجتمع، وذلك لارتباط حوادث قطع الطرق والاعتداء والسطو المسلح والابتزاز بهم. فالقبيلة التى أسمت نفسها (البيكات) واستوطنت منطقة تبعد ١٣ كم عن تكريت كانت نازحة من شرق تكريت، وقسم آخر يعتقد أنه نزح من جنوب شرقى واسط شأنها فى ذلك شأن الكثير من المجموعات القبلية الصغيرة التى تمتهن الرعى والزراعة، وكانت تبحث دائماً عن أماكن آمنة لها بالقرب من المدن، أو بجانب قبيلة قوية تحميها. إلا أن المدن والقبائل القوية كانوا ينظرون إلى هذه المجموعات القبلية الصغيرة ويعاملونهم معاملة اجتماعية متدنية، مما دفع هذه المجموعات إلى فرض وجودهم بالقوة والعنف.

- وكان أهل قبيلة (بيكات) يتمنون لها اسماً آخر غير اسم (العوجة) الذى أطلقه عليهم أهل تكريت بعد سلسلة حوادث ومنازعات بسبب اقتطاع (البيكات) جزءً من أرض أهل تكريت دون وجه حق واحتلوها. لهذا كان الطريق الزراعى الممتد ١٣كم إلى تكريت لا يخلو من أعمال قطع طرق وسرقة وخطف بين الفريقين، فتربى أبناء العوجة على حمل ما يدفع عنهم الأخطار من سلاح وقضبان حديد وعصى، وليرهبون به خصومهم فى تكريت. ولأن (البيكات) لا يمتون بصلة إلى بطون وأفخاذ القبائل المتوطنة فى تكريت مثل (الشيايشة) و (الحديثيين) و (التكارتة) .. وغيرهم، فإن هذه القبائل كانت تضع البيكات موضع الاتهام كلما وقعت حادثة قتل أو سرقة أو قطع طريق. ولم يكن أهل العوجة كثيرين آنذاك، لكنهم جمعوا أنفسهم وكونوا لهم أسراً تحمل ألقاباً، فكان (آل المجيد)، (آل الحسن) وغيرهم جزء من تكوين هذا المجتمع الصغير الذى امتهن الزراعة والرعى وقطع الطرق، وهم الذين خرج منهم صدام حسين.

ج - مقتل القس السريانى الذى كشف حقيقة تكريت (٩٠)

- لابد وأن يكون صدام حسين قد قرأ وعرف التاريخ الحقيقى لمنطقة تكريت، وأن هذه المنطقة كانت تضم مزيجاً من أصول قومية مختلفة، ومن ديانات مختلفة لا تزال آثارها باقية فى تكريت، مما يصعب معه إعطاء هوية قومية أو دينية موحدة لهذه المنطقة دون اعتبار لهذه الحقائق. وفى هذا الصدد ينبغى أن نتذكر قصة القس السريانى راعى الكنيسة السريانية فى الكرادة الشرقية ببغداد. وكان هذا القس مهتماً بالتاريخ ومن الباحثين المتعمقين فى شئونه وفى اللغات القديمة والآثار. وقد أظهرت أبحاثه حول الأصول والآثار السريانية فى منطقة تكريت، وجود أديرة ومكتبات ومدارس سريانية قديمة عاشت فيها طوائف يهودية ونصرانية سريانية إلى جانب المسلمين. كما أشار فى بحثه إلى أسماء لامعة نصرانية سريانية نشأت فى تكريت واحتلت مراكز مرموقة فى أيام العباسيين ثم فى عهد البويهيين ثم السلاجقة. وتطور العلاقة بين النصارى والمسلمين ليس فى تكريت وحدها، وإنما فى منطقة الموصل أيضاً ..

- وتطرق البحث إلى التركيبة الاجتماعية الطائفية (إسلامية، نصرانية، سريانية، يهود) التى أثرت على تكوين مجتمع هذه المنطقة فى السابق، وأنه كان من الصعب على القبائل العربية الاستقرار فيها لكونها تقع فى نقطة غير مستقرة على الطريق بين بغداد والموصل، وكلاهما كانتا عاصمتين لدول عربية نشأت فى مراحل إسلامية مختلفة فى التاريخ وكانت تجرى بينهما حروب أشار لها القس السريانى فى بحثه، وكشف عن المتغيرات التى تعرضت لها منطقة تكريت، وأثبت أنها كانت محطة لفلول تركمانية وكردية نزحت من أعلى المنطقة طلباً للأمان، كما كانت معسكراً للسلاجقة قبل دخولهم بغداد.

- إلا أن هذا البحث كان يتعارض مع أهداف صدام حسين فى تصحيح التاريخ لصالحه، وما كان ينويه من إعطاء النسب العربى الإسلامى الهاشمى إلى مدينة تكريت، وإلى إعادة كتابة التاريخ الشخصى والأسرى لصدام حسين. لذلك فوجئ أصدقاء هذا القس فى عام ١٩٨٩ باختفائه فجأة ومعه بحثه، حيث تمت تصفيته، لأنه كان يجرى وراء كشف الحقائق المختبئة فى التاريخ، والتى لا يريد لها صدام أن تظهر ويعرفها الناس. ولم يكن هذا القس البائس يدرى أن التاريخ عدو لدود لصدام حسين، وهذه هى إحدى عقده النفسية، خاصة وأنه كان فى هذه الفترة التى يعد فيها لغزو الكويت، وبسط سيطرتة على

منطقة الخليج وما وراءها تحقيقاً لحلمه فى بناء الإمبراطورية الصدامية، يسعى إلى إخفاء كل هذه الحقائق واستبدالها بأوهام النسب (القرشية) و (الهاشمية) مستخدماً أساليبه الديكتاتورية فى توظيف الطائفية لكسب النفوذ وتحقيق أهدافه التوسعية.

د- تكريت فى خدمة البريطانيين (٩١)

- ساندت قبيلة البيكات الحكم العثمانى، وهو ما أعطاها كثيراً من السلطان والنفوذ فى المناطق المحيطة ببغداد، وقد زودهم الحاكم العثمانى بالمال والسلاح ليقوموا على حماية النظام فى الدولة. ولما جاء الإنجليز إلى العراق كانت هذه القبلية من أوائل القبائل والعشائر التى سارعت إلى مبايعة فيصل الأول ملكاً على العراق. وقد وقف رئيس تلك القبيلة مبايعاً الملك فيصل قائلاً له: "إننا ندين لكم بأرواحنا وأموالنا، وعلىَّ أن أقبل أيديكم عرفاناً بجميلكم". إلا أن الملك فيصل حذره قائلاً: "إياك إياك أن تنقلب علينا وتبيعنا كما بعت أهلك" وهو يقصد بذلك تخلى البيكات عن ولائه للعثمانيين وتحوله إلى الإنجليز فرد عليه رئيس البيكات قائلاً: "نحن نعرف من نخدم". وبالفعل بالغ أهل قبيلة البيكات فى خدمتهم للإنجليز وللملك فيصل الأول، وصارت من الفئات الهامة للاستقرار فى تلك المنطقة.

- يروى (جاك دمبس) فى كتابه (الصقور) حول موقف قبيلة البيكات بوجه عام فيقول: "إننا حينما ندخل البلد الذى نريده لابد لنا أن نبحث عن مركز ثقل معين لنلتف حوله وقت الأزمات، وهذا من الصعب أن نحصل عليه، ولكن نتيجة لخبرتنا وتجربتنا فى العالم عرفنا أهمية الاعتماد على عناصر تحمل صفاتاً معينة ومميزة فى المجتمع أولها جفوة البادية، والتى من خلالها يمكن ضمان طاعة عمياء متى وفَّرت لهم السلاح ومنحتهم الذهب، الأمر الثانى هو ضرورة وجود الأصل العشائرى لهؤلاء الأقوام".

- ثم يؤكد (جاك دمبس) فى كتابه ما سبق أن سقناه من أن أصل عشائر تكريت ليس عربياً، وأن جد هذه العشيرة أصله من المناطق المحاذية لتركيا، ويعتقد أنه إما يهودياً أو نصرانياً، ثم هاجر من تلك المناطق إلى تكريت لخلاف ونزاع نشب مع بنى عشيرته حول الزواج من عشائر أخرى. ويروى (دمبس) أن هذا الجد قرر أن يقتل أى شخص يتزوج من غير عشيرة البيكات، وجعل من ذلك قانوناً يلتزم به كل أفراد العشيرة، وهو ما يسرى على النساء والرجال وحتى الأطفال الذين يولدوا لأب أو لأم من غير عشيرة البيكات. وهى نزعة معروفة عن المتطرفين اليهود الذين لا يعترفون بيهودية أى طفل يولد من أم غير يهودية. وقد كان هذا الجد هو الرجل الثانى فى القبيلة بعد رئيسها الكبير، وكان قاسياً جباراً يعشق القتل وسفك الدماء، وكان إذا أغار على قبيلة مجاورة، وهو كثيراً ما كان يفعل ذلك، فإن أهم ما يفعله أن يقتل أطفالها قبل أن يعود من غزوته. وقد كرهته قبيلته عندما بلغ عدد الأطفال الذين قتلهم منها ثلاثين طفلاً لأن أمهاتهم من قبائل أخرى. وعندما ثارت عليه قبيلته وأرادت الفتك به هرب إلى تكريت ومعه مجموعة معاونيه من القتلة المجرمين، وأسس فى تكريت عشيرة جديدة سرعان ما تنامت. ومن هذا الأصل جاء صدام حسين.

- اعتمد الإنجليز على هذا الرجل ومن معه فى قمع العشائر المناوئة لهم وتأديبهم، وحين ثار العراقيون فى عام ١٩٢٠ ضد الإنجليز، كانت لعشائر تكريت مواقف بعيدة تماماً عن الوطنية، حيث عملوا بمثابة

عمـلاء للإنجليز، وكانت الإمدادات التى ترسل إلى عشائر الشمال لتساعدهم على المقاومة تقوم بنهبها قبيلة (البيكات)، خاصة تلك الإمدادات المرسلة إلى مدينة (تلعفر)، كما كانت البيكات تشن إغارات على العشائر القادمة من الشمال لقتال الإنجليز فى الجنوب، وتقوم بعمليات قطع الطريق وسلب ونهب أى إمدادات مرسلة إلى الجنوب، وقد سجل الإنجليز شكرهم وعمق امتنانهم لعشائر تكريت لموقفهم (المشرف) فى ثورة ١٩٢٠!!

- اهتمت حكومات الاحتلال البريطانى مبكراً بمدينة تكريت لوجود عناصر سياسية وعسكرية فيها منذ منتصف العشرينات تؤمن كثيراً بدور بريطانيا وأهميته فى العراق، كان منهم (مولود باشا مخلص)، ثم اللواء (سعيد باشا) رئيس أركان الجيش والذى كان محوراً لتجمع الشخصيات التى أعطت انطباعاً أنها مركز سنى مرموق فى العراق. وحينما فتح الملك فيصل الأول أبواب المدرسة العسكرية (الكلية الحربية بعد ذلك) لأبناء الشيعة، بادر مولود باشا مخلص لمقابلة الملك للحصول على نفس الامتياز لأبناء تكريت ليشكلوا (لوبى عسكرى) متميز فى العراق قياساً بالمدن الأخرى. وقد وصل عددهم إلى خمسين ضابط برتب كبيرة فى الجيل القديم، وعشرات الضباط من الجيل الجديد برتب مختلفة. ومنذ الخمسينات كانت هذه الفئة من الضباط ومن يحيط بهم من تجار وملاك من تكريت وما يحيط بها، يطمحون للسلطة فى بغداد بوسيلة أو بأخرى.

- أصبح قضاء تكريت محافظة بعد ذلك، وبعد عام ١٩٦٣ صار أهم محافظة، حيث حمل الانقلاب العسكرى البعثى الدموى فى العراق عدد من العسكريين الطموحين للحكم، معظمهم من تكريت. وقد شق هذا الجيل طريقه إلى مؤسسات الحكم فى العراق، كان منهم رشيد مصلح، طاهر يحيى، أحمد حسن البكر، صدام حسين، حردان عبد الغفار التكريتى، حماد شهاب، عدنان شهاب، عدنان خير الله، صلاح عمر العلى، عمر هزاع، ماهر عبد الرشيد، أخوة صدام غير الأشقاء .. وغيرهم ممن ساعدوا صدام فى الوصول إلى الحكم بعد ذلك ثم أطاح بهم جميعاً.

- ولأول مرة فى التاريخ تأخذ تكريت هذا النفوذ السياسى ابتداء من أعلى قمة فى السلطة إلى أدنى مسئول فى محافظة أو مدينة عراقية، فلقد أعطى لها النظام البعثى الأفضلية فى كل شئ دون باقى مدن العراق، وكان يثق بأبنائها دون باقى العراقيين. لذلك امتلأت بهم أجهزة الأمن والمخابرات والحرس الجمهورى وقيادات الحزب البعثى ومؤسسات الحكومة. وفى عهد صدام حسين تحولت تكريت إلى محافظة (صلاح الدين) تيمناً باسم صلاح الدين الأيوبى، وترتبط دوافع هذا التغيير بعقدة المباهاة عند صدام حسين، والتشبث بنماذج تاريخية باهرة، تجعله يقتنى أشهر الأسماء ليجعلها أطراً حول اسمه واسم عائلته وبلدته.

هـ - صدام قاتل مأجور فى تكريت [٩٢]

- يتذكر أهالى تكريت - لاسيما كبار السن منهم - كيف اشترك صدام وخاله عام ١٩٥٨ فى قتل أحد الأقارب من الأعمام يدعى سعدون التكريتى لخلافات عائلية بسبب التنافس فى العمالة للحكومة. فقد اشتهرت العشيرة التكريتية بالتنافس فى خدمة الحكومات .. وطنية كانت أم أجنبية، عثمانية أم إنجليزية.

المهم أنهم كانوا يبذلون جهدهم فى التقرب من السلطة والعمل على خدمتها دون أدنى اعتبار لمبادئ أخلاقية أو دينية أو وطنية. وكان خير الله طلفاح (خال صدام حسين) قد مُنح منصباً تعليمياً فى الحكومة، وكان سعدون التكريتى ينافسه على المكانة لدى الحكومة، وأهان (سعدون) (طلفاح) أمام جمع من الناس، فما كان من الأخير إلا أن أوعز إلى ابن أخته صدام بقتل سعدون وحَمَّسَهُ على ذلك، بل ووعده أيضاً بأن يزوجه (ابنته ساجدة). لم يكن صدام فى حاجة إلى تحميس، لقد اعتاد أن يقتل بالأجرة فى ذاك الوقت، وكان يقصده أهل القرى المجاورة للقيام بعمليات القتل نظير عشرين ديناراً، وكانت كثيرة فى ذاك الوقت. ذهب صدام إلى منزل سعدون التكريتى بالليل، وطرق الباب ولما فتح له سعدون الباب بادره صدام برصاصة قاتلة فى صدره، وكان سنه حينذاك لم يتجاوز السابعة عشر. وتفيد رواية أخرى أن أداة القتل كانت سكينة حادة مزقه بها تمزيقاً بشعاً ومثّل به فى وحشية.

- اعتقل صدام بسبب هذه الجريمة وأودع السجن ستة أشهر، وحُوِّلت أوراقه إلى المحاكمة ثم سُحبت بعد ذلك لسبب غامض غير معروف، وكان سجنه أحد المؤهلات الهامة لانضمامه للبعث بعد ذلك، حيث حرص أعضاؤه على ضمه إليهم وأشاعوا أن القتل كان لدوافع وطنية، وأن القتيل كان عميلاً للحكومة ووجبت تصفيته. ولقد أبرزت هذه الجريمة - مثل سابقتها - موهبة صدام فى أن يكون قاتلاً مأجوراً يمكن أن تستأجره أية جهة لتسوية ثأرها مع الآخرين. وعندما أصبح حاكماً للعراق كان من السهل أيضاً أن تستأجره أية جهة لتنفيذ مخططاتها وخدمة مصالحها سواء داخل العراق أو خارجه. لذلك لم يكن غزوه لإيران فى عام ١٩٨١، وما عدوانه على الكويت فى عام ١٩٩٠ إلا نتاجاً طبيعياً لهذه الخاصية الدنيئة التى اتصف بها صدام منذ صغره ولازمته ولا تزال حتى اليوم،وهو ما كشفت عنه وأثبتته الأحداث بعد ذلك.

ثانياً: المخابرات البريطانية تجند صدام (٩٣)

- يشير كتاب (بيت العقرب) لمؤلفه زهير الرجيلى إلى علاقة اللواء رشيد مصلح - الذى أصبح حاكماً عسكرياً للعراق عام ١٩٦٣ - مع المنظمة السرية التى جندت صدام حسين، ولقد أعدم صدام اللواء مصلح بعد خمس سنوات بتهمة العمالة للمخابرات الأمريكية، ليقضى بذلك على أهم وأول الخيوط التى تعرف ارتباطات صدام بجهات أجنبية. وفى ذلك يقول فؤاد الركابى: "كنت أشك فى المعلومات التى جاءتنى عن صدام من تكريت، فصدام جاءنا عن طريق جهة أخرى وليس عن طريق الحزب، لكننا بالرغم من ذلك تقبلنا الأمر، واعتبرنا فشل محاولة اغتيال قاسم لأسباب فنية خارجة عن إرادتنا، وفى حينها هرب صدام إلى سوريا ثم إلى مصر. وقد فوجئت به وقد أصبح بعد ذلك عضواً فى حزب البعث عام ١٩٦٣، لكن الأمر لم يكن يعنينى لأنى فى حينها خرجت من الحزب نهائياً".

- لقد ترك الركابى فعلاً حزب البعث، لكنه يعرف أسراراً كثيرة عن علاقات هذا الحزب مع الجهات الأجنبية، وتاريخ الأشخاص والأحداث التى مرت عليهم. وحينما قام الانقلاب البعثى عام ١٩٦٨ على حكومة عبد الرحمن عارف، وظهرت أسماء مجلس قيادة الثورة الذى ضم صدام والبكر وباقى المجموعة، تعجب الركابى لأن هؤلاء لم يكن لهم تاريخ سياسى كما يزعمون. أدرك صدام أن الركابى ما يزال يتذكر حادثة التحاقه بفرقة الاغتيال، وأنه يعرف أكثر من غيره سر الجهة التى أرسلته، فصمم

على التخلص منه، ولم يكن صعباً على صدام عندما كان نائباً للبكر أن يجد سبباً لاعتقال الركابى بتهمة الاشتراك فى مؤامرة مع القوميين العرب عام ١٩٦٩، لذلك افتعل معه أحد السجناء فى السجن المركزى مشاجرة انتهت بطعن الركابى بمدية أردته قتيلاً، وبذلك تخلص صدام من واحد من أبرز العارفين باتصالاته المشبوهة.

- ومن المفيد أن نعرف أن بريطانيا كانت تخطط للقضاء على عبد الكريم قاسم بسبب إعدامه رموز النظام الملكى الذين كانوا فى حمايتها، وانسحاب العراق من حلف بغداد، وكرد على القانون (٨٠) الذى حدد فيه قاسم صلاحيات الشركات الأجنبية فى التنقيب عن البترول، لذلك خططت المخابرات البريطانية للإطاحة به من خلال عملية اغتيال ناجحة دونما حاجة إلى انقلاب عسكرى. وكان البعثيون على استعداد لتقديم خدماتهم، وربما يفسر ذلك استقبال البابا بولس السادس لميشيل عفلق وتكريمه تقديراً "لخدماته التى قدمها للرب فى العالم العربى"!! ويقول صدام عن عفلق: "أنه أستاذى"!!

- ويشير كتاب (التاريخ السرى لصدام حسين) فى ص٨٨ إلى أن المخابرات البريطانية كانت تحقق اتصالاتها مع المجموعة التى كلفت باغتيال قاسم من خلال شخص يدعى (أحمد) كان يسكن بمنطقة الصالحية. ويذكر ضابط المخابرات فى السفارة البريطانية ببغداد (جورج ريمنجتن) أن المبلغ الذى خصص لهذه العملية كان ٢٠٠ ألف دينار عراقى، دُفع جزء منه لمجموعة الاغتيال - ومنهم صدام - والجزء الآخر لحزب البعث. وكان نصيب كل من شارك فى العملية ٢٠ ألف دينار، وعندما هرب صدام إلى سوريا كان المدعو (أحمد) هو همزة الوصل بينه وبين (ريمنجتون) الذى سهل هروبه إلى سوريا ومنها إلى مصر.

- ثم يذكر الكتاب المذكور فى ص٩١ على لسان ريمنجتون فى وثيقته المحفوظة حالياً فى المتحف البريطانى للوثائق برقم (٨/الملف ٢٢٥/الدرج L336): "إن الراتب الشهرى الذى كان يتقاضاه أفراد عصابة صدام حسين من المخابرات كان يتراوح ما بين ٨٠ إلى ٢٠٠ دينار لكل فرد .. وكانت كل المعلومات عن هذه العصابة موجودة عند المدعو (أحمد) وأنا (يقصد ريمنجتون) وصدام. ثم تطورت الأمور بعد ذلك وأصبحت العصابة تسمى عصابة (قنى) أو (حنين)". ولم يفسر ريمنجتون سبب هذه التسمية، ولكنه يقول: "أنه لم يكن مقدراً لهذه العصابة أن تصير عاملة فى حزب البعث، لأن ذلك ليس فى صالح الدور الذى ستقوم به مستقبلاً". إلا أن حردان التكريتى يكشف عن هذا الأمر فى مذكراته التى حواها كتابه (كنا عصابة من اللصوص والقتلة خلف ميليشيات صدام للإعدام)، فيوضح أن عصابة حنين كانت هى الأساس فى تشكيل جهاز المخابرات الذى أسسه صدام عندما كان نائباً للبكر، وأنها قامت بجميع عمليات الاغتيال لكل من اعترض طريق صدام فى الوصول إلى قمة السلطة.

- ثم يضيف ريمنجتون: "إن انتقاء صدام لعملية كهذه كان ربحاً لا يقدر بثمن، لأننا كنا نبحث عن شخص مقطوع النسب، ذو عقلية خاصة تتناسب مع دوره ووضعه. ولو أننا لم نجد صدام فإننا كنا سنخلق شخصية مثل صدام. لأن هذه الشخصية تملك كل المؤهلات لقيادة هذه العصابة وتنفيذ مستقبلها المرسوم لها. وصدام مناسب جداً لاحتراف هذه المهنة، فهو مشرد من أهله، كما أنه لا ينسى عقدة

النقص الكبيرة فى حياته وهى أمه، وما رافق حياتها من أعمال معينة، ثم قتله لأحد أقربائه وهو فى سن مبكرة، إضافة إلى غلظة المنطق التى يمتلكها وعدم تورعه عن القتل"!!

- وقد تجسدت حالة صدام بصورة واضحة كما أرادها ريمنجتون حين خاض بنجاح تجربة أجراها له، يقول عنها فى وثيقته: "إن الشخصية الواحدة التى يمكن الاعتماد على مؤهلاتها فى تحقيق الأهداف يمكن أن تساوى ثمن بلد بأكمله. فإننا من الصعب علينا أن نجد الشخص الذى تتوافر فيه كل المؤهلات المطلوبة والملائمة لوضع ذلك البلد، وقد كان صدام يملك قسماً كبيراً منها، ولكننا لا نعرف ما إذا كان فعلاً يمتلك هذه الروح فى كل المواقف أم أنه فى مواقف دون أخرى، لذلك كان يتحتم عليه أن يمر بتجربة".

- أما عن هذه التجربة، فيشير إليها الكتاب فى ص٩٣ بأن طلب (أحمد) من صدام أن يقتل أحد التجار المعروفين وكل أفراد أسرته دون إطلاق الرصاص، وأن يحصل على الأموال المخبأة فى منزله. وبالفعل ذهب صدام إلى دار ذلك الرجل وكان اسمه عبد الله ويعمل فى استيراد مواد البناء والأقمشة، ويسكن فى ٢٥ شارع المنصور، وبينما كانت مجموعة صدام تحيط بالبيت طرق صدام الباب وقتل أول من فتح له، ثم بحث عن التاجر ومزّقه بسكينه، ثم قتل باقى أفراد أسرته فى سرعة البرق ومزّقهم تمزيقاً وحشياً، ثم استدعى بقية المجموعة للدخول، فدخلت. ويحكى أحد أفراد هذه المجموعة أنهم عندما دخلوا ووجدوا هؤلاء القتلى يسبحون فى دمائهم، التفت ناحية صدام فوجده جالساً يدخن سيجارة ويحدق فى القتلى ببساطة، فشك أنه القاتل، وظن أنه وجدهم مقتولين عندما دخل البيت، فلا يمكن لقاتل أن يمثل بهذا العدد من الضحايا ويظل هادئ الأعصاب، ولكنه انتبه إلى أن يدى صدام وملابسه كانت ملوثة بالدماء!! ويلاحظ فى هذه الفترة من تاريخ العراق انتشار عمليات القتل والسلب والسطو المسلح فى بغداد وضواحيها، وكانت التحقيقات تغلق دائماً، ويقيد الحادث ضد مجهول.

- وثق ريمنجتون كثيراً فى صدام وقدراته، ووجد أنه رجل المستقبل فى العراق، بل وفى الشرق الأوسط، أو هذا ما ينبغى أن يكون، لذلك حرص على فتح الطريق أمامه للمستقبل. فشرح له رؤية بريطانيا المستقبلية للعراق ولمنطقة الشرق الأوسط، وأن أهدافها فى المنطقة العربية يصعب تحقيقها، إلا من خلال حزب البعث. لذلك حرص ريمنجتون على سرعة تعريف صدام بمشيل عفلق مؤسس حزب البعث، وكان أول لقاء ضم الثلاثة فى استانبول. لم يوضح ريمنجتون فى وثيقته المشار إليها ما دار فى هذا الاجتماع، إلا أنه من المعروف أن صدام أصبح بعد ذلك بمثابة الابن المدلل لميشيل عفلق.

- والبحث رراء شخصية عفلق يعتبر من الأمور الصعبة، فذلك الغامض المجهول الذى ظهر فجأة بفكر غريب ورؤية مؤثرة فى عالم السياسة لم تسلط على هويته الأضواء بدرجة كافية، ومن هم وراءه. وعلى أية حال فقد كان لقاء صدام مع عفلق بداية لصفحة جديدة فى الطريق إلى السلطة. وكان عفلق متأثراً بصدام لسببين: وجود تلك العصابة من المجرمين حوله (عصابة حنين)، وشخصيته شديدة التعقيد. فقد أوصى له بضرورة تقوية هذه العصابة والإكثار من عددها بضم أعضاء جدد يتم اختيارهم بدقة، وزيادة مرتباتهم، وهو ما جعل أفراد هذه العصابة يزدادون التصاقاً بصدام وإجراماً فى سبيل إرضائه.

- وقد ظهر في الأسواق في أوائل الثمانينات كتاب خطير جداً يكشف حقيقة عمالة صدام للمخابرات الأجنبية، اسمه (الحصار) أصدره أياد سعيد ثابت، وأختفى فوراً من الأسواق ولم يعاد طبعه، والكاتب كان يرأس الخلية التي خططت لقتل الرئيس العراقي الأسبق عبد الكريم قاسم، وكان ضمنها صدام، وكان أياد صديقاً حميماً له قبل أن ينفصل عنه. حيث يتهم أياد صديقه صدام بالعمالة، وأنه يطبق ما يريده منه اللاعبون الكبار بطريقة محترفة جداً، حيث كان تأميم النفط مسرحية ذكية جداً وضعت لخدمة نظام صدام العميل ومعه القوى الكبرى، فعبر موارد التأميم بنيت مؤسسات القمع وشراء الذمم التي تحمي النظام، في ذات الوقت الذي استفادت به الدول الكبرى من عودة موارد النفط المؤمم لها عن طريق شراء الأسلحة، والمصانع الضخمة عديمة الفائدة. كما أظهر الكتاب أيضاً أن دور صدام في لعبة الأمم هو استقطاب وقطع الطريق على قيام أي نظام وطني حقيقي في المنطقة، إضافة إلى دفع الدول الصغرى في الخليج قسراً، عبر تهديداته وادعاءاته التقدمية إلى أحضان القوى الدولية الكبرى.

- ويذكرنا هذا الكتاب بما سبق أن جاء في كتاب "لعبة الأمم" لمؤلفه (مايلز كوبلاند) في ص٥٠: "إن اللاعب المفضل لنا هو اللاعب الذي يمكن له أن يدعي الجنون كي يبرر المغامرات والمتناقضات التي تطلب منه .. إن اللعبة تقتضي زرع أكثر من زعيم مزيف يقلد الطراز الناصري في الحكم كي يؤدوا جملة أدوار في عدد من الدول الإفريقية والآسيوية"، ويمضي موضحاً في ص٧٩، فيقول: "إن الشرط اللازم لبقاء أي حاكم ممن تم زرعهم أن يظهر بمظهر يستحيل القول معه أنه صنيعة لنا، وأن يتصرف بطريقة لا تظهر أي انسجام مع ميولنا .. إن مساندتنا لأي زعيم للوصول إلى الحكم والبقاء هناك لأطول مدة، وكي يحقق المصالح التي نريدها، لابد أن يرتطم بالحقيقة القاسية، وهي ضرورة توجيه بعض الإساءات إلينا حتى يتمكن من المحافظة على السلطة وضمان استمرارها"، وهو ما يعني منهاجية جديدة في التعامل تدعي العداء نهاراً والارتماء في الأحضان ليلاً!! ثم يسترسل كوبلاند في ص١١١ قائلاً: "إن الحاكم المطلوب للعبة هو الذي يعشق السلطة لدرجة أنه إذا ما خُير بين ترك السلطة أو دمار بلاده اختار الأولى (الثانية)". ثم يضيف كوبلاند قائلاً: "إن المنهاجية المثلى لبقاء ذلك الحاكم القمع الشديد للشعب عبر تجويعه وإبادته، إضافة إلى استخدام رجال الجيش والمخابرات للتحكم فيه، واستغلال وسائل الإعلام وبعض رجالها المرتشين لتحويل تلك الصورة الدامية القاتمة إلى صورة وردية للخارج تجعل الزعيم والنظام بمنزلة الرجل المعادي للقوى التي زرعته أصلاً"، ألا يفسر كلام كوبلاند هذا الكثير مما يحدث في دول العالم الثالث، خاصة في عالمنا العربي، وعلى رأسهم العراق؟!

ثالثاً: الجهات الأجنبية التي أوصلت صدام إلى الحكم (٩٤)

- بعد أن هرب صدام إلى سوريا عقب فشل محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم في ١٩٥٩/١٠/٧، وكان ذلك بمعرفة ضابط المخابرات البريطانية (جورج ريمنجتون)، أقام في القامشلي ومن هناك كان يتردد على دمشق لمقابلة ممثل المخابرات في السفارة البريطانية ليحصل على مرتبه ويتلقى تعليماته، وهو ما كشف عنه اللواء وفيق السامرائي في كتابه (طريق الجحيم من العوجة إلى الكويت). وبعد أن أمضى صدام ثلاثة أشهر في سوريا انتقل إلى القاهرة في يناير ١٩٦٠، والتحق بمدرسة قصر النيل الثانوية الخاصة، ثم بكلية الحقوق ولم ينه دراسته فيها بدعوى التفرغ للعمل الحزبي. وكانت المخابرات

المصرية على علم بأنشطته، ووصفته بـ (اختلال صلته بالواقع) وكانت تتابعه عن قرب. وقد خصصت له رئاسة الجمهورية ٨٥ جنيها راتباً شهرياً له باعتباره لاجئاً سياسياً، وكان الاعتقاد السائد عنه فى المخابرات المصرية أنه شخص لا يمكن الاعتماد عليه سياسياً، لذلك لم تحقق له حلم اللقاء مع عبد الناصر.

أ- زيارات صدام لمعهد (شملان) البريطاني في بيروت [٩٥]

- أقام صدام فى القاهرة ثلاث سنوات، ارتكب خلالها جريمة قتل لجاره بسبب احتجاجه على حياة الصخب التى كان يمارسها فى شقته مع رفاقه العراقيين اللاجئين إلى مصر. وكان صدام خلال هذه الفترة يتردد من حين لآخر على معهد شملان البريطاني فى بيروت، والذى كان يعد من أوكار الجاسوسية في الشرق الأوسط، حيث كان يتم تأهيل صدام لقيادة البعث، لأن قوى خارجية عديدة كانت تراهن على حزب البعث فى العراق فى تحقيق أهدافها بالمنطقة. وعن هذه الفترة يذكر الفريق حردان التكريتى فى مذكراته أن الرئيس عبد الناصر أبلغ العماد مصطفى طلاس وزير دفاع سوريا عند حضوره للقاهرة فى يوليو ١٩٦٨ للتعزية فى استشهاد الفريق عبد المنعم رياض رئيس الأركان المصرى إبان حرب الاستنزاف ضد إسرائيل - وكان البعث قد استولى على السلطة فى العراق وشغل صدام سكرتير عام الحزب هناك - أبلغه عبد الناصر: "أن على سوريا أن تضع فى اعتبارها أن الرجل الذى يدعى صدام حسين، وصعد لتوه إلى أحد كراسى منصة الحكم فى العراق، وأصبح قريب الصلة من الرجل الأول أحمد حسن البكر، هو رجل غير صادق، ومخترق من الموساد والمخابرات المركزية الأمريكية، وقد تمكنت المخابرات المصرية من رصد مقابلاته مع مندوب CIA فى القاهرة عندما كان لاجئاً فى مصر منذ عام ١٩٦١، وعندما كان يقوم بزياراته إلى بيروت، وذلك بالصوت والصورة".

- وعندما وصل صدام إلى السلطة، وقام بزيارة بيروت وقابل مسئول المخابرات المركزية الأمريكية هناك، وكان ذلك برفقة الدكتور ناصر الحانى سفير العراق الأسبق فى واشنطن، قال له صدام: "إننى أتعاون معكم منذ أن كنت فى القاهرة، وسأواصل التعاون معكم وتحقيق جميع ما تطلبونه منى بشرط أن تحافظوا على حياتى، وعدم طبخ مؤامرة ضد حكمى". وكان ناصر الحانى هو همزة الوصل بين الضباط العراقيين برئاسة عبد الرازق النايف ومجموعته وبين المخابرات الأمريكية، وكان الحانى يقوم بتسليم البعثيين الأموال المرسلة من المخابرات الأمريكية. وعندما عاد الاثنان من بيروت أرسل صدام من قام باغتيال الحانى، إلا أن زوجته أبلغت أصدقائه بفحوى اجتماع صدام مع مندوب المخابرات الأمريكية.

- لم يكن حال القوى السياسية الأخرى فى العراق بأحسن حالاً من حزب البعث، خصوصاً بعد مقتل عبد السلام عارف وتولى شقيقه عبد الرحمن عارف الحكم، فقد كانت تلك القوى لا تزال تلعق جراحها الدامية التى تركها البعث على جسدها عام ١٩٦٣. ولم تكن أية قوة سياسية قادرة وحدها على أن تصحح مسار الحكم فى الفترة ما بين عامى ١٩٦٦، ١٩٦٨، كما لم تكن حكومة عارف قادرة على تصحيح أوضاع العراق بسبب ضعف شخصيته، وعدم وجود جهاز مركزى لمراقبة أجهزة الأمن

والمخابرات يستطيع كشف اختراقات حزب البعث والقوى الأجنبية المساندة له لهذه الأجهزة، إلى جانب عدم وجود تنظيم سياسى أو حزبى موال لنظام عبد الرحمن عارف.

- وفى هذه الفترة وبالذات فى عام ١٩٦٦ وجد صدام حسين الفرصة مواتية للتقدم نحو قيادة الحزب فى محاولة لجمع الشتات وتشكيل قيادة بديلة تعيد الحياة للحزب. وقد أفلح فى ذلك مستخدماً دهاء البعث فى عقد تحالفات وقتية وفق سياسة الغاية تبرر الوسيلة. وبذلك أصبح حزب البعث - وفى ظل الظروف السابق إيضاحها - هو اللاعب الوحيد والحقيقى على مسرح العمل السياسى السرى، ونجح فى الانتشار فى عموم العراق، وخصوصاً فى المنطقة الوسطى، وكان لصدام هدف محدد ومركز هو الاستيلاء على السلطة.

- لقد أثبت صدام أنه تلميذ نجيب لأستاذه ميشيل عفلق، ولقد وجد عفلق فى صدام نموذجاً جيداً لقيادة المنظمة الفاشية فى العراق، فهو ينطلق من تقويمه لتلميذه من تصورات سابقة فى ذهنه عما ستكون عليه هذه المنظمة، وفى ذلك قال عفلق متباهياً بصدام بشكل غريب ودون حذر من جرح مشاعر رفاقه الآخرين فى الحزب: "إن معرفتى بالرفيق صدام .. أوجدت عندى قناعة بأن الحزب قد أنجب قيادياً لأول مرة تتوفر فيه معظم الشروط التى كان الحزب يفتقر إليها وينتظر من يجسدها"!!

ب-حردان التكريتى يكشف دور الجهات الأجنبية فى توصيل صدام إلى الحكم[(٩٦)]

- كان العالم فى تلك الفترة يزداد قلقاً إزاء واقع ومستقبل العراق، وكانت كل دولة فى الدائرتين الإقليمية والدولية تفكر فى أن يكون للعراق نظاماً يعيد له التوازن داخلياً وعربياً ودولياً، لكن أغلب تلك الجهات لم تملك تصوراً لما سيكون عليه الأمر، ولا تملك أيضاً القدرة على التغيير باستثناء بعض الجهات الكبرى التى راهنت على حزب البعث وسعت إلى إحيائه وتقويته بقيادات جديدة فاشية السمعة ومجهولة الهوية مثل صدام حسين.

- سعى صدام حسين إلى كسب تأييد مجموعة من العسكريين المتعاونين مع نظام عبد الرحمن عارف على رأسهم أحمد البكر، وقد اكتسب هذا التحالف شرعية رسمية حينما سمح عارف لهم بالتشاور معه، فأصبحت اجتماعاتهم تجرى فى داخل القصر الجمهورى لاسيما مع كل من عبد الرازق النايف مدير المخابرات، وعبد الرحمن الداوود قائد الحرس الجمهورى، وسعدون غيدان قائد كتيبة دبابات القصر. وقد أنجزوا مهمة إزاحة عبد الرحمن عارف واعتقاله بانقلاب أبيض، وسلموا مفاتيح القصر لأحمد البكر فى ليلة ١٧ يوليو ١٩٦٨.

- تم تنفيذ الانقلاب بفضل النايف والداوود، وشكلت حكومة رئاسة النايف فى ١٩٦٨/٧/١٧ شغل فيها الداوود وزارة الدفاع. ولأن صدام بيّت النية مسبقاً على التخلص من كل من ساعده فى الانقلاب، فبعد أقل من أسبوعين، وفى ٣٠ يوليو ١٩٦٨ تم اعتقال النايف وتسفيره خارج العراق (تم اغتياله بعد ذلك فى لندن عام ١٩٧٨)، أما إبراهيم الداوود فقد كان فى الأردن ومُنع من العودة للعراق، وتم اغتياله بعد ذلك هو وسعدون غيدان، وبذلك يكون صدام قد وصل بالفعل إلى قمة السلطة فى ٣٠ يوليو ١٩٦٨ على رقاب كل من سبق أن ساعده على ذلك.

- أما عن دور الجهات الأجنبية فى ذلك، فيكشف عنه حردان التكريتى وزير الدفاع الأسبق فى مذكراته، فيقول: "لو أنى سُئلت الآن عن أسباب انقلاب ١٧ تموز وانقلاب ٣٠ تموز، لما ترددت فى الإشارة إلى الولايات المتحدة على السؤال الأول، وإلى بريطانيا كجواب على السؤال الثانى. فقد أعلن الرئيس عبد الرحمن عارف قبل الانقلاب بشهرين عن تعديل فى اتفاقيات النفط لصالح شركة (إيرب) الفرنسية .. وقد شرح لى أحمد البكر خطورة هذا الإعلان وآثاره السيئة على علاقات العراق مع كل من بريطانيا وأمريكا. وذكر أن علينا أن نستغل هذا الوضع للقيام بعمل ما. وجرت بعد ذلك اتصالات بيننا وبين صدام الذى كان آنذاك فى بيروت، وأخبرنا بضرورة إقامة حوار عاجل بينه وبين السفارة الأمريكية، كذلك الاتصال مع عفلق بهذا الشأن. وبعد أقل من أسبوعين أخبرنا صدام أن الحكومتين الأمريكية والبريطانية أبدتا استعدادهما للتعاون إلى أقصى حد بشرطين: **الأول** أن نقدم لهما تعهداً خطياً بالعمل وفق ما يرسمونه، **الثانى** أن نبرهن على قوتنا فى الداخل".

- ثم يستطرد حردان التكريتى فيوضح أنه تقرر أن يقوم البعث بتنظيم مظاهرة ضخمة ضد عبد الرحمن عارف كدليل على القوة، وذلك بالتعاون مع الشيوعيين والإسلاميين، وكان يمشى فى مقدمتها أحمد البكر وحردان التكريتى وصالح عماش وغيرهم من قادة البعث العراقى. وأن السفارة الأمريكية فى بيروت أخبرتهم من خلال صدام حسين أن عليهم بعد نجاح الانقلاب التساهل مع شركات النفط الأمريكية، كما ينبغى عليهم الاتصال بعبد الرازق النايف والتعاون معه وفق الخطة التى سيرسمها لهم. ويضيف التكريتى قائلاً: "إن الذى أدهشنا جميعاً أن الانقلاب نجح بأسرع مما كنا نتصور، فقد رفع عبد الرحمن عارف يديه مستسلماً بمجرد أن أطلقت جماعة عبد الرزاق النايف ثلاث طلقات خارج غرفته صباح يوم ١٧ تموز. ولم تمر ستة أيام فقط على الانقلاب حتى اتصلت بنا السفارة البريطانية فى بغداد بشكل سرى، وذكرت خطورة الاستمرار فى السياسة التى أعلنها عبد الرزاق النايف بصفته رئيساً للوزراء، وصرَّح فيها أن حكومته ستتخذ اتجاهاً مستقلاً فى قضايا النفط، وستعيد النظر فى كل الاتفاقيات المعقودة بين العراق وشركات النفط، وذكرت لنا السفارة أنها مستعدة للتعاون معنا إلى أبعد حد لإسقاط النايف وأصدقائه، وإعطاء حزب البعث سلطات مطلقة للسيطرة على العراق. وهكذا دبَّرنا انقلاب ٣٠ تموز الذى أقصى فيه النايف ومجموعته، وبعد هذا الانقلاب .. ألغينا اتفاقية شركة (إيرب) الفرنسية .. كما ألغينا أيضاً صفقة الطائرات التى كان عبد الرحمن عارف قد وقعها مع فرنسا .. والجدير بالذكر أن تعيين سعدون حمادى - المهندس السابق فى شركة نفط العراق - وزيراً للنفط العراقى كان من قبل السفارة البريطانية فى بغداد .. ويعتبر حتى الآن أقوى الوزراء إطلاقاً، وقراراته تنفذ من قبل الجميع".

- يتضح لنا من شهادة حردان التكريتى أن سياسة (الوصاية الخفية) التى اتبعها تشرشل منذ عام ١٩٢١ تحت ستار المعاهدات غير المتكافئة، كانت أفضل أسلوب سلكته بريطانيا لإحكام قبضتها على العراق، وأن انقلاب البعث لم يكن إلا تنفيذاً لمخطط أجنبى، وحركة التطهير فى نفس الشهر كانت كذلك تنفيذاً لمخطط آخر أجنبى، ولم يكن حزب البعث هو الذى انتزع الحكم فى العراق، ولكن أعطى له بثمن كبير،ولم يكن صدام مهندس الانقلاب ومخططه وإنما كان أداة فى يد الأجانب، و (بيدقا) فى رقعة

الشطرنج تحركه أيدى اللاعبين الكبار. إذن ليس هناك فرق بين أول حاكم نصَّبه الإنجليز على العراق من البيت الهاشمى وهو الملك فيصل الأول، وبين حاكم من البيت البعثى التكريتى من حيث الخضوع للنفوذ الأجنبى الإنجليزى والأمريكى، ثم السوفيتى بعد ذلك كما شهدنا فى مرحلة السبعينات وما بعدها حتى اليوم.

ج ـ عمالة صدام حسين للماسونية العالمية (٩٧)

- يشير كتاب (التاريخ السرى لصدام حسين) ص٤٩ "ذكر أحد الأشخاص الذين كانوا على صلة جيدة بصدام حسين أن المحفل الماسونى ببغداد الذى أنشأه السفير الإيطالى آنذاك كان يضم اثنى عشر شخصاً إضافة إلى خير الله طلفاح - خال صدام حسين - وكان هذا المحفل بذلك العدد القليل يتحكم فى الدولة تقريباً، حيث كانت تتوزع المسئولية بينهم على الاقتصاد والصناعة والتعليم .. وهكذا. وكان من الغريب وجود شخص مثل خير الله طلفاح معهم، فلم يكن يملك أية مؤهلات، وكان كثير الكلام .. ولم يكن يفهم فى أى شئ .. وبعد إنشاء المحفل بفترة قصيرة التحق به صدام حسين، ولكن لم يُرغب فيه كعضو لأنه شديد الانفعال والغضب، وقد يترتب على ذلك تصرفات قد تضر بالمحفل وتكشف أمره، وهذا لم يكن مطلوباً".

- ويستطرد الكتاب على لسان الراوى فيقول: "كان قدوم صدام إلى المحفل برفقة السفير الإيطالى وموظف من السفارة البريطانية هو جورج ريمنجتون - سبق الإشارة إليه - .. وعندما غادر صدام وخاله وريمنجتون المحفل، أبدى المجتمعون تحفظاً على وجود صدام، فقال لهم السفير الإيطالى: "إن المحفل الماسونى العالمي قد وضع خطة بعيدة المدى لهذا القطر، وأن السياسات العالمية المختلفة قد بدأت تتجاذب هذا البلد، وقد تقذف به إلى ما ليس فى الصالح، وهكذا فإنه ينبغى أن نتحرك بصورة أعمق" .. وعندما سأله أحد الحاضرين عن علاقة ذلك كله بوجود شخص مثل صدام وضرورة انضمامه، أجاب السفير الإيطالى: "إن المافيا العالمية لا يمكن التساؤل عن شئونها، ولا يمكن التجاوز عن تعليماتها فى كثير من الأحيان".

- ويمضى الكتاب فيذكر فى ص٩٥ أن من أشهر رجال الماسونية فى الشرق الأوسط .. ميشيل عفلق، وشبلى الهيثمى، وطارق عزيز حنا، وإلياس فرح. ويعتقد د.(ع) راوى القصة أن صدام وعصابته (قنى أو حنين) كانوا على اتصال بمنظمة المافيا العالمية ذات الصلات القوية بمنظمة الماسونية العالمية، وكانت الأموال تُرسل إلى هذه العصابة من المافيا، والتى كانت ترسم السياسات الاقتصادية للعراق. ويضيف الراوى فى ص٩٦ من كتابه أنه رصد عدة اجتماعات منفردة تمت بين صدام وطلفاح والسفير الإيطالى وريمنجتون، وأنه يعتقد أن عصابة (حنين) قد تم تطويرها بواسطة المافيا الإيطالية، والتى كما ذكرنا من قبل كانت نواة جهاز المخابرات العراقى بعد ذلك.

- يؤكد هذه المعلومات الفريق حردان التكريتى فى مذكراته فيقول: "إن صدام حسين صديق إسرائيل، وصنعة الماسونية العالمية، وهذا الأمر لا يلتبس إلا على البلهاء. لذلك فهو لن يهدأ، إنه وحش مفترس يعيش على الدماء ويهوى الخراب والأطلال، وسيلته فى ذلك القتل والتدمير، ولابد له من الهجوم على

الجيران، واغتصاب الأراضى والثروات وهتك الأعراض حتى يستريح. ومن ثم فهو لا يمكنه الهدوء، ولو فعل ذلك لأكله شعبه ولمزّقه جيشه إرباً بعد أن أضاع الأموال وقتل الرجال ويتّم الأطفال وثكّل الأرامل والأمهات". لذلك لم يكن غريباً أن يقوم صدام بطرد حردان التكريتى إلى الجزائر، ثم يقتله فى الكويت بعد أن قتل زوجته فى الطائرة وهى فى الطريق إليه مع بناته!!

- ولقد اعترف أحمد حسن البكر قبل موته لمرافقه طارق حمد العبد الله (كان بعد ذلك وزيراً للصناعة ثم اغتاله صدام): "إن الأمور فى البلد أصبحت بيد صدام والماسونية". أما عبد الرزاق النايف الذى كان مديراً للمخابرات وقام بدور بارز فى انقلاب ١٧ تموز، وكانت السفارة الأمريكية تدعمه، لذلك كان أول رئيس للوزراء، ولكنه لم يستمر أكثر من أسبوعين حين انقلب عليه صدام فى ٣٠ تموز، فقد ذكر أنه قد جمع خلال عمله رئيساً للمخابرات معلومات مثيرة عن حزب البعث، وارتباطات صدام بالماسونية وأجهزة مخابرات الغرب، وأنه كان يملك ملفاً كاملاً عن صدام وجماعته. وبالطبع كان ذلك من أسباب اغتيال النايف فى لندن فى يوليو ١٩٧٨.

- ومن وثائق المخابرات العراقية السرية التى كشف عنها أحد ضباطها الهاربين أن المدعو عبد الحميد ذياب الخربيط كان ينتمى منذ الخمسينات إلى الجمعية الماسونية فى العراق، والتى كانت تضم كلاً من سعدون شاكر، وصدام حسين، حسن على العامرى، وطارق عزيز، وسمير عبد الوهاب، ولطيف جاسم، وناظم كزار، وصادق علوش، وسعدون حمادى، وعبد الرازق الهاشمى. وأن هذه الجمعية كانت مرتبطة بالمركز الإقليمى للماسونية فى بيروت. وقد تم تجنيد بعضهم فى المانيا الغربية، بينما جُنِّد آخرون ومنهم صدام فى الجامعة الأمريكية ببيروت. وكان المسئول عن هذه الشبكة مهندس المانى يُدعى (باجوز) يعمل فى شركة (تراب-بارودى) الألمانية ومقرها الرئيسى فى مدينة كولون، ولها فرع فى بغداد يقوم بتنفيذ مشروعات فى مجال الطرق. وكان صدام ورفاقه يترددون على مقرها فى (محلة السنك) ببغداد لتلقى التعليمات، وكانت أبرز عملياتها اغتيال عبد الكريم قاسم. وقد أسست هذه الشركة جمعية خيرية لمساعدة الطلبة فى إكمال دراستهم بالخارج تحت إدارة من يدعى (لويس) قيل أنه مدير الشركة. وقد اكتشفت المخابرات العراقية بعد فشل محاولة اغتيال قاسم عام ١٩٥٩ أن لهذه الشركة مخزن بالقرب من مدينة (هيت) على بعد ٦٠ كم من الرمادى تحتفظ فيه بأسلحة وأموال. وعندما ألقت السلطات العراقية القبض على هذه المجموعة كان باجوز قد غادر العراق. وقد ذكر عبد الرزاق النايف أنه بعد أن حكم بإعدام هذه المجموعة بتهمة التجسس، وعمالتهم للماسونية العالمية فى بون .. فوجئ بالقائم بالأعمال الأمريكى فى بغداد يطلب من وزير الخارجية العراقية الإفراج عن هذه المجموعة، وذلك مقابل استجابة الحكومة الأمريكية لطلب المساعدات التى تقدمت به الحكومة العراقية، وكانت هذه المساعدات مُلحة جداً بالنظر لانخفاض أسعار النفط وسوء حال المحاصيل الزراعية، وكانت حجة السفارة الأمريكية أن وجود عناصر من حزب البعث العراقى فى السجون والمعتقلات يدل على أن القيادة فى بغداد لا تحترم الرأى، وهذا يجعل بعض أعضاء الكونجرس يعارضون تقديم المعونة الأمريكية لبغداد. وقد اضطرت الحكومة العراقية بعد ذلك للإفراج عن هذه المجموعة تحت الضغط الأمريكى.

- وعندما سيطر حزب البعث على الحكم فى العراق فى يوليو ١٩٦٨، وتولى البكر رئاسة الجمهورية وتم تعيين صدام نائباً له، كان ذلك بأوامر من السفارة البريطانية فى بغداد. وهو ما يفسر غرابة الترقيات السريعة التى حصَّلها صدام حسين فى سلم حزب البعث، حيث تم ترفيعه من عضو بسيط فى القيادة القطرية ليصبح الشخصية الأولى الفاعلة فى الحزب والدولة خلال أربع سنوات فقط!! بل يفسر لنا أيضاً سر نجاة صدام من أيدى محكمة الشعب التى كان يرأسها المهداوى عام ١٩٥٨، والتى اشتهرت بأحكام الإعدام، وذلك عندما اختفى ملف القضية التى اتهم فيها صدام باغتيال سعدون التكريتى، وكان من رجال نظام عبد الكريم قاسم.

د - صدام يعرض نفسه شرطى الغرب فى المنطقة [٩٨]

- يذكر كتاب (الأزمة) فى ص ٥٠ أن صدام حسين كان يتصل بالمخابرات الأمريكية فى أوائل السبعينات عن طريق وسيط يدعى (لطفى العبيدى)، وقد قتله صدام بالسم بعد أن وجَّه رسالة إلى البكر نشرتها صحيفة لبنانية يُذكِّره فيها بالخدمات التى أداها لهما، وبالتكاليف السرية التى أوصلها للبعثيين. ويشير الكتاب أيضاً فى ص٥٢ أن صدام عندما كان نائباً للبكر صرح فى حديث له بأنه لن يسمح مطلقاً للاتحاد السوفيتى باحتلال الأراضى السعودية!! وكان حديثه هذا بمثابة رسالة إلى الولايات المتحدة والسعودية فى إبريل ١٩٧٩ بأنه على استعداد أن يعمل رجل شرطة لحساب أميركا فى المنطقة، وأن على المسئولين فى واشنطن أن يميزوا بين ما هو معلن فى السياسة الخارجية العراقية من شعارات معادية لأميركا والغرب، وبين حقيقة أهداف حزب البعث فى التعامل مع أميركا على أساس المنفعة المتبادلة. وقد أكدت هذا المعنى صحيفة (جارديان) فذكرت أن النظام العراقى بينما يظهر نفسه على أنه نظام تقدمى، فإن الحكام العراقيين يلحون برغبتهم فى القيام بدور رجل البوليس فى منطقة الخليج لحساب واشنطن، وأن هذه الرغبة لدى حكام العراق بعد ثورة إيران تشير إلى أنهم مصابون بانفصام الشخصية.

- وعندما أزاح صدام حسين الرئيس البكر عن رئاسة الجمهورية فى عام ١٩٧٩ بدعوى سوء حالته الصحية، ثم قتله بعد ذلك بحقنة مسممة، كان ذلك أيضاً بأوامر من السفارة البريطانية فى بغداد، وتوصية من ميشيل عفلق. ذلك أنه فى ذاك الوقت كان قد حان أوان شن الحرب ضد إيران، فرفض البكر تنفيذ ذلك تخوفاً من نتائجها الوخيمة على الشعب العراقى - كما ذكر بعد ذلك لرفيقه قبل موته - فكان لابد من إزاحته توطئة ليتولى صدام تنفيذ مهام هذه المرحلة المهمة من المخطط الماسونى العالمى، لتوريط منطقة الخليج كلها فى حرب عقيمة دامت ثمانى سنوات مزقت الأمة العربية واستنزفت قواها ومواردها على النحو الذى لا يستطيع أحد إنكاره أو تجاهله، وكان نتاج هذه الحرب الدامية بالكامل لصالح إسرائيل سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، ولصالح مصانع السلاح فى الغرب التى أمدت طرفى الحرب بالسلاح.

- خلاصة القول فى هذا الشأن أن صدام حسين منذ استلامه السلطة فى يوليو ١٩٦٨ اتبع أساليباً متنوعة للتقرب من الغرب، واتخذ خطوات مدروسة على الصعيدين الداخلى والخارجى ليلفت نظر الغرب إليه. وقد نجح فى مسعاه إذ وجد الغرب فيه ضالته المنشودة لتمثيل مصالحه وسياسته فى المنطقة. وما فتئ

يلح فى هذا الاتجاه فى كل مناسبة يُتاح له فيها أن يعبر عن رغبته فى أن يكون بديلاً عن شاه إيران فى المنطقة، ورجل الشرطة الحارس لمصالح الغرب فيها، ولا يخشى المسئولون فى الغرب من التهجم الإعلامى الذى يمارسه صدام وأجهزة دعايته ضد الدول الغربية، فهذه من قواعد اللعبة المعروفة .. ذلك أن من أبرز دلائل الحاكم العميل أنه يُظهر خلاف ما يبطن، فعندما تريد إسرائيل أن تزرع عميلاً لها فى إحدى الدول العربية، فإنه ينبغى أن يظهر أشد صور العداء لإسرائيل، فى ذات الوقت الذى تساعد فى دفعه إلى أعلى وأدق المناصب حساسية خدمة لها .. كما فعلت مع جاسوسها (إيلى كوهين) الذى صدَّرته إلى سوريا تحت اسم (كامل أمين ثابت) وأوصلته إلى القيادة القطرية لحزب البعث هناك، وكما فعلت روسيا مع عميلها (الدريتش أينز) الذى كان يرأس وحد مكافحة الجاسوسية فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية!! ولقد أجاد صدام قواعد اللعبة الدولية فى كيفية الحصول على عطف الغرب .. فقد تقرب من الشرق ليثير اهتمام وانتباه الغرب إليه حتى يمد الجسور إليه. كما أدرك صدام أن الغرب يضع البترول فى مقدمة اهتماماته فى المنطقة، فلجأ إلى تأميم البترول، وتظاهر بطرد الشركات الغربية من العراق، وتمكن بذلك من أن يُنبه الغرب إليه كرجل العراق فى المستقبل، فى حين أنه عندما قررت الدول العربية إبان حرب أكتوبر ١٩٧٣ وقف ضخ النفط إلى الدول الغربية حتى تنسحب إسرائيل من الأراضى العربية المحتلة، كانت العراق - ومعها ليبيا - هما الدولتان الوحيدتان اللتان لم تلتزما بتنفيذ ذلك القرار، حيث استمرا فى ضخ النفط بمعدلاته السابقة. ثم اتضحت بعد عدوان العراق على الكويت أبعاد الدور المشبوه الذى يلعبه صدام فى قضية تصدير النفط فى مقابل اتباعه سياسة نفطية معتدلة. ولكن صدام خرج على النص المرسوم له عندما قام بغزوه المفاجئ للكويت، حيث ترجم التأييد السياسى والعسكرى والمادى والمخابراتى الذى حصل عليه من الغرب إبان الحرب العراقية الإيرانية على أنه ضوء أخضر يسمح له بالانطلاق فى منطقة الخليج ليهيمن عليها طامعاً فى القيام بدور الشرطى، فكانت الكارثة عليه.

- وخلال إعداد صدام لعدوانه على الكويت فى فبراير ١٩٩٠، وصل (جون كيلى) وكيل وزارة الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط إلى بغداد وكان أول مسئول أمريكى يزور بغداد، وكان يسعى بالطبع إلى مقابلة صدام حسين الذى أفادت تقارير المخابرات الأمريكية آنذاك أن لديه رغبة قوية وإرادة لا تلين فى أن يصبح زعيم العالم العربى دون منازع، كما أن لديه الرغبة فى التقرب إلى الغرب بغض النظر عما فعله الغرب بالعراق. وقد استقبل صدام المسئول الأمريكى فى يوم وصوله، وسمع صدام من (كيلى) إطراءً عليه. حيث قال له كيلى: "أنتم قوة اعتدال فى المنطقة وتتمنى الولايات المتحدة إقامة أوثق العلاقات مع العراق". وقد استشهد كيلى بتقارير معه تفيد بأنه رغم إبرام العراق اتفاقيات تسليح مع الاتحاد السوفيتى، إلا أنه كان حريصاً على شراء السلاح أيضاً من الغرب، كما تسجل الولايات المتحدة بالتقدير للعراق طرده جماعة أبى نضال الإرهابية من العراق، كذلك تقدر له واشنطن عدم رده على إسرائيل عندما ضربت له مفاعل (أوزيراك) النووى، وتعاونه مع الولايات المتحدة إبان الحرب مع إيران. سمع صدام هذا الإطراء وسُر به كثيراً، ونقله إلى الملك حسين وباقى رؤساء مجلس التعاون العربى، ولكن لم ينقله إلى زعماء دول الخليج، فقد كان اقتناعه بضرورة تلقينهم درساً لن ينسوه أبداً قد ازداد عن أى وقت مضى حيث اعتبر أن الأمريكيين قد أصبحوا فى صفه على طول الخط،

وأنهم قد اعترفوا بجميله عندما وقف العراق بشدة وحزم أمام ثورة آيات الله فى إيران، وهى التى كانت تخشاها أمريكا على أصدقائها فى الخليج بحكم مصالحها النفطية هناك.

رابعاً: صدام حسين فى خدمة إسرائيل [٩٩]

- لم يكن صدام بالشخص الذى تتجاهله أجهزة مخابرات إسرائيل والصهيونية العالمية، وتعمل للاستفادة منه فى تحقيق أهدافها فى المنطقة العربية. فلقد درسته هذه الأجهزة جيداً، وأدركت خطورة شخصيته الدموية وطموحاته الزعامية وأطماعه التوسعيه التى لا تعرف لها حدوداً سوى بسط هيمنته الكاملة على المنطقة العربية، ليكون الرجل الأوحد المهاب إقليمياً ودولياً، باعتباره صاحب القوة الإقليمية العظمى المسيطرة على اقتصاديات المنطقة، والمتحكم فى سياساتها ومقدراتها.

- لذلك قررت إسرائيل منذ الوهلة الأولى التى بدأ يظهر فيها اسم صدام فى أوائل الستينات أن تلعب على هذا الحصان المدمر بالتعاون مع أجهزة المخابرات الغربية ومنظمات الماسونية والمافيا، وذلك من أجل تحقيق أهداف إسرائيل فى المنطقة. فعملت على تعزيز روح العدوانية والتوسع والدموية عند صدام، وشجعته على الاستمرار فى تنفيذ ممارساته ومغامراته الدموية، وأمدته بالمعلومات وبكافة وسائل الحماية والتغطية التى تمكنه من تدعيم نفوذه فى العراق ثم فى الدول المجاورة له، وليؤجج الصراعات الطائفية والعرقية بين دول المنطقة، بل وداخل كل دولة تنفيذاً لمخططين استراتيجيين معروفين فى إسرائيل، **الأول:** مخطط التفتيت، بمعنى تجزئة الدول العربية إلى دويلات صغيرة على أسس عرقية وطائفية من خلال إثارة مشاكل الأقليات، أما **الثانى:** فيعرف بمخطط شد الأطراف .. أى شد الدول المتواجدة فى أطراف المنطقة العربية إلى صراعات جانبية مع دول أخرى غير عربية فى المنطقة، بما يحقق استنزاف وإنهاك هذه الدول العربية ومن يساندها من دول القلب فى العالم العربى، ونعنى بهم دول المواجهة العربية المحيطة بإسرائيل، وبما يحقق التشتت وبعثرة الجهود العربية، ويخفف الضغوط على إسرائيل .. ومن هنا يمكن أن نفهم أيضاً معنى ومغزى حرب الثمانى سنوات بين العراق وإيران والتى بدأها صدام حسين عقب توليه رئاسة العراق خلفاً لأحمد حسن البكر.

- ويجب أن نعترف بنجاح إسرائيل فى ذلك بدرجة كبيرة، حيث أبدع صدام فى أداء الدور الذى رسمته له إسرائيل، فسار فى تنفيذه إلى نهايته بالوعى تارة، وباللاوعى تارة أخرى، لا يحكمه فى سياساته وممارساته سوى هدف واحد هو بسط هيمنته على العالم العربى، رغم إدراكه أنه ليس أكثر من دمية تحركها أيدى القوى الكبرى والخفية التى تقف إسرائيل والصهيونية العالمية وراءها، والذين لم يكن يعنيهم فى شئ على الإطلاق ما يردده صدام وأبواق دعايته ليل نهار من تصريحات نارية جوفاء يهاجم فيها الإمبريالية العالمية والصهيونية وإسرائيل، ويهدد تارة بسحقها وبمحقها من الوجود. وتارة أخرى بحرق نصفها بالكيماوى المزدوج .. إلى آخر هذه التصريحات التى كانت ترحب بها إسرائيل، باعتبارها من قواعد اللعبة، والتى كانت تجنى من ورائها الكثير سياسياً وعسكرياً واقتصادياً من الولايات المتحدة تحت مبرر مواجهة التهديد العراقى، ولم تكن إسرائيل تخشى شيئاً من جيش صدام لأنها أول من يدرك أنه (نمر من ورق) وذلك من واقع حرب الثمانى سنوات مع إيران، فرغم جميع صور الدعم العسكرى والمالى والمخابراتى الذى كان يحصل عليه هذا الجيش فى هذه الحرب سواء

من الدول العربية أو فرنسا أو من الولايات المتحدة، ورغم ضعف الجيش الإيرانى بسبب ظروف الثورة الإيرانية، فإنه خلال ثمانى سنوات لم يستطع الجيش العراقى أن يقاتل داخل الأراضى الإيرانية سوى أربعة أشهر فقط ثم انسحب تحت ضغط الإيرانيين ليقاتل داخل الأراضى العراقية سبع سنوات وثمانية أشهر كان فيها الإيرانيون على مسافة ٦ كم من البصرة، وبلغ حجم الأسرى العراقيين ثلاثة أضعاف حجم الأسرى الإيرانيين، رغم أن العراق ١٨ مليون نسمة وإيران ٦٥ مليون نسمة!!

- وكان صدام حسين قد التقى فى أغسطس ١٩٨٢ مع ستيفن سلولرز عضو الكونجرس الأمريكى وقال له: "أنا مقتنع تماماً بأن أمن إسرائيل هو قضية مهمة للغاية، وتتعادل مع إقامة وطن فلسطينى مستقل". وقد سجل ذلك فى المحضر رقم (٠٠٢) ونشره معهد أبحاث الشرق الأوسط. أما صحيفة (ها آرتس) الإسرائيلية فقد نشرت فى عددها ١٩٩٠/١١/٥ أن صدام طلب مقابلة اسحق شامير رئيس وزراء إسرائيل آنذاك.

أ- رأى الخبراء الإسرائيليين فى صدام حسين (١٠٠)

- لقد أدركت إسرائيل تماماً أنها خارج اهتمامات صدام حسين، لأنه يعرف مدى العقاب الجسيم الذى يمكن أن يلحق به عند تهديده لأمنها، ناهيك عن كونه مُسيَّر تماماً من قبل القوى الكبرى التى زرعته فى العراق. ولكن ما كانت تخشاه إسرائيل هو ما وصفه (مارك هيلر) مدير مركز الدراسات الاستراتيجية (جافى) التابع لجامعة تل أبيب - بـ (الجنون البنَّاء) عند صدام حسين، ذلك أن صدام حسين يعتقد أنه إذا ما تصرف (كمدفع) لا ضابط له، فإن الناس ستميل إلى معاملته بالرفق واللين وتستجيب لمطالبه، وهذه الصفة إذا ما اقترنت فى دولة بنظام سياسى ديكتاتورى ينفرد فيه الديكتاتور بصنع واتخاذ القرار بشكل عفوى يصبح خطراً جسيماً على شعبه وعلى من حوله من دول أخرى، لاسيما وأن صدام وجد استجابة لتهديداته على المستويات الداخلية، والإقليمية والدولية، ففى الداخل يعتبر الخوف السمة المميزة لحكمه، حيث التصفيات الجسدية لكل من يبدى أدنى معارضة له، أما فى الخارج فقد اتبع سبيل الإرهاب لتخويف خصومه ومؤيديه على السواء. إلا أن الذى أزعج إسرائيل أن هذا الرجل الذى يتصرف (كمدفع) لديه إصرار واضح على تحويل العراق إلى إمبراطورية إقليمية عظمى يقف هو على رأسها، معتمداً على ترسانة ضخمة من أسلحة الدمار الشامل نووية وكيميائية وبيولوجية وصاروخية يمكن أن تنطلق ضد أى دولة بما فيها إسرائيل بقرار مزاجى فردى وعفوى من صدام أو من يخلفه.

- أما رأى جهاز المخابرات الإسرائيلى (الموساد) فى صدام حسين، فقد عبَّر عنه أحد كبار المسئولين فى هذا الجهاز قائلاً: "إن صدام حسين عاقل جداً ولكن بشكل ماكر ومخادع، إنه ليس مجنوناً ولكنه يعانى من مرض جنون العظمة. إنه حذر ولكنه غالباً ما يخطئ الحساب. وليس هذا بسبب عيب شخصى فيه بقدر ما هو نتيجة جهله بقواعد الحساب، فهو شخص لم يتلق حظاً وافياً من التعليم يجعله مؤهلاً لحساب ردود فعله".

- وفى دراسة لمجلة (الجيش الإسرائيلى) تحت عنوان: العراق .. الطموحات الإقليمية، والمخاوف التقليدية - كتبت تقول: "إن المتوقع من العراق أن يُكثف موقفه المعادى لإسرائيل، لأن ذلك يخدم سعيه لتحقيق السيطرة الإقليمية. ولقد اتخذ صدام أكثر المواقف تطرفاً فى مؤتمر قمة مجلس التعاون العربى فى فبراير ١٩٩٠ عندما دعا إلى إقامة ائتلاف عسكرى عربى لمواجهة إسرائيل والولايات المتحدة - وكان ذلك بالطبع جزء من خطة الخداع للتضليل عن نواياه بغزو الكويت". أما (أوفرابينجيو) رئيس قسم العراق بمركز دايان للشرق الأوسط بجامعة تل أبيب، فقد نشر فى جيروزاليم بوست: "إن هناك تماثلاً بين هجوم العراق على كل من إيران فى سبتمبر ١٩٨٠، وهجومه على الكويت فى أغسطس ١٩٩٠. ففى الحالتين دخل العراق الحرب ضد دولة كانت تبدو له أضعف منه أملاً فى إحراز نصر سريع. والأكثر من ذلك أن لغة الخطاب العراقى قبيل الهجومين ركزت فى الحالتين على استغلال النزاع العربى-الإسرائيلى كمبرر لهما، لكن العمل العسكرى الذى تلا ذلك، اتجه إلى منطقة الخليج وليس إسرائيل".

كيف استفادت إسرائيل من صدام حسين ؟

- إن أحداث العشرين عاماً الأخيرة فى المنطقة تجيب بوضوح على هذا السؤال، حيث تكشف عن حقيقة أن صدام حقق لإسرائيل من الأهداف ما كان عليها أن تبذل الكثير من التضحيات البشرية والمادية من أجل إنجازه فيما لو أقدمت على ذلك بمفردها، إلا أن صدام قدم لها كل ذلك سهلاً ميسوراً على طبق من ذهب. لذلك لم يكن غريباً أن نجد إسرائيل تحرص على بقائه وتؤمن وجوده فى ا لمنطقة مهما كلفها ذلك من تكاليف وأعباء.

- فبجانب ما سبق ذكره فى الفصل الأول عن صفقة قصف المفاعل النووى بين برزان التكريتى والموساد وقيام أجهزة المخابرات العراقية باغتيال رؤساء مكاتب المنظمة الفلسطينية فى الدول الأوروبية فى مقابل تقديم الموساد كشف بأسماء المتآمرين على صدام حسين، كذلك تقييد صدام حسين حركة كوادر المنظمات الفلسطينية، وتبادل المعلومات المستمر بين الموساد وجهاز المخابرات العراقية، فقد شملت أبعاد التعاون مجالات أخرى أمنية واقتصادية تم الكشف عنها بواسطة ضباط المخابرات العراقية الذين فروا إلى خارج العراق.

١- إسرائيل تضع خطة الهجوم العراقى على إيران (١٠١)

- فى مارس ١٩٨٠ استدعى الرئيس الإيرانى أبو الحسن بنى صدر ياسر عرفات وابلغه بوجود (طبخة) بين المخابرات الأمريكية والإسرائيلية وصدام حسين يتم بمقتضاها شن هجوم عراقى على إيران، وأن خطة هذا الهجوم وضعها خبراء إسرائيليون وأمريكيون ومجموعة من أنصار الشاه فى باريس، وقد حصل على تفاصيلها عميل من أمريكا اللاتينية طلب ٢٠٠ ألف دولار مقابلها، وأن إيران دفعت له هذا المبلغ بعد أن تأكدت من صحتها بوسائل ومن مصادر عديدة أبرزها الاتحاد السوفيتى. وطلب بنى صدر من عرفات أن يتوجه إلى بغداد ويخبر صدام بعدم وجود أية نوايا إيرانية للعدوان على العراق، وأن على صدام ألا يتورط فى هذه المؤامرة التى تستهدف استنزاف الدولتين فى حرب لا جدوى من

ورائها، وأنه من الحماقة أن تتقاتل الدولتان ليجنى أعدائهما ثمار الحرب. وعندما قابل عرفات صدام فى بغداد وأخبره برسالة بنى صدر، وعاد إلى طهران حاملاً رد صدام على الرسالة، فقال: "عندما أخبرت صدام برأيكم فى الموقف انتفض كالطاووس واقفاً وقال لى: لا يا ياسر سنذبحهم"، ثم أشار ملوحاً بأربعة أصابع قائلاً: "بعد أربعة أيام سأقضى على إيران"!! وقد كان أن نفذ صدام الأوامر التى صدرت إليه، وشن هجومه على إيران بعد أن وقف أمام كاميرات التلفزيون ومزّق معاهدة الجزائر ١٩٧٥ التى وقعها مع الشاه، قائلاً: "كل التزام لى وقعته فى الماضى تحت قدمى"!! ولكن الحرب التى قدَّر لها صدام أربعة أيام لم تكن نزهة قصيرة ولا سهلة، فقد استمرت ثمانى سنوات، كلفت العراق قرابة مليون فرد ما بين قتيل وجريح ومفقود وأسير، وقرابة ٥٠٠ مليار دولار كان من الممكن لو أنفقها صدام فى تنمية شعبه لحوّل العراق إلى دولة مثل سويسرا أو السويد .. كما تقول بذلك وكالة التسليح فى استوكهولم. ثم يشير بنى صدر إلى رفض صدام وساطة رئيس الجزائر الشاذلى بن جديد لوقف الحرب، ثم ينهى بنى صدر شهادته للتاريخ حول هذه الحرب فيقول: "لقد أرسل لى صدام وأنا فى منفاى بباريس أحد المقربين إليه ليقول لى أن كثيراً من القوى شجعته على شن الحرب على إيران، إلا أننى على اقتناع كامل بأن صدام كان على اتصال بالإسرائيليين وغيرهم، وأن هناك بالفعل من أدخل فى روعه أن بإمكانه القضاء على إيران فى وقت قصير ويصبح قوة إقليمية عظمى".

٢- الرئيس مبارك يكشف التعاون العسكرى بين صدام وإسرائيل (١٠٢)

- كان صدام حسين هو الوحيد الذى يعرف أن أحداً من القادة العرب لم يكتشف لعبته مع الموساد، فى حين كان القادة العرب على علم تام بعلاقاته التحتية مع إسرائيل عن طريق أستاذه أمريكية فى جامعة هارفارد، وكانت تلك الحقائق فى طى الكتمان إلى أن فاض الكيل بالزعماء العرب بعد غزو صدام للكويت، الذى ادعى أن الزعماء العرب الذين يرفضون غزو العراق للكويت ما هم إلا عملاء لإسرائيل والصهيونية والإمبريالية. فخرج الرئيس مبارك عن صمته وكشف عن اتصالات صدام القديمة والحديثة مع إسرائيل، وأن أحد مصانع السلاح الإسرائيلية كان يعمل لحساب العراق خلال فترة حربه مع إيران، وأن صدام ما هو إلا زعيم يحتمى بعباءة الموساد الإسرائيلى.

- ومن المعروف للجميع أن طارق عزيز هو المسئول أمام صدام عن توثيق علاقاته بإسرائيل، بالنظر لكون عزيز هو شقيق زوجة الطيار منير روفا الذى هرب بطائرته الميج-٢١ إلى إسرائيل قبيل حرب ١٩٦٧. ولا يزال منير روفا يعمل حتى اليوم مستشاراً فى وزارة الدفاع الإسرائيلية. وقد نشرت الصحف الغربية طوال فترة الثمانينات معلومات عديدة عن اجتماعات سرية تمت بين طارق عزيز وبرزان التكريتى من جهة ومسئولين إسرائيليين وأمريكيين، مما دفع الرئيس السادات آنذاك للقول بأن صدام حسين رجل ذو وجهين، فهو فى الخفاء صديق حميم لإسرائيل وأمريكا، وفى الظاهر عدو لهما.

٣- لوبى عراقى فى إسرائيل (١٠٣)

- وكما نجح صدام فى إقامة لوبى له فى واشنطن، نجح أيضاً فى إقامة لوبى له فى إسرائيل مكون من إبراهيم تامير وديفيد كيمى (رجلا الموساد المعروفين)، بالإضافة لوزيرين إسرائيليين من اصل عراقى

هما موشى شاحال وجاد يعقوبى. وعن فاعلية هذا اللوبى العراقى ذكرت جيروزاليم بوست فى ١١/١٣/١٩٨٧: "إن إسرائيل بصدد تغيير توجهاتها فى حرب الخليج من سياسة الحياد إلى سياسة التأييد للعراق"، ونقلت عن أحد المسئولين الإسرائيليين قوله: "إننا يجب أن ننمى التوجه السياسى المؤيد للعراق لأنه توجه سيؤتى ثماره فى المستقبل". وبعد يومين فقط عادت الصحيفة نفسها إلى الموضوع قائلة: "إن اللوبى العراقى الذى يقوده الجنرال تامير كان يدعو خلال العامين الماضيين إلى مساندة إسرائيل للعراق، وإن إشارات خافتة وصلت إسرائيل من بغداد، وأن هذا هو الوقت المناسب لكى ترد إسرائيل بالإيجاب". أما نزار حمدون فقد صرح فى بداية عام ١٩٨٨ لصحيفة (نيرإيست ريبورت) التابعة للمنظمة الصهيونية (إيباك) قائلاً: "إن العراق لم يعد دولة مواجهة مع إسرائيل، وهو لا يريد حرباً عربية-إسرائيلية أخرى، وأن حل المشكلة الفلسطينية يعود إلى الفلسطينيين والإسرائيليين". أما الأسلحة والمعدات الإسرائيلية فقد كانت تشحن إلى العراق من خلال رجل الأعمال اللبنانى-الأمريكى (فرانك جابر) الذى كان يملك علاقات مؤثرة فى أوساط الصناعة العسكرية الإسرائيلية، وكانت مبيعات السلاح الإسرائيلى للعراق من العوامل التى يسَّرت على إسرائيل حل أزمتها الاقتصادية.

- وبعد أن توقفت الحرب العراقية-الإيرانية عقد الفريق العراقى المسئول عن التعاون مع إسرائيل (طارق عزيز، نزار حمدون، برزان التكريتى) عدة اجتماعات فى عامى ١٩٨٩، ١٩٩٠ فى جنيف ونيويورك مع إبراهام تامير وكان مديراً للخارجية الإسرائيلية آنذاك، ووزير الاقتصاد جاد يعقوبى، وديفيد كمحى، الذى بعد أن استقال من وظيفته انضم إلى مؤسسة (لوترو) فى لندن. ولم يكن مصادفة أن تعقد هذه المؤسسة اتفاقاً مثيراً مع بغداد فى يوليو ١٩٩٠ تنقل بموجبه شحنة أسلحة من زامبيا إلى العراق، مقابل الإفراج عن الممرضة البريطانية (دافنى باريس) التى قبضت عليها المخابرات العراقية مع الجاسوس بازوفت فى مارس ١٩٩٠.

- وفى إبريل عام ١٩٨٩ قام وفد عسكرى إسرائيلى على مستوى عال بزيارة للعراق يمثلون وزارة الدفاع والمخابرات ووزارة الخارجية ومؤسسات الصناعات الحربية الإسرائيلية، وكان يرافقهم نزار حمدون. وقد قابل الوفد صدام حسين، كما قام بزيارات لأبرز المصانع العسكرية العراقية فى سلمان باك، والبكر، والقعقاع، والمثنى، والحبانية والأسكندرية وقد استغرقت زيارة الوفد خمسة أيام، تم الاتفاق فيها على إيقاف جميع الأنشطة المخابراتية بين البلدين، كما حصل الوفد الإسرائيلى على تأكيد شخصى من صدام بعدم استخدام الأسلحة العراقية ضد إسرائيل، وفى المقابل تتعهد إسرائيل بعدم توجيه أى ضربة ضد العراق، كما تقدم ما لديها من معلومات عن إيران إلى المخابرات العراقية، وهو ما كشف عنه كتاب (محطة الموت) لمؤلفه ضابط المخابرات العراقى الهارب مزهر الدليمى.

ج- لماذا افتعل صدام أزمة إبريل ١٩٩٠ مع إسرائيل ! (١٠٤)

- فوجئ العالم كله فى أول إبريل ١٩٩٠ بخطاب لصدام حسين هدد فهي بحرق نصف إسرائيل بما أطلق عليه الكيماوى المزدوج إذا ما فكرت فى الاعتداء على العراق، ولم يصدر من جانب إسرائيل فى ذاك الوقت ما يشكل تهديداً ملحاً على العراق يستدعى ذلك، خاصة فى وقت كانت الاتصالات التحتية بين الدولتين على أشدها، كما كانت العلاقات العراقية-الأمريكية فى قمتها سواء على المستوى العلنى أو

التحتى بعد، لاسيما بعد القروض التى قدمتها أمريكا للعراق من خلال بنك (ناسيونالى دى لا فورو) فرع أتلانتا وبلغت أكثر من ١,٥ مليار دولار تحت اسم محاصيل زراعية، ولكن واقعياً استخدمت فى تمويل برامج تصنيع أسلحة الدمار الشامل العراقية، وهو ما تكشف بعد حرب تحرير الكويت.

- إلا أن العدوان العراقى على الكويت - والذى وقع بعد ثلاثة أشهر فقط من تهديد صدام بحرق نصف إسرائيل - كشف عن حقيقة أهداف صدام من وراء هذه الزوبعة، والتى لم تكن سوى جزء من خطة خداع سياسى واستراتيجى واسعة أعدها صدام ليجذب انتباه العالم تجاه إسرائيل بعيداً عن الاتجاه الرئيسى لعدوانه الذى كان يعد له فى اتجاه الكويت، والذى كان قد أزف موعده. وقد استتبع ذلك بالطبع أن عمد صدام لحشد الرأى العربى والإسلامى وراءه فى مواجهة تهديده المزعوم ضد إسرائيل، فكانت المؤتمرات الشعبية والنقابية والمهنية والإعلامية تعقد على قدم وساق فى بغداد تأييداً لصدام فى مواجهته المزعومة ضد إسرائيل، وقد توجت هذه المؤتمرات بالطبع بالقمة العربية التى عقدت فى بغداد بدعوى مواجهة الهجرة اليهودية لإسرائيل، وفى حين كان هدف صدام الحقيقى من ورائها هو إثارة الدول العربية على دول الخليج لاسيما الكويت وابتزازها بدعوى عدم مساندتها للقضية الفلسطينية، وبذلك تهيأ لصدام أنه نجح ليس فقط فى خداع الرأى العام العربى، بل وتُهيِّئُهُ أيضاً لدعم عدوانه المقبل على الكويت.

- ولما أدرك صدام أن تهديده الزائف لإسرائيل أزعج أسياده هناك وفى الولايات المتحدة، وأنه من الممكن أن يؤدى إلى نتائج عكسية، سعى من خلال شبكة اتصالاته التحتية إلى طمأنتهم بالتأكيد على عدم وجود نوايا لديه ضد إسرائيل، وأنه يحترم اتفاقاته معهم، ولم يكن ذلك فقط من خلال الأستاذة الأمريكية فى جامعة هارفارد التى قامت بجولة مكوكية بين العراق وإسرائيل لهذا الغرض، ولكن ايضاً باجتماع عقد بجنيف فى يوليو ١٩٩٠ ضم برزان التكريتى ومدير مكتب شامير رئيس وزراء إسرائيل آنذاك. حيث أكد برزان على عدة نقاط أبرزها أن اهتمام العراق أصلاً بمنطقة الخليج وليس بالصراع العربى-الإسرائيلى. وأن الكويت على وجه التحديد تدخل فى إطار اهتمامات الأمن العراقى، وتماثل فى ذلك غزة والضفة بالنسبة لإسرائيل، وأنه إذا ما توفر للعراق منفذاً بحرياً مناسباً على الخليج فإن ذلك سيساهم فى تدعيم العلاقات الاقتصادية مع إسرائيل. وأن من مصلحة البلدين إرساء قواعد تعاون أمنى واستراتيجى بينهما فى ظل تعهدات بعدم اللجوء إلى حروب مخابراتية بينهما، وتعاون عسكرى أوسع لاسيما فى المجالات الجوية والفضائية والذخائر الذكية .. من خلال إنشاء مجمعين علميين مشتركين لأبحاث الفضاء بتمويل عراقى، وهو ما يتطلب أولاً توقيع معاهدة عدم اعتداء بينهما. وقد عرض برزان أيضاً مساهمة العراق فى تكوين احتياطى استراتيجى نفطى لإسرائيل نصفه منحة والنصف الآخر بسعر ١٠ دولار للبرميل، كذلك أبدى الجانب العراقى استعداده لمد خط أنابيب نفط من العراق إلى حيفا بطاقة ١٠٠ ألف برميل يومياً، وأن يتم إنشاؤه فى غضون ٢٠٧ يوماً. وعرض برزان أيضاً استعداد بلاده للمساهمة فى تهجير باقى يهود الفلاشا عبر السودان واليمن باستخدام الخطوط الجوية العراقية ونقلهم إلى روما والنمسا.

- وليزيد صدام طمأنته إسرائيل، سعى طارق عزيز للاجتماع مع ديفيد ليفى وزير الخارجية الإسرائيلية آنذاك فى الأمم المتحدة، حيث توصلا إلى اتفاق بأن الحرب الإعلامية العراقية الناشبة ضد إسرائيل لا ينبغى أن تؤدى - ولو بالخطأ - إلى نشوب حرب حقيقية. وقد دعم صدام ذلك بعقد صفقة أسلحة مع المصنع الإسرائيلى (حاجورا) فى (رامات جان) تمت عبر البرازيل، وهو ما كشفت عنه مجلة الجيش الإسرائيلى فى عدد يوليو ١٩٩٠.

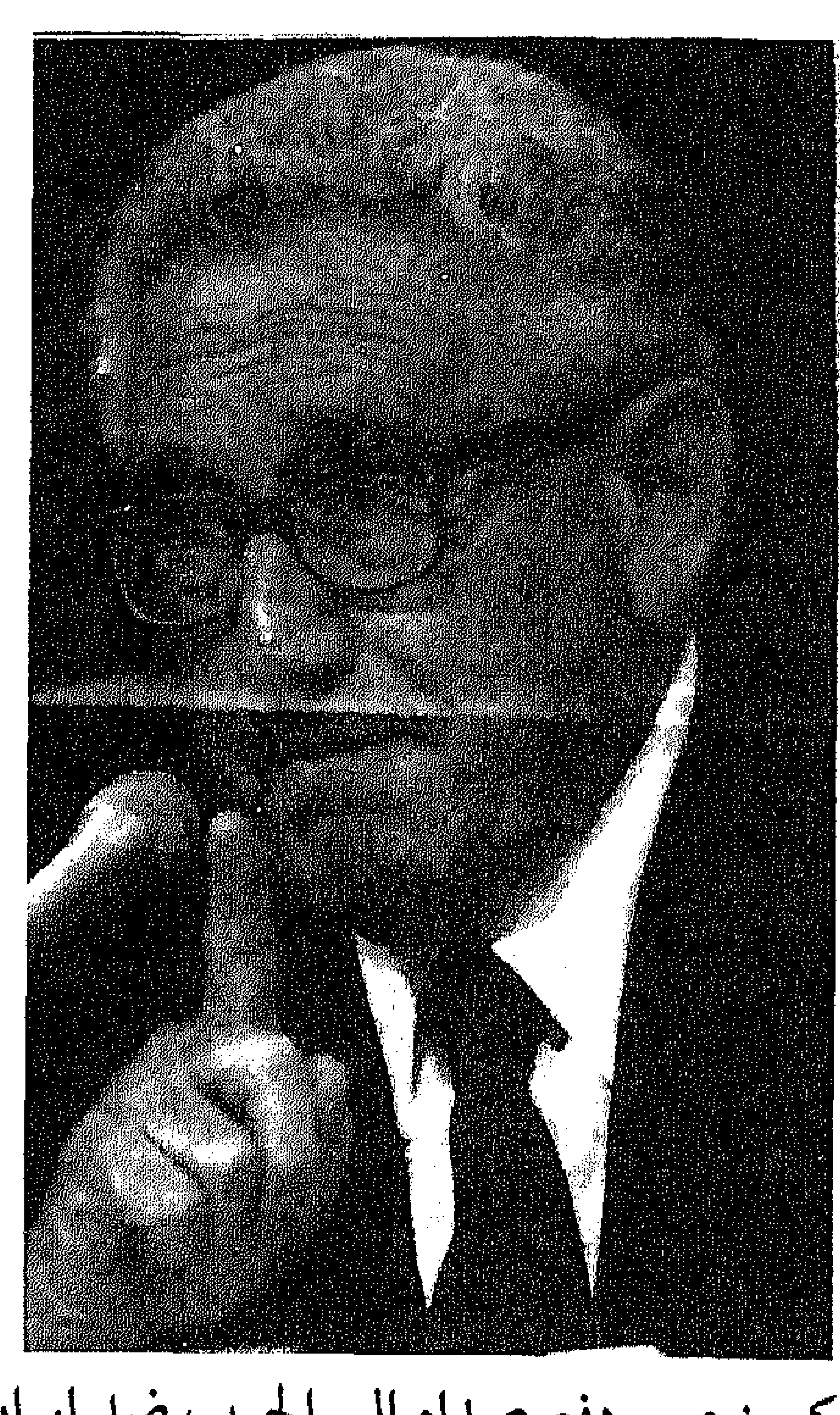
- وعندما وقع العدوان العراقى على الكويت، تلقى صدام إبان تصاعد الأزمة وقبل نشوب عاصفة الصحراء - رسالة من اسحق شامير رئيس وزراء إسرائيل آنذاك - أكد فيها الأخير أن إسرائيل لا تحمل أى نوايا عدائية ضد صدام، كما رحّب بالتوجهات الأخيرة لحاكم العراق التى أكد فيها استعداده للاعتراف بإسرائيل، وترحيل نصف مليون فلسطينى من الضفة وغزة ليستوطنوا الكويت وبما يتيح الفرص لمهاجرين يهود جدد يستوطنوا الأراضى المحتلة فى الضفة الغربية للأردن.

- أما الصواريخ الثلاثين التى أطلقها صدام على إسرائيل أثناء عاصفة الصحراء بهدف توريط إسرائيل فى الحرب وتفكيك التحالف المناهض له، فقد نشرت مجلة Flight International اللندنية فى ٣/١٥/١٩٩١ أن صواريخ سكود التى أطلقها العراق على إسرائيل لم تتسبب فى إصابة إسرائيل بخسائر تذكر لأن أغلبها كان يحمل رؤوساً إسمنتية بدلاً من المادة المتفجرة. وقد ساهمت هذه الصواريخ فى حصول إسرائيل على مساعدات عسكرية سريعة ومهمة من أمريكا تمثلت فى بطاريتين من صواريخ باتريوت المضادة للصواريخ ومساعدات اقتصادية قيمتها ١٣ مليار دولار.

د- استمرار تودد صدام لإسرائيل حتى اليوم (١٠٥)

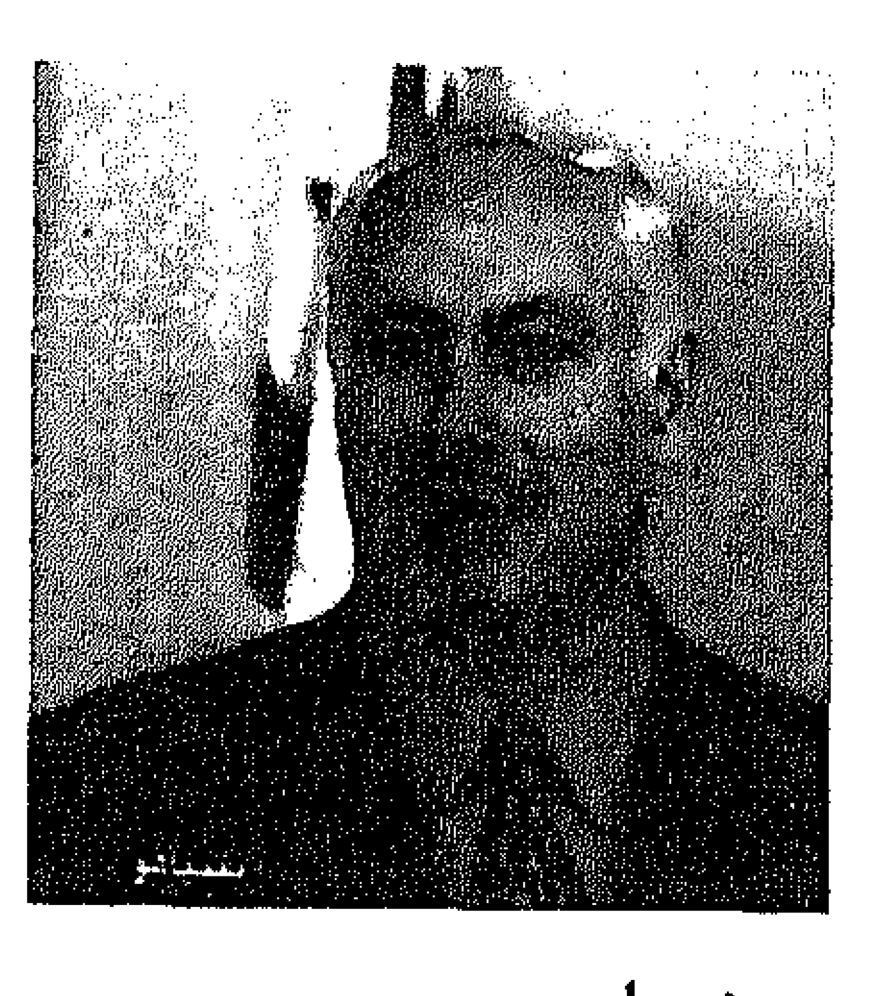
- كشف حسين كامل - صهر صدام حسين ووزير الصناعات الحربية الأسبق - عندما كان هارباً فى الأردن، عن استمرار علاقات صدام بالإسرائيليين بعد هزيمته فى حرب تحرير الكويت من خلال لقاءات طارق عزيز بهم فى نيويورك وجنيف والرباط، وهو ما كشف عنه تلفزيون إسرائيل وصحيفة (يديعوت آحرونوت) فى كثير من أعدادها كذلك نشرة التقرير الخارجى Foreign Report عن اجتماعات ضمت طارق عزيز ونزار حمدون والنائب العربى-الإسرائيلى عبد الوهاب الدراوشة، وموشى شاحال، وبنيامين بن اليعازر (وزير الدفاع الإسرائيلى حالياً)، وبعضها تم بترتيب من (جان شيفينمان) وزير الدفاع الفرنسى الأسبق وصديق صدام حسين وبحضور أحد مستشارى عرفات. وكان هدف صدام واضح فى استخدام إسرائيل للضغط على أمريكا من أجل رفع العقوبات عن العراق، وأبدى صدام استعداده لإمداد إسرائيل بنفط عراقى بسعر ٨ دولار للبرميل، وتنفيذ مشروع إنشاء أنبوب نفطى يمر بالأردن إلى مصفاة حيفا ومنها للدول الأوروبية، كما جدد صدام عرضه بقبول اللاجئين الفلسطينيين فى لبنان على أرض العراق والضغط على سوريا للقبول بالتسوية الإسرائيلية فى الجولان، مع عقد اتفاق صلح بين العراق وإسرائيل. كما أبدى صدام أيضاً استعداده لاستئناف ضغوطه على إيران إذا كان ذلك يرضى أمريكا وإسرائيل، وهو ما انعكس فى توتر العلاقات أخيراً بين بغداد وطهران حتى وصل الأمر إلى القيام بعمليات تفجير وقصف متبادل فى عاصمتى البلدين.

- وقد أبلغ باراك - ومن قبله ناتنياهو - الإدارة الأمريكية عن تجدد الاتصالات بين إسرائيل والعراق، وأن ذلك يخدم موضوع الضغط على سوريا وإيران فى نفس الوقت، ولم تعترض الإدارة الأمريكية على ذلك، وإن كانت على موقفها من استمرار فرض العقوبات على العراق حتى يسقط نظام صدام حسين باعتباره أصبح حصاناً خاسراً استنفذ أسباب وجوده، ولابد من تغييره استعداداً لتوجهات أمريكية جديدة فى المنطقة.



كيسنجر.. دفع صدام إلى الحرب ضد إيران



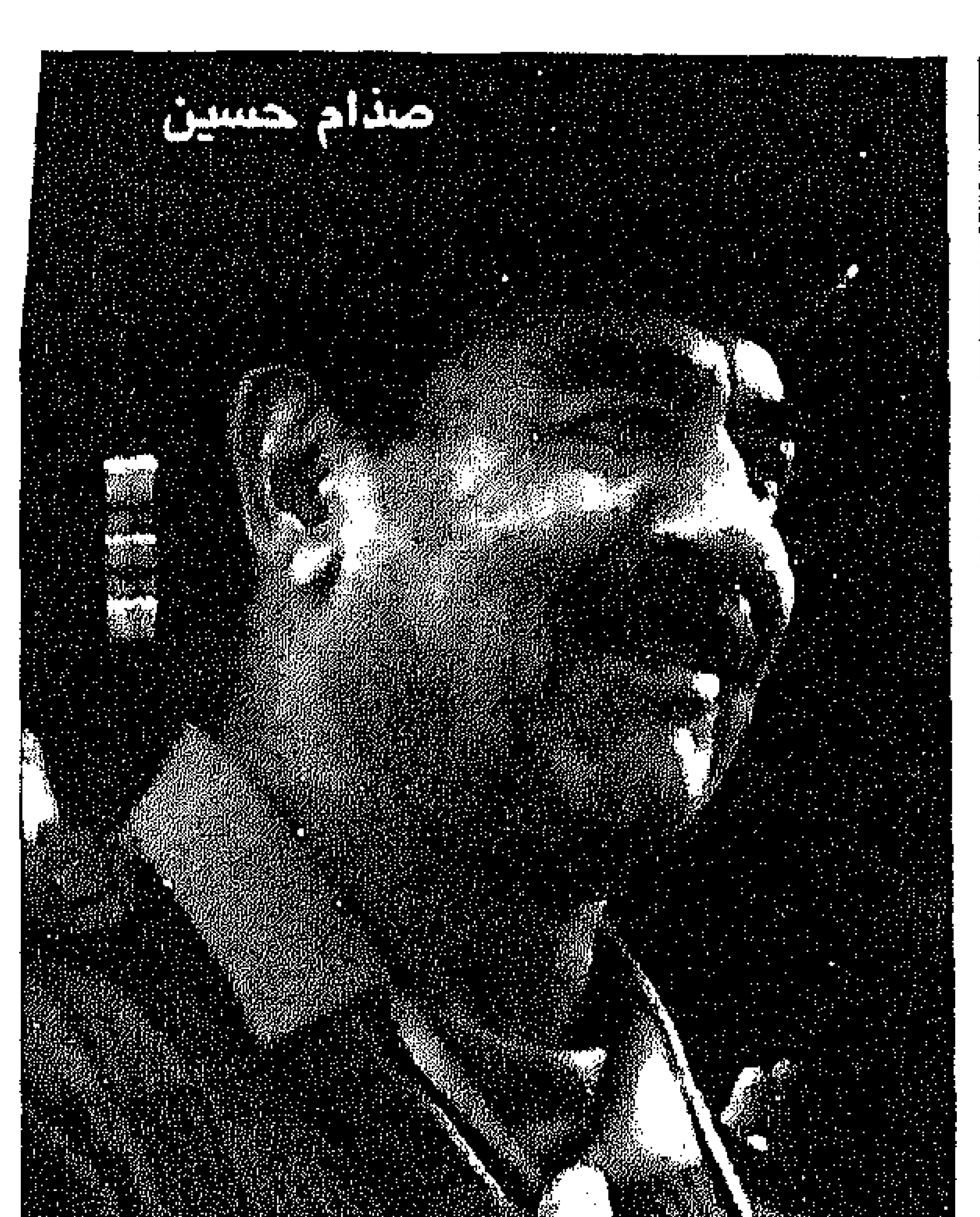


شامير ونتنياهو
أجرى معهم صدام اتصالات تحتية طوال
السبعينيات والثمانينيات



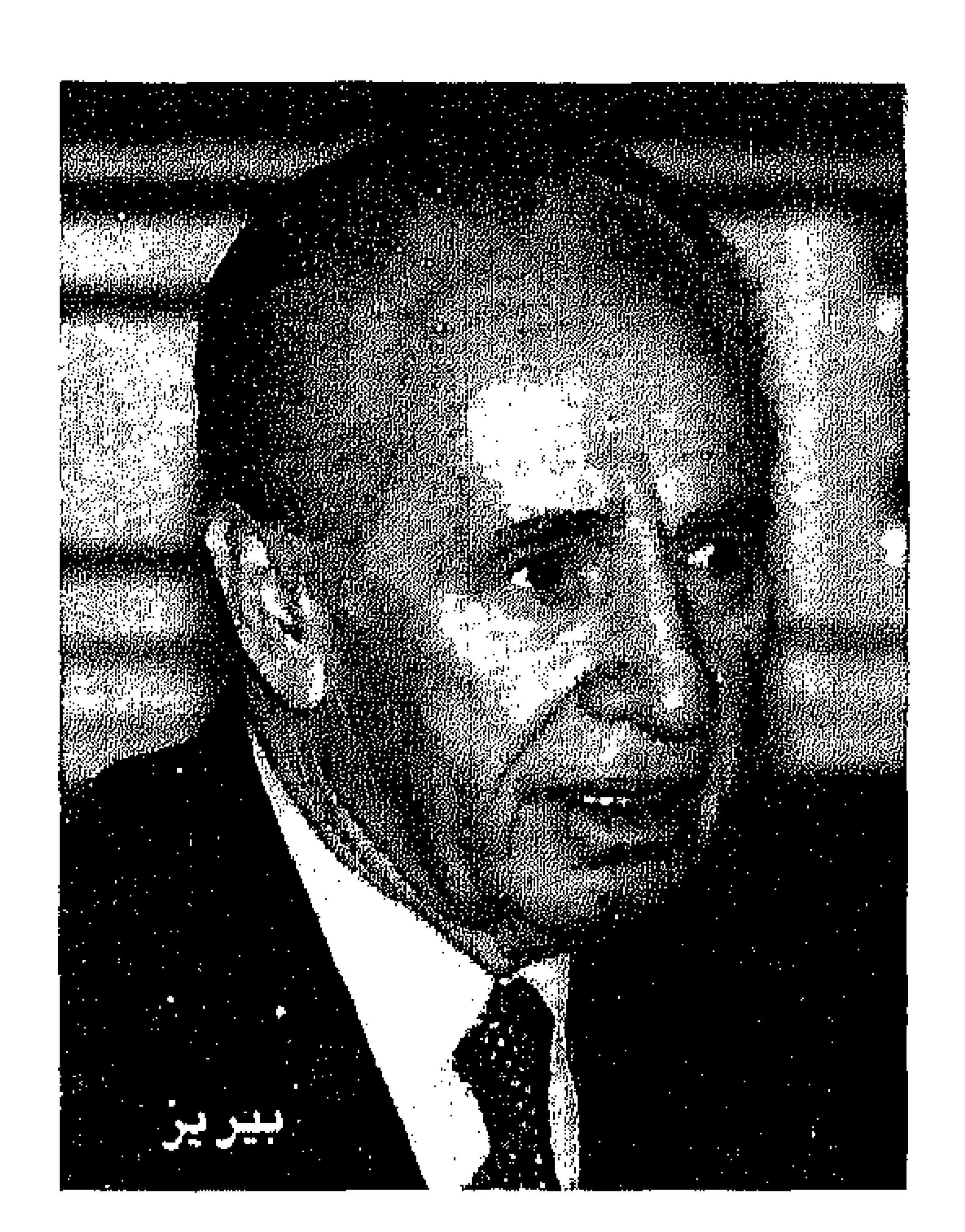
نيكسون وريجان وبوش
كانوا وراء صعود صدام للسلطة وتمويل ترسانته
من أسلحة الدمار الشامل وشن الحرب ضد إيران





ماذا يجمع بين صدام حسين وبن لادن؟

أجرى صدام تنسيقا مع بن لادن خلال التسعينيات



شيمون بيريز
طلب منه صدام الموافقة على إرسال الصواريخ
إلى العماد عون فى لبنان لتهديد سوريا

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الرابع

من الهزيمة وحتى اثنى عشر عاماً بعدها، العراق إلى أين؟

هل استوعب صدام دروس هزيمته؟

- توقع كثير من المتفائلين فى العالم العربى أن يستوعب صدام حسين دروس هزيمته المنكرة فى فبراير ١٩٩١ على أرض الكويت والعراق، وأن يتخلى طوعاً عن الحكم لغيره بسبب مسئوليته الرئيسية عن هذه الهزيمة، وما سبقها من هزائم ونكسات أدت بالعراق وشعبه وجيشه إلى الوضع المهين الذى يحياه منذ تولى صدام السلطة فى يوليو ١٩٦٨. أو على الأقل يقوم بترشيد سياساته وسلوكياته القمعية والديكتاتورية فى الداخل، ويسعى إلى إعادة بناء علاقاته مع جيرانه - خاصة الدول العربية - على أسس حسن الجوار، وينكفئ على الداخل العراقى لترميم وإعادة بناء ما حاق به من خراب ودمار مادى ومعنوى.

- إلا أن هؤلاء المتفائلين خاب تفاؤلهم منذ اللحظة الأولى التى أعلن فيها صدام انسحابه من الكويت عقب هزيمته، حيث اعتبر هذه الهزيمة انتصاراً له فيما أطلق عليه (أم المعارك) و (المنازلة الكبرى)، لأنه اعتبر مجرد بقائه فى الحكم وعدم المساس بشخصه ونظامه، هو فى حد ذاته أكبر انتصار أمكن أن يحققه رغم الهزائم والنكبات التى لحقت بشعبه وجيشه. وقد سعى النظام الصدامى إلى ترسيخ هذا المفهوم فى أذهان العراقيين من خلال وسائل الإعلام، بغض النظر عما يثيره ذلك من سخرية على المستويات المحلية والإقليمية والدولية، حيث كان الجميع فى داخل وخارج العراق يدركون حقيقة ما حدث ونتائجه الوخيمة على العراق.

السمات العامة لمرحلة ما بعد الهزيمة:

أ- على المستوى الداخلى

- اتجه صدام بكل جهده نحو تثبيت دعائم حكمه فى الداخل، والقضاء على كل صور المقاومة والمعارضة التى تصاعدت فى فترة ما بعد مارس ١٩٩١، خاصة داخل صفوف الجيش وبين العشائر، وذلك بإحكام السيطرة الأمنية والمخابراتية والحزبية على كل مجالات الحياة فى العراق، لاسيما بعد أن تصاعدت عمليات هروب الكثير من القادة والمسئولين والعلماء إلى خارج العراق الذين فضحوا كل موبقات النظام الصدامى وكشفوا أسراره، وازدياد حجم المعارضة العراقية فى الخارج ووزنها وتأثيرها على

الداخل. وقد أوكل صدام مسئولية أمن وبقاء النظام إلى ابنه قصى، وباعتباره الخليفة الذى أوصى به من بعده.

- كثرة الاحتكاكات التى وقعت بين النظام العراقى وفرق التفتيش الدولية، المكلفة بإزالة آثار أسلحة الدمار الشامل العراقية، بسبب سعى صدام وتصميمه على إخفاء ما يملكه من هذه الأسلحة ومتعلقاتها، الأمر الذى تسبب فى توجيه عدة ضربات جوية وصاروخية من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا ضد أهداف استراتيجية عسكرية منتقاة وذات علاقة بأسلحة الدمار الشامل العراقية. كما تقلصت مساحة السيطرة الجوية للنظام الصدامى على العراق بعد أن حددت الولايات المتحدة وبريطانيا مناطق حظر طيران على العراق شمال خط عرض ٣٦ وجنوب خط عرض ٣٢، وهما المنطقتين الكردية والشيعية من العراق.

- تعرض نظام الحكم الصدامى إلى عدة هزات داخلية بفعل عوامل الانشقاق والتفسخ التى أصابت عائلة صدام، والتى تعتبر الركيزة الأولى لهذا النظام، لذلك تعرض صدام وابنه عدى لعدة محاولات اغتيال، مع تفاقم الوضع الداخلى ضد النظام الحاكم، واستمرار انتهاك حقوق الإنسان فى العراق.

- إعادة بناء القوات المسلحة العراقية على أساس الاهتمام بالكفاءة النوعية وليس بالتوسع الكمى، مستفيداً من الدروس العسكرية التى كشفت عنها الهزيمة، مع إعطاء اهتمام رئيسى بالبعد الأمنى للقوات المسلحة، وقد وصل الأمر إلى بناء جيش خاص به يشرف عليه ابنه قصى.

- ا لمتاجرة بآلام الشعب العراقى نتيجة الحصار والعقوبات المفروضة على العراق، حيث رفض صدام ولمدة ست سنوات قبول قرار مجلس الأمن المعروف بـ(النفط مقابل الغذاء) رقم ٩٨٦.

- إحداث وقيعة بين الأحزاب الكردية، والتدخل المسلح بالجيش لصالح الحزب الديمقراطى الكردستانى فى المناطق الكردية عام ١٩٩٦.

ب- على المستوى الخارجى:

- استمرار محاولات إثارة المشاكل فى الكويت بإرسال المتسللين المسلحين، ومحاولة اغتيال الرئيس الأمريكى الأسبق جورج بوش أثناء زيارته للكويت عام ١٩٩٣، وحشد القوات العراقية على حدود الكويت فى أكتوبر ١٩٩٤، واختراق مناطق الحدود بواسطة من أسماهم العراق (لاجئين كويتيين يطالبون بالعودة إلى الكويت) .

- رفض تنفيذ قرارات مجلس الأمن الخاصة بإعادة الأسرى الكويتيين والممتلكات الكويتية، زاعماً بعدم وجود هؤلاء الأسرى أصلاً فى العراق، والزعم فى المقابل بوجود مفقودين عراقيين فى الكويت .

- استمرار التهجم على القيادات السياسية العربية فى الكويت والسعودية و مصر، ومحاولات إثارة الشعوب العربية ضدها، بالإضافة لمحاولة فاشلة لإجراء انقلاب بعثى فى موريتانيا عام١٩٩٤ .

- محاولات فاشلة للتقارب مستمرة مع الولايات المتحدة، وتوسيط إسرائيل للقيام بدور فى ذلك من أجل رفع العقوبات .

- محاولات تحسين العلاقات مع روسيا والصين وفرنسا لتشكيل محور مناهض لمحور الولايات المتحدة-بريطانيا فى مجلس الأمن ليساعد على رفع العقوبات وفك الحصار.

- محاولات تحسين العلاقات مع سوريا لإقامة محور عراقى-سورى فى مواجهة باقى الدول العربية.

- تذبذب علاقات العراق مع كل من إيران وتركيا.

أهداف صدام السياسية، واستراتيجية تحقيقها:

- حدد صدام حسين الأهداف السياسية لنظام حكمه حتى عام ٢٠٠٥ على النحو التالى : "تأمين ركائز حكمه البعثى بالاستئصال الفورى لعناصر المعارضة فى الداخل والخارج؛ وإنهاء مهمة فرق التفتيش الدولية بأسرع ما يمكن، مع عدم تمكينها من كشف وإزالة ما يجرى إخفاءه من أسلحة الدمار الشامل وبنيتها الأساسية، وحتى يمكن رفع العقوبات واستئناف صادرات النفط دون قيود، وبذلك يمكن الاستفادة بعائداتها فى إعادة بناء وتطوير ترسانته من الأسلحة التقليدية وفوق التقليدية، لتكون وسيلة العراق فى المستقبل القريب لتحقيق أهداف النظام التوسعية والانتقامية عندما تسنح الظروف بذلك فى البيئات المحلية والإقليمية والدولية، مستفيداً من الدروس والخبرات التى كشفت عنها هزيمة النظام فى حرب تحرير الكويت.

- ولتحقيق هذه الأهداف، تبنى صدام حسين استراتيجية تنهض على فكرة الاستفادة بعامل الوقت الذى يعتقد أنه يمضى لصالحه، شريطة أن ينجح فى التمسك بكرسى الحكم فى مواجهة محاولات اغتياله والقضاء على نظام حكمه. واعتقد أن من يصبر أكثر فى لعبة (القط والفأر) التى يمارسها مع فرق التفتيش الدولية والولايات المتحدة هو الذى سيكسب فى النهاية. وقد تولد هذا الإدراك عند صدام من زيادة عدد الأصوات الدولية المطالبة برفع العقوبات، بما فيها أصوات عربية وخليجية، كذلك روسيا وفرنسا والصين بسبب ارتباط ذلك بمصالحهم الاقتصادية . لذلك حدد مهام استراتيجيته السياسية والأمنية على النحو التالى :

أ- إعادة بناء وتنظيم أجهزة الأمن والمخابرات، اعتماداً على الدائرة الداخلية القريبة منه، وهى عائلته وبشكل أساسى ولديه عدى وقصى والقضاء على التناقضات التى تسودها، وتنشيط وتكثيف مراقبة العناصر المعارضة والمشكوك فى ولائها فى الداخل والخارج، مع توسيع دائرة الشك فى جميع كوادر النظام السياسى دون استثناء تحسباً للخيانة من أى طرف وإجهاضها مبكراً

ب- الإصرار على إخفاء (الكنز) الذى يمتلكه من أسلحة الدمار الشامل وبنيتها الأساسية، خاصة المعرفة التقنية والعلماء والمعامل والمصانع والمواد الأساسية، بالإضافة للإبقاء على سرية محاور الاتصال بالشركات الأجنبية المتعاونة مع العراق فى هذا المجال.

ج- إحداث انقسام فى الموقف الدولى المعادى للنظام الصدامى، باستغلال إمكانات العراق النفطية، خاصة استثمار احتياطى نفط حقلى مجنون ونهر عمر اللذان يعدان من اكبر حقول نفط الخليج الواعدة فى أغراء الشركات الأمريكية والروسية والأوروبية على الاستثمار فيهما، وفى إعادة تعمير العراق و بنيته الأساسية، ودفع هذه الشركات للضغط على حكوماتهم للعمل فى مجلس الآمن على رفع العقوبات وفك الحصار.

د- تفتيت الموقف الإقليمى الرافض التعامل مع النظام العراقى، من خلال العمل على عزل السعودية و الكويت وذلك باستغلال الخلافات التكتيكية القائمة بين السعودية وقطر، وبين قطر البحرين، و تحسين علاقات النظام العراقى مع قطر والإمارات وعمان، وباستغلال الخلافات القائمة بين الإمارات وإيران حول الجزر الثلاث، ورغبة الإمارات فى رأب صدع دول الخليج العربية بما فيها العراق للوقوف جميعا فى مواجهة إيران، فى ذات الوقت الذى يسعى فيه النظام العراقى لتحسين علاقاته مع إيران لتشكيل محور ثلاثى يضم إيران والعراق وسوريا لمواجهة الولايات المتحدة فى الخليج ومنطقة الشرق الأوسط. هذا مع كسب تأييد مصر للموقف العراقى من خلال إقامة علاقات تجارية واسعة معها. أما فيما يتعلق بتركيا، فقد سعى النظام العراقى إلى استمالتها من خلال إعادة تشغيل أنبوب النفط الذى يمر بالأراضى التركية، والتجاوز عن انتهاكات القوات التركية فى شمال العراق، وزيادة التبادل التجارى، وذلك بهدف منع تركيا من تقديم تسهيلات عسكرية للولايات المتحدة فى أراضيها يمكن منها ضرب العراق .

هـ- كسر الحصار الاقتصادى بزيادة عمليات التهريب - خاصة النفط والسلع الحرجة ذات الاستخدام المزدوج (عسكرى ومدنى) - عبر الحدود مع الأردن وإيران وتركيا..

و- استغلال الموقف العربى و الإسلامى الحكومى والشعبى الرافض للسياسة الأمريكية بسبب انحيازها لإسرائيل، و ذلك بخلط الأوراق وجعل الموقف ينسحب أيضاً على السياسية الأمريكية تجاه العراق، خاصة فيما يتعلق بتعرضه للضربات الأمريكية والبريطانية سواء المحدودة أو الشاملة كما هو متوقع .

فى ذات الوقت الذى يبذل فيه النظام العراقى جهوداً مستميتة لفتح حوار مباشر أو غير مباشر مع الولايات المتحدة، مع الاستعداد لقبول جميع شروطها فى مقابل عدم الإطاحة بالنظام .

ز- الاعتماد على الأجهزة السياسية والإعلامية لترسيخ الاعتقاد فى الخارج بأن الشعب العراقى يتعرض للإبادة المنظمة بفعل العقوبات والحصار المفروض عليه، وأن معاناته ترجع إلى مؤامرة أمريكية تم تخطيطها بالتنسيق مع الدول الصديقة لها فى المنطقة للإطاحة بالنظام الحاكم فى العراق واستبداله بنظام آخر يؤمن هيمنة الولايات المتحدة على العراق. وأن دولاً أخرى فى المنطقة على رأسها إيران - سيأتى عليها الدور فى المخطط الأمريكى، خاصة بعد أن قال الرئيس بوش أن العراق وإيران ضمن دول محور الشر الثلاثى إلى جانب كوريا الشمالية، والذى يتحتم فى الرؤية الأمريكية القضاء عليه. وتسخير قناة (الجزيرة) لتحقيق هذه المهمة الإستراتيجية الإعلامية والسياسية، وللتأثير فى مدركات الرأى العام العربى والإسلامى بما يتفق والرؤية العراقية .

- ولتحقيق هذه المهام الإستراتيجية اعتمد النظام الصدامى عدة أساليب تؤمن له التدخل المباشر وغير المباشر فى شئون الدول العربية والإسلامية ممن تقع له اهتمامات فيها، منها: العمليات السرية لأجهزة المخابرات العامة والاستخبارات العسكرية، تأمين أنظمة سياسية فى شكل أحزاب أو جماعات ومنظمات موالية له، عمليات الرشوة والإفساد وشراء الذمم، الابتزاز، التلويح باستخدام القوة مع الاستخدام الموسع لها عند اللزوم، إقامة علاقات مع تنظيمات إرهابية فى العالم، بالإضافة للاستحواذ على وسائل أعلام خارجية.

تفاقم الوضع الداخلى فى العراق (١٠٦)

- استمرت عملية تغيير وعزل القادة السياسيين والعسكريين فى محاولة من صدام حسين للقضاء على حالة السخط والتذمر التى سادت الأوساط الشعبية وجنود الجيش والعشائر بسبب تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والأمنية، وانتهاك الأجهزة المخابراتية لحرمات الناس. ولم تفلح جهود صدام فى زيادة مرتبات الضباط والجنود فى الحد من حالات الفرار الجماعى من الجيش، والهروب من الالتحاق بالخدمة العسكرية. فلجأ إلى إصدار قرارات تنص على قطع الأطراف، ووشم الجباة بالحديد المحمى بالنار، وبتر الآذان. وبذلك، وإمعاناً منه فى تمزيق أواصر العلاقات الإنسانية بين أفراد الشعب، حوّل الأطباء فى نظر عامة الناس إلى جلادين بإجبارهم على إجراء هذه العمليات، الأمر الذى دفع الكثير منهم إلى الهروب للمنطقة الكردية، لاسيما وأنهم كانوا مجبرين على إجراء هذه العمليات دون تخدير.

- واستمراراً لسياسة إذلال الشعب العراقى وإخماد روح المقاومة فى نفوس أبنائه، مما تناقلته وسائل الأعلام صباح مساء عن عمليات الإبادة والقتل الجماعى والتعذيب الجماعى والمصادرة لكل موارد

الحياة، وتدميرها أحياناً بصورة وحشية، كما فعل في مناطق الأهوار بجنوب العراق، حيث عمد إلى تجفيف المجارى المائية والمستنقعات، وتحويل مياهها إلى الخليج ونهر دجله حتى تتحول هذه المناطق - ولأول مرة منذ ٦٠٠٠ سنه - إلى صحراء. وبذلك حرم العراقيين المتواجدين فى هذه المناطق من مورد رئيسى لغذائهم يتمثل فى الأسماك التى كانوا يقتاتون عليها، وقضى على مناطق إيوائهم وبما يسهل مطاردتهم باعتبارهم عناصر معارضة للنظام، وقد أتاح تجفيف هذه المناطق وتحويلها إلى صحراء إمكانية نشر أضعاف القوات العراقية التى هاجمت الكويت فى أغسطس ١٩٩٠، وقد كانت آنذاك أربعة فرق، وبتجفيف الأهوار يمكن أن تستوعب هذه المنطقة حتى ٨-١٠ فرق مدرعة وميكانيكية. وفى مواجهة استمرار ثورة سكان الجنوب ضد النظام الصدامى، قامت الطائرات العراقية فى ٩٢/٨/١٦ بقصف مناطق السكان هناك بالنابالم، الأمر الذى دفع كل من الولايات المتحدة وبريطانيا إلى تحذير صدام من عاقبة الاستمرار فى عمليات القصف، وفى ٩٢/٨/٢٤ أصدر الرئيس الأمريكى بوش قراراً بمنع تحليق الطيران العراقى فى جنوب العراق، وطالب قوات النظام بالانسحاب من هناك، وهو ما تم بالفعل فى٩٢/٨/٢٨. إلا أن هذا الإجراء لم يمنع المخابرات العراقية من القيام بعمليات إرهاب جماعية ضد سكان الجنوب تمثلت فى نسف المنشآت والمساكن، وتفجير السيارات، وإعدام جماعى، واغتيالات انتقائية .

- هذا بالإضافة إلى استخدام دبابات الحرس الجمهورى فى قمع المواطنين الذين احتجوا على سوء توزيع المواد الغذائية والأدوية، مثل الذى حدث فى بلدتى الرميثية والخضر فى ٢٦ يونيو ١٩٩٩. حيث قتلت قوات فرقة حامورابى عشرات القرويين واعتقلت المئات ودمرت عشرات المنازل، وفى ٢٩ يونيو استكملت هذه الفرقة عمليات القمع، فدمرت ١٦٠ منزلاً فى منطقة أبو الخصيب بالقرب من البصرة. وفى مارس من نفس العام قام النظام الصدامى باغتيال واعتقال أعداد كبيرة من رجال طائفة الشيعة على رأسهم السيد محمد صادق الصدر. وفى الأهوار الجنوبية أحرقت قوات النظام الصدامى المنازل والحقول ودمرت البيوت بالجرافات، خاصة فى القرى التابعة لقبائل الجويبرى والشميس والموسى والرحمة بشكل كامل وطردت سكانها بالقوة . كما طردت قوات النظام سكان مناطق أخرى تحت تهديد السلاح، وأجبرتهم على النزوح إلى أماكن أخرى عن طريق قطع إمدادات المياه عنهم .

- ولم يكن حظ سكان مدن الشمال من الأكراد بأفضل من سكان مدن الجنوب، فقد نقض صدام منذ أكتوبر ١٩٩١ تعهداته السابقة بمنحهم حقوقهم السياسية، وفرض حصاراً اقتصادياً على مناطقهم، حيث منع عنهم إمدادات الغذاء والوقود والمواد الرئيسية الأخرى. وما فتئ صدام حتى اليوم يحرض الأكراد على التمرد على زعمائهم (البرزانى والطالبانى)، ويضربهم ببعضهم البعض، وأن ينضموا تحت لواء الحكومة المركزية فى بغداد. كما مارست عصابات المخابرات العراقية شتى أنواع الإرهاب الدموى فى المناطق الكردية رغم وجود قوات الحماية الدولية، وكانت أبرز عملياتهم الإرهابية تفجير العربات والمنازل، وتخريب قوافل الإغاثة الدولية، وتسميم آبار المياه. وفى هذا الخصوص يذكر اللواء وفيق

السامرائى فى كتابه (طريق الجحيم من العوجة إلى الكويت) أنه فى بداية ١٩٩٤ استدعى وزير الدفاع على حسن المجيد رؤساء العشائر الكردية الموالين للنظام، وأبلغهم توجيهاً محدداً من صدام يطلب فيه القيام بعمليات خاصة تستهدف ضرب موظفى الأمم المتحدة فى شمال العراق، وأن الدولة ستدفع مكافآت مجزية عن كل عملية تنفذ ويقتل أو يجرح فيها أحد موظفى الأمم المتحدة، كما صدر تكليف إلى وحدة المخابرات الخاصة ٩٩٩ بتنفيذ مهام مماثلة. وفى ٣٠ أغسطس ١٩٩٦ شنت أربعة فرق من الحرس الجمهورى قوامهم ٤٥ ألف رجل و٣٠٠ دبابة و١٥٠ مدفع وراجمة صواريخ هجوماً شاملاً على مدن الأكراد (أربيل) و(بالك) و(كالجين) و(كوينسجق) و(قسرى) و(كاتى فرجاله) و(دارة تو) و(قوس بكة) و(نيصلاوة) وذلك تحت ستر نيران ١٥ مروحية هجومية، استهدفت أساساً تدمير قوات جلال طالبانى زعيم الاتحاد الوطنى الكردستانى لصالح خصمه مسعود البرزانى زعيم الحزب الديموقراطى، مما أدى إلى القضاء على عناصر المقاومة العراقية التى كانت تتخذ من مدن الشمال مأوى لها، وأبرزها ١٩٠ من العسكريين تم إعدامهم، كما نزح قرابة ٥٧ ألف كردى فى اتجاه إيران. ولم تنسحب القوات العراقية من المدن الكردية إلا بعد أن قصفتها القاذفات الأمريكية (ب-٥٢) بواسطة ٤٤ صاروخاً توماهوك، بالأضافة لقصف ١٥ هدف استراتيجى وعسكرى فى وسط العراق معظمهم وسائل دفاع جوى. ولا يزال النظام الصدامى يواصل حملات الترحيل القسرى ضد الأسر التركمانية إلى المحافظات الجنوبية، الأمر الذى جعل ما يقرب من ٩٠٠ ألف مواطن يعانون من التشريد الداخلى فى جميع أنحاء العراق.

- أما المساجين والمعتقلين ومعظمهم من المعارضين لنظام الحكم، الذين لم تصدر بشأنهم أحكاماً، فقد أدار ضدهم قصى ابن صدام ومسئول الأمن والمخابرات فى النظام، مذابح جماعية بدعوى تخفيف الازدحام الذى تعانى منه السجون العراقية، وهى مذابح أودت بحياة أكثر من ألفين معتقل ومسجون، كان أبرزها ما شهده معتقلى أبو غريب والرضوانية فى ١٢ أكتوبر ١٩٩٩، والتى راح ضحيتها ١٠٤ معتقل. وهى المجزرة التى أدانتها جمعيات حقوق الإنسان على كل الساحات العالمية، وطالبت المجتمع الدولى بالعمل على الوقف الفورى لعمليات الإعدام الوحشية فى الحال، وتطبيق قرار مجلس الأمن ٦٨٨ الداعى لوضع حد لأعمال القمع ضد الشعب العراقى، وكذلك توصيات المقرر الدولى الخاص بحقوق الإنسان فى العراق، وإرسال مراقبين إلى هناك للتأكد من احترام حقوق الإنسان العراقى، بعد أن أفادت التقارير أن حوالى ٢٠,٥٠٠ ألف عراقى تم إعدامهم منذ خريف ١٩٩٧ وحتى بداية عام ٢٠٠٠.

- ومع تفاقم الأزمة الاقتصادية فى العراق، وتصاعد حالة السخط على النظام بين فئات الشعب والجيش، حيث جرت عدة محاولات انقلاب خلال عقد التسعينات بواسطة خلايا المعارضة التى انتشرت فى الجيش، ولكنها فشلت بسبب انكشافها بواسطة عملاء النظام داخل الجيش، أعدم على إثرها عشرات الضباط وبينهم ضباط كبار برتبة لواءات فى القوات البرية والقوات الجوية وداخل الأجهزة الأمنية،

كما أعدم النظام فى عام ١٩٩٢ أكثر من خمسين تاجراً، وهدد بإعدام المزيد من التجار الذين يخفون السلع ويتعاملون فى السوق السوداء. كما وجهت حكومة النظام العراقى تحذيراً شديداً للمزارعين، أمرتهم فيه بتسليم كل حاصلاتهم الزراعية للحكومة، وأن من يخالف هذا الأمر سيعاقب ببتر يده. ومن المعروف أن السواد الأعظم من سكان القرى الذين يمثلون غالبية سكان العراق تقوم حياتهم على الزراعة، وبالتالى فإن حصيلة إنتاجهم من الحبوب تمثل المصدر الرئيسى للغذاء والدخل، فإذا حرموا من مصدر معيشتهم الأساسى هذا فإنهم بلا شك يتعرضون لمعاناة قاسية، وهذا ما دفع بعض هؤلاء العراقيين فى بعض المناطق إلى الامتناع عن تسليم محاصيلهم الزراعية ومقاومة قوات النظام التى تجبى منهم هذه المحاصيل بالقوة وتحت تهديد السلاح. ولقد شهد عقد التسعينات أيضاً عدة مذابح ارتكبت فى حق الصيارفة الذين كانوا يتعرضون لإطلاق النار عليهم بتهمة المتاجرة فى العملة، وكان نظام صدام قد أصدر قانوناً فى يونيو ١٩٩٤ يتم بمقتضاه قطع يد كل من تثبت عليه تهمة الاتجار فى العملة. ولقد وصلت نسبة التضخم فى عام ١٩٩٤ إلى حوالى ٢٤٠٠٠% وهو ما أشارت إليه صحيفة(فيلادلفيا انكوايرز) فى عددها بتاريخ ١٩٩٤/٨/١٦.

- ولقد نشرت صحيفة العرب التى تصدر فى لندن فى ١٩٩٤/٩/٣ تقريراً لمراسلها فى بغداد ذكرت فيه: "بلغ التضخم فى العراق حداً هائلاً، فقد قفزت الأسعار بصورة جنونية، حيث بلغ ثمن قطعة الصابون مائة دينار، وكيلو السكر ٧٠ دينار، والدقيق ٨٠ دينار، والأرز ٦٠ دينار، واللحم ١٦٠ دينار، وزيت الطعام ١٧٠ دينار، والتمر ٤٠ دينار، كما بلغ ثمن البطانية العادية ٧٠٠ دينار، والحذاء ٥٠٠ دينار"، ثم أضافت الصحيفة "وتشهد أسواق بغداد وبقية المدن العراقية مجموعات حاشدة من المواطنين العراقيين يعرضون ملابسهم وأثاث منازلهم والأجهزة والأدوات المنزلية للبيع لمواجهة أعباء الحياة، حيث تتراوح مرتبات الغالبية العظمى من الموظفين العاديين ما بين ٣٠٠-٦٠٠ دينار فى الشهر. وكانت صحيفة (الرأى) الأردنية قد سبق لها ونشرت فى ١٩٩٤/٢/١٨ وصفاً مماثلاً للحالة المعيشية المتدهورة لسكان العراق جاء فيه: "إن النساء العراقيات يبحثن فى صناديق القمامة عن أى شئ من الطعام لأطفالهن، وأن أصحاب المهن الراقية مثل الأطباء والمهندسين والمحامين يعملون بوظيفتين، حيث ترى الطبيب فى الصباح يعمل فى المستشفى وبعد الظهر يعمل سائقاً لسيارة أجرة أو شاحنة على طريق بغداد-عمان. أما عن مرتبات كبار الضباط من رتبة لواء، والتى تصل إلى ٩٦٦٥ دينار، فيقول عنها اللواء السامرائى: "إنها لا تكفى شراء بنطلون جينز لأحد أبنائه" !! . أما (كارلى مورفى) مراسل الواشنطن بوست فى العراق فقد كتب فى صحيفته بتاريخ ١٩٩٤/٧/٢٤، مؤكداً ما سبق ذكره، وما وصلت إليه حالة العراقيين من تدهور قائلاً: "لا يستطيع العراقيون بيع بضائعهم الشخصية المستعملة المصنوعة فى الخارج حين يعرضونها للبيع لأنهم لا يجدون من يستطيع شراءها أو يرغب فى اقتنائها، وعلى كل من يريد مغادرة العراق دفع أربعين ألف دينار رسوم مغادرة .. ومن يتهرب من هذه الرسوم يدفع غرامة تتراوح ما بين نصف إلى مليون ونصف مليون دينار. ويتنبأ أحد الكتاب العراقيين بأن العراق فى حاجة إلى عشر سنوات ليعود إلى ما كان عليه قبل الحرب المنهكة التى خاضها".

ولتصوير حالة التدهور والتخلف التى وصل لها العراق فى عهد صدام حسين، ذكر تقرير نشرته المجلة العلمية الأمريكية فى يوليو ١٩٩٤ أن العراق يتجه بخطى متسارعة نحو العودة إلى العصور البدائية، وأن هناك أوجه شبه كبيرة بين مدينة (سومر) القديمة التى كانت قائمة على أرض العراق فى القرن الرابع قبل الميلاد والعراق الحديث. حيث كانت حياة السومريين البدائية فى تلك الأزمنة القديمة مثقلة بالمشكلات، وهى تماثل الوضع الراهن فى العراق فى ظل الظروف التى نتجت عن المغامرات والحروب التى خاضها صدام حسين، حيث انتهت بالعراق إلى وضع يكاد يكون صورة من تلك الحياة البدائية.

- وأمام هذا التراكمات الهائلة والمخيفة من عوامل الضغط والترويع وتردى الأوضاع الاقتصادية، تفجرت الوان من المقاومة المتفرقة، تترجم إرادة شعبية مسحوقة ضد نظام حكم ديكتاتورى فاشى مدجج بأدوات القمع حتى قمة رأسه. وقد أشارت الواشنطن بوست فى عددها فى ١٩٩٤/٧/١٥ إلى ذلك قائلة: "لم يعد سراً أن هناك مجموعات من الرجال والنساء يلتقون سراً خلف الأبواب المغلقة وحول أضواء خافتة فى بعض المنازل المحوطة بحراسة مسلحة، وهؤلاء يعدون المنشورات المناهضة للنظام الحاكم فى العراق، حيث يتم توزيع هذه المنشورات فى معظم أحياء بغداد، ويعمد هؤلاء إلى تهريبها إلى داخل بغداد فى علب الثقاب". كما ذهب بعض المحللين إلى أن نظام صدام حسين بدأ يتآكل، وأن الضعف أخذ يتسرب إليه، وفى ذلك يقول (روبرت ستالونى) من معهد دراسات واشنطن: "إن هناك دلائل واضحة على أن الدائرة المحيطة بصدام قد بدأت تتآكل وأن أتباعه المخلصين قد أخذوا فى الانفضاض من حوله .. وأن استجابتهم لتنفيذ الإجراءات القمعية الوحشية التى تفوق الجرائم فى حدتها واتساع نطاقها توضح أن الموقف يزداد سوءً". وكانت أبرز هذه الدلائل محاولة الانقلاب التى قادها اللواء _(تركى الدليمى) فى ١٩٩٥/٦/١٤ هو وضباطه من إحدى فرق الحرس الجمهورى، والتى قضى عليها صدام بباقى فرق الحرس الجمهورى بأعنف الأساليب الوحشية المعهودة فى هذا النظام، حيث تم إعدام ١٥٠ ضابط وجندى دفعة واحدة، وجرت ملاحقة الفارين من هذه الفرقة إلى الحدود الأردنية والسورية والسعودية. وقد ترك هذا التمرد فى نفس صدام قدراً كبيراً من الخوف والقلق لما قد يحدث مستقبلاً، نتيجة لتميز هذا التمرد عن غيره، لأنه نابع من إحدى فرق الحرس الجمهورى، ومن شخصية قيادية من عشيرة الدليم المحسوبة على نظام صدام، وتعتبر من أشد القبائل إخلاصاً له.

تخمة القيادة وسرقة أموال الشعب[١٠٧]

- يعد العراق من الدول النامية القليلة الغنية بمواردها الطبيعية المتنوعة، حيث تشكل عائدات النفط ٦٠% فقط من الدخل القومى - وهى التى فرضت عليها عقوبات دولية، أما مصادر الدخل الأخرى من الزراعة والصناعة والتجارة فإنها تشكل ٤٠% من هذا الدخل. وبعد فرض العقوبات سمح مجلس الأمن للعراق ببيع ما قيمته أربعة بلايين دولار من النفط العراقى سنوياً تقوم أجهزة الأمم المتحدة

بتوجيه ٧٠% منها لتزويد الشعب العراقى بحاجته من الغذاء والكساء والدواء، وتوجه الـ ٣٠% الباقية لتعويض الدول والهيئات والأفراد المتضررين من عدوان العراق على الكويت ١٩٩٠. هذا بالإضافة إلى السماح للعراق ببيع ما قيمته ٧٠٠ مليون دولار سنوياً للأردن من النفط. إلا أن النظام العراقى رفض تنفيذ هذا القرار لمجلس الأمن (رقم ٩٨٦) إلا فى عام ١٩٩٦ بعد ست سنوات من معاناة شعبه، حتى تستمر متاجرته بآلام هذا الشعب سياسياً وإعلامياً، والغريب فى هذا الأمر أن النظام العراقى عندما نفذ قرار مجلس الأمن المشار إليه نفذه بنفس شروطه السابقة ودون أدنى تعديل، مما يدل على جهل وغباء متخذ القرار العراقى، وعدم حرصه على مصالح شعبه.

- ولا تتوافر أرقام دقيقة عن مبيعات النفط العراقى التى تتم عن طريق التهريب عبر الدول المجاورة، ولا عن قيمة المشتقات البترولية التى تنقلها مئات الشاحنات يومياً عبر الحدود العراقية-التركية، حيث تقدر قيمة النفط المهرب عبر الحدود مع تركيا بحوالى ٦٠٠ مليون دولار سنوياً، يذهب منها ١٢٠ مليون دولار إلى صدام حسين. وتؤكد مصادر ملاحية دولية أن النظام العراقى استطاع خلال عقد التسعينات أن يبنى شبكة تهريب تضم نحو ١٥٥ سفينة نقل نفط متعددة الأحجام تعمل بصورة منتظمة وعلى مدار الساعة ما بين سواحل العراق وثلاث محطات رئيسية فى كل من باكستان والهند وشرق أفريقيا. وقد أسفرت مغامرات التهريب ومطاردة القوات البحرية الدولية عن غرق ٤٥ سفينة محملة بالنفط العراقى المهرب. ويقدر حجم عمليات التهريب التى جرت من وراء ظهر قرارات مجلس الأمن بحوالى ١٥ بليون دولار، الأمر الذى أثار دهشة المراقبين المحايدين عن مصير هذه العائدات المتدفقة على خزائن صدام حسين خلال سنوات الحصار، ما دامت لا تستخدم فى توفير الطعام والدواء للشعب العراقى.

- وقد كشفت عن هذه الحقيقة صحيفة أخبار اليوم القاهرية فى ١٩٩٥/٣/١١، حيث أوضحت أن ثروة صدام حسين قد تضخمت خلال سنوات الحصار بصورة مذهلة، وأن أكثر التقديرات تواضعاً تشير إلى أن هذه الثروة بلغت ٣٥ بليون دولار، جمع معظمها من الاستيلاء على ٥% من عائدات مبيعات النفط منذ عام ١٩٦٨، خصصها لنفسه وأسرته. ويشير تقرير لوزارة الخارجية الأمريكية أن صدام يحصل على بليون دولار سنوياً من مبيعات نفط خارج برنامج الأمم المتحدة. وكان الكونجرس قد نشر نتائج تحقيق أجراه فى ٢٠٠٢/٥/٢٩ أكد أن النظام الصدامى حقق أرباحاً سرية تصل إلى ٦,٦٠ مليار دولار من تهريب النفط فى سنة ٢٠٠١، وأن هذه الأموال مودعة فى مصارف عدد من دول العالم بما فيها الولايات المتحدة، كما يساهم صدام بأمواله فى عدد من المشروعات الصناعية والتجارية الضخمة فى معظم دول العالم الصناعية الكبرى، خاصة وأن قرارات تجميد الأموال العراقية لم تمس دولاراً واحداً من بلايين صدام حسين وأسرته، بحجة أن قرار التجميد ينصب على الأموال العائدة للحكومة العراقية فقط، ولا يجمد الأموال الخاصة بالأفراد، هذا إلى جانب صعوبة التوصل إليها لكونها بأسماء أخرى.

- ولم يقتصر الأمر على الاستيلاء دون وجه حق على عائدات النفط، بل ذهب النظام العراقى إلى ما هو أبعد من ذلك بالاستيلاء على المعونات الإنسانية والتبرعات الدولية التى تقدمها الهيئات والمؤسسات الإنسانية لتوفير ما يحتاج إليه الشعب العراقى من مقومات الحياة الأساسية خاصة الغذاء والدواء، وهو ما كشفت عنه صحيفة (صانداى تايمز) فى ١٩٩٥/١/٨ تحت عنوان "صدام حسين ينهب مليون دولار من المعونات التى قدمها لورد آتشر" حيث أثبتت الصحيفة أن المدعو سعدون التكريتى الذى يرأس هيئة الهلال الأحمر العراقية، وأحد أعوان صدام، قد قام باختلاس مليون دولار من عقود المساعدات الإنسانية المخصصة للأكراد، والتى يشرف علها الكاتب البريطانى المعروف لورد آتشر. ونقلت الصحيفة عن مصادر فى المنظمات الدولية العاملة فى حقل المساعدات الإنسانية أن عدداً من الشركات الخاصة ذات العلاقة الوثيقة بالنظام العراقى قد استفادت من العقود المبرمة بأموال التبرعات الدولية المخصصة لإمداد الأكراد بالوقود المنزلى، وأن كثيراً من الشاحنات المحملة بمواد الإغاثة كانت تتجه إلى معسكرات الحرس الجمهورى ومقار زعماء العشائر الموالين للنظام.

- وفى الوقت الذى يواصل فيه النظام العراقى وأجهزة دعايته العزف على مقولة معاناة الشعب العراقى وافتقاره إلى الغذاء والدواء، وتعرض مئات الألوف من أفراد الشعب للموت والمرض بسبب العقوبات المفروضة عليه، كان صدام حسين وأعوانه يرفلون فى حياة منعمة بكثير من مظاهر الترف والبذخ والإسراف، وإنفاق المليارات على تشييد القصور الفاخرة التى تفوق فى ضخامتها وبذخها القصور التاريخية الشهيرة لحكام العصور الوسطى. يكشف عن هذه الحقيقة التقرير الأسبوعى (فورين ريبورت) الصادر عن الإيكونوميست فى عددها ٢٢٤٣ بتاريخ ١٩٩٥/٣/١٦. حيث أجرى تحقيقاً حول القصور التى شيدها النظام العراقى فى ظل العقوبات والحصار، فيقول التقرير: "قام النظام العراقى ببناء ٣٩ قصراً جديداً، وتجديد عدد من القصور القديمة منذ أزمة الخليج ١٩٩٠، وقد أنفق على هذه القصور حوالى ١,٢ بليون دولار". ثم يمضى التقرير كاشفاً التفاصيل فيذكر أنه كان لدى النظام العراقى ١٩ قصراً فاخراً قبل حرب عام ١٩٩٠، وبعد الحرب تم بناء ١٣ قصراً فى بغداد والمناطق المحيطة بها، و ٣ قصور فى تكريت، و٣ مجمعات قصور بالقرب من مدينة بابل، ومنتجع فخم يضم عدة قصور على مساحة ٢٠ ألف فدان بالقرب من البصرة يعد أكبر من قصر فرساى فى باريس. أما قصر بحيرة الثرثار فهو أكبر خمس مرات من البيت الأبيض فى واشنطن. أما القصر الجمهورى وسط بغداد فقد تضاعف حجمه ثلاث مرات بعد الحرب. وقد بلغت تكاليف مجمع قصور الموصل وحده ٢٣٠ مليون دولار، ومجمع قصور الثرثار ٢٤٠ مليون دولار. وقد تلقت لجنة العقوبات التابعة للأمم المتحدة المسئولة عن إصدار تراخيص الاستيراد للنظام العراقى، طلبات استيراد من أركان النظام تخص هذه القصور تتضمن رخام إيطالى فاخر، وتجهيزات نافورات صناعية، وغير ذلك من مستلزمات القصور الفاخرة، وهو ما رفضته اللجنة، إلا أن النظام العراقى وجد طرقاً أخرى للحصول عليها بأسعار تفوق أسعار السوق عدة مرات حيث بلغت تكاليف استيراد معدات تحدث شلالات صناعية فى منتجع بحيرة الثرثار وحده حوالى ٢ مليون دولار. وهكذا تذهب أموال برنامج

النفط مقابل الغذاء بدلاً من تحسين شبكة المياه والمجارى المنهارة فى بغداد. هذا ناهيك بالطبع عن طلبات استيراد الخمور والكافيار والملابس الفاخرة وفراء النساء .. الخ. وإذا كان صدام حسين يملك أكثر من أربعين قصراً - وهو ما اعترف به النظام نفسه - ألا يكفى بيع قصر واحد من هذه القصور، أو اليخت الخاص به والذى يقدر ثمنه بعشرين مليون دولار، لإنقاذ أطفال العراق من الجوع والموت، هذا فيما لو أراد صدام، ومع افتراض إفلاس صدام حسين، وهو ما ليس بصحيح، حيث يعد خامس أغنى رجل فى العالم. ولكنه لا يريد حتى تستمر متاجرته إعلامياً بآلام ومعاناة شعب العراق.

احتفالات أعياد ميلاد صدام (١٠٨)

- تثير احتفالات النظام العراقى بعيد ميلاد صدام حسين التى تقام فى إبريل من كل عام، استياء العديد من الجهات المعنية بالشأن العراقى، سواء على الساحة العربية أو الدولية، حتى أولئك المتعاطفين مع العراق فى محنته والساعين إلى تأهيله وتطبيع العلاقات معه. حيث يصدمهم هذا التناقض فى المواقف بين ما يدعيه نظام بغداد ويتباكى عليه من موت الأطفال وكبار السن بدعوى نقص الدواء وقلة الغذاء، وبين مظاهر الإسراف والبذخ التى يمارسها أركان هذا النظام وأزلامه، مما يجعل المتعاطفين مع العراق عاجزين عن إيجاد تفسير منطقى لهذه التصرفات الرعناء، وتلك الاحتفالات التى لا تتناسب مع ما يعانيه الشعب العراقى المغلوب على أمره، وما تمر به الانتفاضة الفلسطينية من محنة.

- فعلى مدار الأسبوع الأخير من إبريل ٢٠٠٢ شهدت مدن العراق لاسيما تكريت مسقط رأس صدام حسين احتفالات مستمرة كرست وسائل الإعلام العراقية كل جهودها لإبرازها وتضخيمها متحدثة عن (مآثره البطولية) وعن جوانب من حياته الأسطورية. فبجانب المسيرات الشعبية والاستعراضات العسكرية، وإقامة ٣٤٠ صورة وجدارية جديدة عملاقة لصدام، إضافة لثلاثة ملايين تمثال وجدارية وصورة أخرى قديمة تشغل كل ركن فى العراق، وبجانب الاحتفالات الفنية التى أقيمت حتى الساعات الأولى من الصباح، و (الكيكة الضخمة) التى قطعها عزت إبراهيم نائب صدام (ليأكل منها الشعب العراقى)، وهو ما تقدر تكاليفه بحوالى ٥٠ مليون دولار، فقد ذهل المراقبون فى العالم العربى من اقتراح سخيف طالعتنا به مجلة (الزوراء) البغدادية، الناطقة بلسان عدى نجل صدام، باعتبار يوم الثامن والعشرين من إبريل عام ١٩٣٦ بداية للتاريخ !! أى أن مولد هذا الطاغية يجب فى رأى هذه الصحيفة أن يكون بداية التقويم العربى، أو للبشرية جمعاء !! وهذا الاقتراح الذى تندر به الجميع، إنما يدل فى الحقيقة على طبيعة التفكير العقيم الصادر عن عقلية مريضة بالنفاق تعكس التوجه السياسى والإعلامى العام فى العراق نحو تمجيد وتأليه شخص صدام حسين الذى لم يجلب للعراق على مدار سنوات حكمة الثلاثة والثلاثين سوى الخراب والدمار والفقر والجوع والمرض، بجانب إذلال شعبه وجيشه، ناهيك عن اعتداءاته المتكررة على جيرانه.

- لقد صدقت الجمعية الوطنية العراقية لحقوق الإنسان عندما استنكرت فى بيانها الصادر من عمان مؤخراً ما أعلنته وسائل الإعلام العراقية دون حياء أو أدنى شعور بالخجل عن "تخصيص ٢٥ مليار دينار عراقى لإنفاقها على احتفالات ذكرى ميلاد رئيس النظام. هذا فى الوقت الذى تشير فيه جميع التقارير الدولية أن ما يجرى فى العراق هو كارثة إنسانية كبرى يدفع ثمنها ملايين العراقيين من الضحايا الأبرياء. وبرغم ذلك نجد طاغية العراق يحتفل بذكرى ميلاده المشئوم وينفق المليارات على هذه الاحتفالات دون مراعاة مشاعر الشعب العراقى الذى يواجه الموت جوعاً وفقراً واضطهاداً بفعل الديكتاتورية البغيضة التى أقام ركائزها بالحديد والدم والنار ربيب الصهيونية صدام حسين". وكشف بيان الجمعية العراقية المعارضة أنه خلافاً لما يعلن فى أبواق إعلام نظام بغداد فإن العراقيين يعتبرون يوم مولد صدام يوم شؤم وشر وحزن ونكد لأنه يمثل المهزلة التى لم يمارسها أى طاغية قبل صدام فى العالم أجمع. كما أشار البيان أنه فى الوقت الذى يتباكى فيه المجرم صدام على أطفال العراق، فإن الأوساط الاقتصادية تؤكد أنه بدَّد منذ عام ١٩٩١ وإلى الآن أكثر من ٢٠٠ مليار دينار عراقى تكفى لتغطية نفقات مشاريع مهمة ومصيرية بالنسبة لشعب العراق. كما حمل بيان الجمعية بشدة على المجلس الوطنى العراقى (البرلمان)، وقال أن مثل توصية باعتبار عيد ميلاد صدام عطلة ويوماً وطنياً، ليست إلا تجاوزاً على قيم ومشاعر الشعب العراقى الذى يعرف جيداً عدم شرعية هذا المجلس الذى لا يمثل الشعب فى اتخاذ أى قرار، وإن دل على شئ، فإنما يدل على عزلة هذا النظام الحاكم فى العراق عن الشعب.

- ومن الأمور المثيرة للشفقة والسخرية معاً جدارية ضخمة من السيراميك أطلق عليها (فرسان من سفر الرؤية) نشرتها صحيفة الإندبندنت البريطانية، تمثل صدام حسين ممتطياً جواده وإلى جانبيه فارسان هما نجليه عدى وقصى !! ومن مظاهر الإنفاق البذخى أيضاً الذى يحاول صدام حسين من خلاله على نفسه الصفة الدينية، قيامه ببناء ما قيل أنه أكبر مسجد فى العالم، به أعلى مئذنة (٢٨٠ متراً) لينافس به مسجد الدار البيضاء فى المغرب!! وهكذا ينفق صدام أموال الشعب العراقى فى محاولات ليصنع من نفسه (زعيماً مقدساً) بعد أن نجح فى تحويل العراق إلى دولة صدام.

المتاجرة بآلام الشعب العراقى، بينما تهرب الأدوية والأغذية إلى الخارج (١٠٩)

- وفى الوقت الذى يطالب فيه النظام الصدامى برفع الحصار الاقتصادى، ويقرن مطالبته بضرورات إنسانية تتعلق بالأطفال الذين يموتون جوعاً حسب ادعاءاته، ويملأ الدنيا صراخاً وادعاءً بأن السعودية والكويت مسئولان عن تجويع الشعب العراقى اكتشف فى ٢٠٠٠/٨/١٧ ما يؤكد بالدليل الملموس كذب هذه الادعاءات، وأن هذا النظام هو المسئول عن تجويع الشعب العراقى وقتل أطفاله. ففى هذا التاريخ صادرت السلطات الكويتية سفينة هندية (نورانى) قادمة من ميناء البصرة العراقى ومتجهة إلى ميناء دبى، ولكنها ضلت الطريق ودخلت المياه الإقليمية الكويتية، وكانت تنقل ٢٥٠ طناً من حليب الأطفال والقطن والبودرة ورضاعات الأطفال. وقد اعترف ربان الباخرة الهندى (حميد صادق حسين) بانه

يعمل لمصلحة تاجر عراقى يدعى (نبيل القيس)، وأن تحميل السفينة بهذه المواد تم تحت إشراف السلطات العراقية وبتصريح كتابى منها، وأكد أن هذه الشحنة ليست الأولى التى ينقلها من العراق محملة بمثل هذه المواد، ولكنها المرة السابعة والتى ينقل فيها شحنات مماثلة إلى موانئ دول أخرى فى الخليج وإلى الهند. وقد اعترف ضابط بحرى عراقى كان على متن هذه السفينة ويدعى (فيصل عبد الحسين) أن هذه البضاعة والأغذية يباع منها القليل فى محلات التجار فى البصرة والعمارة، أما الكمية الأكبر فيتم شحنها على البواخر لبيعها لتجار فى الخليج، وبعضها يشحن براً إلى الأردن. وبفحص بعثة (يونيكوم) التابعة للأمم المتحدة لهذه المعلبات من الألبان الجافة والسائلة، تبين أنها أجنبية الصنع، ولم يتعد تاريخها سنة كشف هذه الفضيحة، وهو ما ينفى مزاعم النظام العراقى للدفاع عن نفسه عندما انكشفت حقيقة متاجرته بآلام شعبه، مدعياً بأن هذه الشحنة كانت معادة للجهة التى قدمت منها بعد رفضها لعدم صلاحيتها !!

- وتشكل هذه الفضيحة وصمة عار أخرى فى جبين النظام الصدامى الحافل بوصمات العار عبر تاريخه الأسود منذ أكثر من ثلاثة عقود ابتلى فيها شعب العراق بحكم هذا النظام. كما تضيف هذه الحادثة ورقة جديدة إلى سجله الحافل بالأكاذيب التى نجح للأسف أن يخدع بها الرأى العام العربى طويلاً، حيث دأبت وسائل الإعلام العراقية على اتهام الأمم المتحدة والكويت والسعودية بأنهم وراء معاناة أطفال العراق وموتهم بسبب نقص الغذاء والدواء، فى حين تثبت هذه الفضيحة مسئولية النظام نفسه عن هذه المعاناة.

- إن هذه السفينة التى تحمل ٢٥٠ طن مواد غذائية وأدوية، وبما أنها تقوم بالرحلة لسابع مرة فى ذاك العام، فإن هذا يعنى أنها نقلت حوالى ١٥٠٠ طن من مواد الأطفال طوال الشهور المنصرمة من هذا العام، فكم يا تُرى يبلغ إجمالى حمولة كل السفن التى فعلت ذلك دون أن يقودها حظها العاثر لدخول المياه الإقليمية الكويتية؟! وكم تبلغ الحمولات منذ نحو عشر سنوات أو أكثر؟! إن المتابع لما يجرى على الساحة العراقية لم يفاجأ بأنباء هذه الفضيحة الجديدة، فقد كانت الأدلة تتجمع الواحدة تلو الأخرى لتؤكد لديه أن النظام العراقى لم يكن فى يوم من الأيام، ولن يكون، حريصاً على شعبه، بل يحرص على استخدام الأطفال ورقة سياسية للوصول إلى أهداف نهائية لفك الحصار السياسى والاقتصادى عنه، والهروب من العزلة الإقليمية والدولية المفروضة عليه منذ عدوانه على الكويت فى ١٩٩٠، فى حين أنها ورقة رخيصة يُعرِّض فيها أطفال العراق للموت الحقيقى، فى الوقت الذى يتهم فيه المسئولون العراقيون السعودية والكويت بمسئوليتهما عن إطالة أمد معاناة العراقيين. بينما تؤكد الوثائق الدولية مسئولية النظام العراقى عن هذه المعاناة.

- إن عمليات تهريب الأدوية والمواد الغذائية تتم فى العراق عن طريق السوق السوداء التى يتحكم فيها النجل الأكبر لصدام حسين (عدى) ورفاقه فى الحزب، وتحت إشراف منظمة (فدائيو صدام)، وهو ما يفسر اختفاء الأدوية من المستشفيات وظهورها فى السوق السوداء بأضعاف ثمنها. حيث يستغل صدام

وزمرته منافع برنامج النفط مقابل الغذاء فى تهريبها عبر دول الجوار والمسافرين والشاحنات والسفن، تحت غطاء الاستخدام لتوريد مواد غذائية من الدول المجاورة، وذلك بهدف جمع الأموال لدعم نظامه المتداعى وتحقيق أغراضه السياسية التى تتصف بالعدوانية، متجاهلاً فى ذلك معاناة شعبه. فقد سبق هذه الحادثة أن اعترضت سفن التحالف التى تطبق العقوبات الدولية المفروضة على العراق، سفينة أخرى (إم فى/مينيمارى) وعلى متنها حمولة ٢٠٠٠ طن مترى من الأرز وغيره من المواد التى كانت مصدرة من العراق، وذلك للحصول على العملة الحرة بدلاً من استخدامها لمساعدة الشعب العراقى. كما تم العثور على حليب الأطفال الذى بيع للعراق من خلال برنامج النفط مقابل الغذاء موجوداً فى الأسواق فى جميع أنحاء منطقة الخليج، الأمر الذى يؤكد أن النظام الصدامى يحرم شعبه من السلع التى هو بأمس الحاجة إليها حتى يتسنى له تحقيق الأرباح غير المشروعة، والمتاجرة بآلام هذا الشعب دعائياً. لاسيما وأن وسائل الإعلام العراقية تتعمد التغافل عن حقيقة مهمة وهى أن الأمم المتحدة اطلقت يد النظام الصدامى فى تصدير كل ما يريد تصديره من النفط دون حد سقفى، ولكن مع اشتراط سيطرة الأمم المتحدة على عائداته حتى لا تذهب إلى برامج التسلح التى يهدد بها النظام الصدامى جيرانه. وبذلك أصبحت عائدات نفط العراق فى السنوات الأخيرة تفوق حجم عائدات النفط التى كان يحصل عليها العراق أثناء الحرب العراقية-الإيرانية.

- ومما يؤكد كذب وخداع النظام العراقى، وتضليله للرأى العام العربى، أنه أعلن فى عام ١٩٩٤ أن معدل الأطفال الذين يموتون فى العراق هو ٥٠٠٠ طفل فى الشهر (٦٠،٠٠٠ طفل فى العام)، ثم بعد تنفيذ برنامج النفط مقابل الغذاء وتوافر من ٢-٥ مليار دولار لهذا الغرض كل ستة أشهر، يعلن مسئولوا هذا النظام أن معدل الوفيات ارتفع إلى ٧٠٠٠ طفل فى الشهر، فى حين أنه من المفروض أن يقل معدل الوفيات ولا يزيد كما يزعم النظام العراقى.

الأمم المتحدة تكشف مسئولية النظام العراقى عن تجويع شعبه [١١٠]

- أثبتت مصادر الأمم المتحدة المسئولة عن برنامج النفط مقابل الغذاء أنه منذ بدء هذا البرنامج فى عام ١٩٩٦ لم يطلب النظام العراقى إمدادات غذائية إلا بمبلغ ١,٧ مليون دولار فقط، أى أقل من ٧% من المبلغ الذى خصصته الأمم المتحدة لهذا الغرض، وهو ٢٥ مليون دولار. كما أوضحت نفس المصادر أن الحكومة العراقية لديها أيضاً أدوية وأدوات طبية قيمتها ٢٨٧مليون دولار فى المخازن، وهو ما يعادل نصف مجمل ما طلب منذ بدء البرنامج. كما ذكر (كوفى عنان) فى تقريره إلى مجلس الأمن فى ٩٩/٨/٢٤ أن مبيعات العراق من النفط وصلت إلى ما يعادل ٦مليار دولار وهو مبلغ تجاوز الحد المسموح به دولياً وهو ٥,٢ مليار، ويقارب متوسط انتاجه السنوى قبل فرض العقوبات.

- وقد كشف تقرير صادر عن منظمة (يونيسيف) لرعاية الطفولة، والتابعة للأمم المتحدة فى جنيف عن مسئولية النظام العراقى حول ارتفاع الوفيات بين الأطفال العراقيين. حيث ذكر التقرير أن وضع

الأطفال في شمال العراق حيث تتولى الأمم المتحدة الإدارة المباشرة لإيصال الأغذية والأدوية وتوزعها على السكان قد تحسن كثيراً، فقد تدنت نسبة الوفيات بينهم بنسبة كبيرة (٢٢%) عن المناطق الأخرى في الجنوب التي يسيطر عليها النظام العراقي، وهو ما يثبت أن وفيات الأطفال تعتبر مسئولية النظام وليس تأثير العقوبات.

- كما أفادت مصادر الأمم المتحدة في ١٩٩٩/٨/١٤ أيضاً أنه خلال الفترة ما بين يونيو ونوفمبر من عام ١٩٩٨ خصصت السلطات العراقية مبالغ أقل من المراحل السابقة للإمدادات الغذائية للأطفال والمرضعات والحوامل. وأضافت هذه المصادر: "أن هذا الأمر يمثل لغزاً لنا، فما هو سبب حرص الحكومة العراقية على عدم توفير تلك الإمدادات الغذائية لشعبها بينما توجد أموال كثيرة في البرنامج، كما يتوافر قدر كبير من السلطة للحكومة لطلب كل تلك الإمدادات الغذائية المطلوبة.. إن كمية الأموال المتدفقة على البرنامج في أعلى مستوى لها"!!. وبجانب حرص النظام العراقي على عدم توفير الكميات اللازمة لشعبه من الغذاء والدواء رغم توافر مبلغ ٢٥ مليون دولار تحت تصرفه لهذا الغرض، فقد أهمل أيضاً تقديم طلبات للحصول على معدات لتحسين إمدادات وشبكات الصرف الصحي في ذات الوقت الذي تئن فيه المستشفيات العراقية من ندرة المياه الصالحة للشرب للنقص في معدات الضخ.

- وقد أكد تقرير (يونيسيف) أن بغداد كما أنفقت جزءً بسيطاً للغاية مما هو مرصود لها لأغراض الدواء، فقد امتنعت أيضاً عن تخصيص مزيد من المبالغ للرعاية الصحية للمواليد والأمهات، وعن الاستجابة لتوصيات مسئولي الأمم المتحدة في هذا الشأن، بل إن مسئول الأمم المتحدة عن برنامج النفط مقابل الغذاء (بينون سيفان) أبلغ مجلس الأمن أخيراً أن المعونات الطبية التي وصلت العراق ظلت مخزنة في المستودعات !!

- كما يتعمد النظام العراقي تعطيل الموافقة على عقود شراء المواد الغذائية، ففي عام ١٩٩٧ تعمد هذا النظام تعطيل عقود شراء مواد غذائية قيمتها ٢٠٠ مليون دولار. حيث طالبت الحكومة العراقية عدم تقديم ثمن العقود إلى لجنة العقوبات لدراستها، كما خففت أيضاً حجم مشترياتها من السلع الغذائية في مقابل تكريس موارد من برنامج النفط مقابل الغذاء لقطاعات أخرى في الدولة لا علاقة لها باحتياجات الشعب الأساسية، منها مستلزمات القصور الجديدة. لذلك أصرّ كوفي عنان على وضع برنامج لتوزيع الغذاء بصورة تلبي احتياجات المجموعات الأكثر تعرضاً للضرر في العراق، ولكن الحكومة العراقية رفضت من جديد هذا البرنامج رغم أن أكثر من٩٥% من أصل ١٦٠٠ طلب شراء سلع إنسانية تمت الموافقة عليها.

- كذلك أفادت نفس المصادر أن العديد من حالات التأخير في الموافقة على العقود نجمت بصورة مباشرة عن رفض بغداد أتباع الإجراءات التي تم الاتفاق عليها من قبل، والامتناع عن بيع النفط عدة مرات، رغبة في تحميل الأمم المتحدة مسئولية ذلك. ومما يؤكد دأب النظام العراقي على افتعال العراقيل مع

الأمم المتحدة فى هذا الصدد، أنه أعلن فى عام ١٩٩٧ عن تخفيف حصص حليب الأطفال وزيت الطهى ومواد أخرى أساسية بدعوى أنه لم يتلق إمدادات كافية منها، فى ذات الوقت الذى كان يعرقل فيه إجراءات وصولها، وكانت مخازنه مملوءة منها. وعندما واجهته الأمم المتحدة بهذه الحقيقة زعم مسئولوا النظام أنه لا يوجد لديهم وسائل النقل الكافية لتوزيع هذه المواد على الشعب، فى حين يجد هؤلاء المسئولون وسائل النقل الكافية لنقل قوات الأمن وميليشيات (فدائيوا صدام) لضرب جماهير الشعب المتذمرة فى مدن البصرة والعمارة وغيرها فى جنوب العراق، وشن هجمات دموية ضد الأكراد فى مدن الشمال كما حدث فى عام ١٩٩٦.

- كما أوضح تقرير آخر صدر عن الأمم المتحدة فى منتصف عام ٢٠٠١ أنه خلال رحلة الستة أشهر المنتهية من برنامج النفط مقابل الغذاء (يونيو-ديسمبر ٢٠٠٠) أهمل النظام الصدامى فى توفير الإمدادات اللازمة للشعب العراقى واقتصاد البلاد.. فقد كان مبلغ ٧,٨ مليار دولار متوافراً للعراق لغرض المشتروات خلال تلك الفترة، ولكن العراق قدم طلبات شراء بقيمة ٤,٢٦ مليار دولار فقط - أى بالكاد ٥٤% من المبلغ المتوفر لذلك، كما اتضح للعيان فى قطاعات أساسية للاقتصاد العراقى إهمال نظام صدام لخير الشعب العراقى ورفاهيته، بالرغم من القلق الدولى على صحة العراقيين واحتياجاتهم الغذائية. فأن مجموع قيمة الطلبات القدمها النظام العراقى لشرائها فى القطاع الصحى كان ٨٣,٦ مليون دولار، بينما المخصص لهذا القطاع من الأمم المتحدة ٦٢٤,٧ مليون دولار، وهو ما يعنى أن النظام العراقى أنفق فقط حوالى ١٣% من الأموال المتوافرة للوازم الصحية التى كان بمقدوره شراءها. وفى القطاع التعليمى قدم النظام العراقى طلبات بـ٢١,٥ مليون دولار لشراء لوازم تعليمية بينما المخصص لهذا القطاع ٣٥١,٥ مليون دولار، أى أقل من ٦% من الأموال المتوافرة للقطاع التعليمى. نفس الأمر فى قطاع خدمات المياه والصرف الصحى، حيث قدم النظام طلبات لشراء معدات فى هذا القطاع بـ١٨٤,٧ مليون دولار من مجموع ٥٥١,١ مليون دولار مخصصه لهذا القطاع، وفى قطاع النفط طلب النظام العراقى شراء قطع غيار ومعدات قيمتها ٢٢,٧ مليون دولار فقط، فى حين أن المخصص للقطاع النفطى ٦٠٠ مليون دولار، أى أنه طلب ما نسبته ٣% فقط من المتوافر لهذا القطاع. وأكد التقرير أنه يوجد مبلغ يزيد على أربعة مليارات دولار متوافرة فى حساب الأمم المتحدة الخاص بالحكومة العراقية لشراء لوازم واحتياجات إنسانية يحتاج إليها الشعب العراقى احتياجاً ماساً، ويدعى النظام العراقى أنه لا يمكنه أن يحصل عليها بسبب العقوبات الاقتصادية، ولقد كان من جراء خفض العراق صادراته من النفط أن خسر ما قيمته ١,٤ مليار دولار. كما أوضح تقرير الأمم المتحدة أن إصرار بغداد على تقاضى أثمان نفطه المباع بعملة اليورو الأوروبية عوضاً عن الدولار الذى يعتبر العملة الدولية للتداول النفطى، قد أدى إلى خسارة العراق حوالى ٣٠٠ مليون دولار نتيجة رسوم التحويل وخسارته للفوائد. وجاء فى ختام التقرير أنه بينما تقوم عدة دول فى العالم بجهود مكثفة من أجل الحد من عزلة العراق الدولية، إلا أن عدم قيام النظام العراقى بأى عمل خلال الستة أشهر المشار إليها يتجاوب به مع هذه الجهود، يبنى بوضوح أنه لا يقيم وزناً ليس فقط لهذه الجهود الدولية

والمبادرات الدولية، بل إنه لا يعير أى اهتمام للشعب العراقى نفسه، وهو ما يتمثل فى اعتراضه على جهود الأمم المتحدة التى تبذل لتوفير المساعدات الضرورية لهذا الشعب، ويبقى السبب الرئيسى للمعاناة فى العراق.

- ورغم أن الشعب العراقى يعتمد فى غذائه على الاستيراد من الخارج بنسبة حوالى ٨٠%، فإنه كان من المفروض أن يسعى النظام الحاكم إلى التوسع فى عمليات الزراعة، خاصة مع توافر الأراضى الصالحة والمياه، إلا أنه على العكس من ذلك تعمد هذا النظام الاستمرار فى غمر المناطق الزراعية فى جنوب ووسط العراق بالمياه لإتلاف المحاصيل الزراعية لمعاقبة العشائر المتذمرة من السياسات والممارسات الإرهابية لأجهزة الأمن فى العراق.

- فهل يختلف ما جاء فى تقارير الأمم المتحدة عن ما سبق أن أعلنه الرئيس حسنى مبارك فى يناير ١٩٩٨ أبان عملية (ثعلب الصحراء)، من أن القيادة المصرية أبلغت الحكومة العراقية أنها قررت إرسال ثلاث شحنات من الأدوية والأغذية للشعب العراقى بالطائرات، فأجابت بغداد بالرفض، وأن لديها مخزونات ضخمة من الأدوية والأغذية فوق حاجة الشعب العراقى، ولكنها تريد دعماً سياسياً ؟؟ أضف إلى هذا واقعة أخرى أشد غرابة، وتؤكد بما لا يدع مجالاً لأى شك حرص النظام العراقى على إبقاء شعبه جائعاً حتى يستغله فى المتاجرة سياسياً بآلامه من أجل خداع السذج فى العالم العربى، وكسب تعاطفهم وتأييدهم السياسى. فرغم الهبوط فى إنتاج المواد الغذائية بسبب الجفاف، فقد قام النظام العراقى فى الآونة الأخيرة بتصدير ٢٠٠٠ طن من الأرز عن طريق الخليج، وكان من المتوقع والبديهى أن يحرص هذا النظام على الاحتفاظ بهذا المحصول ليستخدمه لصالح شعبه، كما رفض منحة قدرها مليون دولار من الهيئة الدولية للصليب الأحمر لتحسين الأوضاع المعيشية والصحية لشعبه !!

- ورغم كل هذه الحقائق، فإن النظام الصدامى إمعاناً فى خداع الرأى العام العالمى، والعربى منه على وجه الخصوص، لا يزال يعتمد الحملات الإعلامية التى تصور مواكب نعوش الأطفال العراقيين التى يتقدمها طه يس رمضان نائب صدام حسين، وهى نعوش فارغة كما شهد بذلك بعض العراقيين الذين ساهموا فى هذه المسرحيات الهزلية، بل لقد وصل الأمر إلى اعتراف إحدى الأمهات العراقيات بعد هروبها إلى الأردن أن رجال الأمن العراقيين كانوا يذهبون إلى المستشفيات لنزع أجهزة التنفس عن الأطفال قبل وصول الزوار الأجانب، حتى يشاهدون أطفالاً موتى بالفعل !!

- لقد تأكد للكثير من العراقيين أن صدام حسين هو آخر من يذرف دمعة شفقة على شعب العراق، بل ذهب البعض منهم إلى القول بأن صدام هو أول من يتمنى الإبقاء على الحصار المفروض على العراق، لأنه يستفيد منه سياسياً داخلياً وخارجياً، حيث يحرمه رفع الحصار من الورقة الوحيدة الباقية لديه، والتى يستخدمها فى إذلال شعبه واستنزاف جهده وفكره ووقته فى البحث عن قوت يومه وإطعام أسرته وعلاج أولاده، فى ذات الوقت الذى يستقطب فيه تعاطف وتأييد حكومات وشعوب عربية وإسلامية

وأوروبية، كما يعطيه المبرر فى عدم تنفيذ قرارات الأمم المتحدة، خاصة تلك المتعلقة بنزع أسلحة الدمار الشامل، والتى تعتبر شرطاً أساسياً لرفع العقوبات، وهى ما يعنى حرمانه من (الكنز) الذى يهدد ويبتز به دول العالم لاسيما جيرانه فى الدائرة الشرق أوسطية، والذى أنفق عليه أكثر من ١٥٠ بليون دولار.

- وقد أثار انخداع الكثير من الدول العربية والإسلامية فى الدعاية الصدامية التى تتاجر بآلام الشعب العراقى، المعارضة العراقية فى الخارج والمدركة لحقيقة مهمة وهى أن النظام الصدامى لاغيره هو المتسبب الأول والأخير لما يحدث للشعب العراقى، وأنه ما زال يمارس انتهاكاته المحلية والدولية وسطوة القتل والطغيان والفساد التى لا يبدو أنها ستتوقف طالما النظام الصدامى البعثى هو الذى يدير الحكم هناك. لاسيما وأن التعاطف الذى تبديه بعض الدول العربية والإسلامية، مبنى فى الحقيقة على المصالح السياسية والاقتصادية بالدرجة الأولى قبل مصلحة الشعب العراقى، الأمر الذى اضطرت معه المعارضة العراقية فى الخارج إلى إصدار بيان فى يوليو ٢٠٠٠ فى شكل رسالة مفتوحة موجهة إلى إحدى الحكومات العربية قالت فيه: "إن الدعوة إلى إعادة الاعتبار لهذا النظام تعنى القبول باستمرار ظلم الشعب العراقى، والاعتراف بنظام يقتل شعبه ومنحه شهادة حسن سلوك رغم أخطائه القاتلة .. إننا نشكر دعواتكم لرفع المعاناة عن الشعب العراقى، إلا أن هذه الدعوات تتجاهل الأسباب الحقيقية للمعاناة" !! لذلك فإنه من الخطأ الجسيم قيام بعض الدول والهيئات العربية والإسلامية بالمزايدة على حب الشعب العراقى، وأن نتجاهل حقيقة أن "أهل مكة" وما يملكونه من معلومات واقعية تحدث لأهاليهم وشعبهم فى الداخل، كونهم الأقرب والأعلم، ولأن المزايدة على ذلك تعنى خنق الشعب العراقى واستمرار الحصار الاقتصادى عليهم. وكان الأجدر بمن يريدون إنقاذ الشعب العراقى حقاً أن يبتعدوا عن الاقتراحات (التجارية) الداعية إلى تطبيع العلاقات مع النظام الصدامى، وأن يستبدلوا ذلك بمبادرات حقيقية تدعو هذا النظام الدموى الديكتاتورى إلى احترام تعهداته، ووضع رقابة دولية أو حتى عربية عليه لمنعه من الانفراد بالرأى الديكتاتورى الواحد وتصفية أفراد شعبه، هذا إذا كنا مخلصين فى خوفنا على الشعب العراقى.

الصراع فى عائلة صدام على نهب أموال الشعب [(١١١)]

- لم يكن الصراع بين أطراف عائلة صدام خافياً على أحد من المراقبين لتدهور الأحوال الداخلية فى العراق، وإن كان النظام الصدامى حريصاً على إخفاء معالم هذا الصراع، حتى تفجرت أزمة هروب صهرى صدام حسين وابنتيه إلى الأردن فى ١٩٩٥/٨/٨، وهما حسين كامل وزير الصناعات الحربية والدفاع وأخيه صدام كامل مدير أحد المكاتب الأمنية المهمة ورئيس لجنة التحقيقات التى تولت تصفية آلاف العراقيين المشاركين فى انتفاضة مارس ١٩٩١، ومعهما عدد آخر من أفراد العائلة، حيث منحهم ملك الأردن (حسين) آنذاك حق اللجوء السياسى. ويرجع هروب الأخوين حسين وصدام كامل إلى الأردن إلى نزاع قديم بينهما وبين عدى الابن الأكبر لصدام - وصاحب السيرة السيئة على كل الساحة

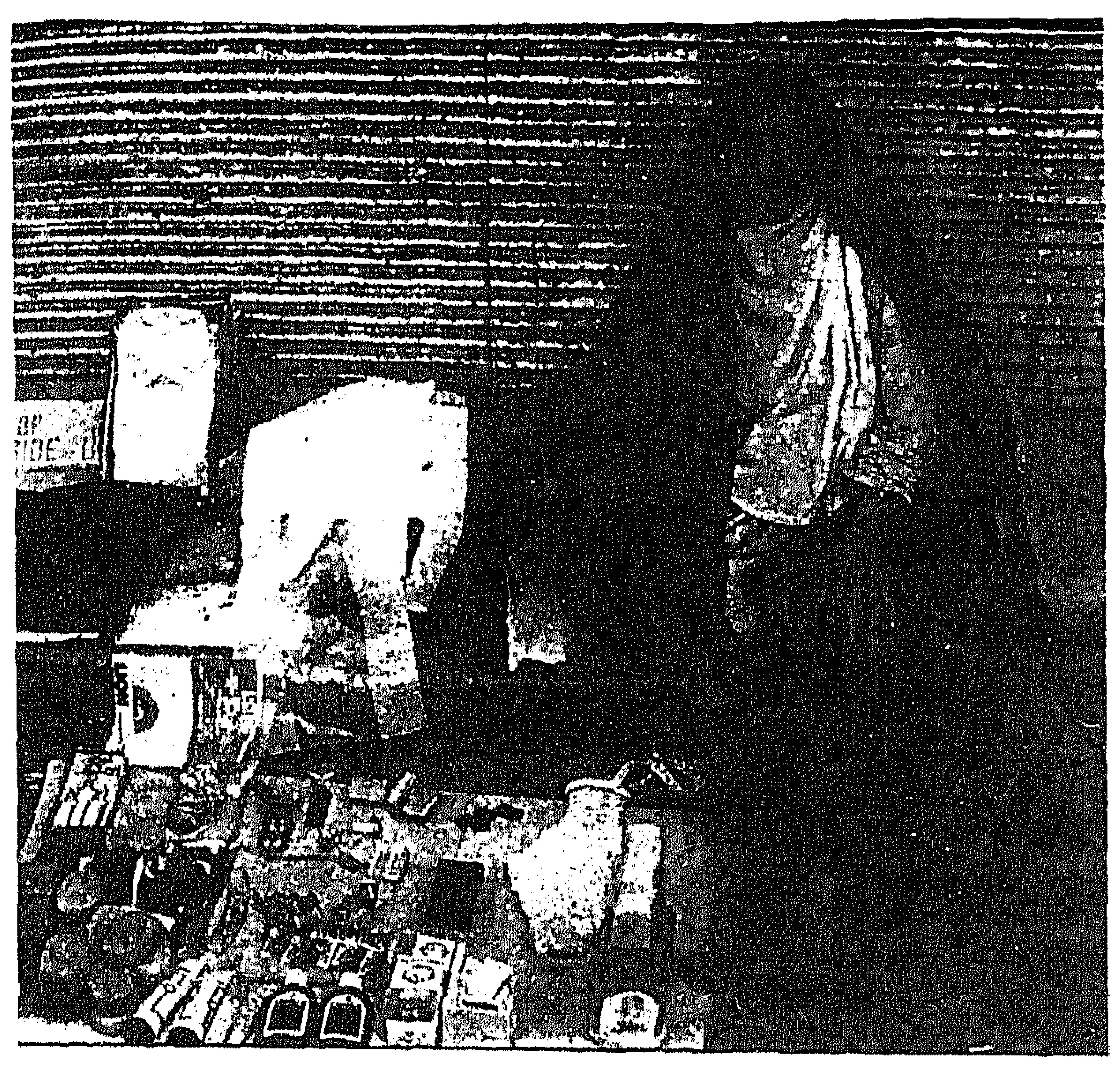
العراقية وخارجها، بعد أن وجَّـه له انتقادات لاذعة، حذرمن حمامات الدم التى يمكن أن تسيل فى العراق إذا ما استمر صدام فى الحكم. حيث هدد الأخير بعزل حسين كامل من منصبه الوزارى وتوعده بإلقائه فى السجن، وذلك بعد تصاعد الخلافات بينهم بسبب استحواذ عدى على عقود بيع لحوم للجيش، حيث كان يستورد اللحوم بالسعر الرسمى (دولار = ٣ دينار) ويبيعها بسعر السوق السوداء (دولار = أكثر من ١٠٠٠ دينار) مما حقق له مكاسب خيالية، هذا بخلاف قيام عدى بإطلاق النار على عمه وطبان وإصابته فى قدمه. وعقب هروب حسين كامل للأردن اتهمته حكومة بغداد باختلاس ملايين الدولارات من البنوك العراقية. وفى محاولة لتغطية مسئولية النظام الصدامى عن إخفاء معلومات مهمة عن برامج أسلحة الدمار الشامل التى كشف عنها حسين كامل أثناء وجوده فى الأردن، اتهمته حكومة بغداد بأنه المسئول عن إخفاء معلومات تتعلق بأسلحة الدمار الشامل، وفى المقابل وجَّه عدى اتهاماً لحسين كامل باختلاس ١٥٠ مليون دولار من أموال الشعب.

- ولقد شكل هروب حسين كامل صدمة قوية لصدام حسين، حيث كان يتوقع الخيانة من الجميع إلا حسين كامل، الأمر الذى جعله يفقد ثقته بأقرب المقربين له باستثناء ولديه عدى وقصى، لما يشكله ذلك من خطر على نظام حكمه أشد من مخاطر الحصار والعقوبات والتهديدات الأمريكية. لاسيما وأن الصراعات داخل عائلة صدام لم تقتصر على ذلك فقط، بل سبقتها وواكبتها وتلتها صراعات أخرى بين ولديه وأشقاء صدام غير الأشقاء برزان ووطبان وسبعاوى، وبين هؤلاء وآل المجيد لاسيما على حسن المجيد وزير الدفاع المشهور بـ (على الكيماوى) لمسئوليته عن قصف الأكراد والشيعة بالأسلحة الكيميائية، بل لقد تفجر الخلاف بين ولدى صدام الشقيقين عدى وقصى بسبب إعلان صدام أن قصى - الابن الأصغر - هو خليفته فى الحكم. لذلك سعى صدام لتقليص نفوذ ابنه عدى وحصره فقط فى النواحى الرياضية وصحيفة بابل، وأعاد برزان التكريتى من جنيف وحدد نشاطه فى العراق، ونفى وطبان إلى تكريت.

- ومما أثار مخاوف صدام آنذاك دعوة ملك الأردن الراحل حسين إلى قيام فيدرالية فى العراق تضم أقسامه العرقية الثلاث (الأكراد والشيعة والسنة) وذات ارتباط بالأردن، ومطالبته صدام حسين بالتنحى عن الحكم مما تسبب فى تعرضه وابنه عدى لعدة محاولات اغتيال نتج عن الأخيرة إصابة عدى بالشلل. الأمر الذى دفع صدام إلى محاولة تحسين صورته بتعيين وزراء من التكنوقراط ذوى السمعة الطيبة نسبياً، وأجرى استفتاء شعبى فى ١٩٩٥/٩/١٠ كى يعزز قيادته وينصب نفسه رئيساً للعراق لسبع سنوات قادمة، وكان طبيعياً فى ظل ظروف الحكم البعثى الدكتاتورى أن يحصل على ١٠٠% من أصوات العراقيين !! وقد جاء ذلك أيضاً رداً على عرض كان الرئيس حسنى مبارك قد قدمه فى ٨/٢٠/ ١٩٩٥ بقبول صدام حسين لاجئاً سياسياً فى مصر إذا ما رغب فى ذلك، وكحل للمشكلة العراقية، وهو ما رحبت به المعارضة العراقية. وإن كانت قوى المعارضة قد رفضت كل محاولات حسين كامل للانضمام للمعارضة، بسبب تلطخ يديه بدماء العراقيين.



احتفالات ميلاد صدام.. مهرجانات وتماثيل تكلف العراق ٥٠ مليون دولار سنويا



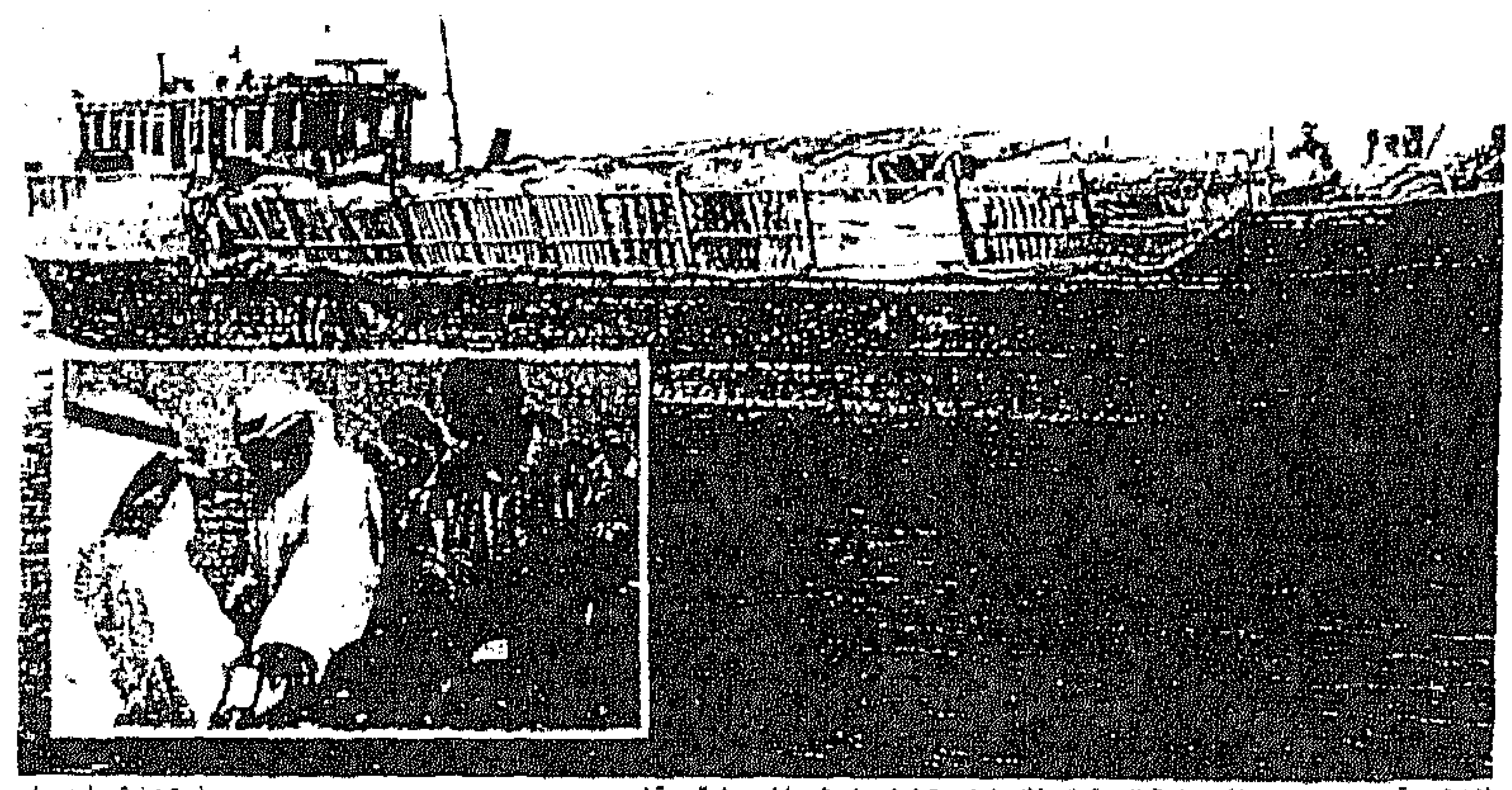
هكذا حوّل صدام العراقيين من اصحاب ثروة هائلة الى بؤس شديد.



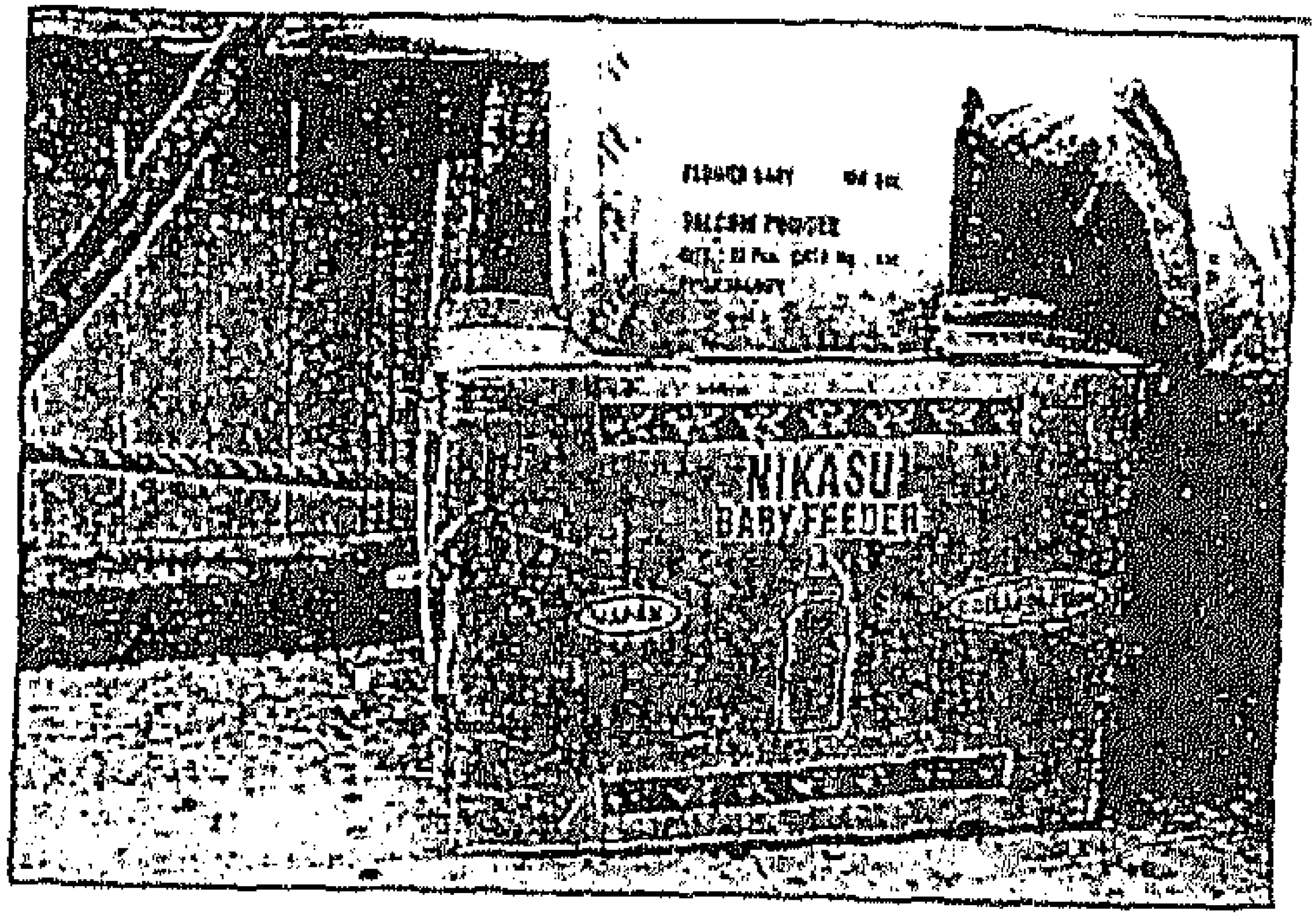
□□ هذه منطقة من مناطق كثيرة شمال العراق ووسطه وجنوبه برغم امتلاك العراق ثاني اكبر احتياطي نفطي في العالم.

انطلقت من ميناء البصرة متوجهة الى دبي خارقة الحظر الدولي

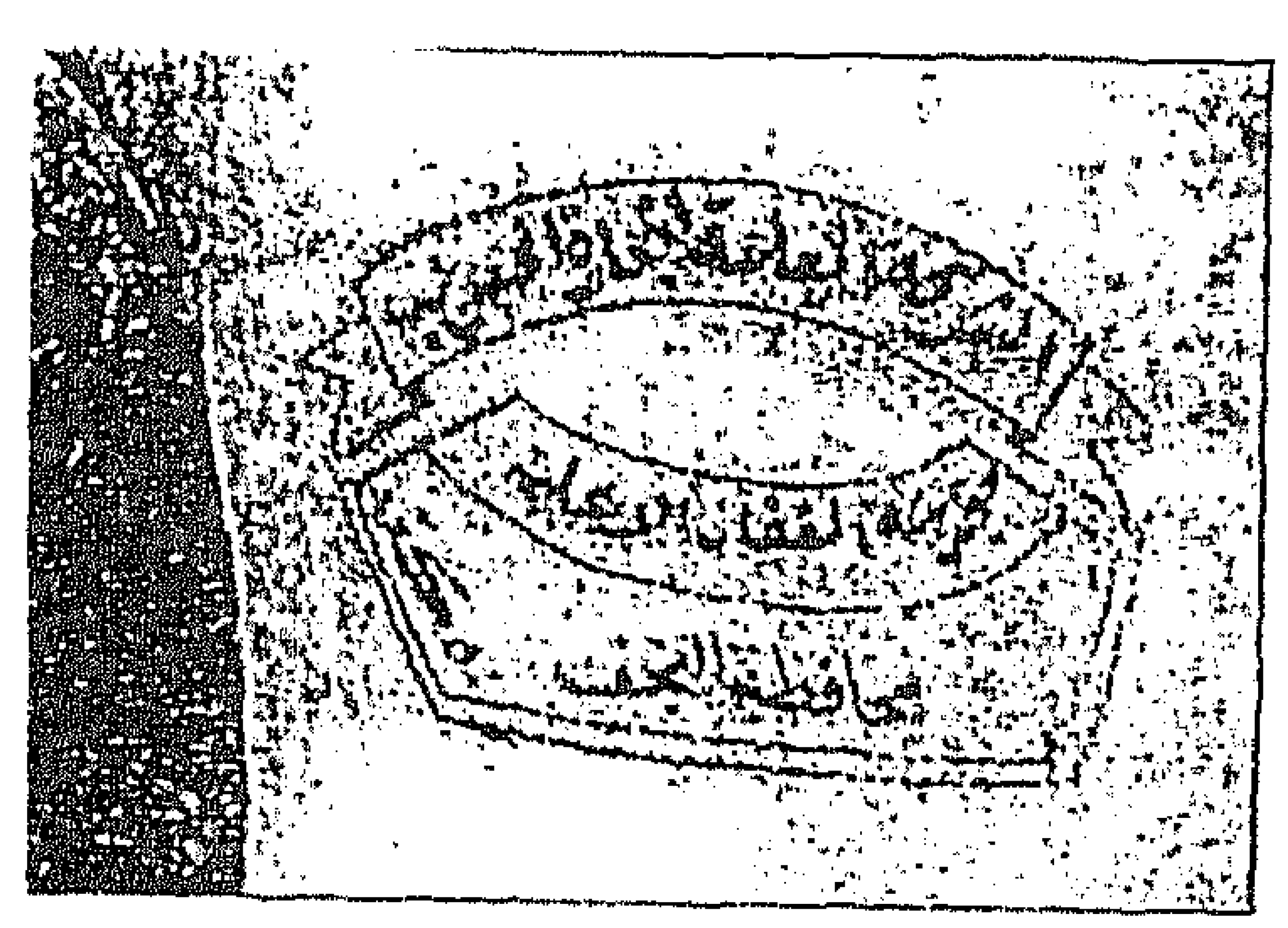
مصادرة باخرة هندية محملة مواد مخصصة للاطفال



اخرة الهندية بعد سحبها الى الشاطىء وفي الاطار رجال الجمارك يفتشون الحاويات على ظهرها في ميناء الدوحة امس. (رزق توفيق - المحتسب)



● [illegible] وسيارات - اطفال العراق تهرب علنا



● حبوب مصدرها النجف.. طعام العراقيين يهرب للخارج

بينما يتاجر صدام بآلام شعبه، يهرب المواد الغذائية والأدوية إلى خارج العراق

حسين كامل يكشف خبايا النظام الصدامى (١١٢)

- عقد حسين كامل أثناء تواجده فى الأردن عدة مؤتمرات صحفية ولقاءات إعلامية كشف فيها عن العديد من سوءات النظام الصدامى. فقد هاجم هذا النظام واتهمه بالدكتاتورية والإرهاب والاعتداءعلى حقوق الإنسان، وانتهاك حرمات العراقيين وبتدمير ثروة العراق، وأن الحكومة العراقية فقدت مصداقيتها أمام العالم، ولا يوجد أحد يصدق ما يصدر عن النظام الصدامى من أقوال أو تعهدات أو وعود، لأن صدام يقدم كل يوم رواية جديدة للأحداث. هذا بالإضافة إلى الإعدامات والإعتقالات المستمرة التى تجرى يومياً للأبرياء، بينما لا تبذل الحكومة أدنى جهد للاهتمام بالتنمية ورعاية الإنتاج، ووصف الوضع فى العراق بأنه رهيب ولا يطاق. ثم انتقد حسين كامل فى لقاءاته الصحفية أخطاء النظام الصدامى فى الحروب المستمرة، ومعاداته الدول العربية وتآمره عليها وأن صدام يكن كراهية شديدة للدول العربية خاصة مصر وسوريا والسعودية والكويت وزعمائها، كما اتهم صدام بإدخال العراق فى أمور أكبر من حجمه بكثير، وهو ما جعل العراق بلداً ضعيفاً ومنهكاً ويعيش حالة شديدة الصعوبة.

- وكشف حسين كامل أيضاً عن اتصالات تحتية تجرى بين النظام الصدامى وإسرائيل منذ عام ١٩٨٧ عبر شخص يدعى (عبود) مقيم فى الولايات المتحدة، وهو من أصل عراقى ويدير عدة مصارف وبعضها عبر برزان التكريتى، ولا تزال هذه الاتصالات قائمة عبر عدة قنوات. أما عن حالة الجيش والحرس الجمهورى فقد ذكر حسين كامل أن حالة من السخط والتململ تسودهما، وأن العسكريين ينتظرون الفرصة للإطاحة بالنظام. ووصف (عدى) بأنه "مجنون سلطة ومال ويطمح فى إزاحة والده"، كما حمَّل برزان التكريتى مسئولية إعدامات كثيرة حصلت فى العراق، ووصفه بأنه شخص ساقط من العائلة ومن كل المجتمع العراقى، وفى الوقت الذى يعمل فيه برزان مع النظام، يعمل أيضاً ضده بما يجريه من اتصالات تحتية بجهات أجنبية على أمل أن تساعده يوماً فى أن يكون بديلاً عن صدام، وذلك اعتماداً على علاقاته التجارية التى يمثل فيها النظام والشركات فى الخارج، وما يحصل عليه من عمولات لكل عملية تجرى بواسطته.

- وبجانب ما كشف عنه حسين كامل من معلومات عن برامج أسلحة الدمار الشامل مما كان يحرص النظام الصدامى على إخفائه، فقد كشف أيضاً عن معلومات أخرى هامة تتعلق بوجود أكثر من ٥٠ ملجأ نووى محصن أشرف على بنائها فى أعماق الكويت خلال فترة احتلالها بأوامر من صدام شخصياً، وأنها أقيمت فى مناطق سرية لا يعلم أحد عنها شئ، وانتشرت فى أماكن متعددة من الكويت، وتم تجهيزها بحيث تكون قادرة على الصمود فى وجه أى هجوم نووى أو كيميائى وعلى أعماق تحت الأرض تعجز أقمار التجسس عن تصويرها، وأنها أشبه بالملاجئ التى أقامها هتلر لوقايته فى ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية. وبالطبع فإن الهدف من بناء هذه الملاجئ يدخل فى صلب نوايا العراق المبيتة ضد الكويت، ولتكون مستودعاً لأسلحة تقليدية تستخدم مستقبلاً لعناصر تابعة له لضرب الكويت من الداخل لحين وصول قواته إليها.

مغزى إخلال صدام بعهد الأمان الذى أعطاه لحسين كامل، وإعدامه [(١١٣)]

- فوجئ المتابعون لقصة هروب حسين كامل وجماعته إلى الأردن بنبأ عودته إلى العراق فى ١/٢٠/ ١٩٩٦ بناءً على عفو حصل عليه من صدام حسين، ثم بعد ذلك بنبأ إعدامه هو وشقيقه بواسطة عناصر النظام عقب وصولهما إلى بغداد بأيام محدودة، وبعد فصلهما عن زوجتيهما، وأعلنت بغداد أن الذى نفذ حكم الإعدام فيهما هما عشيرتهما (آل المجيد).

- وقد أثار هذا الحادث صدمة لدى كثيرين فى العالم العربى مما لا يعرفون حقيقة صدام حسين، ذلك أن قرار حسين كامل بالعودة إلى بغداد، كان بناء على عهد أمان قطعه صدام على نفسه وعفوه عنهما، فانخدع به حسين كامل ووثق فيه، فكانت نهايته. ولم يقتصر الأمر فقط على إعدام حسين كامل وشقيقه صدام كامل، ولكن تم أيضاً إعدام شقيقهما حكيم ووالدهم كامل وعدد من أبناء عمومتهم، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل أفادت مصادر عراقية أن صدام أمر أيضاً بقتل أحفاده من حسين كامل وشقيقه صدام خوفاً من انتقامهم عندما يكبرون ويدركون حقيقة قصة اغتيال والديهما.

- وإذا كان سلوك صدام فى هذا الحادث ـ كما تقول التايمز البريطانية ـ يعد متنافراً تماماً مع سمات المجتمع العربى الذى يؤكد على قيم الوفاء بالعهد واحترام الكلمة والوعد، ومعانى الشرف والاستقامة والولاء العائلى، حيث لم يعبأ صدام بكل ذلك، بل انتهك كل تلك العلاقات بعنف ووحشية إذ كان طوال فترة حكمه ولا يزال يرغم آباء وأبناء واخوة وأعمام وأقارب المعتقلين على تنفيذ أحكام الإعدام فيهم، تحت وطأة التهديد بإعدام كل العائلة إذا رفض هؤلاء تنفيذ عمليات الإعدام فى ذويهم وأهليهم، لذلك لم غريباً فى ضوء تلك المعايير الصدامية أن يكون على حسن المجيد أبن عم حسين كامل ـ هو الذى اخذ رأسه وأرسلها إلى صدام حسين!!

- أما مغزى هذه القصة على مستوى السياسة الصدامية فى الدائرتين الإقليمية والدولية، فهى تؤكد أن صدام حسين لا يحترم معاهداته واتفاقاته ووعوده، حيث يبرمها تحت ضغط ظروف لا تناسبه، وعندما يتخلص من هذه الظروف يسارع إلى نقضها ووضعها تحت قدميه، كما فعل فى معاهدة الجزائر ١٩٧٥ التى وقعها مع شاه إيران أثناء عداوته مع الكويت ١٩٩٠. وهو نفس الموقف الذى تكرر بعد ذلك عندما اضطر فى عام ١٩٩٤ إلى توقيع معاهدة ترسيم الحدود مع الكويت تحت الضغط الدولى، ثم بدأ بعد ذلك يشكك فى التزامه بها مستقبلاً عندما طلب ابنه عدى من المجلس الوطنى رسم خريطة العراق لتضم إليها دولة الكويت!!

مغزى هروب الدبلوماسيين والقادة والعلماء العراقيين إلى الخارج [(١١٤)]

- يقدر عدد العراقيين الهاربين من ظلم وجود النظام الصدامى إلى الخارج بأكثر من ثلاثة ملايين عراقى،
- ولا يزال مسلسل هروب العراقيين مستمراً حتى اليوم، تكشف عنه طلبات اللجوء السياسى إلى دول

أجنبية يتقدم بها علماء ووزراء سابقين ودبلوماسيين وكبار ضباط، بل وعناصر من الدائرة القريبة من صدام حسين نفسه، ناهيك عن آلاف عراقيين الذين يحاولون النزول على السواحل الإيطالية والفرنسية والإندونيسية والأسترالية يريدون اللجوء، لا لشيء سوى الرغبة فى حياة حرة كريمة حرمهم إياها صدام حسين هذا بالإضافة إلى جانب ٩٠٠٠ أسير عراقى لدى إيران طلبوا اللجوء السياسى إلى إيران.
أما كبار العسكريين اللاجئين فى الخارج فيقدر عددهم بحوالى ٣٠٠ضابط ينتشر معظمهم فى الدول الأوروبية، ومن أبرزهم الفريق نزار الحرزجي رئيس الأركان الأسبق والفريق مهدى الديلمى قائد الجيش الثالث الميدانى، واللواء فوزى الشمرى قائد أحد الجيوش العراقية أثناء الحرب مع إيران، واللواء وفيق السامرائى رئيس المخابرات العسكرية، واللواء نجيب الصالحى قائد إحدى الفرق الميكانيكية، ومعظمهم هربوا عبر المنطقة الكردية الواقعة خارج سيطرة نظام صدام حسين. أما الدبلوماسيين العراقيين الهاربين، والذين يزيد عددهم عن مائه دبلوماسى، فأن ظروفهم كانت أفضل من غيرهم، لأنهم كانوا يقيمون فى الخارج بحكم وظائفهم مما يسهل لهم طلب اللجوء السياسى إلى الدول التى كانوا يعملون فيها، وكان آخرهم انشقاق اثنين من البعثة العراقية فى الأمم المتحدة هما (محمد الحميميدى) وكان من أهم عناصر "مكتب سوريا" فى التنظيم البعثى العراقى، والمسئول عن اختراق شبكات "التنظيم السورى" فى العراق. أما الثانى فهو فلاح حسن مطرود، والذى يعتبر من أهم ركائز المخابرات العراقية فى الخارج منذ بداية الثمانينيات، والمسئول عن إبرام كثير من صفقات الأسلحة السرية أثناء الحرب العراقية-الإيرانية؛ وكلاهما طلب اللجوء السياسى إلى الولايات المتحدة. ولم تكن تلك هى الحالة الوحيدة فى مسلسل هروب الدبلوماسيين العراقيين خلال الأعوام القليلة الماضية، فقد واكبها هروب الدبلوماسى طلال بركات من القاهرة، وهشام الشاوى سفير العراق فى كندا، وعلوان الجبورى سفير العراق فى تونس، وصفاء الفلكى سفير العراق فى هولندا وفارس نعمه سفير العراق فى النمسا. ومن المفارقات الغريبة أن جميع سفراء العراق فى النمسا الذين عينوا منذ الثمانينات رفضوا العودة إلى بغداد باستثناء ناجى صبرى الحديثى المعروف بخدماته لأجهزة أمن النظام ونشاطه الاستخبارى، والذى كوفئ عليه بتعيينه وزيراً للخارجية. أما العلماء الذين هربوا من العراق وكشفوا الكثير من أسرار برنامج أسلحة الدمار الشامل التى يخفيها النظام الصدامى، فأبرزهم العالم النووى د. خضر حمزة، وخبير الأسلحة البيولوجية عدنان سعيد الحيدرى، والعالم النووى سلمان ياسين زوير، والعالم النووى ابراهيم ياوى، والعالم النووى د. حسين الشهرستانى. أما أبرز الذين هربوا من مساعدى صدام وابنه عدى، فهو ميخائيل رمضان الكاظمى الذى كان يقوم بدور البديل (الدوبلير) مقام صدام فى حضور كثير من المناسبات، وقد أصدر كتاباً بعد هروبه عنوانه (فى ظل صدام IN THE SADOW OF SADDAM) كشف فيه الكثير عن مدى قسوة وبطش واستبداد صدام حسين، وكيف كان يقابل بعض الملوك والرؤساء العرب باعتباره الرئيس العراقى؟؟ وقد كشفت المعارضة العراقية عن عدة محاولات للهروب من العراق قامت بها أبنتا صدام (رغد) و(رنا) أرملتى حسين كامل وشقيقه صدام كامل، ولكنها باءت بالفشل بسبب شدة الإجراءات الأمنية حولها. كما أفاد مصدر أمنى فى

أستراليا فى ٢٠٠١/١٢/١٨ عن هروب أحد أفراد الحراسة الشخصية لصدام حسين، ولجوئه إلى أستراليا، وقد امتنعت أستراليا عن كشف اسمه.

- وقد مثل هروب (عباسى الجنابى) السكرتير الخاص لعدى صدام حسين إلى إحدى الدول الأوروبية، وكان يعمل أيضاً رئيساً لتحرير صحيفتى (بابل) و (البعث الرياضى) اللتين يديرهما عدى، ضربة قوية للنظام الصدامى. حيث كشف عن الإمبراطورية التجارية التى يتزعمها عدى وتتحكم بتجارة العراق، خاصة فى مجال تهريب النفط عبر شركة شاحنات نقل النفط التى أسسها مع ابن الرئيس الإيرانى السابق هاشمى رافسنجانى، كذلك سيطرة عدى على السوق السوداء الخاصة بالعملة الأجنبية، كما ألقى الضوء للمرة الأولى على الابن الثالث لصدام (على) من زوجته الثانية (سميرة الشهبندر). وكشف كذلك عن دور عدى فى نهب الكويت أثناء الإحتلال وسرقة مؤسساتها العامة والخاصة.

- ويكشف هذا المسلسل لعمليات الهروب من العراق عن الكثير من الحقائق والأسرار المتعلقة بممارسات النظام الديكتاتورى الدموى فى بغداد، والتى تحاول أجهزة إعلامه بكل طاقاتها إخفائها والتستر عليها، وتلميع صورة صدام باعتباره فى زعمهم (القائد الضرورة) !! وكذلك أركان عائلته المتسلطة على مقدرات العراق وزبانيته. كما تشكل عمليات الهروب هذه دليلاً راسخاً على تقلص سيطرة النظام الصدامى وحزبه على مجريات الأمور فى العراق، إضافة إلى أن هروب قيادات وكوادر الحزب الرئيسية يعد مؤشراً مهماً على انحسار وتراجع قوة الحزب الذى دبت فى صفوفه الأولى الخلافات والانشقاقات التى جاءت نتيجة طبيعية لسياسات رئيسه الدموى، وأنه نظام هش سينهار مع أول ضربة حقيقية توجه إليه.

صدام وإهدار ثروة العراق (١١٥)

- أدى حصاد عسكرة العراق ومؤسساته، والإنفاق العسكرى اللازم لمغامرات النظام الصدامى إلى حدوث انهيار اقتصادى شامل، سيبقى العراق دولة معسرة طيلة القرن الحالى، كما يقول خبراء الاقتصاد العالميون. والحديث عن الاقتصاد العراقى أشبه بالحديث عن أبشع جرائم نهب الأموال فى التاريخ، حيث تفضح لغة الأرقام أكبر سرقة لأموال الشعوب فى تاريخ البشرية ارتكبها النظام الصدامى.

- ففى عام ١٩٧٩ كان العراق قاب قوسين أو أدنى من ترك قائمة دول العالم الثالث ليلحق بقائمة الدول الاقتصادية الكبرى، حيث ارتفع متوسط دخل الفرد (من الناحية النظرية) إلى عشرة آلاف دولار، هذا إذا كان هناك توزيع عادل لعائدات الثروة النفطية التى وصلت إلى أكثر من ٢٠ مليار دولار سنوياً، وعلى الرغم من اعتماد الاقتصاد العراقى على هذه الثروة فقط دون العائدات الزراعية والصناعية، ورغم فشل وارتباك السياسة الاقتصادية والاجتماعية العراقية، والفساد المستشرى فى جنبات النظام

الصدامى. إلا أنه بعد ٢١ عاماً (عام ٢٠٠٠) انخفض دخل الفرد العراقى لأقل من ٦٠٠ دولار سنويا، محققاً أعلى معدل عالمى فى التراجع يصل إلى ٦٠٠٠%، وصاحب ذلك قفزة فى تعداد السكان وصلت إلى ٢٤,٥ مليون نسمة. وطبقاً لتقديرات البنك الدولى فإن الزيادة السكنية فى العراق ستواصل قفزتها بمعدلات تصل إلى ٢٨,٤ مليون نسمة فى عام ٢٠٠٥، ٣٢,٥ مليون نسمة فى عام ٢٠١٠ بعد أن كانت ٢١ مليون نسمة عام ١٩٩٥.

- ويفيد تقرير البنك الدولى الذى صدر فى عام ٢٠٠١ أن المغامرات العسكرية التى خاضها العراق فى إيران والكويت، وما تطلبتها من إنفاق عسكرى ضخم، كانت السبب الرئيسى فى انهيار اقتصاد العراق، مما عرض شعبه إلى الهلاك. وحيث يصل رأس المال العراقى بالعملة الحرة إلى ١/١٨ مما كان لدى العراق فى عام ١٩٨٠. وقد صاحب الانهيار الاقتصادى كل مصادر دعم الاقتصاد العراقى سواء فى معدلات إنتاج النفط أو الغاز الطبيعى أو القطاع الصناعى أو القطاع الزراعى، وذلك فى وقت يتعاظم فيه الحديث عن مليارات الدولارات المهربة للخارج فى حسابات صدام السرية وأزلامه فى سدة الحكم.

- فقد أكلت الحروب من أموال الشعب العراقى ٤٩٠ بليون دولار منها ٢٠٠ بليون دولار تكاليف احتلال الكويت والخروج المهين منها. وقبل أن تبدأ حرب الثمانى سنوات مع إيران فى سبتمبر ١٩٨٠ كان للعراق فوائض مالية تزيد عن ٣٥ بليون دولار، وكان دخل العراق آنذاك حوالى ٥٤ بليون دولار، وهو ما يعادل ٧٤ ضعفاً لدخله عام ١٩٧٠ (كان ٧٠٠ مليون دولار فقط). إلا أنه بعد ثمانى سنوات من الحرب خرج العراق مثقلاً بديون خارجية واجبة الخدمة قدرتها الحكومة العراقية نفسها بأكثر من ٤٢ بليون دولار عدا الفوائد المستحقة، ودون الأخذ فى الاعتبار الديون المستحقة للدول الخليجية والمساعدات العسكرية بما يقارب ٤٠ بليون دولار أخرى لا يعترف بها العراق كديون مستحقة. وبلغة الأرقام يكون العراق قد خصص نصف دخله السنوى للحرب، وبما يصل إلى ٢٦ بليون دولار فى السنة، بإجمالى ٢٠٨ بليون دولار فى ثمانى سنوات، وبإضافة الديون والمساعدات الخليجية (٨٢ بليون دولار) يكون النظام الصدامى قد استنزف ما يساوى ٢٩٠ بليون دولار فى هذه الحرب.

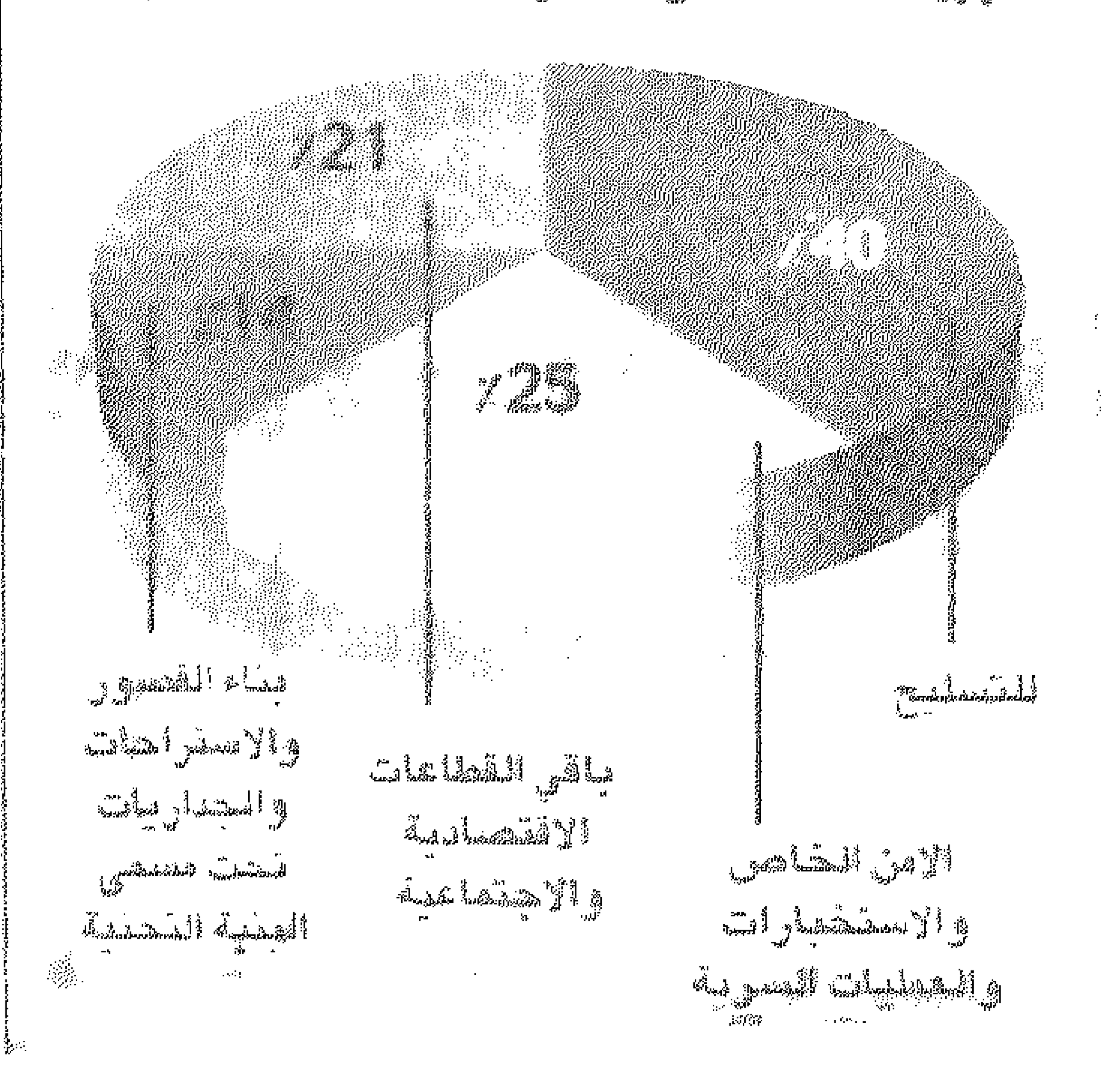
- وطبقاً لتقديرات الحكومة العراقية، فإن قيمة صفقات السلاح أثناء الحرب مع إيران تجاوزت ٢٠٠ بليون دولار، ونسبة ما خصص من الواردات العسكرية تصل إلى ثلثى إجمالى واردات العراق، وأحياناً بلغت النسبة ٨٣% وهو ما حدث فى عام ١٩٨٤، وبما يتجاوز ٦٥% من إجمالى الدخل القومى. ولقد أدى هذا الإنفاق العسكرى المسعور إلى شل الاقتصاد وإفقار البلد وانهيار جميع المؤسسات والأدوات الاقتصادية ومصادر الدخل. حيث بلغت نسبة ديون العراق ١٦٠% من دخله القومى. ورغم ذلك لم تتوقف مغامرات صدام، وأدخل بلاده بعد سنتين فقط من انتهاء الحرب مع إيران فى نفق مظلم آخر بعدوانه على الكويت ١٩٩٠، واتبع سياسة حمقاء أدت إلى انهيار محتم، مما أدى بدوره إلى انهيار فى الموارد الاقتصادية الأساسية على النحو التالى:

أ- قطاع الزراعة: تراجعت عوائده بشكل خطير، وتقلصت المساحة المزروعة إلى ٤٠% مما أدى إلى ارتفاع أثمان المحاصيل الزراعية لأكثر من أربعة أضعاف ما كانت عليه عام ١٩٨٠ وذلك بسبب توجيه المخصصات المحددة للاستثمار فى الزراعة والبالغة ١,٦ بليون دولار سنوياً للإنفاق العسكرى. والمفارقة أن مخصصات الإنفاق العسكرى ارتفعت إلى ٢٥,٣ بليون دولار سنوياً رغم أن إجمالى عوائد النفط بلغت ١٠,١ بليون دولار، وهو ما يؤكد أن رغيف خبز الشعب العراقى لم يكن أبداً فى حساب النظام الصدامى. ولم يكتف هذا النظام بتدمير قطاع الزراعة، وإنما أجبر الفلاح على توريد المحاصيل للحكومة بأسعار تقل ٤ مرات عما هو موجود فى السوق حتى لا يترك له شيئاً، وعليه أن يشترى ما يحتاج إليه بالبطاقة التموينية والتى لا يكفى المخصص لها مدة عشرة أيام فى الشهر، وهو ما يعنى أن على الفلاح أن يشترى ما تحتاج إليه أسرته من السوق السوداء حتى لا يموت وأسرته من الجوع، فى الوقت الذى يخزن فيه أزلام النظام الصدامى المحاصيل لتوزيعها على أفراد الجيش والأجهزة الأمنية لضمان استمرار ولائهم للنظام.

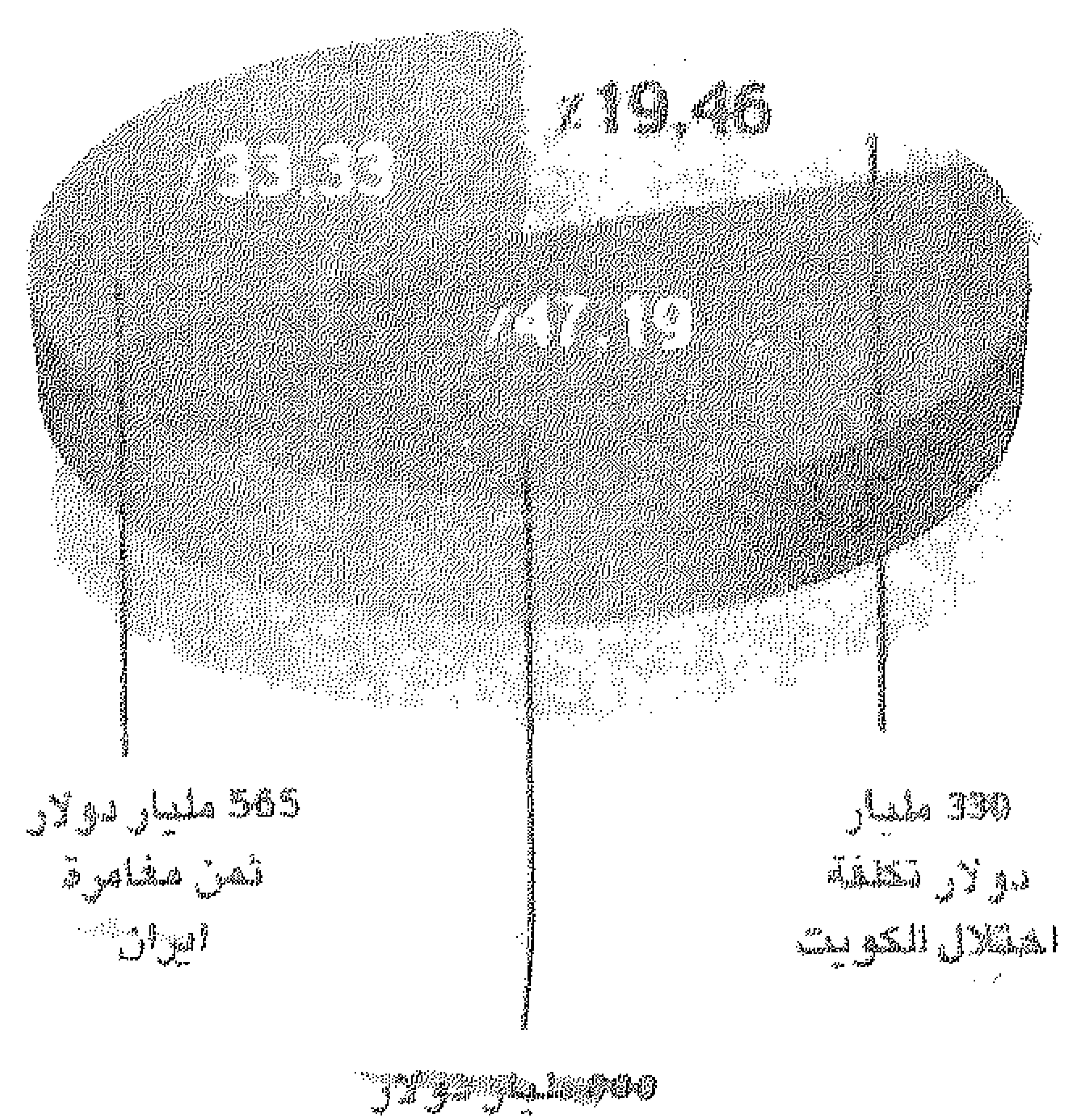
ب- قطاع الصناعة: كانت الطاقة التشغيلية فى هذا القطاع ٧,٣% فى عام ١٩٧٥، ووضعت الخطة للزيادة إلى ١٠,٤% فى عام ١٩٨٠، إلا أن حرب الثمانى سنوات وما بعدها أوقفت الاستثمارات المخصصة للقطاع الصناعى وتم تحويلها إلى الصناعة العسكرية، فضلاً عن إجبار المواطنين على بيع مصانعهم إلى الأوساط القريبة من الحكم.

- ولقد أدى هذا الانهيار الاقتصادى إلى ارتفاع نسبة التضخم لتتجاوز ٤٥%، وانخفاض فى سعر الدينار العراقى، حيث أصبح الدولار يساوى ما يزيد عن ٢١٠٠ دينار عراقى قبل أن يتم تثبيته على ٠,٣١% من الدولار. كما أصبح الاقتصاد العراقى فى حالة اختناق مثقل بما يزيد عن ١٥٠ بليون دولار ديوناً، فضلاً عن فوائد مركبة لخدمة هذه الديون. وتقدر تكاليف إعادة إعمار العراق بنحو ١٠٠ بليون دولار، ٧٠% منها يتعين دفعها بالعملة الحرة. ومن البديهى أن اقتصاد العراق لن يقدر على البدء فى التحسن قبل رفع العقوبات المفروضة عليه، وهو ما لن يحدث فى الغالب إلا بعد سقوط النظام الصدامى . وحتى بعد سقوط هذا النظام وإقامة حكومة ديموقراطية، ومع افتراض إسقاط كل العقوبات والتعويضات، فإن معدل النمو المتوقع فى الأعوام القليلة القادمة سيبقى متدنياً إلى درجة أن العراق فى عام ٢٠٠٥ سيعجز عن بلوغ معدل إجمالى الناتج المحلى الحقيقى الذى كان عليه فى عام ١٩٨٠. وسيبقى العراق - على الأغلب - دولة مخنوقة بالمعنى الاقتصادى طوال العقد القادم بسبب زيادة تكاليف إعادة الأعمار، لاسيما إذا كانت إطاحة النظام الصدامى نتيجة حرب محدودة أو شاملة داخل الأراضى العراقية، ومن جهة ثانية سيترتب على العراق دفع الديون للبلدان غير العربية قبل أن يصبح قادراً على الاستفادة من القروض والضمانات الاقتصادية والامتيازات التى سيحصل عليها نظام ما بعد صدام حسين.

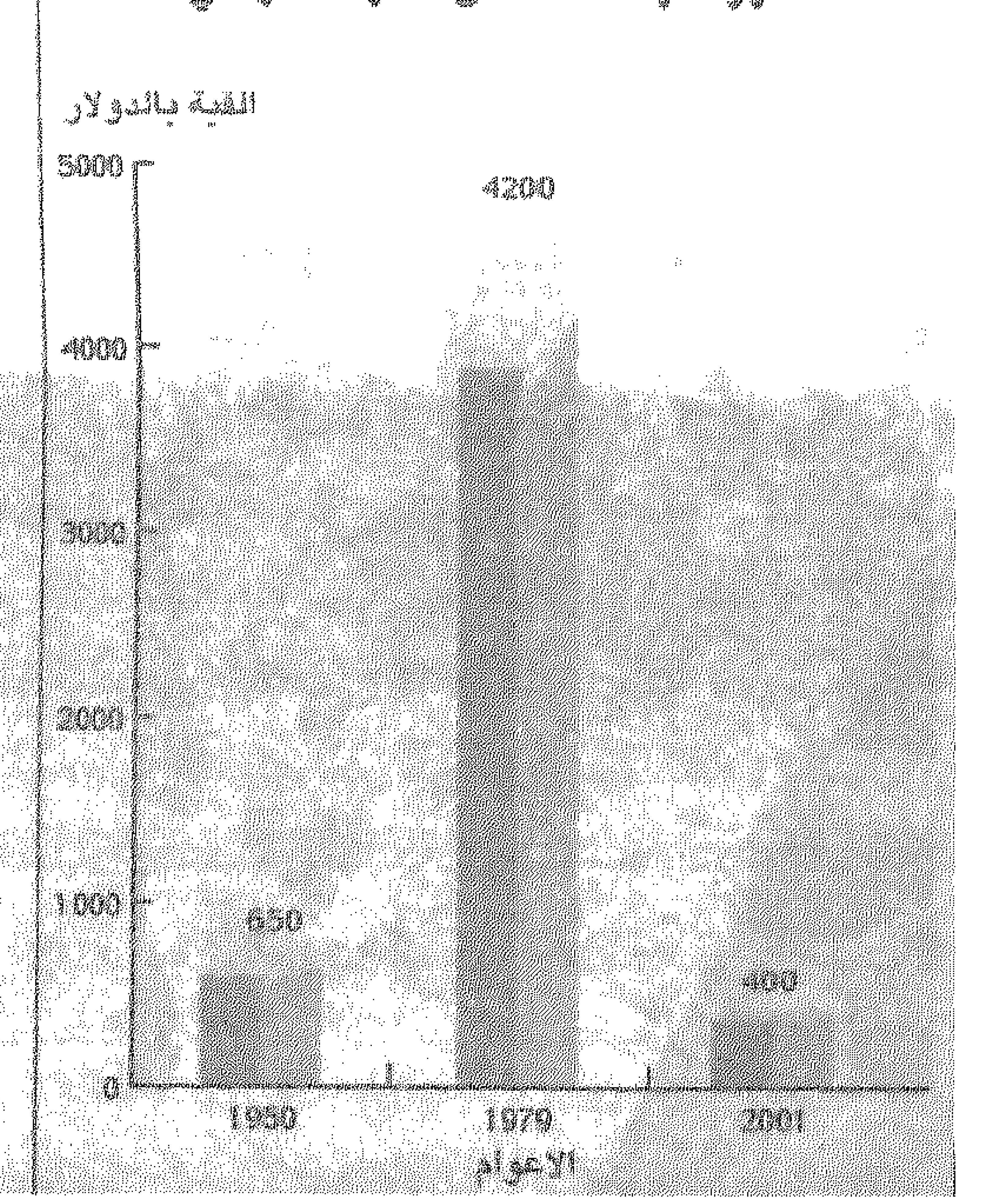
توزيعات الانفاق خلال حكم طاغية العراق



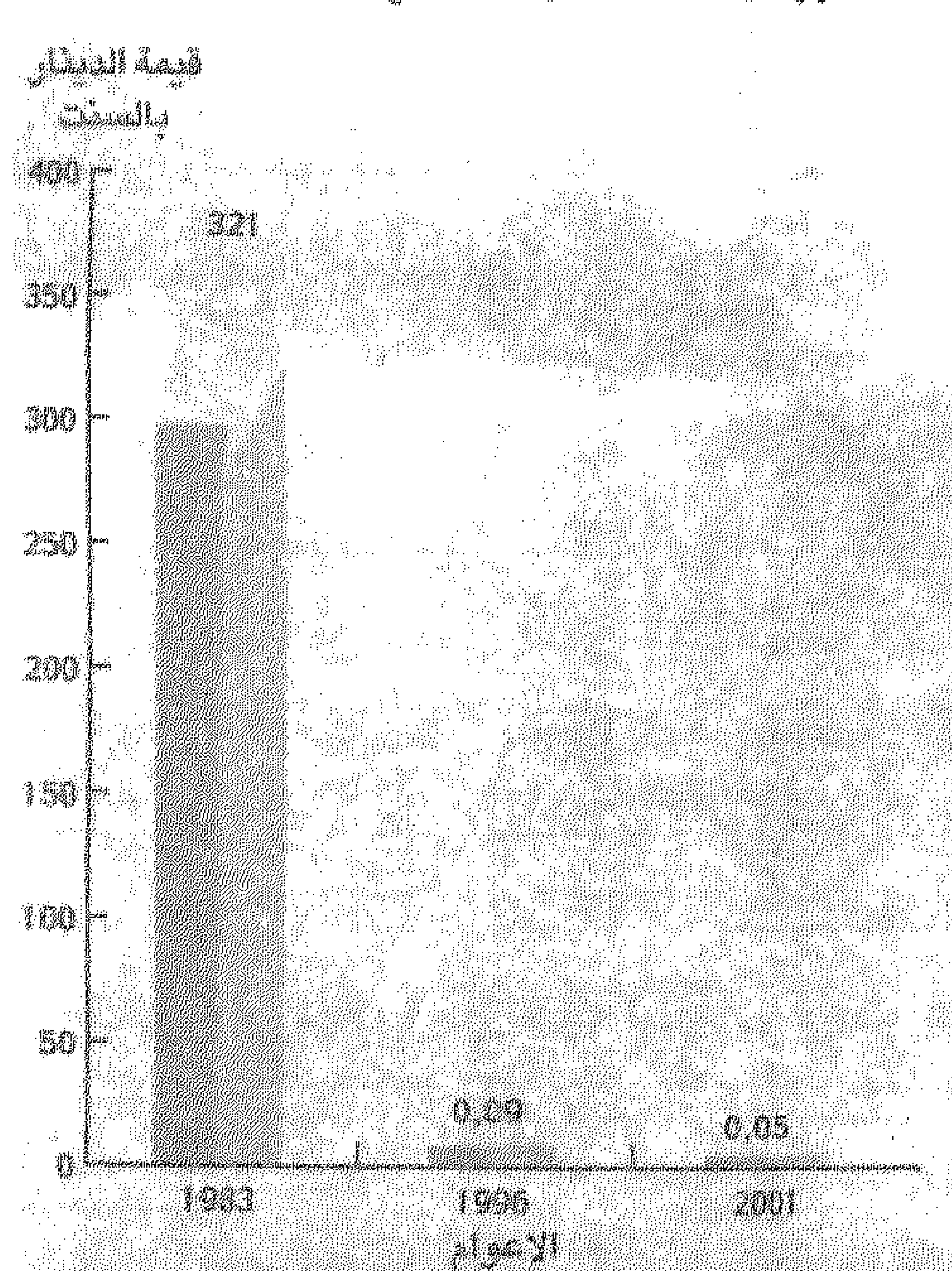
1695 مليار دولار اجمالي ما اضاعه صدام على مغامرة حربه وايران وغدره في احتلال الكويت

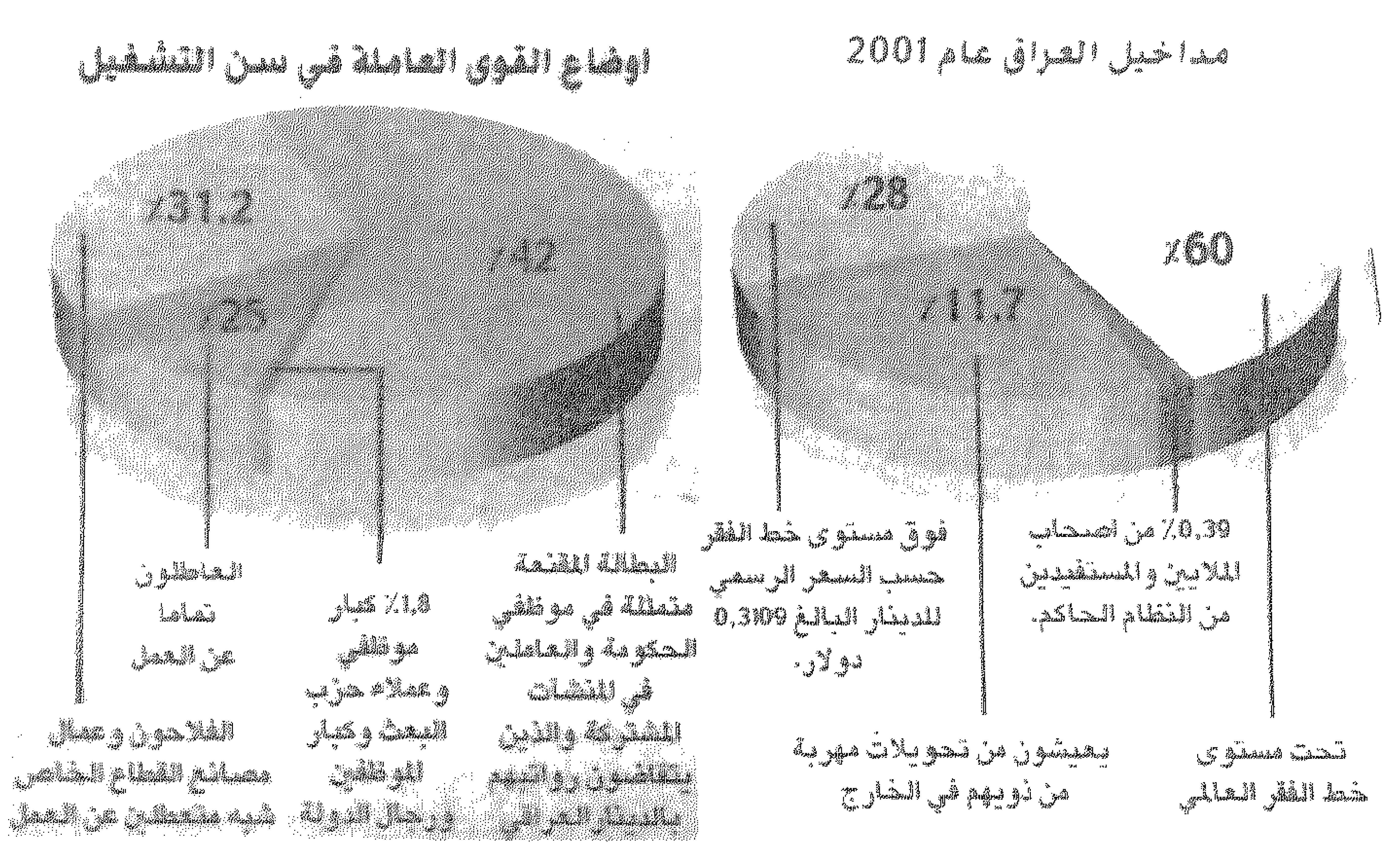


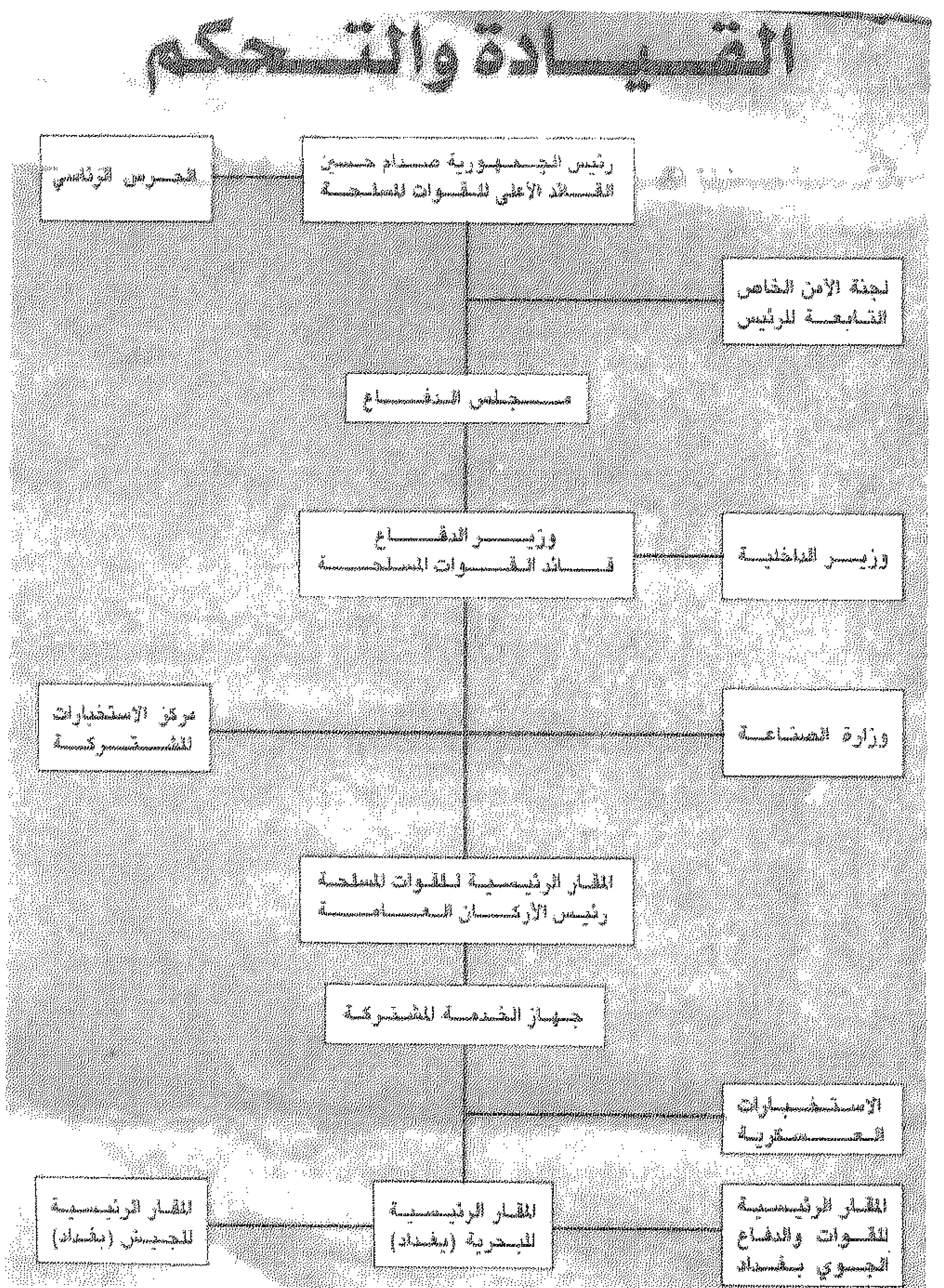
تطور متوسط دخل الفرد العراقي

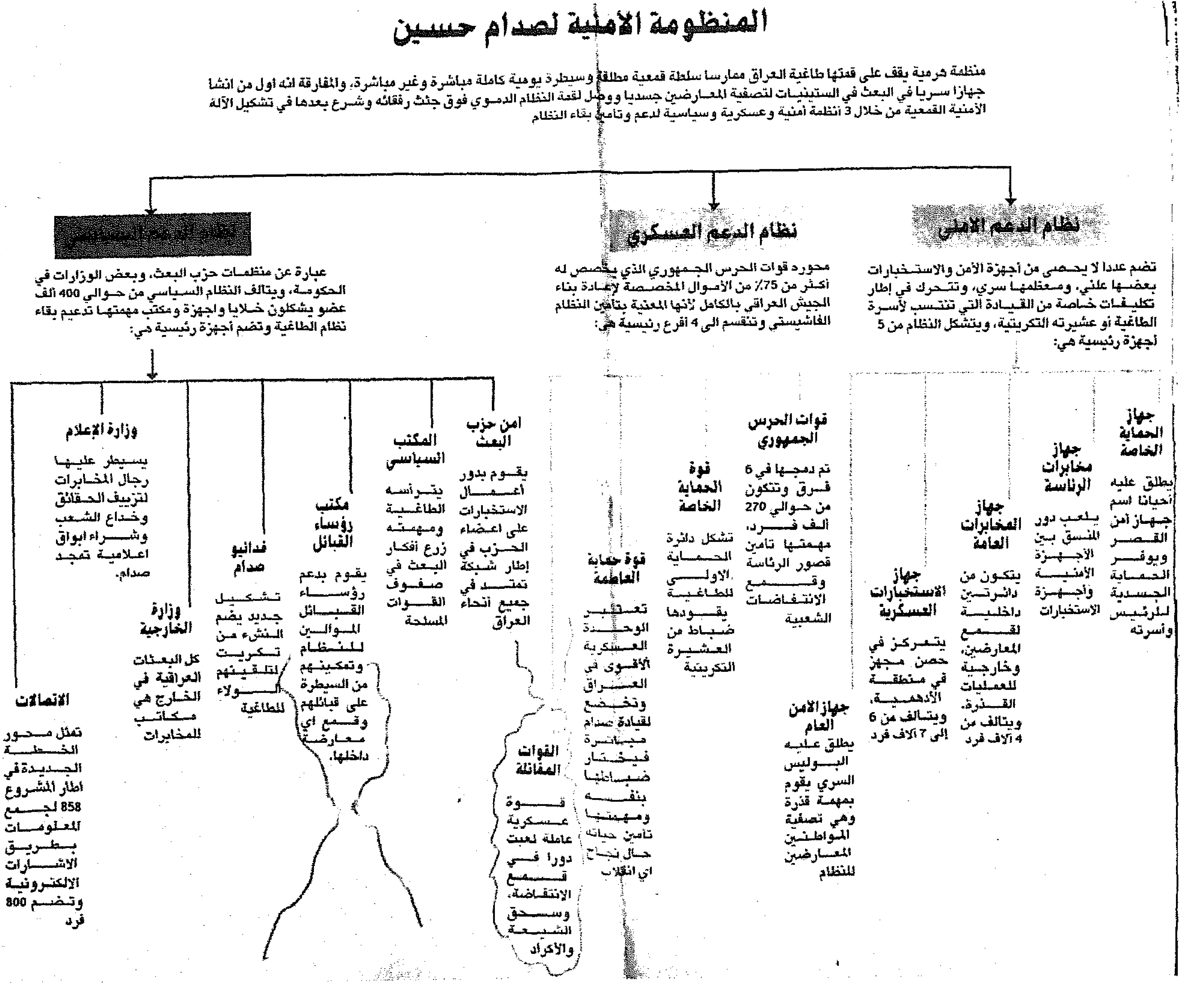


تطور قيمة الدينار العراقي مقابل الدولار

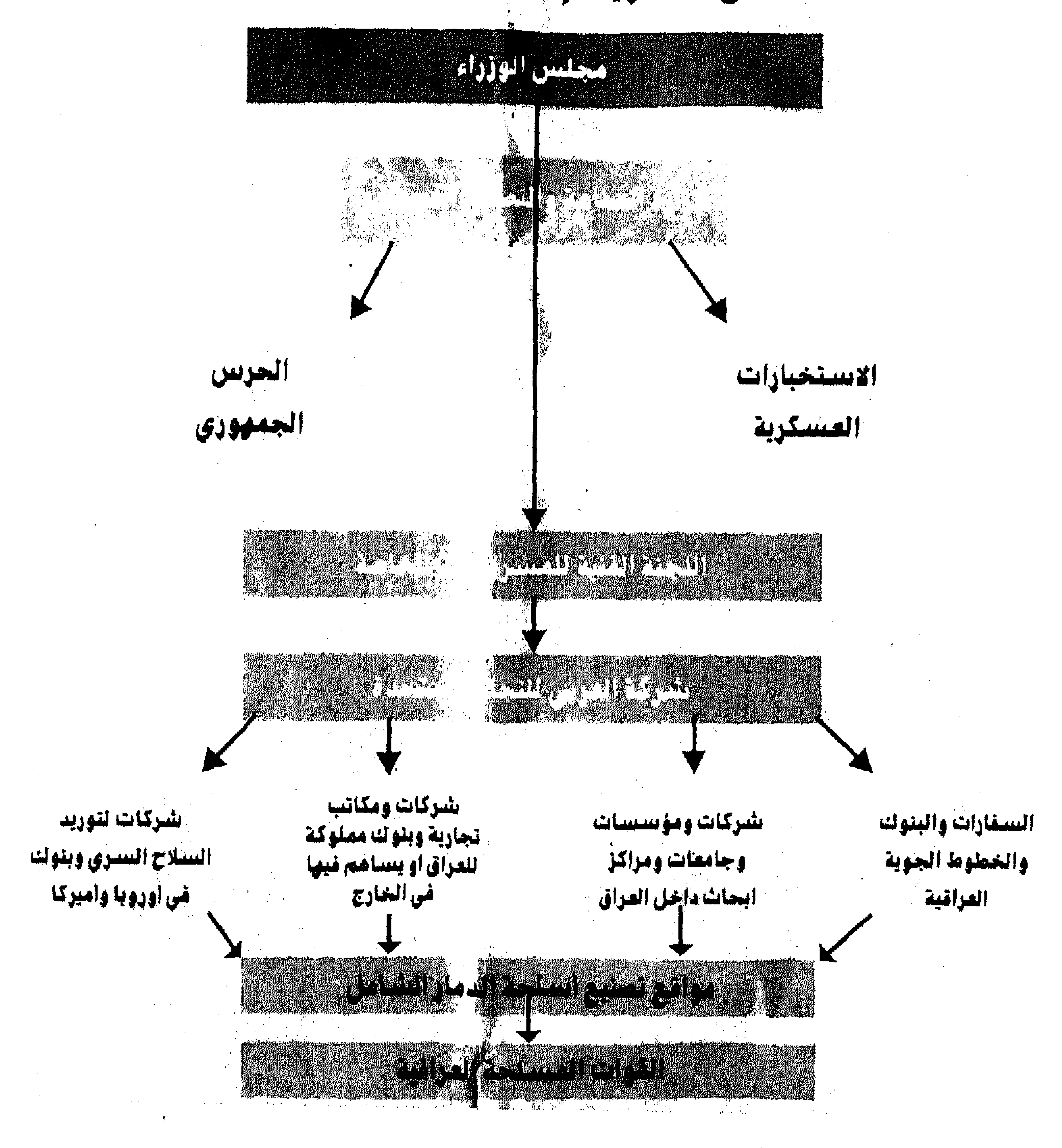



مداخيل العراق عام 2001
٪60
٪28
٪11.7
٪0.39 من اصحاب الملايين والمستفيدين من النظام الحاكم.
فوق مستوى خط الفقر حسب السعر الرسمي للدينار البالغ 0.3109 دولار.
تحت مستوى خط الفقر العالمي
يعيشون من تحويلات مهربة من ذويهم في الخارج
اوضاع القوى العاملة في سن التشغيل
٪31.2
٪42
٪25
البطالة المقنعة متمثلة في موظفي الحكومة والعاملين في المنشآت المشتركة والذين يتقاضون رواتبهم بالدينار العراقي
٪1.8 كبار موظفي وعملاء حزب البعث وكبار الموظفين ورجال الدولة
العاطلون تماما عن العمل
الفلاحون وعمال مصانع القطاع الخاص شبه متعطلين عن العمل


القيادة والتحكم
رئيس الجمهورية صدام حسين
القائد الاعلى للقوات المسلحة
الحرس الرئاسي
لجنة الأمن الخاص التابعة للرئيس
مجلس الدفاع
وزير الدفاع
قائد القوات المسلحة
وزير الداخلية
مركز الاستخبارات المشتركة
وزارة الصناعة
المقار الرئيسية للقوات المسلحة
رئيس الأركان العامة
جهاز الخدمة المشتركة
الاستخبارات العسكرية
المقار الرئيسية للجيش (بغداد)
المقار الرئيسية للبحرية (بغداد)
المقار الرئيسية للقوات والدفاع الجوي بغداد


المنظومة الأمنية لصدام حسين
منظمة هرمية يقف على قمتها طاغية العراق ممارسا سلطة قمعية مطلقة وسيطرة يومية كاملة مباشرة وغير مباشرة، والمفارقة انه أول من انشا جهازا سريا في البعث في الستينيات لتصفية المعارضين جسديا ووصل لقمة النظام الدموي فوق جثث رفقائه وشرع بعدها في تشكيل الآلة الأمنية القمعية من خلال 3 أنظمة أمنية وعسكرية وسياسية لدعم وتامين بقاء النظام
نظام الدعم الأمني
تضم عددا لا يحصى من أجهزة الأمن والاستخبارات بعضها علني، ومعظمها سري، وتتحرك في إطار تكليفات خاصة من القيادة التي تنتسب لأسرة الطاغية أو عشيرته التكريتية، ويتشكل النظام من 5 أجهزة رئيسية هي:
جهاز الحماية الخاصة
يطلق عليه أحيانا اسم جهاز أمن القصر ويوفر الحماية الجسدية للرئيس وأسرته
جهاز مخابرات الرئاسة
يلعب دور المنسق بين الأجهزة الأمنية وأجهزة الاستخبارات
جهاز المخابرات العامة
يتكون من دائرتين داخلية لقمع المعارضين، وخارجية للعمليات القذرة. ويتالف من 4 آلاف فرد
جهاز الاستخبارات العسكرية
يتمركز في حصن مجهز في منطقة الأدهمية، ويتالف من 6 إلى 7 آلاف فرد
جهاز الأمن العام
يطلق عليه البوليس السري يقوم بمهمة قذرة وهي تصفية المواطنين المعارضين للنظام
نظام الدعم العسكري
محوره قوات الحرس الجمهوري الذي يخصص له أكثر من 75٪ من الأموال المخصصة لإعادة بناء الجيش العراقي بالكامل لأنها المعنية بتأمين النظام الفاشيستي وتنقسم الى 4 افرع رئيسية هي:
قوات الحرس الجمهوري
تم دمجها في 6 فرق وتتكون من حوالي 270 الف فرد، مهمتها تامين قصور الرئاسة وقمع الانتفاضات الشعبية
قوة الحماية الخاصة
تشكل دائرة الحماية الاولى للطاغية يقودها ضباط من العشيرة التكريتية
قوة حماية العاصمة
تعتبر الوحدة العسكرية الأقوى في العراق وتخضع لقيادة صدام مباشرة فيختار ضباطها بنفسه ومهمتها تامين حياته حال نجاح اي انقلاب
القوات المقاتلة
قوة عسكرية عاملة لعبت دورا في قمع الانتفاضة، وسحق الشيعة والأكراد
نظام الدعم السياسي
عبارة عن منظمات حزب البعث، وبعض الوزارات في الحكومة، ويتالف النظام السياسي من حوالي 400 الف عضو يشكلون خلايا واجهزة ومكتب مهمتها تدعيم بقاء نظام الطاغية وتضم أجهزة رئيسية هي:
أمن حزب البعث
يقوم بدور أعمال الاستخبارات على اعضاء الحزب في إطار شبكة تمتد في جميع انحاء العراق
المكتب السياسي
يترأسه الطاغية ومهمته زرع أفكار البعث في صفوف القوات المسلحة
مكتب رؤساء القبائل
يقوم بدعم رؤساء القبائل الموالين للنظام وتمكينهم من السيطرة على قبائلهم وقمع اي معارضة داخلها.
فدائيو صدام
تشكيل جديد يضم النشء من تكريت لتلقينهم الولاء للطاغية
وزارة الخارجية
كل البعثات العراقية في الخارج هي مكاتب للمخابرات
وزارة الإعلام
يسيطر عليها رجال المخابرات لتزييف الحقائق وخداع الشعب وشراء ابواق اعلامية تمجد صدام.
الاتصالات
تمثل محور الخطة الجديدة في اطار المشروع 858 لجمع المعلومات بطريق الاشارات الالكترونية وتضم 800 فرد

شبكة الاستخبارات لعقد صفقات السلاح السرية لإعادة تأهيل الجيش



- يلح سؤال على كل المراقبين للشأن العراقى منذ أكثر من عشر سنوات: كيف يقبل الشعب العراقى ببقاء حكم النظام الصدامى بعد كل الجرائم التى ارتكبها هذا النظام فى حق شعبه ؟ وكيف يرضى بنهب ثرواته على النحو الذى أوضحناه آنفا ؟ والجواب يتكرر أيضاً منذ أكثر من عشرين سنه، ومفاده أن صدام يحكم من داخل حصن أمنى، ولا يتورع أزلامه عن إسكات أى صوت معارض أو شبه معارض. لذلك أصبح الرجل العراقى العادى يشك فى زوجته وأبنائه أن يكون أحدهم مرشداً سرياً لأجهزة الأمن.

- والجهاز الأمنى لصدام عبارة عن منطقة هرمية ذات قاعدة واسعة، يقف على قمتها صدام ممارساً سلطة قمعية مطلقة، وسيطرة يومية كاملة مباشرة وغير مباشرة، حتى يحصى على الشعب أنفاسه، ومن هنا يفهم سر بقاء هذا النظام طيلة العقود الثلاثة الأخيرة فى بلد كان معدل استمرار قادته فى السلطة أقل من خمسة سنوات. وحقيقة الأمر أن صدام حسين بدأ فى بناء هذا الجهاز منذ ما قبل توليه السلطة بسنوات، عندما أسس خلفه (حنين) أو (قنى) للقيام بعمليات الاغتيالات لصالح حزب البعث على النحو الذى أوضحناه فى الفصل السابق، وكان ذلك تحت إشراف المخابرات البريطانية، وبواسطة هذا الجهاز أمكن له تصفية أعداء الحزب، ثم تصفية جميع رفقاء صدام الذين أوصلوه إلى السلطة بعد ذلك، بما لا يمكن تصوره من ممارسات عدوانية وحشية وقذرة، تمثلت فى تصفيات جسدية، إلى اعتداء على حرمات البيوت، واعتقالات وعمليات تعذيب لا تخطر على عقل إنسان، وبحيث لا يكون هناك ثغرة أو نافذة لاختراق الحائط الأمنى حول النظام بشكل عام، وصدام على وجه الخصوص. وبذلك بسط صدام سيطرته على الدولة وبعد ذلك على العراق كله، بل وتعدى حدود العراق لارتكاب جرائم قتل وتخريب وتجسس ليس فقط ضد المعارضين للنظام من العراقيين فى الخارج، ولكن أيضاً ضد الدول الأخرى المعادية للعراق والصديقة له على السواء، مطبقاً مقولة كيسنجر: ليس هناك أعداء وأصدقاء، ولكن توجد عدائيات بدرجات مختلفة!!

- وحدد صدام للجهاز الأمنى أربعة مهام تتمثل فى ضمان سلامته الشخصية، منع الانقلابات وإحباطها مبكراً، ومنع الانتفاضات الشعبية والقضاء عليها، وتقليص التهديدات الخارجية للنظام. وأولى مسئولية الأجهزة الأمنية للدائرة الداخلية المحيطة به من أفراد عائلته والتى تضم حوالى عشرين شخصاً، وهم: ابنيه عدى وقصى، وخمسة أصهار، وثلاث أخوة غير أشقاء، وستة أبناء عم مع أبناءهم. ثم تأتى الدائرة الثانية من العشيرة التكريتية والعشائر الأخرى الموالية للنظام وعلى رأسها عشيرة الديلمى.

- ويضم نظام الدعم الأمنى أجهزة الأمن والمخابرات، وعدداً آخر لا يحصى من الأجهزة الرئيسية والفرعية بعضها معروف ومعظمها سرى يتحرك وفق تكليفات خاصة من القيادة، غير أن هذا النظام يتكون من خمس أجهزة أساسية هى: جهاز الحماية الخاصة، جهاز مخابرات الرئاسة، جهاز المخابرات

العامة، جهاز الاستخبارات العسكرية، جهاز الأمن العام. ويتفرع من هذه الأجهزة الأساسية أجهزة أخرى فرعية معظمها سرى.

أ- جهاز الحماية الخاصة: ويطلق عليه البعض "جهاز أمن القصور" أو "جهاز إدارة شئون الرئاسة" أو "فرع الأمن الخاص"، وهو أخطر الأجهزة الأمنية على الإطلاق، ويشكل الدرع الذى يوفر الحماية الجسدية لصدام وعائلته. ويشرف على إدارة غرفة العمليات الخاصة فى قصر الرئاسة، ويرتبط بشبكة معلومات سرية على الحاسب الآلى مع بقية الوحدات الأمنية والعسكرية خاصة الحرس الجمهورى، ويتولى الإشراف على اتصالات وتحركات صدام داخل قصوره، وأعضاؤه هم الوحيدون المسموح لهم بحمل السلاح فى الدائرة المحيطة به. لذلك يجرى اختيارهم بعناية خاصة، وهم عادة من مسقط رأس صدام فى تكريت أو العوجة، ويترأس هذا الجهاز واحد من أفراد العائلة المباشرة، حالياً قصى النجل الثانى لصدام حسين. ويجند العاملون فى الجهاز فى سن تتراوح ما بين ١٦ و ١٨ سنة لضمان عدم ولائهم لفكر أو حزب معين، ويجرى تدريبهم على الولاء والطاعة المطلقة، ويتجاوز عدد أفراد جهاز الحماية الخاصة ٥٠٠ شخص. ومن مهام هذا الجهاز مراقبة أجهزة الأمن والمخابرات الأخرى والحرس الجمهورى وعائلة صدام ذاتها والوزراء وقادة الفيالق العسكرية، بجانب الإشراف على عمليات الأمن الداخلية التى تتم ضد الأكراد والشيعة وأمن الإذاعة والتلفزيون. ويعتقد بعض المتخصصين فى الشأن العراقى أن هذا الجهاز يدير أيضاً حسابات صدام السرية فى الخارج، وأعمال المخابرات الخاصة بشراء الأسلحة ذات التكنولوجيات الحرجة (خاصة أسلحة الدمار الشامل) من الخارج، بالإضافة لإدارة أعمال الأمن الخاصة بالصناعات الحربية وعرقلة أعمال فرق التفتيش الدولية. كذلك يتولى هذا الجهاز انتقاء الشخصيات التى تمثل العراق فى الاتصال بجهات أجنبية عند حدوث أزمات. ويقع مركز قيادة هذا الجهاز فى شارع فلسطين ببغداد وداخل قصور الرئاسة، كما أن له فروع فى عدة مبانى بجوار فندق الرشيد، ومكاتب فرعية فى مدن العراق الرئيسية، وله معتقل كبير فى منطقة الرضوانية بالقرب من مطار بغداد. ولهذا الجهاز فرع سياسى يترأسه اللواء نوفل محجوم التكريتى الذى يتولى مهمة مراقبة كل من يشتبه فيه، ولديه قناة اتصال بقاعدة بيانات وزارات الدفاع والداخلية والخارجية، ولدى هذا الفرع وحدة عمليات خاصة يقودها حاجى زهير التكريتى تقوم بمهام اعتقال وإعدام المشتبه فيهم دون محاكمة، ولديه قوة أمنية بتسليح عسكرى تسمى "الواء الأمن الخاص" تتقاطع مهامها مع مهام الحرس الجمهورى والحرس الخاص. ويمارس هذا الجهاز مهامه بواسطة عمليات التجسس والتنصت بالهاتف والتصوير السرى، بالإضافة لزرع أجهزة تسجيل والتقاط أحاديث على موجة FM وتسجيلها. ويرتدى أفراد هذا الحرس الملابس المدنية عندما يكلفون بمهام خاصة، أما غالبيتهم فيرتدون الملابس الزيتونية. كما يعول الجهاز على استخدام أشخاص من مختلف الطبقات والمهن والحرف .. مثل المراسلين والخدم والبائعين وعمال المطاعم والمقاهى والأكشاك، كما تستخدم النساء أيضاً بطريقة منحرفة لابتزاز أعداء النظام .. بالإضافة لاستخدام وسائل مختلفة لتصفية

المعارضين السياسيين، منها تفجير السيارات، واستخدام السموم مثل الثاليوم الذى اشتهر صدام باستخدامه، وسموم أخرى سريعة تؤدى إلى توقف القلب.

ب- جهاز مخابرات الرئاسة: ويتولاه أحد أفراد أسرة صدام، ويلعب دور المنسق بين أجهزة الأمن والمخابرات والاستخبارات العسكرية. ومن خلال هذا يتمكن صدام من السيطرة المباشرة على الأجهزة الأمنية كافة، مستغلاً صلاحية مخابرات الرئاسة فى النفاذ والتغلغل إلى بنية وتشكيلات الأجهزة الأمنية المختلفة، بنظام يشبه الخلايا العنقودية المترابطة بشكل هرمى، ولهذا الجهاز دور أيضاً فى مراقبة عائلة صدام وتحركات المسئولين.

ج- جهاز المخابرات العامة: ويسمى أحياناً إدارة المخابرات أو مخابرات الأمن، ومهمة هذا الجهاز مكافحة التجسس، والحصول على المعلومات السياسية والاقتصادية والفنية عن الدول المجاورة وغير المجاورة المعنى النظام الصدامى بأن يكون له نفوذ فيها، وذلك بواسطة المديرية العامة للخدمة السرية وهى أحد أفرع الجهاز. وبجانبها توجد مديريتان عامتان للأمور الإدارية والفنية وحاسبة إلكترونية، كما ترتبط بـه الحاكمية وهى جهة التحقيق والتعذيب والمحاكمة، وله مديريات فرعية فى محافظات العراق. ولهذا الجهاز مندوبون يسيطرون على أغلب الوظائف فى السفارات العراقية فى الخارج تحت أغطية دبلوماسية، ويركز هذا الجهاز جهوده فى اتجاهين: متابعة أنشطة المعارضة العراقية فى الخارج والعمل على تصفيتها، والاتجاه الآخر كشف أنشطة المعارضة الداخلية خاصة من جانب الأكراد والشيعة.- وقد تولى رئاسة هذا الجهاز برزان التكريتى - الأخ غير الشقيق لصدام - وحالياً يرأسه معنى عبد الرشيد تحت إشراف قصى الذى يتدخل بقوة فى إدارة الجهاز. ورغم سرية الجهاز وخطورة ما يقوم به من عمليات، فإن قيادته موضوعة تحت المراقبة المستمرة لصدام، وتصفية المشتبه فيهم فوراً، وكان منهم أحد مديرى الجهاز فاضل البراك فى عام ١٩٨٩ بتهمة التخابر مع روسيا وتم إعدامه فى عام ١٩٩١. كما يتولى هذا الجهاز مراقبة قيادات وكوادر حزب البعث، وشراء الأبواق الإعلامية فى الخارج. وتوجد قيادة هذا الجهاز فى منطقة (منصور) فى بغداد، وقد تعرضت لقصف صواريخ توماهوك الأمريكية فى ٢٧ يونيو ١٩٩٧ لضلوع الجهاز فى محاولة اغتيال الرئيس الأمريكى الأسبق جورج بوش. ويوجد ضمن هيكل جهاز المخابرات العامة (المكتب ١٦) الذى يتولى تدريب العناصر العراقية، والعربية والأجنبية على القيام بالعمليات السرية القذرة - مثل العمليات الإرهابية من اغتيالات وتخريب. كما يتواجد تحت قيادة الجهاز أيضاً "لواء مخابرات" يضم عناصر شبه عسكرية، وسجن ومركز اعتقال سرى فى منطقة (خاندير) غرب بغداد، وسجون أخرى فى أبو غريب تحت قيادة (المكتب السابع) الذى يتولى أعمال اعتقال المشتبه فيهم والتحقيق معهم وتعذيبهم وإعدامهم.

د- جهاز الاستخبارات العسكرية: تقع قيادة هذا الجهاز على ضفة نهر دجلة من جهة الكاظمية فى بغداد وبجوار جسر الأئمة. ومهمته الأساسية مجابهة التهديدات العسكرية الخارجية، وقوى المعارضة داخل

وخارج العراق، وأمن القوات المسلحة ومدى تورط أفرادها فى علاقات مع جهات معادية للنظام فى الداخل والخارج. ورغم الطبيعة العسكرية لهذا الجهاز، فإنه لا يتبع وزارة الدفاع ولكن يتبع رئاسة الجمهورية، ويرأسه أحد المقربين لصدام شخصياً من قادة الجيش ومن محافظة تكريت فى الغالب. ومن المهام التى يكلف بها هذا الجهاز تأمين ولاء الجيش للنظام الصدامى، وجمع المعلومات العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية عن الدول الأخرى، خاصة التى تشكل تهديداً للنظام، وعرض سيناريوهات للتهديدات التى يواجهها النظام الحاكم وكيفية مواجهتها، والتعاون مع أجهزة المخابرات الأجنبية، وإدارة عمليات إرهابية خارج العراق ضد الدول والأفراد المعادين للنظام الصدامى. ومن أبرز عملياته اغتيال الفريق حردان التكريتى وعائلته وزير الدفاع الأسبق، وعبد الرزاق النايف رئيس الوزراء الأسبق. وكما يوجد لجهاز الاستخبارات مندوبين ضباط فى السفارات العراقية، يوجد له أيضاً مكاتب فى معظم محافظات العراق. وتتكون قوة الجهاز من حوالى ٧٠٠٠ فرد، ومنظم فى ثلاث فروع رئيسية: سياسى وخاص وإدارة أمن. حيث يختص الفرع السياسى بجمع المعلومات عن الدول الأخرى، أما الفرع الخاص فيضم وحدة أمن سرية لضمان أمن أفراد جهاز الاستخبارات نفسه، ولواء من قوات شبه عسكرية، وكتيبة لقمع حركات المعارضة فى بغداد. بالإضافة للوحدة (٩٩٩) لجمع المعلومات من خلال اختراق البنية المجتمعية فى العراق. أما إدارة الأمن فتتكون من كتائب تضم خبراء اختصاصيين بشئون كل منطقة مهمتهم التخطيط لعمليات تسلل عملاء النظام فى الحكومات والتنظيمات الأجنبية، منها ما هو مختص بإيران، وتركيا، ودول الخليج العربية، وسوريا، إضافة لكتائب تعمل فى الداخل وسط تجمعات الأكراد والشيعة.

هـ - جهاز الأمن العام: ويطلق عليه (البوليس السرى) أو (إدارة الأمن الداخلى). وهو من أقدم الأجهزة الأمنية، ومقرها فى بغداد فى منطقة البلديات قرب قيادة قوات الحدود. ويوجد لهذا الجهاز مكتب داخل كل قسم شرطة فى العراق لضمان بسط سيطرة النظام على المجتمع العراقى من داخله. وتتحصر مهمته فى مكافحة الأحزاب والتنظيمات السياسية المعارضة لحزب البعث الحاكم، ولا علاقة له بالمهام الخارجية، وأعيد ربط مديرية الأمن الاقتصادى بهذا الجهاز، لكى يتولى مكافحة المتاجرة بالعملة الحرة، ومراقبة السوق السوداء وأسعار المواد والسلع خاصة الغذائية، كما يشرف على المراقبات الهاتفية فى البدالات المدنية.

و- المشروع ٥٨٥: امتد نفوذ جهاز المخابرات العامة إلى إدارة الاتصالات والمعاهد البحثية والأكاديمية وتطويعها لتحقيق التأمين الأمنى للنظام، حيث أعدت خطة جديدة باسم "المشروع ٥٨٥" أو "مشروع الهادى" وهو عبارة عن استخدام التقنية العالية فى الاتصالات لجمع المعلومات عن طريق الإشارات الإلكترونية. وقد الحق بهذه الشبكة الاستخبارية الجديدة ما يزيد عن ٨٠٠ فرد تم تدريبهم على أحدث الوسائل التكنولوجية فى جمع المعلومات. ويقع مقر قيادة هذا المشروع فى منطقة الراشدية ببغداد، ويتبعها أكثر من خمس محطات أرضية منتشرة فى أنحاء العراق مخصصة بالكامل لعمليات رصد

وجمع وترجمة الإشارات الإلكترونية، ثم إعادة بثها لأفرع أجهزة المخابرات - وتمتد مهام هذه الشبكة إلى مراقبة الاتصالات السياسية والعسكرية التى تتم بين السفارات الأجنبية فى العراق وحكوماتها. وقد تم تزويد هذا المشروع بأجهزة تجسس واتصالات وكمبيوترات جرى استيرادها من فرنسا واليابان لضمان الكفاءة فى أداء المهمة، وتحرر قيادة هذا المشروع تقريراً يومياً يرفع إلى صدام شخصياً ورؤساء الأجهزة الأمنية والسياسية والعسكرية.

- ورغم منظومة الأمن المترامية الأبعاد، وتنوع مهامها، فإنها لم تنجح فى منع عدة محاولات اغتيال استهدفت صدام وولده عدى وعدد من أركان النظام ووزرائه، كما لم تفلح فى منع هروب عناصر بارزة من داخل النظام إلى الخارج ليزيد عدد المعارضين له، وهو ما يقلق صدام بالفعل لأنه لا يعرف بالضبط من أين ستأتيه الخيانة، ناهيك عن الوقوع فى مشكلة إصدار أحكام خاطئة على شخصيات بارزة من داخل النظام نفسه بسبب كثرة الوشايات والمكائد والأحقاد، والرغبة فى الظهور والتقرب من صدام، وأسلوب أخذ الناس بالشبهات وليس بالقرائن. ومن هنا تبدو الخطورة على العراق عند زوال صدام، فسيكون الصدام عنيفاً ودموياً بين العديد من الأجهزة الأمنية بسبب التداخل فيما بينها، بحيث صارت تشبه الخلايا العنقودية، وسقوط خلية يؤدى إلى سقوط بقية الخلايا. ومن هنا تتقاطع التقارير الغربية فى تأكيد أن الخطر الذى يوشك أن يقتلع العراق ويدمره، يتمثل فى الشبكة الأمنية نفسها التى صنعها صدام ويمسك بكل خيوطها، وعندما يرحل من غير رجعة، سيكون الصراع بين أجهزتها عنيفاً ومدمراً.

- ويبقى السؤال قائماً: ماذا تبقى للعراق بعدما صارت البلد كلها من شمالها إلى جنوبها، ومن غربها إلى شرقها، عبارة عن آلة أمنية (زر) تشغيلها بيد صدام؟ الواقع هو أن واقع العراق ا ليوم عبارة عن خراب اقتصادى، وعفن سياسى، وتفسخ اجتماعى، وبذاءات إعلامية، وانحطاط ثقافى، ومجتمع خرب من داخله، وبعد أن دمَّر صدام حسين بنظامه الأمنى العلاقات الإنسانية داخل المجتمع العراقى، وأحاط كل إنسان فى العراق - حتى فى داخل مؤسسات النظام بما فيها المؤسسات الأمنية ذاتها - بهواجس الوشاية وزيارات واستدعاءات الأجهزة الأمنية، وما يستتبع ذلك من الزج فى السجون والمعتقلات لسنوات طويلة بسبب نسيان النظام له، حيث لا حقوق سياسية للإنسان فى العراق، هذا إذا لم يسارع النظام بتعذيبه وتصفيته هو وعائلته، كما حدث ويحدث فى غياهب قصر النهاية بالعراق. وكل ذلك يتم بهدف تعزيز جنون صدام ومساعدته على القيام بمغامراته على حساب الشعب العراقى والشعوب العربية الأخرى.

تطوير المؤسسة العسكرية العراقية (١١٧)

- تعتبر المؤسسة العسكرية فى العراق بمثابة الضلع الثالث فى المثلث الداعم للنظام الصدامى - بجانب العائلة الصدامية والمؤسسة الأمنية - بالإضافة للمؤسسة السياسية المتمثلة فى حزب البعث. ومحور

المؤسسة العسكرية يتمثل فى فيلق الحرس الجمهورى - وقد تمكن النظام الصدامى من إعادة بناء قواته المسلحة من خلال ميزانية عسكرية تبلغ اعتماداتها السنوية حوالى مليار دولار، حيث حصل على أسلحة ومعدات قتالية حديثة من دول صديقة يأتى على رأسها دول الاتحاد السوفيتى السابق - مثل روسيا وأوكرانيا - بالإضافة إلى يوغوسلافيا والصين وكوريا الشمالية وبلغاريا. وقد انعكس هذا التطوير فى أكبر عرض عسكرى تشهده العراق منذ هزيمة ١٩٩١، حيث استعرض صدام حسين حوالى ١٠٠٠ دبابة تمثل حوالى نصف عدد الدبابات الموجودة لدى الجيش العراقى، وكذلك عدة مئات من قطع المدفعية وراجمات الصواريخ ومركبات القتال المدرعة، وحوالى ٦٠ هيلوكبتر، بالإضافة لوحدات صواريخ أرض/جو (دفاع جوى) حديثة، وقد استفاد صدام كثيراً من التنافس الدولى فى تجارة الأسلحة، وذلك بعقد صفقات عديدة، بعضها تم مباشرة مع العراق، وبعضها الآخر تم من خلال طرف ثالث ووسطاء وشركات تسليح وهمية.

- ويواصل النظام الصدامى إعادة تأهيل قدراته العسكرية عبر عدة محاور:

أ- الاستفادة من الدروس التى أفرزتها هزيمة العراق فى حرب تحرير الكويت، والدروس التى أبرزتها الحروب الإقليمية فى مناطق أخرى من العالم .. مثل حروب البلقان والصومال وأفغانستان.

ب- التركيز على رفع الكفاءة النوعية للقوات المسلحة، وفى المقابل تقليص حجم التوسع الكمى.

ج- تحديث الأسلحة والمعدات القديمة بما يزيد من قوة نيرانها وخفة حركتها.

د- الاهتمام برفع كفاءة الدفاع الجوى على المستويين الكمى والنوعى لمواجهة التفوق الجوى الأمريكى والبريطانى، لاسيما فى مناطق الحظر الجوى شمال وجنوب العراق.

هـ- استيراد أنظمة تسليح جديدة فى حدود الضرورى لخدمة مهام العمليات، مع الاهتمام بحجم كبير ومتنوع من قطع الغيار وبما يؤمن استمرار الكفاءة القتالية للأسلحة والمعدات أثناء الحرب مواجهة وإحكام الحصار على العراق.

- وفى هذا الإطار تم تحديث الدبابات الروسية الصنع (ت-٥٥، ت-٦٢، ت-٧٢) بمحركات وأنظمة تبريد جديدة تم استيرادها من أوكرانيا، كما عقد صفقة مع روسيا قيمتها ٤٥٠ مليون دولار حصل بموجبها على سبعة بطاريات صواريخ أرض/جو سام-١٠ مع تحسين أنظمة الصواريخ سام-٢، ومن المعروف أن صواريخ سام-١٠ تعتبر نظاماً للرد المباشر على صواريخ كروز (توما هوك) الأمريكية. ويوجد ١٥ خبير روسى فى العراق لتحديث نظام دفاعه الجوى. كما أشارت مصادر بريطانية إلى صفقة أخرى عقدها العراق مع روسيا لتطوير المقاتلات الاعتراضية طراز ميج، وقد بلغ حجم هذه الصفقة ١٦٣ مليون دولار. وقد اعتمد النظام الصدامى على الصين فى تطوير شبكة راداراته بالاعتماد على

الرادارات السلبية التى لا تبث إشعاعات وبالتالى لا يمكن للمقاتلات الأمريكية اكتشافها، وقد قامت الصين بتركيب نظام كابلات يعتمد على الألياف البصرية لربط وحدات الدفاع الجوى على مستوى المسرح، كما عقدت العراق صفقة مع بلغاريا للحصول على الرادار TAMARA.

- وطبقاً لإصدارة معهد الدراسات الإستراتيجية الدولية فى لندن عن (الميزان العسكرى ٢٠٠١-٢٠٠٢) فإن القدرات العسكرية العراقية الحالية صارت على النحو التالى:

أ- القوة البشرية: خدمة عاملة ٢٤٢ ألف فرد، خدمة احتياط ٦٥٠ ألف فرد.

ب- قوات برية: ٧ فيالق تضم [٣ فرق مدرعة + ٣ فرق ميكانيكية + ١١ فرقة مشاة + ٦ فرق حرس جمهورى + ٤ لواءات حرس جمهورى + ٥ لواءات كوماندوز + ٢ لواء قوات خاصة].

ج- التسليح:

(١) قوات برية: ٢٩٠٠ دبابة منهم ٧٠٠ (ت-٧٢)، ٣٧٠٠ مركبة مدرعة، ٢٠٥٠ مدفع وراجمة صواريخ منهم ١٥٠ مدفع ذاتى الحركة و ٢٠٠ راجمة صواريخ، ٥٠ صاروخ أرض/أرض تكتيكى (فروج-٧) يخدمهم ٦ قواذف.

(٢) قوات جوية: ٣١٦ طائرة مقاتلة [منهم ١٣٠ مقاتلة قاذفة معظمها سوخوى ٢٠ و ٢٢، ميراج + ١٨٠ مقاتلة اعتراضية معظمها ميج ٢١، ٢٣، ٢٥ و ميراج و ف-٧ الصينية]، ٦ قاذفة ثقيلة (ت-يو٢٢). (ويوجد لدى إيران نحو ١٤٠ مقاتلة معظمها طراز سوخوى-٢٤)، ٥ طائرة استطلاع، ١٥٥ طائرة تدريب، ٣٤ طائرة نقل، ٣٧٥ هيلوكبتر منها ١٠٠ هيلوكبتر هجومية مزودة بصواريخ مضادة للدبابات.

(٣) قوات الدفاع الجوى: ١٨٠ منصة إطلاق سام-٢، ١٢٥ منصة إطلاق سام-٣، ١٢٥ منصة إطلاق سام-٦، ٣٥ منصة إطلاق سام-٨، ٤٥ منصة إطلاق سام-٩، وأعداد من صواريخ سام ١٠، سام-١٣، رولاند ٥، ووحدات نيران صواريخ كروتال، ٢٠٠٠ صاروخ سام-٧ قصير المدى محمول على الكتف وسام-١٤ و سام-١٦ وسبايد.

(٤) قوات بحرية: تتواجد القواعد البحرية فى الزبير، أم القصر، ٨٥ زورق قتالى بعضها مزود بصواريخ سطح/سطح SSN-2A، ستايكس، ٥ زوارق داورية، ٨٠ قارب صغير، ٣ كاسحة ألغام، ٢ سفن اسناد إدارى.

د- القوات شبه العسكرية: حوالى ٤٤ ألف فرد تتوزع على النحو التالى:

قوات أمن نحو ١٥ ألف عنصر، حرس حدود نحو ٩ آلاف عنصر، فدائيو صدام نحو ٢٠ ألف عنصر.

- ورغم الجهود الضخمة التى يبذلها النظام الصدامى لتطوير قواته المسلحة، فإنه يواجه عدة مصاعب ترجع فى الأساس إلى الحصار المفروض عليه فى مجال الحصول على الأسلحة والمعدات الحربية وقطع الغيار، الأمر الذى حرمه إلى حد بعيد من الحصول على احتياجاته التسليحية من الدول الغربية، وقصر إمداداته على الدول التى نتجت عن تفكك الاتحاد السوفيتى السابق وأوروبا الشرقية والصين، وهى معدات ذات مستوى نوعى أقل من مثيلاتها الغربية. هذا بالإضافة لفقد النظام الصدامى السيطرة على عائدات نفطه، والتى تتحكم فيها الأمم المتحدة. وقد أدى هذا إلى تقليص إنفاقه الدفاعى بنسبة تصل إلى ٥٠% عما كان عليه عام ١٩٩٠، حيث بلغ فى عام ٢٠٠١ حوالى ١,٤ مليار دولار نسبة كبيرة منها مخصصة رواتب للضباط والأفراد، وبالتالى تقلصت المشتريات بمقدار النصف خلال السبع سنوات الأخيرة، وعدم القدرة على تطوير الصناعة الحربية المحلية، واعتماده على أعداد كبيرة من الخبراء والمستشارين الأجانب فى تطوير وتحديث قواته المسلحة، وهو ما يكلف العراق مبالغ ضخمة. كما أن الترسانة المتنوعة من الأسلحة والمعدات والتى تنتمى فى أصلها إلى عدد من الدول، يصعب كثيراً من الإمداد اللوجيستى لاسيما فى مجالات قطع الغيار والإصلاح والصيانة، خاصة مع استمرار الحصار المضروب على العراق. وقد انعكس ذلك بوضوح فى الصعوبة التى واجهت قيادة الدفاع الجوى العراقية لربط جميع وحدات الدفاع الجوى فى إطار منظومة واحدة للقيادة والسيطرة، وبالتالى فقدان التعاون والتنسيق بين هذه الوحدات، وبروز ثغرات فى نظام الدفاع الجوى على مستوى الدولة، خاصة على صعيد الإنذار الرادارى، بعد أن ضربت المقاتلات الأمريكية نظام الاتصالات الذى كانت الصين تقيمه اعتماداً على الألياف البصرية قبل أن يتم استكماله.

- ومن المتفق عليه بين الخبراء العالميين أنه بسبب هذه الأزمات العديدة التى تواجهها القوات المسلحة العراقية، فإن خطط تأهيلها يصعب على النظام الصدامى تنفيذها، وهو ما يفسر السعى المستمر لهذا النظام لامتلاك أسلحة دمار شامل لتعويض ما تعانيه القوات المسلحة التقليدية من تخلف. حيث تقدر تكلفة تحديث وتطوير هذه القوات بأكثر من ٢٠ مليار دولار، وأكثر من ١٠ مليار دولار لكل فرع رئيسى من أفرع القوات المسلحة حتى يعود إلى المستوى الذى كان عليه فى الماضى.

- وقد تم إعداد خطتين للطوارئ فى الجيش، يتعلق الشكل الأول بالحالة التى تستطيع فيها الأجهزة الأمنية السيطرة على الأوضاع الأمنية، بينما تتعلق الخطة الأخرى على افتراض عجز الأجهزة الأمنية عن السيطرة على الاضطرابات، وعندئذ تتدخل القوات المسلحة. وفى إطار خطة تدخل الجيش تم تحديد مسئولية التشكيلات القتالية فى المدن والأهداف الأخرى، بينما أبقيت قوات الحرس الجمهورى فى الاحتياط العام، حيث يجرى استخدامها بأوامر صدام حسين حصراً، وتصبح قوات الجيش الأخرى فى المحافظات بإمرة المحافظين. وتشير الأوامر المعطاة بوضوح إلى سرعة فتح النار على المظاهرات

المعادية للنظام فوراً دون تردد ودون انتظار أوامر فوقية. وفى الظروف العادية توجد فى كل مدينة لجنة أمنية تضم ممثلى الأجهزة الأمنية وحزب البعث، وفى أوقات الطوارئ توضع هذه اللجنة تحت قيادة المحافظ أو قائد التشكيل العسكرى المسئول عن المحافظة.

- ويلاحظ فى انتشار القوات البرية العراقية فى مرحلة ما بعد هزيمة مارس ١٩٩١، تخصيص ٨٣% من القوات المدرعة والميكانيكية العراقية - عدا الحرس الجمهورى - وهو ما يشكل ٤٠% من فرق المدرعات العراقية للانتشار فى المنطقة الجنوبية من العراق، وحول مدينتى البصرة والعمارة الأكثر قرباً من الكويت، ويحكم هذا الانتشار عاملين أساسيين هما: ضرورات أمن النظام التى تتطلب إبعاد الجيش عن بغداد، واستمرار تهديد الدول الخليجية.

دور الحرس الجمهورى فى حماية النظام الصدامى [(١١٨)]

- يعتبر فيلق الحرس الجمهورى المحور الرئيسى للقوات المسلحة العراقية، وكان قبل حرب تحرير الكويت يتكون من ١٢ فرقة، تم دمجها بعد حرب الخليج فى ٦ فرق، منها: ٣ مدرعة ثقيلة (النداء وحمورابى والمدينة المنورة)، و ٣ فرقة خفيفة (بنوكشاد، نيزار، بغداد). هذا بالإضافة إلى ١٦ لواء مستقل منها: ٤ حرس جمهورى خاص، ١٠ مغاوير، ٢ فدائيو صدام. ويصل حجم قوات الحرس الجمهورى ٢٧٠ ألف فرد. وطبقاً للتقديرات الأمريكية فإن العناصر التى نجت فى حرب تحرير الكويت تقدر بحوالى ٧٠٠٠ فرد، وهو ما يعنى أن النظام الصدامى قد أعاد تأهيل فيلق الحرس الجمهورى بما تزيد نسبته عن ٨٠%، وهو ما يفسر استحواذ هذا الفيلق على ٧٥% من الأموال المخصصة لإعادة تأهيل القوات المسلحة العراقية بالكامل.

- وتعمل قوات الحرس الجمهورى تحت قيادة عسكرية بزعامة قصى، وتتبع صدام مباشرة، ومهمتها الأساسية تأمين وحراسة قصور الرئاسة، وتتألف بصفة أساسية من المشاة الميكانيكية ولديها كتائب دبابات طراز (ت-٧٢) ومركبات قتال مدرعة (ب.م.ب-٢) ومدافع ذاتية الحركة (طراز ١٢٢ مم د-٣٠) - وينقسم الحرس الجمهورى إلى ثلاثة أفرع من حيث تخصيص المهام:

أ- قوة الحماية الخاصة: وتشكل دائرة الحماية الأولى لصدام، ويرأسها ضابط تكريتى ويختار أفرادها من المعروف عنهم شدة الولاء لشخص صدام، ومهمتها توفير الحماية العسكرية أرضاً وجواً لمحيط كل المواقع الرئاسية، وذلك بالتنسيق مع جهاز الحماية الخاصة الذى يتحمل المسئولية نفسها ولكن داخل هذه المواقع. غير أن الأخير تتسع نطاق مهامه من خلال تكوين شبكة من المخابئ السرية فى عدد من المنازل والفيلات المنتشرة فى أنحاء البلاد لمزيد من التأمين لرأس النظام واركانه.

ب- قوات حماية العاصمة: يقودها أيضاً ضابط تكريتى، وتعتبر القوة العسكرية الأقوى فى العراق من حيث التسليح والتدريب والانضباط وباقى عناصر الكفاءة القتالية. وهى قوة متكاملة متعددة المهام،

تملك عدد من المروحيات سواء الهجومية أو المخصصة لنقل القوات جواً لتوفر خفة حركة أسرع وقدرة أعلى على الانتشار السريع فى المواقع المهددة داخل وحول بغداد. أما المهمة الأساسية فهى حماية العاصمة فى مواجهة الانقلابات العسكرية المتوقعه، وقمع الانتفاضات الشعبية. وتعتبر القوة العسكرية الوحيدة المسموح لها بالتواجد داخل بغداد وفى نطاقها، كما أنها القوة العسكرية الوحيدة المسموح لها أيضاً بحمل ذخيرتها معها. ويجرى صدام من حين لآخر مقابلات شخصية مع ضباطها، حتى يتمكن من معرفة خفايا ما يدور بين صفوف ضباط هذه القوة، حيث يبادر كل واحد بإطلاعه عما يدور.

ج- القوات المقاتلة: وتشمل باقى فرق الحرس الجمهورى، وتخضع لقيادة مشتركة من الضباط التكريتيين والعرب السُنَّة، وتعتبر الأكفأ قتالياً مقارنة بباقى تشكيلات الجيش العراقى. وقد لعبت الأدوار الرئيسية الأولى فى الحرب العراقية-الإيرانية، وفى العدوان على الكويت، وفى سحق الانتفاضة الشعبية فى مارس ١٩٩١، وفى استعادة مسعود البرزانى مدينة أربيل فى الشمال عام ١٩٩٦.

تحويل حزب البعث إلى منظمة استخبارية كبرى (١١٩)

- سعى صدام عقب الانتفاضة الشعبية التى وقعت فى مارس ١٩٩١ إلى تنشيط دور حزب البعث فى إحكام السيطرة على جماهير الشعب العراقى، بالإضافة لتحسين صورته فى الداخل والخارج. لذلك قام بتوسيع عضوية القيادة القطرية بإضافة عناصر من التكنوقراط الذين لا تحوم حولهم تهم الفساد، بالإضافة لتغيير المسئولين الأمنيين فى الحرب واستبدالهم بكوادر جديدة من قوات الأمن الخاصة، واعتقل بعض الذين استغلوا نفوذهم فى عمليات التهريب، مثل زياد نجل طارق عزيز وفريق الحماية الذى يرافقه، كذلك سكرتير أخيه سبعاوى ومرافقه بتهمة الاختلاس، كما اعتقل صدام أخيه وطبان وأودعه سجن فى منطقة الكرخ. وصعَّد قصى من حملته ضد أخواله (أولاد خير الله طلفاح) وعمه سبعاوى، بأن أبعد بعضهم خارج العراق واعتقل آخرين. هذا بالإضافة لطرد جميع المقربين من سبعاوى ووطبان من كافة الأجهزة الأمنية، ووضع اللواء عيد حسن المجيد والفريق ماهر عبد الرشيد وفاضل صلفيج العزاوى رهن الاعتقال لاعتراضهم على طريقة تصفية حسين كامل وتزايد نفوذ عدى، هذا إلى جانب تحديد إقامة وحركة ساجدة زوجة صدام الأولى بعد أن اتهمها الأخير بمحاولة اغتياله.

- وفى ذات الوقت سعى صدام إلى تحصين النظام عبر استمالة العناصر البارزة فى العائلة والعشيرة التكريتية، لإزالة الآثار المترتبة على إعدام حسين كامل وشقيقه لتجنب عمليات الثأر، وأجرى عدة تعديلات فى الحكومة العراقية. وطالب مؤتمر حزب البعث بترشيد الإنفاق وتحسين استغلال الموارد و "براءة الذمة من أثقال خاسرة فى النفس ومن متاع غير مشروع"، كما أصدر قانوناً يفرض عقوبات على المتعاملين بالربا، وكان صدام قد أشار فى المؤتمر القومى لحزب البعث إلى تفشى الربا فى المجتمع العراقى ودعا إلى محاربته. وفى المؤتمر القطرى لحزب البعث، وصف صدام الاستقتاء

الشعبى الذى أجرى على تجديد رئاسة للعراق بأنه "معجزة العصر" وأنه "يوم الزحف العظيم" ووصف الأحداث التى مرت بالعراق منذ توليه السلطة بأنها "أحداث ماجدة بهية تسر من رأى ومن سمع، وهى من باب أولى أدخلت سروراً عظيماً فى نفوس صانعيها".

- وفى إطار إعادة تنظيم حزب البعث الحاكم ومنظماته (٤٠٠ ألف عضو، إضافة إلى ٢٥ ألف ميليشيات مسلحة)، ولتقوية دوره باعتباره مؤسسة الدعم السياسى للنظام الصدامى، اهتم صدام بتحويل هذا الحزب من منظمة سياسية إلى منظمة استخبارية كبرى مسئولة عن جمع المعلومات عن المواطنين العاديين والمسئولين الحكوميين، وحتى أعضاء البعث أنفسهم يتجسس بعضهم على بعض. لذلك تم تجديد الشبكات الأمنية للحزب المنتشرة فى جميع مدن وقرى العراق، حيث تقاطعت مهام جهاز أمن حزب البعث مع مهام باقى الأجهزة الأمنية فى الدولة، كما اهتم المكتب السياسى للحزب بنشيط ذاكرة جماهير الشعب وضباط وجنود الجيش بأهداف ومبادئ وسياسة البعث. وقد استحدث صدام داخل الحزب مكتب خاص لرؤساء القبائل والعشائر، يقوم بدعم وتمويل زعماء وشيوخ القبائل والعشائر لتمكينهم من السيطرة على قبائلهم، وإمدادهم بالأسلحة لقمع أى محاولة انشقاق.

- وفى إطار تعزيز قوة ميليشيات الحزب، استحدث صدام تشكيل (فدائيو صدام) الذى يقوده عدى، ويتألف من النشء الصغير فى تكريت لزرع الولاء المطلق فى نفوسهم لصدام منذ الصغر، ويتولى الحرس الجمهورى تدريبهم، ويرتدون ملابس سوداء وملثمون، وقدرتهم العسكرية محدودة، ولكنهم مجهزون بناقلات جند مدرعة وأسلحة مضادة للدروع.

- وقد امتد نشاط نفوذ حزب البعث إلى وزارة الإعلام، حيث يحرك البعث أجهزتها طبقاً لخطة تستهدف خداع الشعب والدول الخليجية عن الأهداف والمخططات العدوانية والهدامة للنظام الصدامى. وقد رصد فى السنوات الأخيرة قيام الأجهزة الإعلامية بإطلاق النقد اللاذع لمسئولين كبار فى الحكومة، ثم يتدخل صدام لإزاحتهم طبقاً لقواعد اللعبة، وبذلك يبدو بصورة المعبر عن الرغبة الشعبية، وحتى تظن الدول الأجنبية أن هناك ديموقراطية فى العراق، ويغطى صدام على الحقيقة المعروفة بأن العراق فى ظل حكمه صار حصن الديكتاتورية والقمع. وفى هذا الإطار وضع الحزب خطط شراء الأبواق المؤيدة للنظام الصدامى، واختراق طوائف الكتاب والصحفيين والأكاديميين داخل وخارج العراق، كما تم تجنيد وتدريب وتلقين أشخاص على طريقة الحديث عن العراق فى وسائل الإعلام الأجنبية والعربية.

لماذا يخفى النظام الصدامى أسلحته ذات الدمار الشامل؟ [١٢٠]

- بدأت المواجهة بين النظام الصدامى وفرق التفتيش الدولية المكلفة بإزالة أسلحة الدمار الشامل، فيما عرف بـ (لعبة القط والفار) منذ يوليو ١٩٩١، بعد أن تعهد هذا النظام فى ١٩٩١/٧/١٥ بأن يقدم كل المعلومات المطلوبة لهذه الفرق طبقاً لقرار مجلس الأمن رقم ٦٨٧ فى هذا الخصوص، وأن يكشف

بشكل كامل ونهائى عن جميع جوانب برامج أسلحته النووية والكيميائية والبيولوجية والصاروخية، وأن يسمح بحرية التفتيش غير المشروط من قبل المفتشين الدوليين، وأن يتوقف عن أى محاولات لإخفاء أو نقل أو تدمير أى مواد أو معدات تتعلق بتلك البرامج. وعندما تمت المصادقة على هذا القرار كان من المتوقع ألا يتطلب الامتثال لها أكثر من ٩٠ يوماً، ولكن للأسف وبعد ١٢ عاماً لا تزال العقوبات فى مكانها لأن النظام الصدامى قرر المراوغة وعدم تنفيذ هذا القرار وما تلاه من قرارات أخرى متعلقة به أرقام ٧٠٧، ٧١٥، ١٠٥١، فأخفى العديد من هذه الأسلحة ومتعلقاتها، ومنع فرق التفتيش الدولية من الوصول إلى الأماكن التى يخفى فيها أسلحته ذات الدمار الشامل، حتى أنه كاد يتسبب عام ١٩٩٧ فى إسقاط مروحية كانت تقل إحدى هذه الفرق أرادت النزول فى أحد هذه المواقع، فرفض المسئول العراقى المرافق للفريق الدولى ذلك. وقد حدث بعد ذلك العديد من الأزمات، منها أزمة إبريل ١٩٩١ حين احتجز مسئولوا النظام المفتشين أربعة أيام واستولوا على وثائق عن البرنامج النووى العراقى، وأزمة مارس ١٩٩٦ حين منعوا المفتشين من دخول وزارة الزراعة، وفى يونيو ١٩٩٦ منعوا المفتشين من دخول إحدى منشآت الحرس الجمهورى. وفى أكتوبر ١٩٩٧ قررت بغداد طرد الأمريكيين العاملين فى فرق التفتيش ثم عادت وسمحت لهم بالعودة بعد التهديد بتوجيه ضربة للنظام، وفى نوفمبر ١٩٩٧ منعت بغداد تفتيش قصور الرئاسة، وفى أغسطس ١٩٩٨ علقت تعاونها مع فرق التفتيش وأيضاً الوكالة الدولية للطاقة النووية، وفى أكتوبر ١٩٩٨ قرر النظام الصدامى وقف كل صور التعاون مع فرق التفتيش، ثم عاد وسمح لهم بالعودة فى نوفمبر ١٩٩٨، ولكنه عاد لعرقلة أعمالهم مما اضطرهم إلى مغادرة العراق فى ١٦ ديسمبر ١٩٩٨، الأمر الذى تسبب فى الضربة الجوية والصاروخية الأمريكية والبريطانية (ثعلب الصحراء) فى ١٧ ديسمبر، ووجهت ضد الأهداف المشكوك أن تتواجد فيها أسلحة دمار شامل ومتعلقاتها.

- وكانت سياسة النظام العراقى فى التعامل مع فرق التفتيش الدولية تتمثل فى الإعلان عن تدمير بعض الأسلحة والمعدات القديمة ذات القدرة الأقل (مثل هياكل الصواريخ سكود دون محركاتها)، وتزويد المفتشين ببيانات مزورة ودس معلومات مضللة عليهم لخداعهم، ونشر ما يخفيه النظام من أسلحة دمار شامل ومصانعها وموادها وعلمائها وكل ما يتعلق ببنيتها الأساسية فى مناطق متفرقة على كل الساحة العراقية، والتجسس على أفراد فرق التفتيش وتسجيل تحركاتهم وأحاديثهم بالصوت والصورة على مدار الساعة، حتى أنه تم تخصيص مجموعة خاصة من المخابرات والقوات الخاصة العراقية - أطلق عليها المشروع ٨٥٨ - يشرف عليه قصى نجل صدام ومهمته الأساسية عرقلة أعمال فرق التفتيش الدولية.

- ومن مظاهر كذب النظام الصدامى أنه أعلن عقب حرب تحرير الكويت عن تدمير كل ما لديه من أسلحة دمار شامل، وحددها فى ٢٥ راس صاروخ سكود تحمل مواد سامة، و ٥٠ رأس صاروخى أخرى تحمل غاز الزارين المدمر للأعصاب، ٤٥٠ قنبلة وقذيفة تحمل غازات الحرب الكيماوية لصنع

أسلحة حرب كيميائية. ونفى أن لديه بعد ذلك أى أسلحة أو مواد أو معدات تتعلق ببرامج أسلحة الدمار الشامل بأفرعها النووية والكيميائية والبيولوجية ووسائل إيصالها الصاروخية. إلا أن فرق التفتيش الدولية - ورغم العراقيل والقيود العديدة التى فرضها النظام الصدامى على عملها، تمكنت طوال الثمانى سنوات من بدء عملها ١٩٩١ وحتى ١٩٩٨ أن تكشف وتدمر الأحجام التالية من أسلحة الدمار الشامل: أكثر من ٣٨ ألف طن من الأسلحة الكيميائية المعدة للإستخدام، ٦٩٠ طن من عناصر إنتاج الأسلحة الكيميائية، ٣٠٠٠ طن مواد كيميائية تدخل فى تصنيع الأسلحة الكيمائية، ٤٨ صاروخ سكود جاهز للتشغيل، مصنع كامل لإنتاج الأسلحة البيولوجية قادر على إنتاج ٥٠,٠٠٠ لتر من بكتريا الجمرة الخبيثة (إنثراكس) المدمرة للجهاز التنفسى، ومادة (البوتيولينم) المدمرة للجهاز العصبى، ١٤ رأس صاروخى تقليدى، ٦ قواذف صواريخ متحركة، ٣٢ منصة إطلاق ثابتة، ٣٠ راس صاروخى كيميائية، ٣٨٥٣٧ قذيفة ذخيرة كيميائية، وأكثر من ٣٠٠٠ طن مترى من الكيماويات الوسيطة و٤٢٦ قطعة من معدات إنتاج الأسلحة الكيميائية، ٩١ قطعة من الأدوات المتصلة بالتحليل، مصنع كامل لإنتاج الأسلحة البيولوجية ومجموعة متنوعة من معداته (وكالة رويتر فى ١٩٩٨/١٠/١٨). وعلى الرغم من ضخامة تلك الكميات فإنها تمثل جزءً ضئيلاً من الذى يخفيه النظام الصدامى، ولكن يبقى السؤال الذى يفرض نفسه، وهو: "الماذا يحرص صدام على امتلاك وإخفاء هذه النوعيات من الأسلحة؟" وضد من كان ولا يزال صدام حسين ينوى استخدام هذه الأسلحة ذات الدمار الشامل؟ وما هى النتيجة الممكن توقعها فيما لو تركت له حرية استمرار تطوير وإنتاج هذه النوعيات من الأسلحة، خاصة على صعيد حرية التصرف فى أموال عائدات النفط بأكثر من ١٥ مليار دولار سنوياً وهى الأسلحة التى سبق أن أنفق عليها ١٥٠ مليار دولار - طبقاً لتقديرات أنتونى كوردسمان فى كتابة "ما بعد العاصفة"؟ ومن الذى يستطيع أن يجزم بأن صدام لن يستخدم ما يخفيه من هذه الأسلحة إذا ما قرر ذلك؟ وما الذى فعله صدام خلال فترة الأربع سنوات منذ توقف عمل فرق التفتيش فى عام ١٩٩٨ وحتى اليوم ونحن فى منتصف عام ٢٠٠٢؟ لقد كشف كتاب "النفخ على اللهب" لمؤلفه كينيث تيمرمان المسئولية الشخصية لصدام حسين فى اتخاذ قرارات تطوير وإنتاج هذه الأسلحة بجميع أفرعها.

- ويتلخص الموقف الحالى لإمكانات النظام الصدامى من أسلحة الدمار الشامل فى الآتى:

أ- البرنامج النووى:[١٢١] رغم ما تم تدميره من مفاعلات ومنشآت نووية، وما تم السيطرة عليه من مواد نووية تشمل ٢٦ كجم من اليورانيوم المخصب ٢٣٥، فإنه طبقاً لشهادات العلماء العراقيين الذين تمكنوا من الفرار من العراق، فإن النظام الصدامى لا يزال مستمراً فى تطوير برنامجه النووى، ويخفى مكونات خاصة بتخصيب اليورانيوم بأجهزة الطرد المركزية، كما تم إعادة إصلاح الفرن الخاص بصهر اليورانيوم، والأبحاث المعملية لا تزال مستمرة بواسطة الحاسبات الإلكترونية من أجل التوصل إلى الشحنة النووية، ولا يزال العمل مستمراً فى برنامج لفصل النظائر المشعة إلكترونياً. وطبقاً للوثائق التى كشف عنها حسين كامل، فإن النظام الصدامى يملك معظم العناصر الضرورية لصنع

ثلاث قنابل نووية، ولا ينقصه سوى اليورانيوم المخصب. لاسيما وأنه يملك البنية الأساسية لإنتاج هذه الأسلحة من حيث العلماء والوثائق والمعامل، حيث أنفق على برنامجه النووى ١٢ مليار دولار وكان يعمل فيه حوالى ١٥ ألف شخص. ولقد نجح الهاربون فى الخارج فى تحديد أسماء ما يصل إلى ٢٠٠ منهم فى وظائف هامة، وأن معظم النشاط النووى حالياً يتمركز فى منطقتى "الأثير" و "التوثية". ومما يؤكد هذه النوايا ما تم الكشف عنه حول اتصالات يجريها عملاء النظام مع شركة (سيمونس) الألمانية لشراء ١٢٠ مفتاح للتحويل الكهربائى تستخدم فى ضبط عملية التفجير الابتدائية اللازمة للتفجير النووى، وذلك تحت غطاء علاج أمراض الحصى فى الكلى للعمل مع معدات (ليثوتريبتيرز)، فى حين أن هذه المعدات الطبية يكفى لتشغيلها ٢٠ مفتاح فقط، وكان الفشل فى ضبط عملية تفجير المادتين MXH, ROX قد أدى إلى الانفجار الذى وقع فى اغسطس ١٩٨٩ بمصنع القعقاع بجنوب العراق، وراح ضحيته أكثر من ٧٠٠ قتيل، وقد كشف عن سر هذا الانفجار العميل البريطانى (بازوفت) مما أدى إلى إعدامه. وقد كشف حسين كامل فى اعترافاته عن محاولة فاشلة لتصنيع قنبلة نووية صغيرة بعد غزو الكويت، وفى يونيو ١٩٩٥ صادرت السلطات الأمريكية ٧ طن من مادة الزركونيوم اللازمة لتشغيل المفاعلات النووية كانت مرسلة إلى العراق. وكانت صحيفة لوموند الفرنسية قد ذكرت فى ١/ ١٩٩٥/٢ أن ١٥٠ باحث نووى عراقى يواصلون أعمالهم فى ٢٤ موقع سرى لإنتاج اليورانيوم عالى التخصيب، بالإضافة لرصد ١٨٠ شركة أجنبية عبر العالم تتعاون مع العراق فى هذا المجال. أما الصحف الألمانية - مجلة (نيوكليار فيول) وصحيفة (دير شبيجل) - فقد كشف عن الدور الذى لعبه العلماء الألمان - وأبرزهم (د.بروتو شتيلمر) و (د.كارب هانيتس) - فى إمداد العراق بالتكنولوجيا النووية، لاسيما فى مجال تخصيب اليورانيوم، بالإضافة لشركة (مان تكنولوجى). وفى مقال نشرته (نيويورك تايمز) بقلم (د.جارى ميلهولم) مدير مشروع وسكاونسون للحد من الأسلحة النووية فى واشنطن - ذكر أن العالم سيواجه إذا ما توقفت عمليات التفتيش باحتمال امتلاك العراق لقنابل نووية خلال ٣-٥ سنوات، خاصة وأن تصميم هذه القنبلة متاح لديه، بالإضافة لحصوله على ٣٢ جهاز تفجير، ولا تحتاج سوى ١٦ كجم من اليورانيوم الخصب لتكون جاهزة، كما يعرف العلماء العراقيون كيفية تصميم وتصنيع أجهزة الطرد المركزية المستخدمة لعملية التخصيب، بعد أن تم تدمير الأجهزة السابقة. وقد أفاد العالم النووى العراقى الهارب سلمان ياسين زوير أن العلماء العراقيين استأنفوا نشاطهم سراً فى أغسطس ١٩٩٨، من قبل طرد المفتشين الدوليين، وأن التجارب تجرى فى مركز أبحاث فى شارع الجادرية فى بغداد، وأضاف زوير فى شهادته لصحيفة صانداى تايمز البريطانية "إن صدام حسين فخور جداً بفريقه النووى، وأنه لن يتوقف عن مواصلة العمل لتحقيق حلمه فى أن يصبح أول زعيم عربى يملك قنبلة نووية". وقد أكدت الاستخبارات الفيدرالية الألمانية (بى.إن.دى) أن بغداد تستطيع صنع سلاح نووى خلال ٣-٥ سنوات فقط إذا توافرت لها المساعدة للقيام بذلك، وأن النظام العراقى تحول فى هذا المجال من الاعتماد على الدول الغربية إلى دول الكتلة الشرقية السابقة، لاسيما روسيا حيث لا تخضع أجزاء من الآلة النووية السوفيتية السابقة إلى حراسة أمنية كافية، الأمر الذى جعل

المافيا الروسية تتسلل إليها وتتاجر فى مكونات بنيتها الأساسية من مواد ومعدات نووية، بل وعلماء ومهندسين أيضاً، من خلال عمليات التهريب إلى الدول التى تحتاجها مثل العراق. وكان العراق قد اعترف بأنه بحث إنتاج قنبلة إشعاعية منذ أكثر من عشر سنوات، ولكنه لم ينتجها فعلياً. وفى أوائل نوفمبر ٢٠٠١ اجتمع صدام حسين بفريق العلماء النوويين الذى يرأسه فاضل الجنابى، وطالبهم بالبحث عن كل الأدوات الممكنة لتمكين العراق من امتلاك المواد النووية الخاصة بالسلاح النووى. وقد واكب ذلك تقارير صدرت فى بريطانيا كشفت عن إجراء تجربة نووية فى ١٩٨٩/٩/١٩ فى نفق تحت بحيرة الرزازة على مسافة ١٥٠ كم جنوب غرب بغداد، مما أدى إلى هزة أرضية قوتها ٢,٧ درجة بمقياس ريختر، وأن صدام لديه ثلاث قنابل نووية من نوع هيروشيما يمكن تفجيرها بالبارود، وثلاث أخرى تعمل عن طريق التفجير الداخلى، بالإضافة إلى ثلاث قنابل نووية حرارية، وهو ما يؤكد أقوال خضير حمزة التى ذكر فيها "إن قنبلة قوتها التدميرية بضعة آلاف من الأطنان يمكن صنعها الآن فى العراق، وأن روسيا قد تكون مورداً محتملاً للمواد الانشطارية". (صانداى تايمز البريطانية فى ٢٠٠١/٢/٢٧)، ومن الشواهد على تصميم النظام الصدامى لامتلاك سلاح نووى، حصوله على ٤٠٠٠ من لعبة (بلاى ستيشن-ج) من اليابان والتى تحتوى على وحدة معالجة مركزية CPU أساسية كالموجودة فى أى كمبيوتر قوته ١٢٨ بايت، بمعنى أنه أقوى خمس مرات من المعالج الأساسى فى الكمبيوتر العادى، وأقوى ١٥ مرة من "بطاقة الرسومات" الناقلة للصور من المركز إلى شاشة الكمبيوتر، مما يعنى إنتاج ٧٥ مليون بوليجون فى الثانية، والبوليجون هو وحدة مخصصة لنقل الصورة ثلاثية الأبعاد إلى شاشة اللعبة، وهو نفسه المستخدم فى التجارب المعملية على عمليات التفجير النووى بدلاً من القيام بها عملياً.
كما كشف العالم خضير حمزة أن النظام الصدامى حصل على معدات ومواد تستخدم فى برنامجه النووى بواسطة شبكة من الشركات الأجنبية التى تعمل بنظام (أوف شور) فى دول صديقة للعراق، وأكد أن بغداد حاولت تصنيع أسلحة محظورة فى الخارج، وأن عدة شركات تعمل كواجهة للعراق موجودة فى الأردن زودت العراق بمعدات وأجهزة اكتشفها فريق التفتيش (يونسكام) وقام بتدميرها.
وأضاف حمزة "أنه توجد خطة تقضى بنقل الصناعات الحساسة إلى خارج العراق، إضافة لتلك التى تتطلب استيراد بعض المواد .. ثم إدخال ما تم تصنيعه بعد ذلك سراً إلى العراق" ومن الدول العربية المتعاونة مع النظام الصدامى أشار حمزة إلى اليمن والأردن والسودان وليبيا، التى سهلت إجراء الأبحاث والتجارب فى أراضيها، وأن مئات الشركات (الواجهة) فى الأردن استخدمت شاحنات عادية تنقل إلى العراق قطع المصانع والمعدات والأدوات الخاصة ببرامج أسلحة الدمار الشامل، والتى تم شراءها من شركات فى بلاد بعيدة مثل ماليزيا وسنغافورة حصلت على المقابل المالى من حسابات فى دول خليجية وفى دول بأمريكا اللاتينية.

ب- البرنامج الكيميائى:[١٢٢] أصبح من المؤكد لدى أجهزة المخابرات فى الدول المعنية بالشأن العراقى، أن غاز الأعصاب VX يعد عند صدام أكثر أهمية من إطعام أطفال العراق الجوعى. فقد دأب النظام الصدامى خلال السنوات الأخيرة على إنكار امتلاكه لهذا الغاز شديد السمية ، وزعم هذا النظام أن

بحوزته بضع قطرات فقط منه لأغراض التجارب. فى حين أفادت تقارير أجهزة المخابرات والأمم المتحدة أن العراق أنتج كمية كبيرة من هذا الغاز، بل واستخدمه فعلاً فى معركة (الفاو) ضد القوات الإيرانية فى يومى ١٧، ١٨ إبريل عام ١٩٨٩ طبقاً لشهادة مدير المخابرات العسكرية العراقية اللواء وفيق السامرائى، وذلك بواسطة قنابل الطائرات وقذائف المدفعية. وقد أكد مدير المخابرات الألمانية (شميد بوير) لصحيفة (بيلد) الألمانية أن العراق يملك على الأقل ٤ طن مواد غاز VX وأن الجزء الأكبر من هذه الكمية مخزن فى سلمان باك، وأنه تم اختباره على بعض المعتقلين مما أدى إلى وفاتهم. ولم تعثر فرق التفتيش على أى أثر لـ ٦٠٠ طن من المواد الأساسية لغاز VX. كما توجد شكوك حول تعبئة رؤوس الصواريخ بهذا الغاز الذى تكفى قطرة منه لقتل الإنسان، وكأساً واحداً منهم تبيد سكان مدينة مثل لندن، وعلى جانب آخر كشف التجمع الوطنى الديموقراطى المعارض فى السودان عن استخدام القوات السودانية لطيارين وفنيين عراقيين فى شن هجمات بأسلحة كيميائية على مناطق القتال فى جنوب السودان ضد قوات الجيش الشعبى لتحرير السودان، مما أدى إلى مصرع العشرات من أفراده، وكذلك بعض سكان ولاية غرب الاستوائية، الذين قصفتهم بغاز الخردل الذى سبق أن أستخدمه النظام الصدامى ضد الأكراد فى خليجه عام ١٩٩٨. كما أفادت مصادر التجمع الوطنى الديموقراطى فى السودان أن العراق ساعد السودان فى السنوات الأخيرة على إقامة ثلاث مصانع لإنتاج أسلحة كيميائية: فى (خاصة كافورى) على الضفة الشرقية للنيل الأزرق مقابل (فيلج)، وفى منطقة مايو جنوب الخرطوم، وفى عاصمة ولاية بحر الغزال فى جنوب السودان، بالإضافة لإقامة مستودعات تخزين لهذه الأسلحة حول الخرطوم. وكانت صحيفة (تايمز) اللندنية قد أفادت أن مجموعة من علماء عراقيين عددهم ١٢ فرد يعملون حالياً فى برامج أسلحة كيميائية وبيولوجية فى ليبيا. وأشار تقرير للمخابرات الأمريكية صدر عن الفترة من أول يناير إلى ٣٠ يونيو ٢٠٠١ أن العراق منذ توقف التفتيش الدولى على أسلحته فى ديسمبر ١٩٩٨ أعاد بناء منشآت لإنتاج الأسلحة الكيميائية ذات استخدام مزدوج (مدنى وعسكرى)، وأشار تقرير آخر للمخابرات الألمانية إلى أن العراق زاد عدد مصانعه العاملة فى برامج الأسلحة الكيميائية والبيولوجية من ٢٠ إلى ٨٠ مصنع، منها ثلاث مصانع أعيد بنائها فى منطقة الفالوجا غرب بغداد. وكان المقاول العراقى الهارب عدنان سعيد الحيدرى قد أكد هذه المعلومات، وأوضح أن العمل جار فى ثمانية مواقع لإنتاج أسلحة كيميائية كان قد شارك فى بنائها، منها (سلمان باك)، وسبعة مواقع أخرى تعرف باسم (الغرف النظيفة) يشمل بعضها ٣٠ غرفه فى مقار حكومية كمعامل إنتاج أسلحة كيميائية وبيولوجية يقع بعضها فى مجمع (الروانية) الرئاسى فى بغداد، وآخر فى منطقة (التاجى) غرب العاصمة وكان قد أقيم بعد انسحاب فرق التفتيش عام ١٩٩٨، بالإضافة لموقع آخر فى (المسيد) أعيد تأهيله بعد تدميره، وذلك فى إطار خطة استهدفت إعادة تأهيل ٣٠ موقع للعمل، ورغم أن الشكل الخارجى لهذه المواقع يبدوا خراباً، إلا أنها تعمل بشكل منتظم فى الداخل، لاسيما أثناء الليل فقط. من هذه المواقع ما هو موجود فى (أبو غريب) و (المحمودية) فى جنوب بغداد، ويعتقد الناس أنها مبانى مهجورة، بالإضافة لموقع فى منطقة (الغريب) السكنية فى بغداد، هذا إلى جانب ٤١

مصنع مدنى يمكن تحويلها لإنتاج العناصر الكيميائية المستخدمة فى صنع الأسلحة. ويعتبر مصنع (القائم) بالقرب من الحدود مع سوريا من أخطر هذه المصانع، ويشرف عليه قصى نجل صدام. وقد ذكر ناطق باسم الخارجية الأمريكية أن المفتشين الدوليين لم يتمكنوا من تدمير ٤٠٠٠ طن من المواد التى تستخدم فى صنع الأسلحة الكيميائية. وكان اللواء السامرائى قد صرح لصحيفة (إندبندنت) البريطانية أنه استقى معلومات من أحد المقربين لنجل صدام (قصى) أن النظام الصدامى لا يزال يخفى ٤٠ صاروخ سكود و ٢٥٥ حاوية تحتوى على أسلحة بيولوجية كيميائية، وأن الأسلحة الكيميائية متواجدة على شكل مسحوق يتواجد فى ٢٣٠ حاوية منها، وفى ٢٥ حاوية أخرى تتخذ هذه العناصر شكل سائل. وبعد فشل محاولات التهرب من امتلاك غاز VX اعترف النظام الصدامى أنه أنتج ٣,٨ طن من هذا الغاز، وأنه قام بتدميرها ولكن لم يثبت ذلك. هذا بالإضافة لامتلاك ٤٠٠٠ طن من مواد تدخل فى بناء الأسلحة الكيميائية لم يكشف عنها النظام، وهى تكفى لملئ آلاف عديدة من القنابل والقذائف ورؤوس الصواريخ، إلى جانب ٣١ ألف قطعة ذخيرة كيميائية لم يكشف عنها. وكانت السلطات الأمريكية والكندية قد أحبطت فى يوليو ١٩٩٧ صفقة لبيع ٣٤ طائرة هيلوكبتر (OH58A) مجهزة بوسائل إطلاق أسلحة كيميائية، قيمتها ١٢٥,٥ مليون دولار عبر الفليبين. وتوجد معلومات لدى المخابرات الأمريكية بأن النظام الصدامى قد نجح فى تحويل وتطوير الطائرة المروحية التشيكية (L-29) من طائرة تدريب إلى طائرة بدون طيار قادرة على توجيه ضربات كيميائية وبيولوجية من خلال توجيهها عن بعد، وهو ما يجعل النظام العراقى ليس فى حاجة إلى طيارين انتحاريين لشن هجمات بمقاتلات تحمل أسلحة دمار شامل. لذلك قامت المقاتلات الأمريكية بقصف مصنع تطوير هذه الطائرة. وحول إمكانات النظام الصدامى لتلويث الأرض بغازات الحرب الكيميائية بواسطة الصواريخ سكود وراجمات الصواريخ فقط - مع استبعاد استخدامه لطائراته ومواسير المدفعية - فمع افتراض أنه يملك لواء صواريخ سكود من ١٨ قاذف لكل منها ٨ صواريخ، وباعتبار أن الصاروخ سكود يمكنه تلويث ٥٠ هكتار، فإنه بلواء واحد يستطيع تلويث ٧٢٠٠ هكتار، ولأن عدد اللواءات المقدر امتلاكه لها حالياً، فإن بإمكانه تلويث ٢١٦٠٠ هكتار. أما فيما يتعلق براجمات الصواريخ، فإنه لتلويث ٣كم^2 من الأرض من غاز الزارين فإن ذلك يتطلب ٢١٦ صاروخ ٢٤٠ مم كل يحمل ٨ كجم غاز بإجمالى ١٧٢٨ كجم غاز أعصاب، ولدى النظام العراقى حتى ٣ كتيبة راجمة صواريخ من هذا العيار، بكل ١٨ راجمة بإجمالى ٥٤ راجمة ستطلق كل منها ٤ صاروخ كيماوى فى قصفة لا تزيد عن دقيقتين. وقد أفاد بعض الهاربين من العراق أن ٢٥ جندياً عراقياً قتلوا أثناء تدريب استخدمت فيه غازات الحرب الكيميائية فى أغسطس ٢٠٠١ فى منطقة الزعفرانية جنوب بغداد، فى معسكرى (الثويرة) و (الباسمية).

ج- البرنامج البيولوجى:[١٢٣] كان اكتشاف برنامج أسلحة الحرب البيولوجية من أصعب المهام التى واجهت فرق التفتيش الدولية، فلكى تسبر أغوار هذا البرنامج الذى نفى النظام الصدامى نفياً باتاً مجرد وجوده، كان على هذه الفرق أن تبحث فى الكثير من المنشآت المدنية - خاصة المستشفيات والمعاهد الطبية ومصانع الأدوية وحتى مصانع (الجعة) - لأن معظم المواد المستخدمة فى هذا البرنامج ثنائية

الغرض مدنى وعسكرى. إلا أن اعترافات حسين كامل شكلت (كنزاً) من المعلومات عن هذا البرنامج، وبما شكل صدمة ومخاوف لكل من اطلع على بعض تفاصيله بسبب ضخامة ما تم تصنيعه من أسلحة بيولوجية متنوعة تكفى لإبادة شعوب بأكملها. فقد أجبرت هذه الاعترافات النظام الصدامى على الكشف عن بعض ما كان يحاول إخفاءه، ولبس كله. فقد أظهرت عمليات التفتيش المكثفة التى أعقبت هذه الاعترافات فى الفترة من عام ١٩٩٥ وعام ١٩٩٨ أن العراق استورد فعلاً كميات ضخمة تقدر بآلاف الأطنان من مواد أساسية تستخدم فى تركيب الأسلحة البيولوجية أبرزها الآتى:

(١) بكتريا (الانثراكس): المدمرة للجهاز التنفسى، حيث قدم العراق وثائق أنه أنتج فعلاً ٨٤٠٠ لتر منها فى مصنعى (الحكم) و (المنال).

(٢) مادة (البوتيولينوم): المدمرة للجهاز العصبى ويسبب شللاً فى العضلات، أنتج منها كمية تقدر بـ ١٩٠٠٠ لتر، وهى كمية تكفى لإبادة عدة مدن بكاملها.

(٣) فيروس (أفلاتوكسين): المسبب لسرطان الكبد، انتج منه ٢٢٠ لتر.

(٤) كلوستريديوم بيرفلينفورم: التى تؤدى إلى إصابة اللحم البشرى بالعفن، أنتج منها ٣٤٠ لتر.

(٥) مادة (الرايسين): التى تستخرج من نبات الخروع وتؤدى إلى الموت البطىء من خلال شلل فى الدورة الدموية، وتم تصنيع ١٠ لترات من مادته المركزة فى مصنع سلمان باك، وكذلك سم (تريكوثبسين).

- هذا بالإضافة إلى أبحاث واحتمالات امتلاك أيضاً سم (تريكوثيسين ميكوتوكسين) الذى يسبب الغثيان والتقيؤ والإسهال، و (سناج القمح) الذى يتلف حبوب الطعام، و (هيمورهاجيك كونجا نكتيفايتس) الذى يسبب فقداناً للبصر، وفيروس (روتافايروس) الذى يسبب إسهالاً حاداً ويمكن أن يؤدى إلى الوفاة. وقد أفادت أكثر من ٥٠٠ ألف وثيقة زعم النظام الصدامى أن حسين كامل كان يخفيها فى مزرعة دواجن، بالإضافة إلى آلاف الأشرطة وديسكات الكمبيوتر أنه تم تعبئة (البوتيونيوم) فى ١٠٠ قنبلة طائرة و ١٣ رؤوس صواريخ، بالإضافة إلى ١٠٠ قنبلة طائرة R.400 وصاروخان تم تعبئتهم بكتيريا (إنثراكس) إلى جانب تعبئة قذائف عيار ١٢٢ مم مدفعية بنفس البكتريا، كما تم تعبئة (الأفلاتوكسين) فى ٧ قنابل و ١٠ رؤوس صواريخ. وقد أفادت المعلومات أن العراق قام بتحويل طائرة رش المبيدات الحشرية البولندية (M-18) الخاصة بالمزروعات إلى طائرة بدون طيار قادرة على رش مواد الحرب البيولوجية فوق المدن لإبادة سكانها، ويصل مداها إلى عدة مئات من الكيلومترات، ويمكنها نقل حوالى طن من هذه المواد. وأن النظام الصدامى نجح بمعاونة الروس فى تجهيز ١٥ صاروخاً سكود لتحمل رؤوسها مواد حرب بيولوجية. وكانت وزارة التعليم العراقية قد طلبت فى الثمانينات سبعين عبوة من

الميكروبات السامة من أحد المراكز الأمريكية بولاية ميريلاند، إلا أن النظام العراقى طور هذه الميكروبات وصنعوا منها أسلحة جيولوجية. حيث قام بتنمية البكتريا الواحدة بالاستنساخ إلى بليون بكتريا من النوع نفسه خلال عشر سنوات، وهو الأسلوب الذى أوصلهم إلى إنتاج ٨٤٠٠ لتر (إنثراكس)، وإن كان الخبراء الغربيون يعتقدون أن لدى النظام الصدامى ثلاثة أضعاف هذه الكمية. وقد أمكن بسهولة دحض حجج النظام الصدامى بأنه استورد وأنتج هذه الكميات الضخمة من مواد الأسلحة البيولوجية لأغراض تشخيص الأمراض ومختبرات الأبحاث التى لا تحتاج لأكثر من بضع جرامات فقط، ولذلك تنقل فى حاويات صغيرة لا تتسع لأكثر من كيلو جرام واحد وفى ثلاجات لكونها سريعة التلف عند تعرضها للهواء. لذلك كان من الصعب على النظام الصدامى أن يفسر استيراد ٣٩ طن على سبيل المثال من المستنبتات البكتيرية والجرثومية معبأة فى حاويات تزن الواحدة ١٠٠كجم منهم ١٠طن من بريطانيا طبقاً لوثيقة كشف عنها د. رود بارتون الأسترالى وعضو لجنة التفتيش فى عام ١٩٩٥، وفاجأ بها المسئولين العراقيين الذين لم يستطيعوا نفيها، وقد أخفى النظام الصدامى ١٧طن من هذه المواد، كما تم العثور أيضاً على ٢٢طن أخرى من مواد تدخل فى صناعة الأسلحة البيولوجية مخزنة فى منطقة خارج بغداد، وهو ما يؤكد أن الغرض من استيراد وتصنيع هذه المواد بهذه الكمية هو الاستخدام كأسلحة حرب بيولوجية، خاصة وأن المسئولين عن هذا البرنامج حرصوا على شراء معدات تستخدم لإنتاج الأسلحة الجرثومية، منها مجففة بالرذاذ لتجفيف البكتريا حتى يمكن تخزينها، وأربع معدات لتعبئة هذه المواد فى رؤوس صواريخ وقنابل طائرات وقذائف مدفعية وراجمات صواريخ، وتم نشرها فى أربعة مواقع فى أنحاء العراق، بالإضافة لاعتراف مسئولى هذا البرنامج بوجود ٢٣ موقع تتعلق بتصنيع أسلحة الحرب البيولوجية، أهمها مصنع (الحكم) الذى يبعد ٤٠ ميلاً غرب بغداد. وبعد أن تم تدمير كل ما كشف عنه النظام الصدامى، فلا يزال هناك ١٨ طن مترى من مواد تتعلق بالبرنامج البيولوجى مفقودة لم يكشف عنها هذا النظام، وهى التى أشار إليها وزير الخارجية البريطانية (روبين كوك) أمام مجلس العموم، عندما ذكر أن لدى العراق الإمكانية لإنتاج بكتريا (الجمرة الخبيثة) الكافية لقتل ما بين ٤٥-٦٠ مليون نسمة، وهو ما أكده رئيس فريق التفتيش (إيكيوس) وأضاف أن العراق حصل من روسيا على أجهزة تخمير سعتها ٥٠٠ لتر لصنع بروتينات تحت غطاء تغذية الحيوانات، ولكنها تستخدم فعلياً فى تصنيع الأسلحة البيولوجية. وقد أكد هذه المعلومات عدد من المنشقين العراقيين أبرزهم، الفريق حازم الأيوبى قائد سلاح الصواريخ السابق الذى أفاد بأن صدام أمر بتجهيز الصواريخ القادرة على حمل رؤوس كيميائية وبيولوجية قبل حرب تحرير الكويت. أما الخبير الروسى المنشق (كيث إيبيك) الذى كان يرأس برنامج حرب الجراثيم السوفيتية فقد أفاد أن عدداً من العلماء الروس باعوا للعراق فيروس الجدرى وأنه قام بتصنيعه بعد ذلك، لذلك قام بتحصين جنوده منه. وقد أوضح (إيكوس) فى برنامج تلفزيونى (وورلد كرونيكل) أن فى العراق مستويين لاستخدام أسلحة الدمار الشامل، إما بقرار شخصى من صدام يحمل شفرة خاصة للوحدة المنفذة، أو بمبادرة من قادة الوحدات المنفذة فى حالة انقطاع جميع الاتصالات معها، وقد أكد هذا أيضاً أن صدام كان على وشك شن هجوم

جرثومى على قوات التحالف خلال حرب عاصفة الصحراء، وهو ما يفسر وجود قنابل كيميائية وبيولوجية فى قاعدتين جويتين، تم نقلهم من مستودعات تخزينهم فى ديسمبر ١٩٩٠، وكانوا فى وضع التفجير. وقد قدم الأشخاص الذين أجروا التجارب الميدانية على قنابل R-400 شروحاً تفصيلية للمفتشين عن نتائج الاختبارات التى أجريت على الحيوانات، وأن هذه القنابل تم تحميلها فى مقاتلات (ميراج ف-١) و (ميج ٢١)، بالإضافة لاستخدام مولدات لنشر الأسلحة البيولوجية فى الجو بواسطة المروحيات، تم تدمير ١٢ مولد منهم. وقد دعَّم هذه المعلومات اعترافات عالمين عراقيين لم يكشف عن اسميهما هربا أخيراً إلى الغرب، كشفا عن تفاصيل مثيرة حول امتلاك النظام الصدامى مخزون ضخم من الأسلحة البيولوجية ووسائل إيصالها، وأكدا ما سبق أن أشار إليه رئيس فريق التفتيش (ريتشارد باتلر) بأن النظام العراقى لا يحتاج إلا لستة أشهر فقط لاستخدام صواريخه أرض/أرض. كما أكد هذان العالمان أن النظام العراقى تمكن من تصنيع خمسة أنواع من سلالات البكتريا، وسلالة واحدة من الفطريات، وخمسة أنواع فيروسات، وأربعة أنواع من السموم. وأن البرنامج البيولوجى تمكن من إنتاج ٨٠٠٠ لتر من محلول حويصلات (الإنثراكس)، استخدم ٦٠٠٠ لتر منها فى ملئ القنابل ورؤوس الصواريخ، وتم تخزين ٢٠٠٠ لتر الباقين فى مصنع الحكم الذى تم تدميره عام ١٩٩٦، وأعيد تشغيله بعد ذلك أثناء غياب المفتشين الدوليين. أما بكتريا (الغرغرينا الغازية) التى تستخدم لتلويث الجروح المفتوحة وتؤدى إلى الوفاة (كلوستريديوم) فقد أكدا امتلاك النظام ٣٤٠ لتر من محلولها. هذا بالإضافة لتصنيع أحد الفطريات التى تستخدم لتدمير محاصيل القمح فى مصنع (سلمان باك)، وكان محصول القمح فى كثير من الحقول قرب الموصل قد أصيب بهذا الفطر فى عام ١٩٨٨، وتم تخزينه بعد نقله إلى منطقة (الفضيلية) على عكس ما ينفى المسئولون العراقيون. وأفادوا أيضاً أن الكميات التى أنتجت من المواد البيولوجية تم نقلها من مصانع إنتاجها إلى مؤسسة (المثنى) حيث يتم تعبئتها فى قنابل R-400 كل منها تحوى ما بين ٦٠-٨٥ لتراً من السائل البيولوجى وقد تم نقلهم إلى القواعد الجوية، أما الصواريخ المحملة بمواد بيولوجية وعددهم ٢٥ صاروخ فقد تم تخزينهم فى موقعين: ١٠ صواريخ فى نفق عميق للسكة الحديد، و١٥ فى فتحات خاصة على جانبى نهر دجلة. هذا بالإضافة لعدد غير معروف من الصواريخ (صقر-١٨) المسلحة بمادتى (البوتيولينيوم) و (الأفلاتوكسين)؛ ولكنها ليست جاهزة للاستخدام. وقد أفادا أيضاً عن استيراد النظام العراقى لمئات من أجهزة رش المبيدات الإيطالية الحديثة التى يمكنها أن تطلق ما بداخلها من محلول على شكل رذاذ (سبراى) أو (أيروسول) وتزويد الطائرات بخزانات تستطيع حمل ٢٢٠٠ لتر من المواد البيولوجية لرشها. وقد أرجع العالمان العراقيان فشل النظام الصدامى فى استخدام أسلحة البيولوجية عام ١٩٩١ إلى عدم فاعلية نظرية التفجير الأولى من أجل نشر المادة البيولوجية، حيث يؤدى الانفجار إلى موت أو فقد فاعلية البكتريا والسموم التى تحويها القنبلة أو رأس الصاروخ، وضياع جزء كبير منها على الأرض بدلاً من نشره فى الهواء، وحتى هذا الجزء الذى ينتشر فى الهواء لا يتعدى تأثيره منطقة محدودة جداً، ناهيك عن أن تصنيع الإيروسول لم يكن بالكفاءة المطلوبة، حيث كانت الرياح تأخذ ذرات

المادة البيولوجية بعيداً عن الهدف، وقد تنقل إلى داخل العراق مرة أخرى، بالإضافة إلى أن السيطرة الجوية لقوات التحالف حالت دون استخدام الطائرات العراقية، الأمر الذى تطلب التركيز على الصواريخ بتحميلها بهذه المواد. ومما يدل على عدم قيام النظام الصدامى بإعدام المواد البيولوجية التى أنتجها أن مخزونه منها لم يثبت معالجته بالفورمالدهيد وبرمنجانات البوتاسيوم لإفسادها، وبالتالى لم يعثر على النفايات التى تدل على دفنها بعد معالجتها، وهو ما يؤكد نجاح النظام الصدامى فى نقل هذه الأسلحة البيولوجية إلى أماكن أخرى بغرض إخفائها، وأنه خلال سنوات غياب التفتيش الدولى قام بتكثيف إنتاجه وتطويره من هذه الأسلحة، لاسيما وأنه لا يزال يسيطر على الكوادر البشرية من العلماء والمهندسين والفنيين الذين بدأوا هذا البرنامج منذ السبعينات، بالإضافة لحوالى ٨٠ مركز بحثى ومصنع يعملون فى هذا المجال تحت أغطية مدنية، وبالتالى فإن بإمكان هذا النظام خلال الأربع سنوات التى تلت غياب المفتشين أن يعالج نقاط الضعف فى برنامجه ويحسن ويطور من أدائه. خاصة وأنه اختبر ميدانياً أسلحته البيولوجية مستخدماً مرشات طائرات رش المحاصيل، وصواريخ ميدانية عيار ١٢٢مم، وقذائف مدفعية عيار ١٥٥مم، فضلاً عن تجربة خزانات أسقطت من مقاتلات نفاثة وقنابل جوية D-250، وأشارت بعض التقارير أن بعض هذه التجارب نفذت بالفعل على مناطق كردية فى الشمال، وأخرى شيعية فى الجنوب أثناء الانتفاضة الشعبية التى وقعت فى مارس ١٩٩١، كما تم تجهيز ميدان للتجارب على الحيوانات يبعد ٢٠٠كم عن بغداد.

د- البرنامج الصاروخي:[١٢٤] لأن النظام الصدامى لا يتوقع أن يحرز التفوق الجوى فى مواجهة السيادة الجوية الأمريكية على مسرح العمليات فى أى مواجهة قادمة، ورغم امتلاكه قنابل طائرات محملة بأسلحة كيميائية وبيولوجية، لذلك فقد اعتمد على الصواريخ البالستية أرض/أرض من طراز سكود وتطويراته (الحسين) و (العباس) بشكل رئيسى فى توجيه ضربات أسلحة الدمار الشامل التى يمتلكها. فرغم قيام فرق التفتيش الدولية بتدمير ٨١٧ صاروخ من هذه الأنواع، إلا أن مسئولى هذه الفرق لا يزالون يعتقدون أن النظام الصدامى يخفى ما بين ٥٠-١٠٠ صاروخ من هذه الأنواع فى أماكن متفرقة من العراق، أما اللواء وفيق السامرائى فقد أكد إخفاء النظام الصدامى لعدد ٤٠ صاروخ سكود، وقد أيده فى ذلك أحد ضباط سلاح الجو العراقى المنشقين (أسد شدوان) الذى صرح بأن صدام يخفى ٨ بطاريات سكود فى شمال البصرة، كما لم يقدم هذا النظام ما يثبت ما يدعيه من تدمير ٤٥ صاروخ. وقد زادت الشكوك حول ما تخفيه بغداد من صواريخ بعد أن أعلن مدير مركز البحوث السياسية (فلاديمير أرلوف) أن مواطناً أردنياً (وئام غريبة) عميلاً للنظام العراقى اشترى من روسيا فى عام ١٩٩٥ أكثر من ٨١٠ جهاز من بينها ٢٤٠ نظام توجيه، ٢٤٠ جهاز لقياس التسارع لحساب شركة الكرامة العراقية لصناعات الفضاء والطيران والدفاع، وخلال نقلها إلى العراق عبر الأردن تمكنت الجمارك الأردنية من كشف إحدى هذه الشحنات وصادرتها وبها ١٢٠ نظام توجيه و ١٢٠ جهاز تسارع، وكان ذلك فى ١٩٩٥/١٢/٧ أما باقى الأجهزة فقد وصلت فعلاً إلى بغداد، حيث انتشل مفتشوا الأمم المتحدة من قاع نهر دجلة فى ١٩٩٥/١٢/٩ صناديق محكمة الإغلاق تحوى ٣٣ نظام توجيه و

٢٦ جهاز تسارع، وهذا يعني أن مصير نحو ١٨٠ نظام توجيه وجهاز تسارع لا يزال مجهولاً، وهي كافية لتزويد ٣٠ صاروخ بنظم التوجيه. وقد كشف تحقيق أجراه مختصون أمريكيون وروس أن وفداً من كبار خبراء الصواريخ العراقيين توجه فى رحلة تسوق إلى روسيا فى أواخر عام ١٩٩٤ ووقع على وثائق للحصول على محركات وتكنولوجيا وخدمات خاصة بالصواريخ، وقد استغل العراق عرض روسيا بيع هذه الأجهزة بعد نزعها من صواريخها عابرة القارات التى تطلق من الغواصات الروسية، وهى تفيد فى المحافظة على ثبات الصاروخ أثناء تحليقه حتى يصل إلى هدفه. وقد ثبت أن البروتوكولات الموقعة فى هذا الصدد كانت بهدف إنتاج صاروخ جديد أكثر دقة وابعد مدى من الصواريخ التى كانت لدى العراق فى السابق، لذلك فهى تحوى توريد مواد خام، وأجزاء إلكترونية، ومحركات صواريخ، وتصميم الصواريخ، والتدريب، وتكنولوجيا التصنيع، واختبارات المحركات والهياكل وأنظمة التوجيه والتحكم، وأن أحد البروتوكولات كان موقعاً مع شركة (إينير غوماش) التى تنتج محركات الصواريخ، حيث وافقت هذه الشركة الروسية على تقديم تحويل كامل للتكنولوجيا بما فيه معدات لإنتاج نوعين من محركات الصواريخ التى تعمل بالوقود السائل. وأن العقود مع شركة الكرامة وحدها بلغت أكثر من ٦٥ مليون دولار، بالإضافة لعقود استحضار خبراء روس إلى مركز الهيثم لصناعة الصواريخ. أما خبير الصواريخ الروسى وعضو فريق التفتيش (نيكيتا ساميروفيتش) فقد كشف مزاعم وأكاذيب النظام الصدامى حول تدمير الصواريخ، حيث تبين من فحص ركام الصواريخ المدمرة أنها تتعلق بهياكل الصواريخ وليس بينها سوى محرك واحد فقط، حيث احتفظ النظام بالمحركات وأجهزة التوجيه، وهى أهم مكونات الصواريخ، وقد تبين بعد ذلك إخفاء كمية من هذه المحركات والأجهزة فى صناديق محكمة فى قاع نهر دجلة تم الكشف عنها فى ١٩٩٥/١٢/٢٢ وأبلغت إلى مجلس الأمن. وعندما ادعى النظام أنه دمر ما حمولته ١١ شاحنة من محركات الصواريخ المدمرة - منتهكاً بذلك القواعد التى وضعها فريق التفتيش الدولى للعمل والتى تمنع التدمير غير المبرر من طرف واحد - تبين بعد البحث فى مناطق دفن هذه الصواريخ أنها لا تحوى سوى حمولة شاحنة واحدة فقط. وكانت أجهزة المخابرات الغربية قد أعلنت أن بغداد تستغل السماح لها من قبل الأمم المتحدة لبناء صواريخ أرض/أرض ذات مدى ١٥٠كم، لتطويرها بإضافة مرحلة دفع صاروخى أخرى لزيادة مداها؛ وكانت صحيفة التايمز اللندنية قد ذكرت أن العراق ينفذ برنامجاً لتحوير النظام الصاروخى أرض/جو (سام ٢) إلى صاروخ أرض/أرض يصل مداه إلى ٣١٣ ميل، أما رئيس فريق التفتيش إيكوس فكان قد صرح فى ١٩٩٦/٤/١٨ أن العراق نجح فى تصميم صواريخ بعيدة المدى يصل مداها إلى ٩٠٠، ٢٠٠٠، ٣٠٠٠كم وبما يطول عواصم أوروبية.

- ومن أجل استكمال مهمة الصواريخ العراقية، وتحقيق هدفها فى قصف أهداف استراتيجية فى دول الخليج العربية، فقد كان يلزم للنظام الصدامى أن يحصل على الإحداثيات الدقيقة لأماكن هذه الأهداف. وهو ما كشفت عنه صحيفة (صانداى تلغراف) فى ١٩٩٩/١٠/١٠، حيث وقع هذا النظام عقداً مع شركة "N.P.O" ماشينا وستروينيا الروسية المتخصصة فى الصور الفضائية للحصول على صور

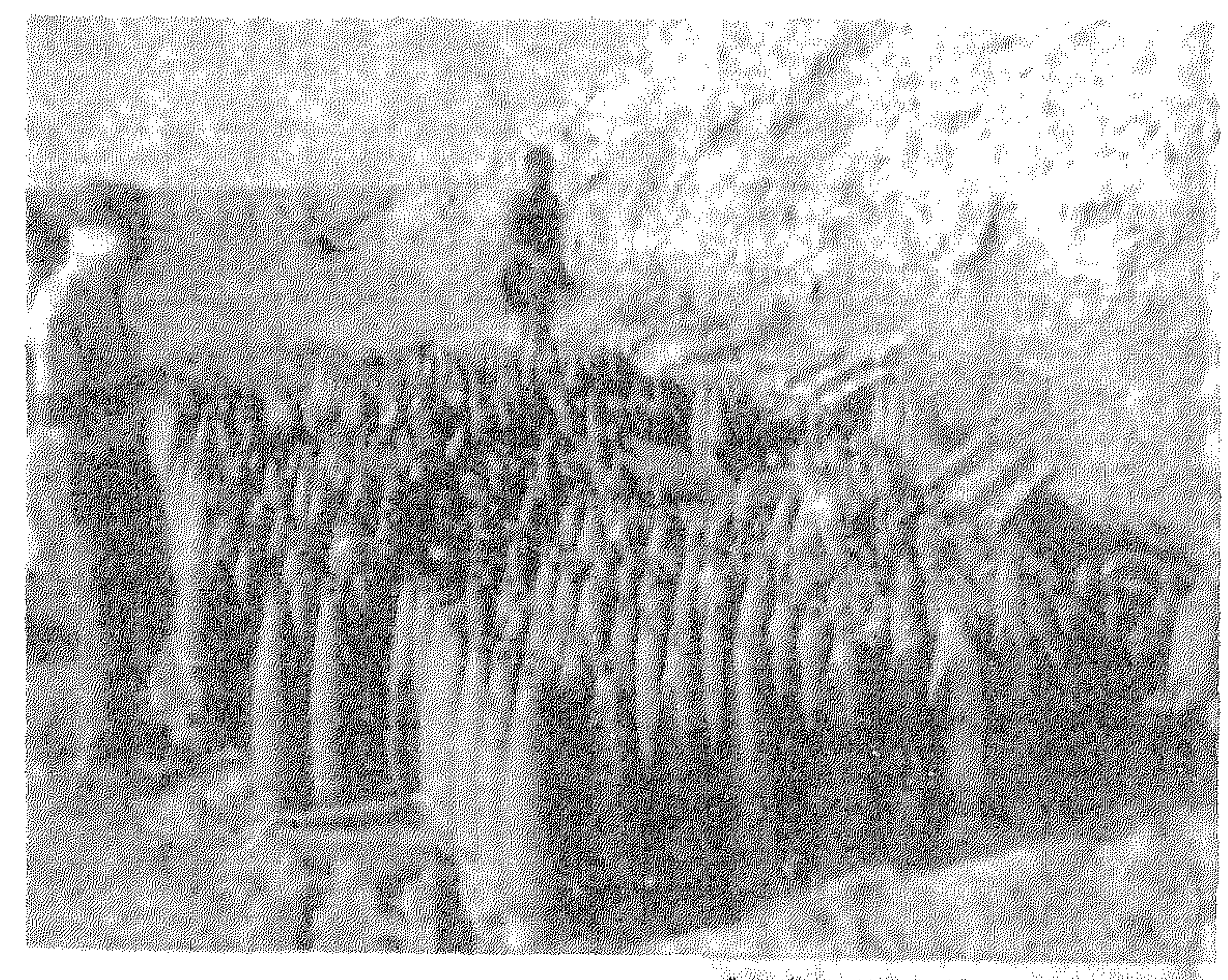
للأهداف الإستراتيجية بدول المنطقة مقابل ٣٣٠ ألف دولار. وقد حصلت بغداد فعلاً فى سبتمبر ١٩٩٩ على المجموعة الأولى من الصور الرقمية، وتضم ٧٠ صورة عن منطقة الخليج وتركيا وسوريا من إجمالى ٢٢٠ صورة نص عليها العقد. وأضافت الصحيفة أن العراق يتفاوض مع عدد من الشركات الروسية لشراء نظام كمبيوتر متطور يزيد من دقة إصابة الصواريخ لأهدافها.

متى يلجأ صدام لاستخدام اسلحته ذات الدمار الشامل؟[١٢٥]

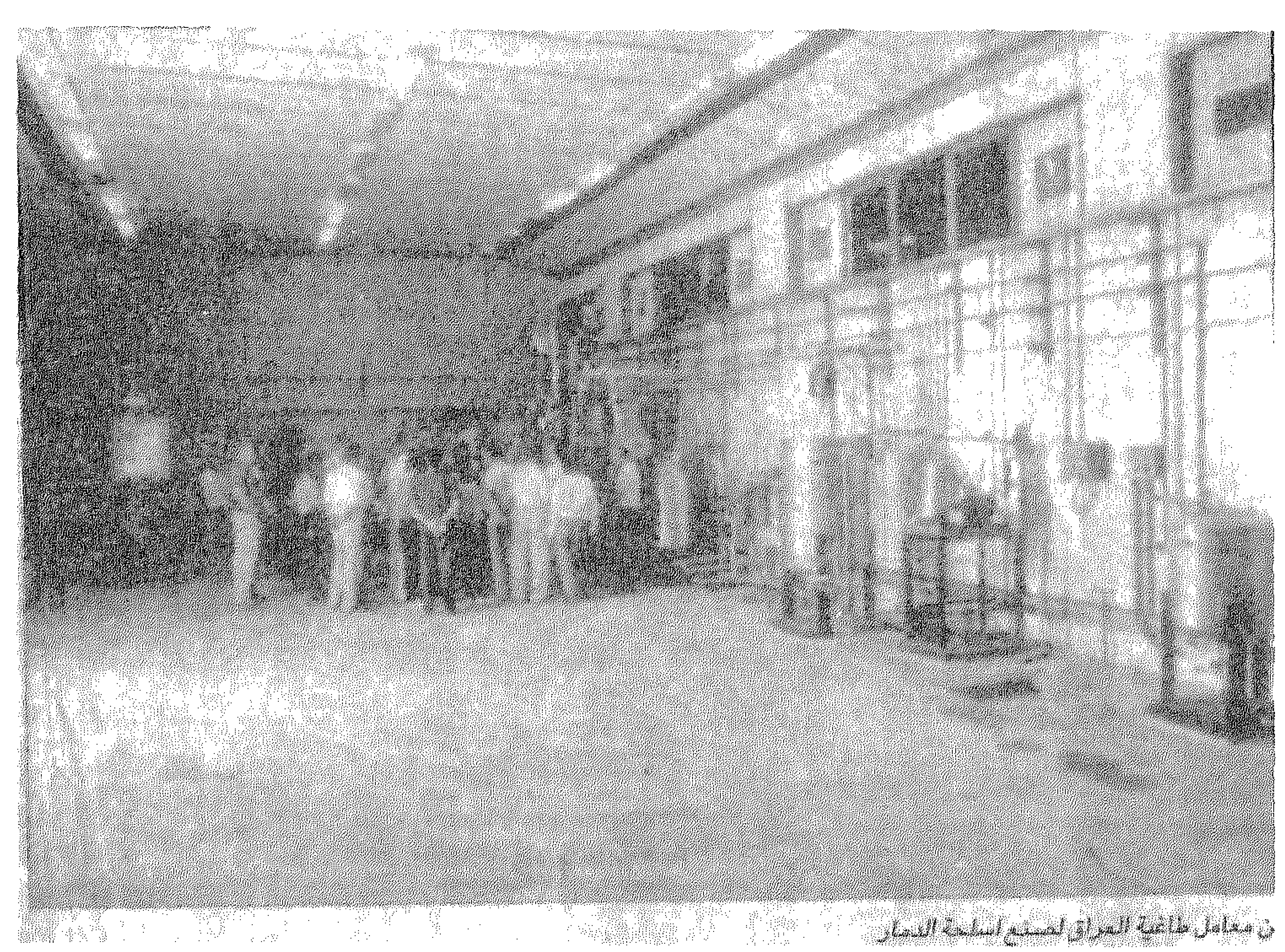
- فى حديث نشرته مجلة الوطن العربى فى عددها ١١٣٣ فى ١٩٩٨/١١/٢٠، دار بين رئيس تحريرها وليد أبو ظهر وحسين كامل (صهر صدام) عندما كان الأخير هارباً فى الأردن عام ١٩٩٥، أجاب على سؤال عن أسلحة الدمار الشامل التى يخفيها صدام ومتى يمكن أن يلجأ إلى استخدامها، أجاب حسين كامل: "إن صدام حسين لم يستعمل أياً من الأسلحة الخطيرة التى نملكها، سواء تلك التى طورناها بقدراتنا، أو التى حصلنا عليها بوسائلنا الخاصة من دول العالم. ولا أخفيك أن عدداً من كبار القادة العسكريين قد ألحوا على الرئيس العراقى باستخدام هذه الأسلحة عندما بدأت جبهتنا تنهار، وكان جوابه (أى صدام): "على كيفكم (وهى عبارة تعنى بالعراقية: على مهلكم) .. أى لم يحن الوقت بعد. وأضاف حسين كامل: لقد سمعته أكثر من مرة يقول أن هذه الأسلحة ستستعمل عندما نصل إلى الخط الأحمر، وفى لحظة يجد نفسه فيها بين الحياة والموت. هذه الأسلحة بالنسبة لصدام حسين هى حسب قوله: سلاح "على وعلى أعدائى"، وما دامت الأمور لم تصل إلى هذه المرحلة، فلسنا فى حاجة لاستخدام آخر أسلحتنا. ثم تساءل حسين كامل: "أليس لافتاً للنظر أن جورج بوش أصدر أوامره إلى شوارسكوف وقواته بوقف المعارك والانسحاب، علماً بأن طريق بغداد كان مفتوحاً أمامهم على الأقل فى المفهوم العسكرى؟ هل فعل بوش ذلك لوجود قرار معين بعدم إسقاط صدام حسين، أم لشكوكه فى أن العراق يملك أسلحة مخيفة وخطيرة قد يستخدمها إذا ما حاصروه فى زاوية الخيار بين اليأس والموت؟! ثم أوضح حسين كامل: "لقد بنى صدام قوة دفاعية من الأسلحة المتطورة والخطيرة القادرة على إنزال أقسى الخسائر بأية قوة فى العالم تسعى لمهاجمته".

- وعن أسباب لجوء صدام حسين إلى افتعال الأزمات مع فرق التفتيش الدولية، أفاد حسين كامل: "لقد حصل هذا عدة مرات، وسيظل يحصل فى كل مرة يشعر فيها صدام بأن فرق التفتيش اقتربت من موقع حساس لا يريد صدام أن تصل إليه، أو من مخبأ سرى لسلاح سرى، حيث يفتعل مشكلة تحول دون ذلك .. فهذه الأسلحة خط أحمر لن يسمح صدام حسين باختراقه".

أسلحة الدمار الشامل التى كشفتها فرق التفتيش الدولية

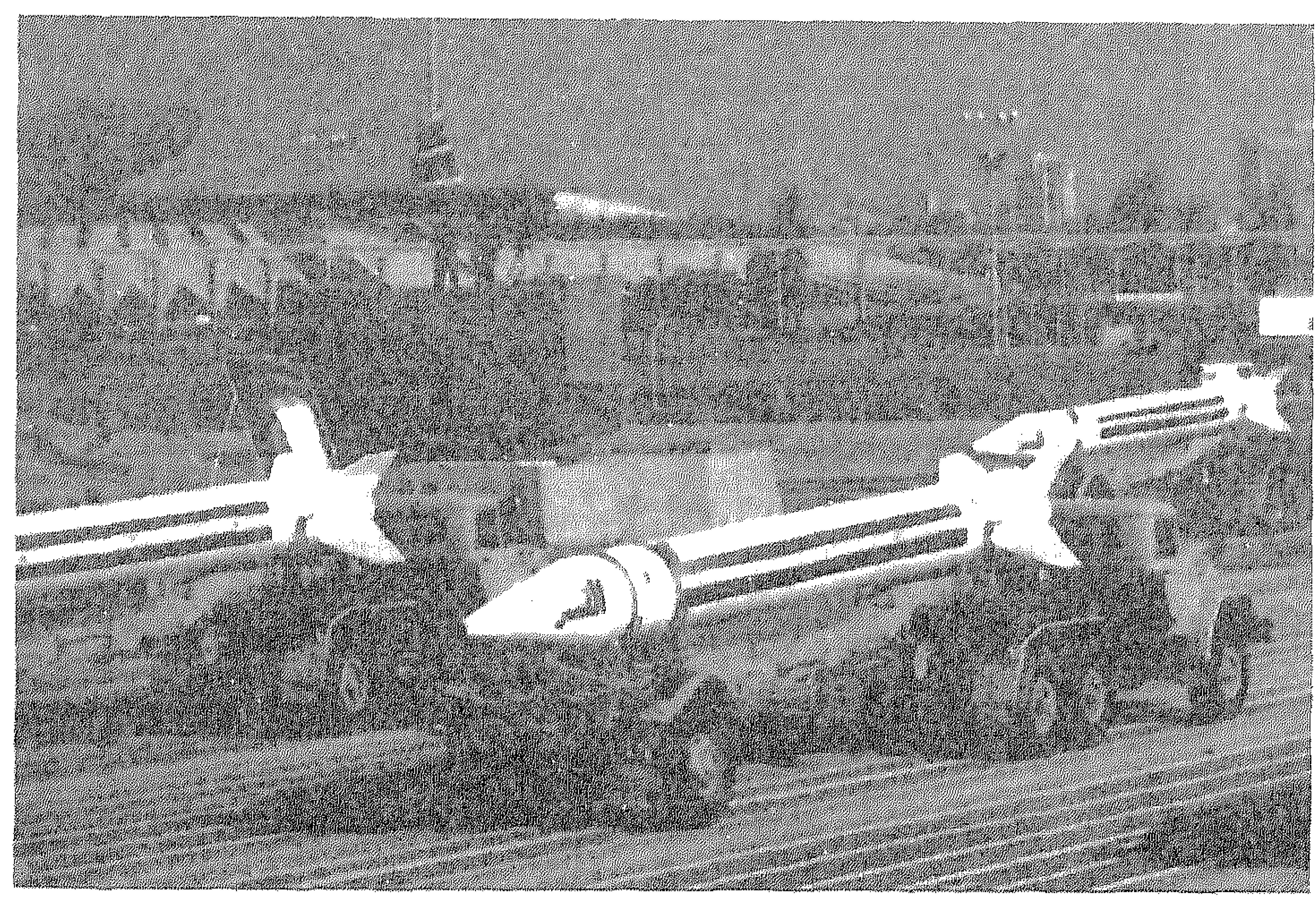


قذائف كيماوية تدمرها فرق التفتيش الدولية

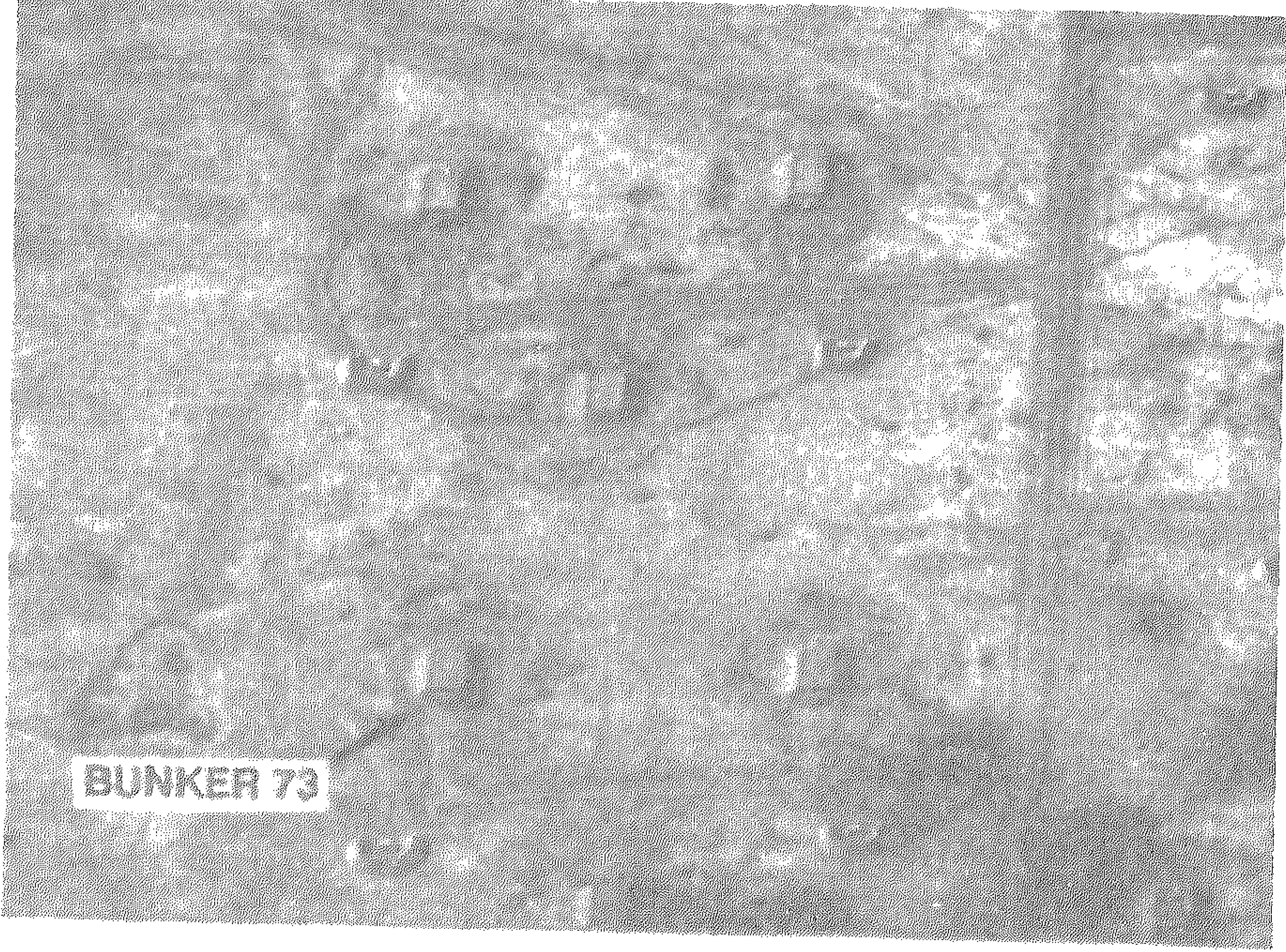


ن معامل طاغية العراق لصنع أسلحة الدمار

جانب من مجمع الأثير النووي الذي دمره التحالف وأعاد النظام بناءه



■ صواريخ «سكود» العراقية في مواجهة أسلحة اختلفت عن أسلحة عاصفة الصحراء 1991



منشآت كيماوية عراقية تقول الولايات المتحدة أنها دمرتها عام ١٩٩١.



مفتشان دوليان عن أسلحة الدمار خلال عملهما في العراق

ملامح الخطاب الإعلامى الصدامى تجاه الدول العربية:

- يمكن تحديد أهم ملامح الخطاب الإعلامى الصدامى تجاه الدول العربية بشكل عام خلال السنوات الأخيرة فى الآتى:

أ- التأكيد على كونه أوفى بجميع التزاماته تجاه الكويت خاصة فيما يتعلق بالأسرى الكويتيين، ورفض أية مساع لبحث تلك القضية، والدفع فى المقابل بوجود أسرى عراقيين فى الكويت يطالب بالكشف عن مصيرهم.

ب- التأكيد على خلو أراضيه تماماً من أسلحة الدمار الشامل، ورفض دخول اللجان الدولية للتفتيش عن الأسلحة، والتشكيك فى مصداقيتها.

ج- العزف على نغمة المصالح القومية العربية، واعتبار كافة أفعاله تحقيقاً لها، فمثلاً حربه مع إيران كانت بهدف "تأمين الجانب الشرقى للوطن العربى من الأطماع الإيرانية"، وأن غزوه للكويت "محققاً للمصلحة العربية ورد الحق لأصحابه، وسعياً لتحرير الأراضى العربية من العدوان الصهيونى"، بل وصل الأمر إلى تكرار المزاعم بأن الكويت لا تزال تسرق نفط العراق وأن "العراق ستتخذ الإجراءات المناسبة التى تضمن له وللأمة العربية حقوقها فى السيطرة على الثروات النفطية، وتوظيفها لمصلحة شئونها، وليس لتمرير مخططات أمريكية مشبوهة".

د- الهجوم على أية دعوة عربية للحكومة العراقية بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة بهدف إنهاء الأزمة العراقية، حيث ينظر المسئولون العراقيون لهذه الدعوات باعتبارها انحيازاً للكويت، ومؤشراً على رغبة أصحاب هذه الدعوات بإطالة أمد الحصار المفروض على العراق. ومن أبرز الأمثلة على ذلك الحملة الرسمية والإعلامية العراقية على أمين الجامعة العربية السابق د.عصمت عبد المجيد بسبب رفضه التهديدات العراقية للكويت، ومطالبته العراق بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة. فقد تجاهل المسئولون العراقيون كافة الجهود التى بذلتها الجامعة العربية لمساندة العراق، ورفضها أية محاولات للمساس بأمنه وسلامته الإقليمية.

هـ- انتقاد دائم لكافة الدول العربية بسبب التزامها بالحظر الدولى على العراق، ومطالبة هذه الدول باتخاذ إجراءات فعلية لإنهاء هذا الحظر؛ وكسره من طرف واحد باعتباره "يفتقد إلى الشرعية القانونية والسياسية"، مع رفضه تفرقة الدول العربية فى مقابلها بين شعب العراق ونظام حكمه.

و- الدعوة إلى تفعيل المادة ٥٠ من ميثاق الأمم المتحدة التى تمنح الدول المتضررة من الحصار الحق فى التعامل مع العراق دون العودة إلى مجلس الأمن، واستغلال الصفقات الاقتصادية فى تعاملاتها مع

الدول الأخرى، خاصة تلك التى تعانى من المشكلات الاقتصادية، وذلك عن طريق تركيز المسئولين العراقيين دائماً فى تصريحاتهم على المكاسب الاقتصادية والفرص المتاحة أمام المتعاملين مع العراق فى المجال الاقتصادى.

ز- أما أبرز ملامح الخطاب العراقى تجاه الدول الغربية، هو تركيزه المستمر على معاناة الشعب العراقى، والاستغلال الإعلامى الجيد لتفاصيل تلك المعاناة، وعرضها على الشعوب العربية، بالإضافة إلى لجوء المسئولين العراقيين عادة إلى الربط بين التزام العرب بالحصار وتزايد معاناة العراقيين.

ح- العودة إلى مفردات الخطاب الدينى التى كان يستخدمها صدام حسين أثناء احتلال الكويت، خاصة بعد أن برزت نوايا الإدارة الأمريكية فى الإطاحة بشخصه ونظامه. حيث يعد صدام الأمة العربية بـ "النصر المؤزر على الشياطين" وهو فى ذلك لا يطمئن شعبه إلى أدوات ذلك النصر، باستثناء دعوته إلى التمسك بالعقيدة، واستحضار دروس النضال والجهاد، وتاريخ المسلمين ودولتهم فى بلاد الشام وفارس والعراق والأندلس، ويعد العراقيين بنصر مماثل لنصر صلاح الدين الأيوبى على الصليبيين.

محاور مرتزقة صدام الإعلامية (١٢٦)

- ومن أجل تحييد وسائل الإعلام العربية لخدمة أهداف ومصالح النظام الصدامى، بذل هذا النظام جهوده وأمواله من أجل شراء بعض الأبواق والمرتزقة العاملين فى عدد من الصحف والإذاعات والقنوات الفضائية العربية، الذين يروجون لسياساته العدوانية ويبررون جرائمه الوحشية، وأعمتهم هباته عن الحقيقة، ليصنعوا من العدوان على الشعب العربى فى الكويت فى أغسطس ١٩٩٠ ملحمة انتصار على الولايات المتحدة وبريطانيا والكويت والسعودية. انعكس ذلك بوضوح فى سلسلة من الكتابات والأصوات الناعقة فى الإذاعات والفضائيات التى تمجد أيادى صدام الملطخة بدماء الأبرياء من أبناء الشعبين العراقى والكويتى، بينما تدرك الشعوب العربية قبل غيرها من شعوب العالم، أنه طاغية أهوج، وديكتاتور قاتل مغتصب، وسارق لثروات الشعب العراقى وطعامه ودوائه، ومكبل للحريات والديموقراطية. وكان المنتظر من هؤلاء الإعلاميين والمثقفين أن يدركوا حجم المسئولية الواقعة على كاهلهم فى نشر الحقائق دون تزلف وتزييف خدمة للشعب العراقى قبل غيره من الشعوب العربية، ولكنهم أبوا إلا الدفاع عن نظام دموى عميل، كان سبباً فى إهدار كافة قدرات الأمة العربية، وتمزيق صفوفها، وبعثرة وتشتيت جهودها. فحولوا الهزيمة التى منى بها النظام الصدامى فى عدوانه على الكويت إلى انتصار وصمود ومقاومة وإعادة بناء، فى الوقت الذى شاهد فيه العالم كله كيف دخل قادة العراق العسكريين خيمة صفوان بعد هزيمة العراق وهم مطأطئوا الرؤوس يجرون خلفهم الإذلال والمهانة التى وضعهم فيها صدام حسين، وليعترفوا أمام المجتمع الدولى بهزيمة الجيش والنظام العراقيين، ويوقعوا وثيقة الاستسلام.

- ولقد زادت هذه الأبواق فى الدفاع عن النظام الصدامى حين أطلق تهديداته ضد هذه الدول العربية، وفى مقدمتها الكويت والسعودية ومصر، وتصوير خطابات صدام بأنها دعوة للتضامن ورص الصفوف العربية، فى حين أن من يسمع ويقرأ خطابات صدام عبر اثنى عشر عاماً الماضية يفهم من بدايتها أن نزعة صدام العدوانية ما زالت غائرة فى صدره وقائمة فى عقله، وأن رغباته فى معاودة العدوان على الكويت والسعودية وغيرهما من الدول العربية قائمة، بل وغرزها (غرسها) فى عقل أبنائه وأعوانه.

- ولقد بلغ الأمر بهذه الأصوات الناعقة فى وسائل الإعلام العربية حد الاجتراء والافتئات والانتقاص من الحقيقة التى يعرفها كل مواطن عراقى مسلوب الإرادة، فروجوا مثل صدام لادعاءات باطلة بأن الحصار الدولى على بلادهم تقف وراءه الكويت والسعودية، محاولين إخفاء حقيقة ظاهرة للعيان تتمثل فى مسئولية النظام الصدامى عن كل المصائب والنكبات التى حلت بالشعب العراقى، حتى من قبل فرض الحصار والعقوبات وبعدها، وفى تعمد طمس حقيقة مهمة أخرى وهى سعى الكويت إلى مساعدة آلاف اللاجئين الذين طردهم النظام ممن رفضوا إذلاله وعذاباته، وامتناع النظام الصدامى عن إيصال شحنات من المساعدات الإنسانية للمحتاجين من الشعب العراقى.

- ولأن الحقيقة لا يمكن أن تختفى طويلاً مهما بذل المخادعون والمضللون، فقد تصادف مع هذه الحملات المخادعة والمضللة التى أطلقتها الأبواق والأقلام الصدامية، كشف وسائل الإعلام الأردنية لحقيقة ما حدث فى مستشفى (ابن البلدى) فى منطقة الطالبية، ورواه المواطن العراقى عبد الله الربيعى لإحدى الجرائد، الأردنية، حيث قامت أم يعرفها بإحضار ابنها إلى المستشفى، وقد أعطى الطفل "الفنتولين" لمعالجة ربو خفيف يصيبه، وبعد أن تحسنت حالته وقبل أن تأخذه أتت أخبار بعزم مراقبين من الأمم المتحدة واليونيسيف زيارة المستشفى، مما جعل رجال الأمن يبعدونها عن ابنها، وبعد أن تمت الزيارة وجدت الأم طفلها ميتاً بعد أن نزعوا منه (الفينتوليتور) - جهاز التنفس- ولاحظت صراخ أمهات أخريات فى كل أنحاء العنبر ممن فجعوا بقتل أبنائهن على أيدى رجال الأمن حتى يثبتوا زوراً وبطلاناً للزوار أن الحصار يقتل الأطفال. فهل أثار هذا المثل الصارخ على توحش ودموية النظام الصدامى ضمير الأبواق المتحدثة بلسان هذا النظام والمروجة له، وبما يدفعها للتراجع عن موقفها المشين فى الدفاع عن نظام يفتقد أدنى مقومات الإنسانية؟ على العكس من ذلك، فقد أعمتها للأسف دولارات النظام الصدامى فاستمرت فى حملاتها المخادعة لتضليل الجماهير العربية، وصرفها عن الحقيقة الناصعة التى تنطق بمسئولية النظام الصدامى وحده عن معاناة شعبه، وروجت لأباطيله حول مسئولية الكويت والسعودية عن ذلك.

- وقد أتيحت للأصوات المنحازة بشدة إلى النظام الصدامى فرصة كبيرة، وربما المنفردة فى بعض القنوات الفضائية ليقولوا ما يشاءون. ومن ذلك تبسيط حدث غزو العراق (الكويت)، وأن الكويت هى المتسببة فيه. وأن هذا الحدث قد انتهى بانسحاب العراق من الكويت، فلماذا تستمر الكويت "بعدوانها" عبر إثارة ذكرياته والمطالبة بأسراها وتشجيعها للحصار والاعتداء العسكرى الأمريكى على العراق؟

ورغم ما تحويه هذه المزاعم من أباطيل وافتراءات، إلا أن أحداً من هذه الأبواق لم يسأل ضميره فيما لو كان تعرض ابنه للقتل أو الأسر على أيدى جنود النظام الصدامى، أو تعرضت أمه أو زوجته أو ابنته أو شقيقته للاغتصاب بواسطة أزلام البعث الصدامى، أو عاد إلى بيته ووجد بيته وقد سرقت محتوياته وحطم أثاثه وأحرق بنيانه بواسطة المحتلين العراقيين، فهل سيكون هذا هو موقفه المدافع عن النظام الصدامى الذى انتهك حرماته؟ وهل سينظر إلى مثل هذه الجرائم بالتسامح الودى، دون أن النظر إلى آثار الجريمة وضرورة معالجتها بآلية تضمن عدم تكرارها، وعدم إقدام الغير على إتيان مثل هذه الجريمة بغياب العقوبة السابقة؟ أما المقولة التى تروج لها بعض أبواق النظام الصدامى "عفا الله عما سلف"، فإن الله تعالى لا يرضى بانتهاك حرمات الناس، ويضع الحدود التى تكفل محاسبة المجتمع للقاتل والزانى والسارق. إن هذا التبسيط فى الجريمة إذا تم تبنيه، فإن الفوضى بالتأكيد ستعم العالم، وستزداد الجرائم إذا تم غلق باب العقوبات على المجرم! ثم من المتسبب في استمرار الحصار؟ لماذا لا يشار إلى النظام الصدامى المتعنت والمراوغ فى تطبيق القرارات الدولية بمّا فى ذلك قرار النفط مقابل الغذاء، الذى رفض تطبيقه ست سنوات ثم وافق عليه بعد أن تاجر بآلام شعبه طوال هذه السنوات وبعدها؟!

- ومن المحاور التى يحاول المروجون للنظام الصدامى تسويقها إلى الرأى العام العربى، الزعم بأن المشكلات العربية ينبغى أن تحل فى نطاق الأمة العربية، ولا تخرج عنها بالاستعانة بالأجنبى! والواقع أن هذا هو أحب شئ لقلوبنا كعرب ومسلمين، ولكنه فى الواقع حق أريد به باطل. فالاستعانة بالأجنبى أساساً عمل لا يحبذه ولا يقره أى عربى ومسلم مخلص لأمته ولدينه، لما فيه من انعكاسات سياسية مفهومة ومعروفة، وقد تحررت هذه الدول من ربقة الاستعمار. ولكن فى قضية غزو العراق للكويت، هل هناك من ينكر أن الكويت ألقت بالأزمة فى بدايتها فى أحضان الجامعة العربية لحلها، عندما ردت على الأكاذيب والمزاعم العراقية بأن الكويت تسرق النفط العراقى، وفى طلب عقد القمة العربية وحضورها فى القاهرة. بل أين هذه الأبواق الصدامية من رحلات الرئيس مبارك المكوكية بين بغداد والكويت والرياض، وتعهد صدام له بأنه لا اجتياح عراقى للحدود الكويتية؟ ألا يعد ذلك غدراً؟ وكيف واجهه العرب كعمل خسيس وسافل؟! ثم ماذا كانت نتيجة اجتماع القمة العربية فى القاهرة؟ هل هب العرب فى وقفة رجل واحد للدفاع عن الكويت الضحية؟ خاصة وأن خطة العدوان الصدامية (روح الفتوح) كانت تضم مراحل أخرى من الغزو فى السعودية وباقى دول الخليج العربية بعد اجتياح الكويت؟ أم كان هناك تلكؤاً واضحاً من بعض الدول المعروف مواقفها من الغزو، بل وكانت هناك إشارات استحسان منها للغزو طمعاً فيما يدسه صدام العراق فى جيوبهم من نفط الكويت الثمين؟! وهل كان المطلوب من الكويتيين أن يتسولوا فى الأسواق العربية طلباً للالتفات نحو قضية ذبحهم؟ وهل نعيد تجربة فلسطين التى ما زالت قضية قتلها العرب بأيديهم مثلما قتلها الصهاينة؟ لقد سأل الرئيس السورى الراحل حافظ الأسد القادة العرب فى قمة القاهرة سؤالاً واضحاً ومحدداً، وهو أنه إذا أريد حلاً عربياً لاحتلال العراق للكويت، فعلى الدول العربية أن تحشد قوة عسكرية لا تقل عن ١,٥ مرة ضعف قوة

الجيش العراقى، وبما يعنى ما لا يقل عن مليون جندى، و ٨٠٠ مقاتلة و ٧٠٠٠ دبابة و ٥٠٠٠ مدفع و ١٠،٠٠٠ مركبة مدرعة، ووسائل نقل هذه القوات بحراً وجواً وبراً، واحتياجاتهم اللوجستية خاصة من الذخائر المتنوعة والوقود وقطع الغيار، وما يتطلبه كل ذلك من تخصيص ميزانية لا تقل عن ١٠٠ مليار دولار، فلم يجد الرئيس الأسد إجابة، والتزم الجميع الصمت!! فهل بعد ذلك مكان للمزايدة حول حل عربى؟ وكان الأجدى والأحرى أن يوجه الاتهام واللوم للنظام الصدامى الذى كان السبب الرئيسى والأهم فى إيجاد مبررات الحضور الأجنبى فى المنطقة؟ بل لماذا لا يتهم هذا النظام بالعمالة مع الأجنبى والتنسيق معه لهذا الإخراج السياسى، حتى إذا ما زاد المكيال انقلب ضدهم بعد أن انتهى دوره؟ وهل من الممكن أن تنتهى الأزمة بينما لا تزال آثار الجريمة ماثلة أمام العالم، ولا يزال أركان النظام الصدامى يصرون عليها: عدى مع تعديل خريطة العراق لتضم الكويت، وطارق عزيز حنا يقول فى صفاقة "كان المفترض أن تضرب الكويت أكثر مما ضربت"، والصحف العراقية الرسمية تهدد بالتراجع عن الاعتراف بحدود دولة الكويت، علاوة على جرائم استمرار حجز الأسرى والمرتهنين والممتلكات المسروقة .. الخ.؟! فهل إعادة توحيد الصف العربى تتم عبر قرار سياسى أم أن تغيير الواقع السيئ وتراجع المجرم عن جريمته ومحور آثاره ومعاقبته هو القرار الأولى الذى يفترض أن يسبق قرار توحيد الصف العربى، حتى يكون صفاً نقياً من الخونة متماسكاً وصلباً ؟!

- حقيقة الأمر فى هذه الأبواق الصدامية الناعقة فى العالم العربى، يعرفها العراقيون قبل غيرهم، ويدركون طبيعتهم وحقيقتهم الزائفة ورداءة معدنهم وذممهم الواسعة، كما يعرف الجميع بأمر الأموال التى تنهب من العراق على أيدى العصابة الصدامية لتغدق بها على زبانية النظام فى الخارج لتلميع صورته، ولكسب أكبر قدر من التأييد العالمى لمواقفه الدموية وأفعاله النكراء فى حق العراق أرضاً وشعباً. إن ماحاولات هذه الأبواق للترويج لهذا النظام المجرم عالمياً وعربياً بات أمراً مقززاً يمقته الجميع، ولم تعد الأكاذيب تنطلى على أحد سوى السذج. لذلك فإن من يعتقد أن قضية موت أو جوع العراقيين بسبب الحصار ما زالت مؤثرة فى الرأى العام العالمى، فإنه مخطئ لأن العالم أجمع يعلم بأمر هذه المسرحية الهزلية، كما يعلم بحقيقة مواكب التوابيت الفارغة التى تجوب شوارع بغداد فى مشهد تمثيلى سخيف يقوده طه يس الجزراوى، فى حين يرسل الطاغية صدام حسين الأموال وبالملايين لمشردى الولايات المتحدة!!

استمرار التهديدات الصدامية للدول العربية (١٢٧)

- لم تفلح هزيمة النظام الصدامى فى حرب تحرير الكويت فى إقناع هذا النظام بتغيير منهجه الذى دأب عليه فى تهديد الدول العربية، سواء المجاورة له أو البعيدة عنه، والتهجم على زعمائها وقادتها، رغم حرصهم جميعاً على إعادة تأهيل العراق بعد الخراب والدمار الذى لحق به على أيدى النظام الفاشيستى الذى يحكمه. حيث استمر فى ممارسة أساليب الخداع والضحك على الشارع العربى المُغيَّب، رافعاً

شعارات المصالحة والتضامن العربى، فى ذات الوقت الذى يكيل فيه التهم جزافاً لجيرانه وأشقائه العرب، يسميهم تارة، ويلمح تارة أخرى، رافضاً تطبيق القرارات الدولية وأهمها إطلاق سراح الأسرى الكويتيين، مردداً معزوفته الكريهة التى يسميها "منازلته الكبرى وأم المعارك الخالدة"، أى خطيئته البشعة بغزوه لدولة الكويت، وهو يعد ذلك إنجازاً، بل انتصاراً !!، ويحمل الدول العربية مسئولية استمرار الحصار والعقوبات المفروضة على العراق، رغم الجهود السياسية التى يبذلها القادة والمسئولون العرب لرفع هذه العقوبات وفك الحصار المضروب على العراق، حرصاً على شعبه وليس على النظام الكريه الذى يحكمه.

والغريب فى أمر النظام الصدامى، أن القائمين عليه دأبوا طوال الاثنى عاماً الأخيرة على الهذيان بأحاديث غير عقلانية، يطالبون بها الدول العربية، وجميع دول العالم أن يمنحونهم شهادة حسن سير وسلوك بالرغم مما اقترفوه ولا يزالون من جرائم وهتك عرض وتدمير وسرقة وشن حرب وغزو للدول المجاورة، وأخذ أسرى، ونكران وجودهم، أنهم يريدون شهادات حسن سير وسلوك يدون فيها بأن كل ما ارتكبوه من موبقات، هى أعمال شرعية تتطابق مع المثل العليا والمبادئ الحميدة وتحللها جميع الأديان ولا تتعارض مع الشرعية الدولية وتقرها مواثيق حقوق الإنسان!! كما أنهم يريدون شهادة حسن سير وسلوك من جيرانهم بأن سلوكياتهم كانت مثالية فى حفظ حقوق الجار، وانصياعه للقرارات الدولية، فى ذات الوقت الذى لم يتورع فيه فى أكتوبر ١٩٩٤ عن حشد قواته لمعاودة عدوانه على الكويت مرة أخرى.

- أما الأغرب من ذلك كله هو ما دأب عليه الخطاب الإعلامى الصدامى من محاولات لإقناع العالم على أنه (الضحية) وأن جيرانه فى الكويت والسعودية هم (القتلة)، معتقداً أن العالم نسى تاريخه المخزى منذ استيلائه على السلطة فى العراق، والحافل بالاعتداءات والمجازر الدموية داخل وخارج العراق. والخطاب الصدامى فى هذا بينما يحاول استدرار عطف وتأييد الشعوب العربية له، فشل فى أن يخفى ما يحمله من كل معانى الحقد والكراهية للبلاد العربية الأخرى، بل والتآمر عليها، رافعاً عقيرة الشتائم البذيئة والاتهامات المقرونة بالتهديد والوعيد ضد الحكام العرب، خاصة الخليجيين. والنظام الصدامى بإصراره على هذا السلوك المشين، وبما عرف عنه من جهل وغباء وغرور عند رسم سياساته وصياغة قراراته، لا يدرك أنه يدمر فرص إعادة تأهيل العراق، وعودته إلى المجتمع الدولى للأسباب الآتية:

أ- أنه بذلك يعطى الولايات المتحدة ذريعة حية لاستمرار الحصار وما ينتج عنه من معاناة للشعب العراقى، طالما أن صدام حسين مستمر فى قرع طبول الحرب، والتمسك بالتباهى بجريمة اجتياح الكويت، ومن ثم فإنه لا سبيل لإعادة الأمن والاستقرار لهذه المنطقة إلا بزوال نظامه.

ب- أن الإصرار على هذا النوع من السياسات والاستفزازات من شأنه أن ينسف أو يزيل كل معالم الصفح والاستعداد الخليجي لتجاوز الغزو وما خلّفه من آثار مدمرة فى المنطقة.

ج- أن المضى فى لغة التهديدات وبث روح الكراهية والعداء، والاستمرار فى تأكيد الاقتناع الضمنى بـ "الفعل الإجرامى"، هى عوامل أساسية ساهمت على امتداد الاثنى عشر عاماً الماضية فى تدمير كل فرص استعادة الحد الأدنى من التضامن العربى.

د- أن ضخ هذه الكمية المستمرة من العداء وروح الانقسام والفرقة، يجئ فى وقت يناقض تماماً متطلبات الظروف الجديدة التى تمر بها الأمة العربية، وهى تخوض من خلال انتفاضة الأقصى مرحلة حرجة من الصراع العربى-الإسرائيلى فى مواجهة خطة شارون لضم باقى الضفة الغربية إلى إسرائيل. حيث يميت قرع حكام بغداد طبول التهديد والوعيد، أى حديث عن تضامن عربى أو إسلامى. ففى الوقت الذى تتواصل فيه الجهود العربية لدعم انتفاضة الأقصى، وحماية الفلسطينيين ووقف السياسة الشارونية، نجد النظام الصدامى يزيد من حدة تهديداته للكويت والسعودية، وهو ما جعل المواطن العربى يتساءل حول الجهة المستفيدة من إزاحة الأضواء عن الانتفاضة لتوجيهها إلى منطقة الخليج، ولماذا يهدأ النظام عندما لا تكون هناك انتفاضة والوضع ليس متدهوراً فى المنطقة.

هـ- إن العودة تكراراً إلى هذا السياق الأعمى والمتهور من التهجم على الدول العربية وتهديدها من شأنه جعل مسألة حصار العراق بنداً بارزاً من بنود السياسة الخارجية الأمريكية، وحملات الرئاسة والكونجرس الانتخابية، خاصة وأن التهديدات العراقية للدول العربية تعنى ضمنياً تهديد المصالح الأمريكية فى المنطقة واستقرارها. وبالتالى مبرراً لبقاء الوجود العسكرى الأمريكى والغربى فى منطقة الخليج، وتجعل من هذا الوجود ضرورة فى نظر الكثيرين. ومن هذا المنطلق يمكن أن يشكل صدام حسين كنزاً لا يقدر بثمن للولايات المتحدة. فكلما قرع طبول الضغينة رسَّخ هذا الوجود العسكرى فى تلك المنطقة المصنفة أصلاً "حيوية للأمن القومى الأمريكى".

أولاً: استمرار تهديدات النظام الصدامى للكويت(١٢٨)

- منذ تحرير الكويت والنظام الصدامى لم يتوقف عن تهديد الكويت وأمنها، سواء بأساليب مباشرة بواسطة المتسللين من عملاء النظام وعناصر مخابراته، وحشد القوات العراقية على حدود الكويت، أو بأساليب غير مباشرة من خلال الحملات السياسية والإعلامية، حيث خطابات التهديد والوعيد والألفاظ البذيئة، وتغيير الوقائع وتحريف الحقائق، ناهيك عن رفض تنفيذ القرارات الدولية وعدم التعامل معها.

- فقد دأب النظام العراقى على زعزعة أمن واستقرار الكويت، بدءً بمحاولة اغتيال الرئيس الأمريكى الأسبق جورج بوش أثناء زيارته للكويت عام ١٩٩٣ بواسطة عربة مفخخة، وهو ما تم الكشف عنه

قبل تنفيذها وإحباطها، واعترافات عناصر المخابرات العراقية المكلفين بها وتم ضبطهم ومحاكمتهم. كذلك المحاولات العديدة لإرسال متسللين وجواسيس لإجراء عمليات تخريب واغتيالات داخل الكويت، وكان آخرها الخلية التى تم الكشف عنها فى ٢٠٠٠/٣/٩، حيث اعترف جاسوسين عراقيين باستخدامهما مزرعة فى الصليبية لتخزين الأسلحة والذخائر وإخفاء المنشورات والحبوب المخدرة بالتعاون مع ستة أشخاص آخرين هم أفراد (خلية التخريب) المناط بها تنفيذ مهام تخريبية داخل الكويت، وأن المنشورات التى كانت معهم تم إصدارها بمعرفة المخابرات العراقية لتوزيعها داخل الكويت، فضلاً عن تكليفهم بجمع معلومات عن الكويت وبث الشائعات فيها. كما أحيا مشروعه التجسسى على كل دول الخليج المعروف بـ (المشروع ٨٥٨) ويستهدف التنصت على محادثات الدول المجاورة للعراق ، ويؤمّن مسحاً شاملاً لذبذبات الاتصالات اللاسلكية، وقد خصصت له مديرية مستقلة بذاتها فى جهاز المخابرات - وحدد مقره فى منطقة الراشدية فى بغداد. وكان قد أوقف العمل به قبل الحرب الجوية فى عام ١٩٩١.

أما حوادث إطلاق النار عبر خط الحدود من الجانب العراقى ضد قوات حرس الحدود الكويتية، فهى أكثر من أن تحصى، وقد قتل وأصيب فيها كثيرون، إلى جانب انتهاك الزوارق العراقية المياه الإقليمية الكويتية وفتح النار على داوريات خفر السواحل الكويتية فى (خور الصبية) شمال شرق الكويت.

كما دأب النظام العراقى على اختلاق موضوعات وهمية يجعلها محور حملاته الإعلامية ضد الكويت، مستهدفاً تحويل الانتباه عن جرائمه داخل العراق والتغطية على الأوضاع المتردية فيه، ومحاولة تصدير المتاعب وعوامل عدم الاستقرار إلى داخل الكويت. فقد فعل ذلك فى ١٩٩٤/١٠/٦ حين عاود حشد قواته على حدود الكويت ليعاود كرة العدوان، مهدداً بغزوها إذا لم ترفع العقوبات، ومؤكداً أنه سينتقم من العدوان الغربى على العراق. واختلق وقتها موضوع المبعدين الذين زعم أن الكويت ترفض عودتهم، وحشد - دعماً لهذا الادعاء - أعداداً كبيرة من عملائه على الحدود الكويتية-العراقية زاعماً أنهم أصحاب حق، وشكل لهم رابطة تحت هذا الاسم بزعم أن الكويت شردتهم، وأقام لهم معسكراً ضخماً مجهزاً بآلاف الخيام على مشارف المنطقة العازلة، ووفر لهذه الحشود وسائل نقل عديدة دفعت بآلاف منهم إلى هذا المخيم، وإمعاناً منه فى التمويه والتضليل حرص على أن يرتدى هؤلاء الملابس المدنية الكويتية، ودفع بينهم بعدد من العائلات تضم أطفالاً ونساء، وأعلن النظام الصدامى أن هذه الحشود هى من فئة "بدون جنسية" وأنهم طردوا من الكويت وكانوا من سكانها، ويريدون العودة مرة أخرى إلى وطنهم. كما حرص على إحضار ممثلى وسائل الإعلام العالمية لتغطية هذه المسرحية المكشوفة الأهداف. ولكن فات على أجهزة النظام الصدامى التى أشرفت على إخراج هذه المسرحية العبثية، أن وثائق النظام الصدامى نفسه تنقض هذه الدعوى من أساسها. فقد كشفت السلطات الكويتية حقيقة أن كثيراً ممن وردت أسماؤهم ضمن هذه الحشود. يحملون وثائق صادرة عن السلطات العراقية تثبت أنهم عراقيون، مثل جوازات السفر وتصاريح العمل ووثائق التجنيد فى القوات المسلحة العراقية.

وابتداء من شهر يناير ٢٠٠٠ بدأ النظام العراقى فى الترويج مرة أخرى لهذه المسألة، عندما أشهر النظام المذكور رابطة جديدة إضافة إلى الرابطة الأولى أطلق عليها "رابطة المبعدين الكويتيين" زاعماً أن عدد الكويتيين المبعدين عن وطنهم يبلغ ٢٥٠ ألف مواطن ألقت بهم السلطات الكويتية على الحدود العراقية-الإيرانية وبقوا فى العراء والعوز أكثر من شهرين. وقد ردت السلطات الكويتية على هذه المزاعم موضحة أن مسألة "البدون" - أو غير محددى الجنسية - ليست ظاهرة مقتصرة على الكويت فقط، بل هناك الكثير من دول الخليج التى تعانى من هذه المشكلة، التى برزت نتيجة تدفق الآلاف من المهاجرين من بلدان آسيوية وعربية على دول الخليج، طلباً للعمل فى أعقاب الحقبة النفطية، ثم يسعون بكل الوسائل إلى الحصول على جنسية الدولة والتى تمكنهم من اكتساب مزيد من الامتيازات التى تمنحها لمواطنيها، وكانت أولى هذه الوسائل إخفاء المهاجر هويته الأصلية التى تبين موطنه الأم. وقد نال الجنسية الكويتية عدة آلاف من هؤلاء ممن تنطبق عليهم شروط الحصول عليها. وأظهروا حقيقة موطنهم الأصلى، من بينهم فلسطينيين ومصريين وأردنيين. أما الذين أخفوا حقيقة هويتهم، فقد أثبتت التحقيقات أن معظم هؤلاء أصحاب جنسية عراقية، إما مدفوعين من قبل المخابرات العراقية للقيام بأعمال التجسس والتخريب داخل الكويت، وكانوا من الذين انضموا إلى الجيش الشعبى والتنظيمات العسكرية العراقية الأخرى فور دخول الجيش العراقى الكويت فى ١٩٩٠/٨/٢، وقد انسحب الآلاف من هؤلاء مع الجيش العراقى بعد هزيمته فى ١٩٩١/٢/٢٦، وهؤلاء هم الذين يطالبون اليوم مدفوعين من النظام الصدامى بالعودة للكويت، علماً بأنهم لا يمتلكون ورقة واحدة تثبت مواطنتهم الكويتية. كما يوجد أعداد أخرى من العراقيين الذين أخفوا جنسيتهم من الهاربين من بطش النظام الصدامى والأوضاع المتردية فى العراق، وبخاصة خلال فترة الحرب العراقية-الإيرانية، حين هرب آلاف العراقيين إلى الدول المجاورة ومن بينها الكويت، وأقاموا فيها بصفة غير مشروعة. أما تصرف حكومة الكويت تجاه هؤلاء الذين أخفوا أوراقهم التى تثبت هويتهم، فقد ركز على الجانب الإنسانى، حيث أصدر وزير الداخلية الكويتى قراراً بمنح مهلة لهؤلاء المقيمين بصفة غير قانونية لإبراز وثائقهم الأصلية على ألا تنالهم مساءلة قانونية، وقد تقدم من هؤلاء ٢٥٧٧ شخصاً أبرزوا وثائقهم الأصلية ومنحوا حق الإقامة فى الكويت، بينما اختار ٢٦ ألف شخص آخرون السفر إلى بلدانهم الأصلية. ولم تطرد الكويت مقيماً واحداً، اللهم إلا من ارتكب جريمة وصدر بحقه حكم قضائى.

- أما القوات العراقية التى حشدها النظام الصدامى فى جنوب العراق على مسافة ١٠كم من الحدود الكويتية، فقد بلغ حجمها ٧٠ ألف جندى و ٧٠٠ دبابة و ٩٠٠ مركبة مدرعة وبضع مئات من المدفعية وراجمات الصواريخ ووسائل الدفاع الجوى، وأمكن تمييز ٥ فرق مدرعة وميكانيكية من بينها تابعة للحرس الجمهورى، حيث اتخذت أوضاعاً هجومية مماثلة لما كان عليه الحال عشية عدوان الثانى من أغسطس ١٩٩٠. فقد جاء رد الفعل الدولى - خاصة الأمريكى - سريعاً فى مواجهة هذا التهديد الذى أثاره النظام الصدامى، حيث انتشرت القوات الجوية والبرية الأمريكية والبريطانية فى منطقة الخليج بسرعة يوم ١٩٩٤/١٠/١٥، وجاء هذا الانتشار مواكباً لتحذير شديد من الرئيس الأمريكى السابق

كلينتون من مغبة تكرار الخطأ السابق، أو إساءة تقدير القوة الأمريكية التي من المؤكد أنها ستهاجم العراق إذا ما اعتدى على الكويت مرة أخرى. وقد أثمر هذا التحذير في انسحاب القوات العراقية من مناطق الحدود، وإجبار النظام الصدامي - على غير إرادته - على إعلان اعترافه رسمياً بدولة الكويت وسيادتها واستقلالها وبالحدود الفاصلة بينه وبين الكويت، طبقاً لترسيم الحدود الذي قامت به لجنة الأمم المتحدة، وصدَّق المجلس الوطني العراقي على نص هذا الإعلان الذي تم إيداعه كوثيقة في الأمم المتحدة. ومما يؤكد أن هذا الاعتراف من جانب النظام الصدامي لم يكن وليد رغبة حقيقية في تحسين الأجواء بين العراق والكويت، بل تحت ضغط الهزيمة التي استحقها، وأنه لا يزال يبيت الغدر والتآمر ضد الكويت، ما نشرته صحيفة العراق في ١٩٩٥/٤/١١ منسوباً إلى نوري نجم الرسومي وكيل وزارة الإعلام العراقي ذكر فيه "رغم أن العراق رسمياً اعترف بالكويت كدولة إلا أن هناك تياراً شعبياً واسعاً لا يقر ذلك، ويعاني من المرارة بسبب اقتطاع جزء من أرضه الغالية".

ورغم هذا الاعتراف الموثق من جانب العراق باستقلال الكويت وحدودها، إلا أن صدام حسين طوال اثنتي عشر عاماً بعد هزيمته في حرب تحرير الكويت، ما فتئ يحتفل بذكرى عدوانه على الكويت، فتارة يطلق عليه (يوم النداء) وتارة (اليوم الأغر)، كما أطلق على هزيمته في الكويت (أم المعارك) و (المنازلة الكبرى) .. الخ هذه الترهات، ولم يكتف بالأمر عند ذلك، بل كشف عن خبيئة نفسه التي تضمر العدوان والشر ضد جارته الكويت عندما لفت الأنظار إلى أن القسطنطينية لم تفتح من خلال محاولة واحدة! ولذلك ستكون الكويت مثلها. وقد سار أركان النظام الصدامي على درب رئيسهم، فنجد طارق عزيز نائب رئيس الوزراء يصرح في ٢٠٠١/١/١٦ قائلاً بالحرف الواحد عن الكويتيين: "ما حصل في الثاني من أغسطس ١٩٩٠ كان أقل مما يستحقون"، أما (عدي) نجل صدام فيعلق بإيعاز من أبيه أن خريطة العراق المعلقة في المجلس الوطني العراقي ناقصة، حيث أن خريطة العراق الكبرى يجب أن تشمل الكويت!! ثم نجده يطالب بتقليص المنطقة العازلة بين الكويت والعراق والتي تشرف عليها لجنة (يونيكوم) الدولية من عشرة كيلومترات إلى خمسة فقط داخل الأراضي العراقية، ويهدد في الذكرى العاشرة للعدوان بتلقين الكويت دروساً إضافية، وتلوح صحيفة بابل التي يشرف عليها بسحب الاعتراف العراقي بحدود الكويت، ثم تجئ تصريحات طه يسن رمضان نائب صدام في القاهرة التي قال فيها تعليقاً على اقتراح عدي بتعديل خريطة العراق: "إن الأستاذ عدي يعبر عن وجهة نظر ٩٩% من الشعب العراقي". وكان بديهياً أن يعزف الإعلام العراقي نفس المعزوفة الكريهة، فبعد أن صرح ناطق باسم وزارة الإعلام العراقية مؤيداً تصريحات عدي انطلقت الصحف العراقية تنفث سمومها، ومنها صحيفة (الثورة) في ٢٠٠١/١/٢١ داعية الحكومة العراقية إلى التحلل من المواثيق التي التزمت بها بغداد عبر كل مؤسساتها الدستورية.

- وعندما وقعت أحداث ديسمبر ١٩٩٨ عندما طردت الحكومة العراقية فريق التفتيش الدولي، مما تسبب في توجيه ضربة (ثعلب الصحراء) ضد منشآت أسلحة الدمار الشامل العراقية، كرر طارق عزيز

الادعاءات القديمة حول حقوق مزعومة للعراق فى الكويت، قائلاً: "إن الكويت كانت منذ القدم وحتى نشأتها جزء من العراق، وأنها كيان أنشأته بريطانيا لمحاصرة العراق وحرمانه من شواطئه التاريخية". ونلاحظ فى هذا التصريح أنه يعود فى تاريخه إلى أربع سنوات فقط من إقرار العراق رسمياً بحدوده مع الكويت، وهو ما يعنى أن المواثيق الدولية فى عرف هذا النظام لا تعدو كونها قصاصات ورقية تُخرق وتُحرق عندما تسمح البيئة الدولية بانتهاكها، كما حدث فى عدواناته السابقة ضد إيران عام ١٩٨٠ وضد الكويت ١٩٩٠ عندما مزّق اتفاقية الجزائر الموقعة ١٩٧٥ فى الجزائر ثم عاد واعترف بها، وهو أمر قابل للتكرار ليس فقط مع الكويت، ولكن مع باقى دول الخليج العربية إذا ما سنحت له الظروف بذلك. يعبر عن هذه الأطماع طارق عزيز التى صنف فيها العرب إلى "عرب و أعراب" ويعنى بالأعراب من لا حدود لأراضيهم يتعين احترامها، وهو تصريح له مغزى خطير لكل من يريد أن يعتبر ويتعظ.

- وفى الذكرى الثانية عشر لإنهاء الحرب العراقية-الإيرانية، وبعد يوم واحد من تصريحات ابنه عدى الاستفزازية فى أغسطس ٢٠٠٠، يسارع صدام بشن هجوم كلامى على الحكام العرب، وبدلاً من أن يعتذر صدام للشعب العراقى عن الحرب العدمية التى دخلها مع إيران لمدة ثمانى سنوات حشد فيها الكثير على كافة الأصعدة، نجده يخرج مدعياً النصر وموجهاً تهم الخيانة والعمالة لحكام الكويت والسعودية، وبدلاً من أن يبحث عن أرضية مشتركة مع القادة العرب تمهيداً لعودة العراق إلى الصف العربى، يفاخر بحكمه (الثابت)، وفى حين أن الحكام والملوك العرب على حد زعمه "يظهرون على كراسيهم كأنهم يحكمون"!! فهل من مصلحة الشعب العراقى الذى يسعى جميع الحكام العرب لرفع العقوبات عنه أن يكيل لهم صدام البذاءات على هذا النحو؟ ولكن كما يقول المثل العربى "كل إناء ينضح بما فيه". ولم يكتف صدام بذلك بل نجده لا يتورع عن تكشير أنياب الشر واستعراض مخالب الاعتداء الوقح فى رسالة ضمنها فى مقاله بصحيفته "الثورة العراقية" فى ٢٠٠٠/٥/٧ يحذر فيها الكويت من (آب/أغسطس) جديد. وهى رسالة لم تكن موجهة ضد الكويت بقدر ما هى موجهة إلى العرب الذين يذرفون الدمع على النظام الصدامى، مطالبين بفتح صفحة جديدة معه على أساس شعار (عفا الله عما سلف)، فما زالت نوايا الشر مستحكمة، وغزو الكويت هدفاً يستميت عليه النظام الصدامى، واحتلالها يمثل مطلباً استراتيجياً لهذا النظام حتى ولو وقّع على مئات الوثائق التى تخالف ذلك.

- ورغم مرور اثنتى عشر عاماً على عدوان العراق على الكويت، فإن النظام الصدامى لم يتخل يوماً واحداً عن سياسته التى تقوم على التهديد واختلاق الأكاذيب والعمل على إبقاء شعبه وجيرانه فى توتر دائم. فقد رصدت وزارة الإعلام الكويتية خلال شهرى يوليو وأغسطس عام ٢٠٠١ وعلى مدى ٤٥ يوماً حجماً من التهديدات والأكاذيب بلغت أكثر من ٥٠٠ كذبة إعلامية روجتها وسائل الإعلام العراقية، معظمها منسوب إلى مسئولين عراقيين، ضد الكويت والسعودية باتهامهما بأبشع الاتهامات.

وهو ما يعنى أن الخطاب السياسى العراقى الذى يقوم على الكذب والتضليل، يواصل تهديده دونما اكتراث للمحاولات الحثيثة التى يبذلها الكثير من المسئولين العرب لإزالة أجواء التوتر الناجمة عن عدوان الثانى من أغسطس حرصاً على عودة التضامن العربى، ويؤكد فى ذات الوقت على أن القيادة الصدامية ما زالت تسير فى الاتجاه الخاطئ نفسه والسياسات القائمة على افتعال الأزمات الداخلية والخارجية - وهو ما يعرف بأسلوب الإدارة بالأزمات، بمعنى أن يخرج من أزمة ليدخل فى أزمة أخرى لكى يبقى شعبه وجيرانه فى توتر دائم.

ومن افتراءات النظام الصدامى الأخيرة اتهامه الكويت بأنها تقوم بالحفر الأفقى لبئر الرميلة، فى حين أن جميع خبراء النفط يعلمون جيداً بأن الحفر الجيولوجى والبترولى لا يمكن أن يتم أفقياً إلا فى حالة معرفة المكامن النفطية التى تتجه إليها لتحفر فيها أفقياً، ومن البديهى ألا تعرف الكويت أصلاً المكامن النفطية العراقية لأنها لم تحتل العراق، فى حين أن العراق هو الذى يعرف المكامن الكويتية بئراً بئراً بعد أن قام باحتلال الكويت وفجَّر آبارها بئراً بئراً، الأمر الذى يؤكد أن هذه الادعاءات الصدامية - كغيرها - ما هى إلا افتراءات وهراء لا أساس له من الصحة، وأن وراءها أهدافاً أخرى ربما تكون ذات علاقة بالشركات النفطية المتحكمة فى السوق لكى تجنى المكاسب المالية من وراء ارتفاع الأسعار بأرقام قياسية يستفيد صدام بجزء منها، والإيهام بأن الكويت عملت من جديد من خلال قضية النفط على دفع العراق إلى حافة الحرب لأسباب فرضت عليه، وهو ما يعنى محاولة صدامية لافتعال أزمة جديدة لاستثمار عوامل عدة منها تقاربه مع روسيا والعطف العربى والعالمى من أجل رفع العقوبات، ويؤكد فى المحصلة أن صدام جاء من مدرسة قديمة ما زالت تعتقد بانقسام العالم وتشرذمه، وخلق الأزمات للاستفادة منها، ولكنه لا يزال أستاذ الأساتذة فى الحسابات الخاطئة التى تجلب المصائب عليه وعلى العراق.

أما على الصعيد الداخلى فى العراق، فقد تعمد النظام الصدامى تجاهل اعترافه باستقلال ووحدة أراضى الكويت، وحرص على غرس الحقد والكراهية فى عقول خمسة ملايين تلميذ عراقى فى المدارس، بتجاهل وجود الكويت فى خرائط منطقة الخليج التى يدرسها التلاميذ، واعتبارها جزءً من العراق تحت اسم المحافظة رقم ١٩، وأن ما حدث فى عام ١٩٩٠ هو "عودة الفرع (الكويت) إلى الأصل (العراق)"، وأن العالم تآمر ضد العراق منطلقاً من الكويت، لكن العراق حقق نصراً تاريخياً يضاف إلى سجله الناصع الذى تتوارثه الأجيال"!! أما هدف النظام الصدامى من وراء دس هذه الأكاذيب والسموم فى كتب التلاميذ، فهو زرع بذور صراع حتمى يقوده الجيل العراقى الحالى ضد الكويت مستقبلاً، وصناعة صدامين جدد فى المستقبل يستأنفون تنفيذ المخططات الصدامية العدوانية ضد الكويت وغيرها من الدول العربية، بعد أن غرس الحقد والكراهية فى عقولهم، وما لذلك من تأثير نفسى خطير على استقرار وأمن المنطقة، حيث لم تقتصر الأكاذيب على اعتبار الكويت جزءً من العراق، بل أطلقت على السعودية أرض نجد والحجاز. كما لم يقتصر التزوير على الكتب الدراسية، بل شمل أيضاً

الشهادات الدراسية، ذلك أن العراقيين الذين تعلموا فى مدارس الكويت عندما عادوا إلى بغداد ليعادلوا شهاداتهم نص فيها على أنهم حصلوا عليها من "محافظة الكويت" وليس دولة الكويت.

- هذه الحقيقة تؤكد بما لا يدع مجالاً لأى شك أن صدام حسين إذا ما أتيحت له الفرصة، فإنه لن يتورع عن تكرار عدوانه على الكويت ثأراً منها لهزيمته على أرضها، وهو ما دأب على تكراره فى مجالسه الخاصة الرسمية وغير الرسمية من "أن الكويت تعتبر جزءاً لا يتجزأ من العراق، وأنها سوف تُضَمُّ إلى العراق فى يوم من الأيام".

- والغريب فى أمر هذه الدعاوى والأكاذيب الصدامية، أن كل الشواهد والوثائق التاريخية العالمية والعراقية تجمع على أن الكويت على امتداد أكثر من ثلاثة قرون كانت دولة مميزة فى إقليم جغرافى محدد ولها حدود واضحة مع جيرانها، وذلك كله قبل أن ينشأ العراق الحديث بكيانه الجغرافى الحالى. حتى أن الخرائط التى رسمها العراقيون أنفسهم وسجلوها فى كتبهم ومراجعهم، وقرروها على أبنائهم ليدرسوها فى المدارس والجامعات - قبل عدوان الثانى من أغسطس - وكلها تبدو فيها الكويت دولة مستقلة داخل حدودها الدولية المعروفة، وهذه الخرائط العراقية المعتمدة من قبل العراق رسمياً ظلت هى المرجعية العلمية والجغرافية طوال العهد الملكى والعهد الجمهورى الذى تلاه.

ثانيا: الأسرى الكويتيون فى سجون العراق[١٢٩]

- أعطى النظام الصدامى ظهره لكل الجهود والنداءات الدولية الإسلامية والعربية - الأهلية والحكومية - التى ألحت على هذا النظام تناشده أن ينهى معاناة أسرى الكويت بعد مرور اثنى عشر عاماً على اعتقالهم. باعتبار أن قضية الأسرى قضية إنسانية أكدها ديننا الإسلامى الحنيف مطالباً بحسن معاملتهم، ومؤكداً حماية كرامة المسلم فى السلم والحرب. كما انطوى ميثاق الأمم المتحدة وما انطلق منه من وثائق دولية على حماية الإنسان وحفظ كرامته فى السلم والحرب على حد سواء، وهى اتفاقات وقعها العراق.

- وقد تضمن تقرير منظمة العفو الدولية عن الاحتلال العراقى للكويت أدلة على انتهاكات وممارسات هذا النظام ضد المدنيين خلال فترة احتلاله الكويت، ومن بينهم الأسرى. وقدم التقرير الوثائق الطبية والصور التى تجسد عمليات التعذيب الوحشية التى وقعت على الكويتيين، وعدَّد التقرير ٨٨ وسيلة تعذيب استخدمها النظام الصدامى فى عمليات التعذيب.

- وتجدر الإشارة إلى أن عدد الأسرى فى السجون العراقية اليوم (٦٠٥ أسيراً) يبلغ عُشر ما تم اعتقاله وأسره بالفعل خلال فترة الاحتلال العراقى الغاشم للكويت. وقد أفادت الدراسات التى أجريت على ثلاثين ألف مواطن كويتى ممن عايشوا الاحتلال العراقى بأحداثه ووقائعه، وسجلوا ما حدث لهم خلال تلك الفترة، وقد تبين من حالات التعذيب التى سجلها المواطنون فى إفاداتهم خلال هذه الدراسة أن

عمليات الضرب والركل والصفع واللكم واستخدام الجنود لأحذيتهم واستخدام الفلقة والخراطيم المحشوة وكابلات الكهرباء، وغيرها من وسائل الضرب كانت هى الأسلوب الشائع حيث أفاد بذلك ٩٢% من الأسرى الذين تم تعذيبهم، يلى ذلك عمليات السب الفاحش والإهانة والتحقير (٨٨%)، ثم التهديد بالإعدام أو التعذيب أو باعتقال الأهل والزوجة والأبناء وتعذيبهم حيث أفاد بذلك ٣٦% من الأسرى المعذبين، وفى المرتبة الأخيرة جاءت وسيلة الصعق الكهربى والذى استخدم مع ٣٢% من الأسرى الكويتيين.

ويعزز ذلك ويؤكده شهادات من نشروا مذكراتهم ممن أتيح لهم الخلاص والهرب خارج العراق ومن هؤلاء بوب سايمون مراسل وكالة CBS ومعه ثلاثة من رفاقه الصحفيين الذين قبضت عليهم القوات العراقية عند الحدود فسجنوا مدة أربعين يوماً ذاقوا خلالها ألواناً بشعة من التعذيب والتنكيل، ومرارة الجوع، وأساليب الاستجواب الوحشية من قبل المخابرات العراقية ويذكر سايمون فى كتابه المعنون: "أربعون يوماً فى سجون العراق" والذى نشر فى نيويورك عام ١٩٩٢ أنه سبق وألقى القبض عليه خلال قيامه بمهمات صحفية خلال ٢٥ عاماً فى أيرلندا وفيتنام ورومانيا، ولكنه لم يواجه مثل هذه الأنواع التى ذكرها من التعذيب الوحشى إلا فى سجون العراق.

ويعد ما ذكره بوب سايمون قطرة من بحر مما ذكرته "ليلى" الأستاذة العراقية الحاصلة على درجة الدكتوراه فى القانون من السوربون، عما مرت به من تعذيب رهيب لما اعتبره النظام العراقى خيانة قامت بها لأنها لم تقدم طلباً للالتحاق بحزب البعث بعد عودتها من البعثة، ولم تدل بمعلومات طلبت منها عن أهلها الذين اختفوا ولا تعلم عنهم شيئاً، وقد نشرت الأهوال التى مرت بها فى كتابها "القسوة: محاولة لإفساد ما تبقى من حياتكم" وما مرت به من تعذيب كهربى وتنقل بين عديد من السجون، والجلد والإساءات الفاحشة والحرمان من الطعام.

وتنطق الصفة التشريحية لجثة الشهيدة الكويتية أسرار القبندى قبل دفنها، والصورة التى أخذت لجثتها بما مرت به من تعذيب لا يتصوره بشر. فقد أطلقت عليها زخات من الرصاصات من النوع المحرم دولياً الذى يحمل شحنات تنفجر داخل الجسم وقد قطعوا جبهتها بالمنشار الكهربى، وضربوا وجهها بآلة حادة أطارت الجزء الأيسر من الوجه والجبهة والعين اليسرى، وألقوا بجثمانها أمام منزلها فى يوم ١٤/ ١٩٩١/١.

ونحن إذ نعيد ذكر ما يمر به الأسرى فى سجون النظام العراقى ليستشعر صاحب كل ضمير حى فى دنيانا مسئوليته عن المناداة معنا بإنهاء معاناة أسرى الكويت فى سجون العراق.

- لقد اتخذ النظام العراقى موقف التجاهل والإنكار التام لوجود أى أسرى كويتيين فى العراق، ورفض حضور اللجنة الدولية الثلاثية كما رفض استقبال المندوب الدولى الذى كلفه مجلس الأمن ببحث موضوع الأسرى.

- ونورد هنا أربع وثائق عراقية تم اكتشافها مع العديد من الوثائق العراقية التى خلفتها القوات العراقية عند انسحابها من الكويت فى عجلة من أمرها، لانشغالها بحمل ما جمعوه من مسروقات فى المقار التى كانت تحتلها إبان فترة العدوان على الكويت، وتظهر هذه الوثائق الأربع بجلاء ما يلى:

١- أن القوات العراقية تقرر فى الوثيقة الأولى أنه تم القبض على (٥٠٠) كويتى بتاريخ ١٩٩١/٢/٢٢ وأنه يجب التعامل معهم كأسرى ونقلهم إلى العراق.

٢- الخطاب الذى يعلن ذلك موقع من الرفيق عبد الغنى عبد الغفور عضو القيادة القطرية وقائد المنطقة الجنوبية - والذى عين وزيراً فيما بعد - والخطاب موجه إلى الرفيق أمين سر قيادة فرع البصرة. ويلاحظ أن الرسالة كتبت بخط اليد إمعاناً فى المحافظة على السرية وعلى ورق حزب البعث باعتبار الأمر مسألة سياسية عسكرية.

٣- شدد الخطاب على توفير نظم صارمة من الحراسة المشددة المضاعفة طلب تأمينها لهؤلاء الأسرى ولم يترك أمر حراسة هؤلاء الأسرى المنقولين إلى العراق لمسئولية قوات الجيش أو السجون بل فضل تحديداً خمس جهات متضامنة بدءاً برئيس أركان القيادة الجنوبية وآمر موقع البصرة، وممثل الاستخبارات العسكرية، وممثل جهاز المخابرات ومدير شرطة محافظة البصرة، ومدير أمن المحافظة. وذكر فى الرسالة صراحة تفويض محافظ البصرة وأمين حزب البعث الاستعانة بأى جهة أخرى يرونها لازمة لضمان المحافظة على هؤلاء الأسرى !!

٤- الوثيقة الثانية صادرة أيضاً فى ١٩٩١/٢/٢٢ من الرفيق عبد الغنى عبد الغفور نفسه، وهو خطاب موجه منه إلى الجهات نفسها التى وجه إليها الخطاب السابق، ويخطر تلك الجهات أنه تم القبض على ٧٥٠ كويتياً لترحيلهم إلى العراق وقد تضمن التعليمات نفسها والاحترازات الصارمة فى أسلوب تأمين حراستهم حراسة مشددة عليهم بإشراف مجموعة جهات حددها.

٥- أما الوثيقة الثالثة والمؤرخة فى ١٩٩١/٢/١١ فيتبين منها أن خطة القبض على المواطنين الكويتيين قد خطط لها قبل الانسحاب. فالوثيقة تشير إلى خطاب الاستخبارات العسكرية بشأن هذا الموضوع فى ٧/ ١٩٩١/٢، وتطلب "إخلاء أى مواطن عمره (٤٠) أربعون سنة فما دون من أرض العدو داخل اراضينا سواء كان من العسكريين أو المدنيين".

٦- وتؤكد ذلك الوثيقة الرابعة رقم ٦٧٣ فى ١٩٩١/٢/٢٢ والتى لم تقصر القبض على فئة عمرية محددة، بل أطلقت أيدى القوات العراقية فى القبض على (كويتيين بحجج متفرقة)، وهذه الصيغة وتوقيت الأمر بتنفيذها تشى بأن قوات النظام العراقى كانت تريد جمع أكبر عدد من الكويتيين فى أقصر وقت ممكن لمعرفتها بالنتائج المتوقعة للحرب البرية.

- ودراسة هذه الوثائق تنطق بمدى الأهمية البالغة التى أولاها النظام العراقى لأسر مجموعات كبيرة من الكويتيين، لاحتجازهم أسرى فى العراق لاستخدامهم ورقة يتلاعب بها بعد انسحابه كما هو حادث الآن، ولهذا فقد وضع نظاماً دقيقاً لحراسة هؤلاء الأسرى وتأمينهم وترحيلهم إلى معسكرات محددة للقوات العسكرية العراقية، مما يستحيل معه الادعاء بأنهم فقدوا أو أنهم لا يعلم عنهم شيئاً. وحين طُلب من العراق أن يدلى بأى بيانات عن هؤلاء المحتجزين الذين ورد ذكرهم، ادعى العراق ضياع الوثائق والبيانات، علماً بأن هذه الوثائق قد ذكر فيها أن نسخاً منها أرسلت إلى مقر القيادة القطرية فى بغداد التى لم تتعرض لأى شغب أو انتفاضة، فلو أراد العراق التعاون لقدم نسخة من تلك الوثائق التى ستبين دون شك أعداد الأسرى وأماكنهم ومصيرهم.

- ويكفى فى الدلالة على النهج التآمرى لهذا النظام وعدم تقيده بأى اعتبارات تتصل بأى قدر من الالتزام بالحفاظ على مصداقية تصرفاته، أن نشير إلى إدلائه حين يضيق عليه الخناق فى المطالبة ببيان مصير هؤلاء الأسرى ببيانات لا علاقة لها بالحقيقة، متخيلاً أنه لن يمكن معرفة الحقيقة وقد حدث العكس تماماً.

- وليس هذا التصرف جديداً على النظام العراقى فما زال يتفاوض مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية حول الأسرى الإيرانيين الذين لا يزالون فى حوزته، أى بعد مضى عشرين سنة على اندلاع الحرب وبعد مضى سنوات وسنوات على انتهائها !

- وقد أذاعت إذاعة طهران فى ١٩٩٥/٥/٢٨ الساعة ٨,٣٠ مساءً أنه تم لقاء بين على حزم كبير مستشارى وزير خارجية إيران ومسئولين عراقيين خلال زيارته إلى العراق، وأنه قد تحققت نتائج إيجابية خلال المحادثات، وما زال الأسرى الإيرانيين لليوم موضع مباحثات ! وقد أفرج العراق بعد ذلك عن آلاف من هؤلاء الأسرى الذين كان ينكر وجودهم طوال ثمانى سنوات.

- ولعل الحادثة التالية حاسمة تماماً فى بيان مدى المراوغة والتلاعب وعدم التقيد بأى دقة أو صدق فى التصريحات الصادرة عن النظام العراقى حتى يمكن الاطمئنان إلى صحتها: ذلك أنه خلال انعقاد المؤتمر البرلمانى الدولى الثالث والتسعين فى مدريد بإسبانيا خلال الفترة من ٣/٢٧-١٩٩٥/٤/١ تحدث ممثل الوفد البرلمانى الكويتى إلى المؤتمر موضحاً قضية أسرى الكويت فى سجون العراق، فتصدى له

ممثلو نظام بغداد نافين أن يكون هناك أسرى أو مرتهنون كويتيون لديهم وأكدوا ذلك بالطريقة نفسها التى اعتادوا بها نفى وجود أسرى إيرانيين فى السجون العراقية طيلة عشر سنوات أو أكثر.

- وقد أشار عضو مجلس الأمة إلى أحد الأعضاء المشاركين فى المؤتمر، مستشهداً به وهو العضو المحترم سيد محسن يحيوى عضو الوفد الإيرانى والذى اعتقلته العراق بتاريخ ١٩٨٠/١٠/٢٩ أثناء الحرب العراقية الإيرانية وافرج عنه فى ١٩٩٠/٩/١٤، أى بعد زهاء عشر سنوات كان النظام العراقى خلالها ينكر تماماً وجوده أو معرفة شئ عنه. وقد أكد العضو الإيرانى المحترم هذه المعلومات للحاضرين. ويمكن الرجوع إلى سجلات وقائع المؤتمر البرلمانى الدولى الثالث والتسعين الذى انعقد فى مدريد فى ٢٧ من مارس واستمر إلى الأول من إبريل ١٩٩٥.

- إن الأسرى الكويتيين الذين قدمت الكويت ملفات فردية عن كل منهم وعن موقع أسره وإثباتات من شهود عيان يضمون ٤٨١ مدنياً و ١٢٤عسكرياً ويشمل المدنيون ٨٢ ضابط شرطة، وقد اعتقل ٨ من العسكريين أثناء تأديتهم الخدمة و ١١٦ تم اعتقالهم خارج الخدمة، أما المدنيون فمن بينهم ٨ سيدات و ١٢٤ طالباً و ٧٥ من العاملين فى القطاع الخاص و ٢٧٥ من القطاع العام.

- لقد زعم العراق فى ردوده الـ ١٢٦ أن ١١٤ منهم تم نقلهم إلى العراق، ثم ادعى فيما بعد أنه تم فقدهم، وادعى أيضاً أن ٦ منهم قتلوا أو توفوا، ورد أسباب اعتقال هؤلاء إلى ادعاء على اثنين بأنهما قتلا جنوداً عراقيين والـ ١١٤ الآخرين بزعم القيام بأعمال مقاومة و ١٠ لأسباب لم يعلنوا عنهم فيما بقيت ملفات ٤٧٩ أسيراً بلا ردود.

- ويحاول العراق الآن تبرير مقاطعة اجتماعات اللجنة الثلاثية بأن عضوية الولايات المتحدة وبريطانيا للجنة هى السبب، بزعم أنهما دولتان معاديتان. مع أنه - أى العراق - حضر ١٥٧ اجتماعاً سابقاً للجنة بحضور الدولتين، علماً أنه وفقاً لأحكام اللجنة الثلاثية لا يحق لأى عضو فرض رأيه فيما يتعلق باستبعاد الأعضاء الآخرين، إضافة إلى أن العراق سبق وقدم بالفعل بعض الاستفسارات الفنية الخاصة حول مفقوديه الذين زعم فقدانهم بعد عشر سنوات على التحرير لكل من بريطانيا والولايات المتحدة فى إطار اللجنة ذاتها.

- سبق لمجلس الأمن أن دعا العراق مراراً إلى الالتزام بتنفيذ جميع القرارات ذات الصلة بحرب تحرير الكويت، ومن ضمنها إطلاق الأسرى والمرتهنين وإعادة الممتلكات الكويتية، وشدد على ضرورة تعاون العراق مع اللجنة الثلاثية لهذا الغرض، وكلف السفير فورنتسوف المنسق الدولى المكلف بمتابعة قضيتى الأسرى والممتلكات بتقديم تقرير عن مهمته كل أربعة أشهر، إلا أن النظام الصدامى لا يزال يُسوِّف ويناور ويخادع ليعطل أعمال هذه اللجنة الثلاثية، وهو ما أثبته فورنتسوف فى تقاريره.

- إن الأدلة على وجود أسرى الكويت فى سجون النظام العراقى حقيقة تثبتها وثائقهم وتشهد عليها ممارساتهم، ويؤكدها من ضمتهم هذه السجون لفترة، وتثبتها سجلات تعاملهم مع دول أخرى كما حدث مع الأسرى الإيرانيين.

- إن هؤلاء الأبرياء من أبناء الكويت فى سجون العراق طيلة أكثر من عشر سنوات هم أمانة فى ضمير كل شريف حرّ، ومسئولية كل مؤمن بالإنسان وكرامته، وتبعة حرىّ أن يتحملها كل عربى ومسلم يؤمن بالقيم الكريمة التى عشنا بها عرباً مسلمين شهدت لنا الدنيا بكرم معاملتنا العادلة الإنسانية حتى للأسير الأجنبى. إن صوت أحرار العالم حرى أن يرتفع وأن يتوجه بكل سبيل إلى المنظمات العالمية ونظام بغداد فى مطالبة لا تهدأ بالإفراج عنهم وعودتهم إلى وطنهم.

ثالثاً: العميد العراقى المنشق نجيب الصالحى يكشف مزاعم المفقودين العراقيين(١٣٠)

- وكعادة النظام العراقى دائماً فى الكذب، وطمس الحقائق، وخداع السذج فى العالم العربى وتضليلهم عن الحقائق الواضحة وضوح الشمس، والتى تؤكد بما لا يدع مجالاً لأى شك أنه نظام ديكتاتورى عدوانى وإجرامى، بل وعميل أيضاً لقوى أجنبية مشبوهة استخدمته لشق الصف العربى وزرع الخلافات والصراعات والنزاعات بين الدول والشعوب العربية، هكذا كان تاريخه الأسود منذ تولى الحكم فى العراق عام ١٩٦٨ وحتى اليوم .. يحاول هذا النظام الذى امتهن الكذب والافتراءات عقيدة وسلوكاً أن يُموِّه ويُميِّع قضية الأسرى الكويتيين الذين يحتفظ بهم فى سجونه ومعتقلاته، وذلك باختراع كذبة جديدة حول ما يسميه بالمفقودين العراقيين فى الكويت، وعددهم كما يزعم المجلس الوطنى العراقى ١١٥٠ عراقياً، وكانت وسائل إعلام هذا النظام وأبواقه المأجورة قد ادعت قبل ذلك أنهم ٦٠ ألفاً، ثم بعد ذلك أصبحوا ٣٠ ألفاً قبل أن يصيروا اليوم ١١٥٠ مفقوداً.

- ولكى نرد على هذه المهازل العراقية التى تستخف بعقول الرأى العام العربى، فليس هناك أدل على كذبها مما أورده أحد كبار الضباط العرقيين المشقين على هذا النظام - وهو العميد الركن نجيب الصالحى - رئيس أركان الفرقة الآلية فى الجيش العراقى، والذى هرب من جور وبطش نظام صدام فى نوفمبر ١٩٥٥، كشف فيه سر هؤلاء المفقودين العراقيين، حيث أوضح أنهم من الجنود العراقيين العائدين من الكويت عقب هزيمة الجيش العراقى فى حرب تحرير الكويت فى فبراير ١٩٩١، ومن شباب الانتفاضة التى وقعت فى جنوب العراق حيث صدرت أحكام بإعدام المئات من الشباب، وكانت جثثهم تلقى على السواتر الترابية، واعتبروا بعد ذلك من المفقودين فى الكويت.

- يقول العميد الصالحى فى كتابه (الزلزال) صفحة ٢٤٤، ٢٤٥ ما نصه: "بعد بضعة أشهر (يقصد من قمع الانتفاضة)، صدر أمر نقلى من رئيس أركان الفرقة المدرعة السادسة إلى منصب ضابط ركن فى مقر الفيلق الرابع، وكان المقر فى الديوانية آنذاك. وعندما كنا نتحدث نحن كضباط ركن عن فعاليات

الفيلق عندما كان فى العمارة خلال الانتفاضة، علمنا بأن هيئة تحقيقية قد شكلت فى مقر الفيلق برئاسة عميد ركن كان مدير شعبة فى مديرية الاستخبارات العسكرية. وبدأت الهيئة فى التحقيق وأصدرت أحكام الإعدام التى شملت المئات من الشباب الذين تم القبض عليهم خلال عملية قمع الانتفاضة فى العمارة، وأن جثثهم كانت تلقى على السواتر الترابية المحيطة بمقر الفيلق، وكان الكثير منهم جنوداً عائدين من الكويت وجدوا فى الانتفاضة ما يعبر عما يعتمل فى دواخلهم، فاشتركوا فى التظاهرات والمسيرات والهتافات.. الخ".

- ويستطرد العميد الصالحى فى صفحة ٢٤٥ تحت عنوان "أحكام الموت"، فيكشف كيف خدع النظام العراقى الدموى عوائل هؤلاء المعدومين، بأن زعم مسئولوا النظام أنهم فقدوا فى الكويت، فيقول: "لكن عوائل هؤلاء المعدومين ظلت تنظر عودتهم، وبعد أن فقدوا الأمل فى ذلك اعتبروا مفقودين فى الكويت - وربما حتى الآن لم تفقد عوائلهم الأمل فى عودتهم - وكنت أتساءل كيف كانت تجرى المحاكمات؟ ومن الذى يحيل المتهمين إلى المحكمة؟ فكان الرد على تلك التساؤلات يأتى واضحاً.. بأن المئات من الشباب كانوا يحملون فى أرتال من السيارات من مركز المحافظة، وهم مكبلون وتحت الحارسة المشددة ومعهم قوائم تضم أسماءهم (مؤشر على بعضها) بما يدل على أن قرار الحكم أعد مسبقاً وينفذ فى مثل هؤلاء الإعدام فوراً. أما الآخرون فإنهم يخضعون للتعذيب والتحقيق، وبعدها يقرر إعدامهم أو ترحيلهم إلى بغداد أو وضعهم فى السجن المخصص لأمن الفيلق، وكان ضباط أمن الفيلق يعملون كأعضاء فى هيئة التحقيق، وقد سمعت همساً كثيراً حول هذه الهيئة سيئة الصيت، إذ كان الضباط يتحدثون بألم كبير عن مجمل الأحداث المأساوية".

- هكذا يعترف أحد كبار ضباط النظام العراقى ويكشف عن حقيقة الخدعة الكبرى التى أراد هذا النظام المأفوك أن يضلل بها الرأى العام العربى حول ما أسماه بالمفقودين العراقيين فى الكويت، حيث يتضح من شهادته بشاعة الجرم الذى ارتكبه هذا النظام فى حق شعبه، بأن أعدم شبابه من الجنود العراقيين المنسحبين من جحيم الهزيمة والعار الذى ألحقه صدام حسين بالجيش العراقى، خشيه أن يكشفوا حقيقة المهزلة - أو المحرقة - التى القاهم فيها صدام بعدوانه على الكويت طيلة سبعة أشهر لاقوا فيها الأمرين، بفعل جهل وغباء وغرور قادتهم السياسيين والعسكريين. ولا يكتفى سدنة هذا النظام بما ارتكبوه من جرم فى حق الشباب العراقى، ويحاولون إخفاءه، بل إمعاناً فى غيهم وتضليلهم يسعون إلى إلصاق هذا الجرم إلى الكويت بالزعم بأنها تخفى هؤلاء المعدومين العراقيين، ويطالبون بهم!!

- وفى صفحة ٢٤٠ من كتابه (الزلزال) يروى قصة اقتحام الفرقة ٤٠ من الحرس الجمهورى لمدينة العمارة، ويكشف فيها عن جانب آخر خطير من جوانب تعامل النظام الصدامى مع شعب العراق، حيث لا قيمة أبداً للإنسان العراقى عند هذا النظام، حتى يصل الأمر الى إلقاء جثث المعدومين من أبناء العمارة طعاماً للأسماك فيقول: "حدثنى اللواء ركن رعد مجيد فيصل التكريتى قائلاً: "أن فرقته - قيادة

قوات الأربعين - التى اشتركت فى اقتحام مدينة العمارة الباسلة فى منتصف آزار ٩١ .. قد استخدمت المدفعية وكل الأسلحة المتيسرة لديها فى عملية "تحرير المدينة" على حد قوله .. وقد وقع قتال مدنى ضار، وتم هدم الكثير من البيوت بنيران المدفعية والدبابات والقاذفات. أما اللواء ركن فوزى أحمد عبد اللطيف التكريتى قائد قوات (عدنان) حرس جمهورى آنذاك، فقد تحدث أمام مجموعة من الضباط قائلاً: "لقد قدمنا للأسماك فى الأهوار طعماً يكفيها لمدة سنة!، فقد رمينا لها جثث آلاف الغوغائيين والخونة". فهل بعد ذلك توجد صيغة تنم عن الاستهتار بأرواح العراقيين أقبح من هذا؟!

- ثم يروى الصالحى فى ص ٢٦١ كيف كان رؤساء العشائر والآباء يبحثون عن أبنائهم الذين ألقى القبض عليهم، ثم إعدامهم بأوامر من قادة الحرس الجمهورى فى الناصرية، ويتوسطون لدى العناصر المقربة من النظام ويرشونهم لعلهم يستدلون على مصير أبناءهم، فيقول: "وفى تلك الليلة استفسرت عن الموضوع.. وأحضر لى خفر هيئة الاستخبارات قوائم تتضمن المئات من أسماء الملقى القبض عليهم، وإلى جانب كل اسم شيخ العشيرة أو عضو المجلس الوطنى الذى يطالب به .. وقلت .. وأين أصبح هؤلاء الآن؟ قال .. سيدى .. "صفى عليهم الماى"، قتلوا جميعاً قبل أن يصلوا إلى بغداد، قتلهم الحرس الجمهورى فى الناصرية!!!

- وفى ص٢٦٦ من كتابه الزلزال يروى الصالحى، كيف قامت قوات الحرس الجمهورى بدهس شباب الانتفاضة العراقيين فى السويب شمال القرنة بواسطة جنازير الدبابات، فيقول: "أن ما حصل للثوار الذين سقطت مواقعهم القتالية ووقعوا أسرى بيد قوات الحرس الجمهورى أو الحرس الخاص، حيث كان يرصفون على الشارع المعبد وتدوسهم سرف الدبابات طولاً وعرضاً .. ولم يبق من أجسادهم سوى أثر مطبوع على الأرض. وقد ذهلت من المشهد عندما شاهدته لأول مرة بعد دخول الحرس الجمهورى إلى مدخل ناحية السويب شمال القرنة عند اقتحامها يوم ١٥/٤/٩١" !!

- هذا قليل من كثير ورد فى كتاب العميد الصالحى، يكشف المهزلة الكبرى - بل الجريمة الشنعاء - التى إرتكبها النظام الصدامى ضد أبناء الشعب العراقى ممن يطلق عليهم "مفقودون فى الكويت" بينما هم فى حقيقتهم شباب عراقى تم إعدامهم بواسطة جلادى وأزلام صدام حسين عقب هزيمته فى حرب تحرير الكويت، وانتفاضة شعبه ضد الحكم الدموى الذى فرضه هذا النظام بقوة الحديد والنار، والذى يتضاءل إزاءه ما فعله التتار فى العراق عندما دخلوها فى القرن الثانى عشر. وربما يتذكر أبناء الكويت أنفسهم ما كان يحدث عقب تحريرها من محاولات تسلل لعراقيين عبر الحدود، يرغبون فى اللجوء إلى الكويت يطلبون الحماية من بطش قوات صدام وعناصر أمنه، حتى وإن أودعوا السجون الكويتية، فهى أرحم لهم بكثير مما يجرى من اضطهادهم على أيدى حكام العراق الطغاة. وكانوا يرددون عبارة ذات مغزى عميق يقولون فيها: "الخارج من عراق صدام مولود والداخل إليه مفقود"!!

- وما حدث فى العمارة وذى القار من مجازر للعراقيين على أيدى أزلام النظام الصدامى، حدث ما هو أبشع منه فى النجف وكربلاء وواسط والناصرية والبصرة والمجر الكبير وغيرها من مدن جنوب وشمال العراق، حيث قتل الآلاف من الشباب الذين يزعم صدام أنهم مفقودون فى الكويت. يقول فى ذلك العميد الصالحى فى ص٢٨٢ من كتابه: "لقد كان الهجوم على النجف شرساً وعنيفاً ودون رحمة، وقد استخدمت عشرات من الصواريخ أرض/أرض - التى أعدها صدام لحرق نصف إسرائيل!! - فى ضرب الأحياء المدنية فى هذه المدينة المقدسة، وخرجت العوائل هائمة، وكان عدد الضحايا بالمئات فى الشوارع، واكتظت طرق المدينة بالناس وهم يحاولون أن يتركوها .. لقد فقدت مئات العوائل أبناءها وبناتها بسبب القصف الصاروخى والمدفعى". أما ما حدث فى كربلاء من مجازر فيقول عنها الصالحى فى ص ٢٧٨: "لقد حوصرت المدينة وطلب من أهلها أن يتركوا البلدة باتجاه بحيرة الرزازة، ورشقت البلدة برشقات متوالية من الصواريخ، ثم اشتد القصف مما اضطر السكان إلى مغادرة بيوتهم باتجاه البحيرة، وما أن امتدت حشود السائرين على الطريق مسافة طويلة حتى بدأت الطائرات السمتية تحصدهم وتقتل الأبرياء والعُـزَّل" !! يؤكد هذه المعلومات اللواء وفيق السامرائى رئيس الاستخبارات العسكرية العراقية الأسبق فى كتابه (حطام البوابة الشرقية) فيقول: "وقع فى مدينة كربلاء قتال عنيف، وقاتل الثوار الدبابات من متر إلى متر، وفور تطويق المدينة حلقت طائرة هليوكوبتر مزودة بـ ٦٠٠ منشور ألقته على المدينة يطالب المواطنين بمغادرتها لأنها ستتعرض لضربات كيميائية، وقد اقتيد الذين خرجوا من الرجال إلى مكان خارج المدينة حيث تم إعدامهم بالرصاص، وبالفعل تم إطلاق قنابل وقذائف محملة بعناصر كيميائية مخففة على مركز المدينة إلا أن القتال بقى مستمراً، وفى النتيجة النهائية تم اقتحام مدينة كربلاء، واقتادوا منها آلاف الرجال إلى معتقلات الرضوانية حيث أجريت لهم محاكم صورية وتم إعدامهم".

- واليوم - والمتباكون فى العالم العربى على من يطلق عليهم النظام الصدامى (المفقودون فى الكويت)، وقد ارتضوا لأنفسهم - بالوعى أو باللاوعى - أن يُخدعوا ويُضللوا بأكاذيب هذا النظام، عليهم أن يسألوا أنفسهم سؤالاً بسيطاً عن مصير ليس ١١٥٠ عراقى مفقود كما يزعم نظام بغداد، بل عن مصير أربعة ملايين عراقى نزحوا خارج العراق هرباً وفراراً من بطش جلادى صدام حسين، يهيمون على وجوههم فى بلدان أوروبا وآسيا، ويلقى القبض على المئات منهم وهم يتسللون على السواحل الإيطالية وغيرها، بعد أن تهددت حياتهم داخل وطنهم وأصبحت مستحيلة، فآثروا النجاة بأرواحهم، حتى وإن كان المصير فى سجون أوروبا أو الضياع فى شوارع مدنها، فهى أرحم بكثير من جحيم العراق. كما على هؤلاء المتباكين أن يقفوا مع أنفسهم وقفة صدق ويطالبوا نظام بغداد الذى يدافعون عنه أن يفرج عن مئات الآلاف من المعتقلين فى السجون العراقية، حيث يلاقون صنوفاً من التعذيب الوحشى مما يندى له جبين البشر، كما اعترف بذلك بعض أزلام النظام بعد هروبهم إلى خارج العراق. بل عليهم أن يسألوا رئيس النظام العراقى وأركانه حول مسئوليته عن مقتل أكثر من نصف مليون عراقى ضحى بهم صدام على مذبح مغامراته العسكرية فى إيران والكويت، بالإضافة لمثلهم من المعاقين والمفقودين.

رابعاً: تهديدات العراق المستمرة للسعودية[١٣١]

اقترنت تهديدات النظام الصدامى للكويت خلال اثنى عشر عاماً الأخيرة بتهديداته للسعودية فمنذ وقعت الهزيمة بالقوات العراقية فى الكويت وجنوب العراق فى ١٩٩١/٢/٢٦، لم تتوقف تهديدات النظام الصدامى للسعودية، بداية بتصريحات عدى فى عدد من الصحف العربية اعترف فيها بأنهم فى القيادة العراقية أخطأوا عدة أخطاء سياسية واستراتيجية أثناء غزوهم للكويت .. أولها أنهم أخطأوا عندما لم يهاجموا جيوش التحالف عند وصولها إلى منطقة الخليج وقبل انتشارها فى شمال شرق السعودية، وثانيها أنهم أخطأوا أيضاً عندما لم تستأنف القوات العراقية تقدمها داخل المنطقة الشرقية من السعودية بعد احتلالها للكويت، لتكون ورقة مساومة فى مقابل احتفاظهم بالكويت، كذلك أخطأوا عندما لم يستخدموا ما لديهم من أسلحة دمار شامل أثناء الحرب، ثم يردف عدى: "إن هذه الدروس يجب أن نعيها فى المستقبل"!! وهو ما يعنى أن المخططات العدوانية القادمة للنظام الصدامى ستتجنب هذه الأخطاء، وأن ما يمنعه اليوم من تنفيذ هذه المخططات هو الوجود العسكرى الأمريكى فى الخليج الذى تسبب فيه أصلاً هذا النظام. وهنا يبرز السؤال البديهى: أليست هذه الحقيقة التى لا يريد بعض الأخوة العرب فى الخليج وخارجه أن يسمعوها، ويفضلون تجاهلها بإبداء التسامح مع هذا النظام العدوانى والانفتاح عليه؟!

- ويتلخص الموقف السعودى من مشكلة العراق التى تسبب فيها النظام الصدامى الذى يحكمه، أنه يجب أن يسبق قرار تعليق العقوبات المفروض على العراق قبول القيادة العراقية وتنفيذها جميع قرارات مجلس الأمن، وموافقتها التعاون مع مفتشى اللجنة الدولية لإزالة أسلحة الدمار الشامل العراقية، على أن تتم هذه العملية فى ظل رقابة دولية مشددة على التسلح العراقى وعلى عائدات النفط لمنع القيادة العراقية من إعادة امتلاك أو إنتاج هذا النوع من الأسلحة التى تهدد بها دول المنطقة مرة أخرى. هذا مع ضرورة العمل على رفع معاناة الشعب العراقى عن طريق إزالة الحد السقفى لإنتاج النفط، ورفع القيود المفروضة على استيراد السلع الضرورية للشعب العراقى، على أن يكون ذلك تحت إشراف مجلس الأمن ولجنة العقوبات. كما أكد الموقف السعودى على أن المحافظة على أمن منطقة الخليج العربى واستقرارها وليس الإضرار بها هى القاعدة الأساسية التى ينبغى أن تنطلق منها وتستند إليها أية تحركات تتعلق بالقضية العراقية، ومن هذا المنطلق جاء الدعم السعودى الكامل لدولة الكويت، واتخاذ مواقف حازمة تجاه مماطلة العراق تنفيذ القرارات الدولية، خاصة المتعلقة بالأسرى والممتلكات الكويتية من خلال دور السعودية النشط داخل اللجنة الثلاثية المشكلة فى أعقاب حرب تحرير الكويت للنظر فى هذه القضية.

- إلا أن هذا الموقف السعودى لم يحظ برضاء النظام الصدامى، فنجده يصعد من هجماته الإعلامية ضد دول الخليج ومسئوليتها بشكل عام، والسعودية والكويت بوجه خاص، كما هاجمت الصحف العراقية دول مجلس التعاون الخليجى المجتمعة فى جدة لاتهام العراق بالمماطلة فى تطبيق القرارات الدولية.

ووجه طارق عزيز فى يناير ٢٠٠٠ اتهامات مباشرة للسعودية "بالخيانة" لأنها غدرت بالعراق الذى زعم أنه قاتل إيران من أجل الحفاظ على أمن الخليج حسب مزاعمه. وبأنها "وضعت ثروة بلدها لتدمير العراق وإبقاء الحظر المفروض عليه". أما صدام حسين الذى دأب على قلب الحقائق، فنجده فى أغسطس ٢٠٠٠ يزعم زوراً وبهتاناً بأنه يتصدى لعدوان سعودى-كويتى، ويدعى بلا حياء أنه "يصمد فى وجه تآمر البلدين الجارين"، متهماً حكام البلدين بالخيانة". وقد ردت الصحف السعودية على هذه الاتهامات مؤكدة على أن "عواء صدام ليس جديداً ولا غريباً"، ووصفته بأنه "رجل بلا تاريخ وجاهل ودون ذاكرة بعد أن فقد قدرته وصوابه"، وأن تصريحاته "تخاريف رجل مريض"، ووصفته صحيفة الرياض بـ "البعير الهائج"، ودعت العراقيين "للإطاحة بهذا النظام المجرم الذى يتاجر بآلام شعبه وبمصالح الأمة العربية"، وأنه "يتملكه حقد وطمع بثروات الآخرين، وأن خطابه يؤكد الخلل العميق فى شخصيته، حيث لا يزال غارقاً فى أوهام انتصارات زائفة .. وهو على رأس قائمة الخونة الذين باعوا الأمة، خاصة وأنه يفتعل هذه المعارك الكلامية فى الوقت الذى الأمة أحوج ما تكون إلى تضامن شعوبها وقياداتها لمواجهة المخططات الإسرائيلية العدوانية، حيث يتعمد صدام بذلك إجهاض أى تحرك عربى لإعادة الوئام للصف العربى، وهو بذلك يلعب دوراً قذراً لخدمة مصالح الآخرين واستمرار تحكمهم سياسياً واقتصادياً وأمنياً فى هذا العالم، وذلك فى إطار سياسته الانتقامية من الدول المجاورة التى رفضت هيمنته وحطمت كبرياؤه وأوقفت طموحاته عند حد معين، وأنه يعرف أن ضمانة استمراره فى الحكم مرتبطة بما يقدمه للقوى الأبرز فى هذا العالم من خدمات". أما صحيفة عكاظ فقد علقت على تصريحات صدام بأنه: "إذا كان ثمة ما يمكن أن تدل عليه هذه المزايدات، فهو تأكيد بقايا النوايا العدوانية لديه تجاه جيرانه، والتأكيد كذلك على أنه نظام لا يمكن إصلاحه أو الحوار أو التعاون معه، وأن أى سلام فى المنطقة لا يمكنه أن يتحقق إلا بعد القضاء على هذا النظام واستئصال شأفته، وعدم إعطائه أى فرصة يستطيع من خلالها العودة الطبيعية إلى المجتمع العربى والدولى .. لأنه أثبت على الدوام وبما لا يدع مجالاً للشك أنه غير جدير بالثقة على الإطلاق، وسيظل مصدر تهديد وقلق دائمين للمنطقة ودولها".

- ولم يكتف النظام الصدامى بالهجمات الإعلامية ضد السعودية، بل نجده للأسف يواصل انتهاكاته لخط الحدود بين البلدين بإطلاق النار مما تسبب فى إصابة عدداً من جنود الحدود السعوديين، ويرسل المتسللين من عناصر مخابراته الذين يحملون الأسلحة والذخائر والمخدرات إلى داخل السعودية لإثارة الاضطرابات داخلها، وكانت آخر المحاولات التى كُشفت وأعلن عنها، ما حدث فى يوليو ٢٠٠١ عندما اعتقلت السلطات السعودية ٧٧٧ مهرباً عراقياً بحوزتهم ٣٢٩٨ كيلوجراماً من الحشيش، ٦٨٩١٠ حبة مخدرة، ٥٧٥٢ زجاجة خمر، ٤٥٨ قطعة سلاح، وكميات ضخمة من الذخائر المتنوعة. وكانت هذه السلطات قد اعتقلت فى العام السابق ٢٣٢٠ متسلل عراقى حاولوا أيضاً دخول المملكة بطريقة غير مشروعة. وهو ما دفع الصحف السعودية إلى الرد بعنف على رئيس النظام الصدامى متهمة إياه بـ "افتعال حرب قذرة" عبر تهريب الأسلحة والمخدرات والسموم إلى المملكة، معتبرة أنه

"الخلية المريضة" التى وجدت لتحطيم الجسد العربى، وأنه "شخصية غير سوية بمعايير الديكتاتوريات المتسلطة" معتبرة أنه "نموذج خاص بسلوكه ومسيرة حياته وناطور فى خلية للمجرمين"، حيث لا يختلف عن مضمون وهدف أى رئيس لمنظمة خارجة على القانون والأعراف الإنسانية تستهدف قتل الشعوب بالمخدرات والسموم والأسلحة. ومن ثم فإن إعادة تأهيل النظام الذى يقف على رأسه صدام تعد مستحيلة، وينبغى السعى لسرعة الإطاحة به.

- وقد وصفت المصادر النفطية السعودية قرار النظام الصدامى فى إبريل ٢٠٠٢ بوقف صادرات النفط لمدة شهر تضامناً مع الانتفاضة الفلسطينية، بأن هذا الموقف يهدف بالدرجة الأولى إلى كسب الشارع العربى من خلال الشعارات وأساليب التهييج العقيمة، مشيرة إلى أن النظام الصدامى ليس لديه ما يفقده لأن عوائد نفطه تحول إلى خزينة الأمم المتحدة فى إطار برنامج "النفط مقابل الغذاء"، كما أن هذا القرار يأتى منسجماً مع ما درجت عليه حكومة بغداد فى محاولاتها استغلال الأزمات واللعب على وتر مشاعر الشوارع العربية. كما أشارت هذه المصادر إلى حقيقة مهمة وهى أن الصادرات الرسمية العراقية - خلاف ما يتم تهريبه - تبلغ نحو مليون ونصف مليون برميل يومياً، وأن الأمم المتحدة تتسلم العائدات وتوزعها إلى ثلاثة أقسام، بحيث يحصل العراق على الثلث فقط، وحتى هذا الثلث تتولى المنظمة الدولية الإشراف عليه للتأكد من أنه لا يحول لحساب شراء أسلحة الدمار الشامل.

<u>خامساً: التهجم على مجلس التعاون الخليجى</u>(١٣٢)

- رغم الدعوات المتكررة من قبل العراق لتطبيع العلاقات مع دول مجلس التعاون الخليجى، وتصريحات المسئولين العراقيين الداعين لفتح باب الحوار، وإلى انفتاح كامل بين العراق ودول الخليج، نجد وسائل الإعلام العراقية على العكس من ذلك، وبتحريض من رؤوس النظام الصدامى تشن حملة مسعورة ضد مجلس التعاون الخليجى فى بداية عام ٢٠٠١ منتقدة اتفاقية الدفاع المشترك التى وقعتها دول مجلس التعاون، وداعية لأن يكون النظام الصدامى ضمن هذه المنظومة، زاعمة أن أى اتفاقية تتم بين دول المجلس وأى دولة أخرى غير عربية لن يتحقق لها النجاح والاستمرارية إلا بوجود العراق.

- والغريب فى هذا الأمر أن العراقيين أنفسهم قبل غيرهم من عرب الخليج يدركون أن انضمام العراق فى ظل النظام الصدامى الذى يحكمه إلى مجلس التعاون الخليجى، يعد من المستحيلات. ليس فقط لاختلاف طبيعة النظام الحاكم فيه عن باقى النظم الخليجية، وليس أيضاً لاختلاف الأهداف السياسية والإستراتيجية، ولكن وهو الأهم أن أحداً لا يمكن أن يثق فى مصداقية هذا النظام والتزامه بما يبرمه من اتفاقات ومعاهدات، حيث أثبتت أحداث التاريخ القريب أن النظام الصدامى هو أكثر الأنظمة فى العالم الثالث نقضاً لأى اتفاقية يوقعها متى شاء وأراد، وكيف أنه وهو الموقع على اتفاقية الدفاع العربى المشترك كان أول من انتهكها بعدوانه على الكويت.

- وقد ردت وسائل إعلام دولة الإمارات على هذه الاتهامات، متهمة النظام الصدامى بأنه أبرع من يكيل الاتهامات ويوزع الشتائم"، ووصفته بأنه "متخصص فى الكذب والافتراء" وأضافت رداً على الهجوم الذى شنه ذلك النظام على الخطاب الذى ألقاه الشيخ حمد الشرقى حاكم الفجيرة فى القمة الألفية: "إن بغداد لن يهدأ لها بال إن لم تكن دائرة خلافاتها على اتساع دائماً مع محيطها العربى، خاصة أولئك الأحرص منها على شعبها". أما صحيفة الخليج فقالت: "إن بغداد افتقدت الاهتداء إلى بر الأمان منذ زمن، وتحديداً منذ جريمة غزو الكويت عام ١٩٩٠، وهاهى تصر يومياً على إشعال الحرائق من حولها، ولا تجد غير الدول العربية مادة يومية لخطابها السياسى البعيد عن الصواب والحقيقة والواقع". وقد اتهم وزير الإعلام الإماراتى الشيخ عبد الله بن زايد العراق بإحباط محاولات عديدة سعت إلى المصالحة بينه وبين الدول العربية، وأضاف: "لقد حاولنا أكثر من مرة أن نجد نوعاً من التقارب أو المهادنة بهدف التوصل إلى مصالحة عربية-عراقية، وفى معظم الأحيان كان العراق يحبط تلك المحاولات". كما اتهمت وسائل الإعلام الإماراتية العراق بأنه ناكر للجميل، حيث أبدت الإمارات كثيراً من العطف على الشعب العراقى، وبدلاً من أن تتلقى سلال الزهور من العراق شكراً وامتناناً، فوجئت بصحفه وحكامه وهم يكيلون السباب والشتائم، لمجرد أن كلمة الإمارات فى الأمم المتحدة طالبت العراق بفك قيد أسرى الكويت.

- حقيقة الأمر أن النظام الصدامى سعى منذ اليوم الأول لغزوه الكويت إلى استمالة دول مجلس التعاون ناحيته، وبدأها بـ (دغدغة) السعودية التى حاول تحييدها على أقل تقدير وفشل فى ذلك فشلاً ذريعاً، ثم اتجه إلى بقية دول المجلس عله يكسب طرفاً واحداً يلعب من خلاله بأوراقه السياسية نحو زعزعة موقف دول المجلس والانقضاض على اجتماعاته وقراراته، ولكنه فشل أيضاً. حيث يدرك الجميع فى هذا المجلس أن دول الخليج فى نظر النظام الصدامى لا تزيد عن كونها براميل نفط متناثرة تحتاج لمن يستغلها خير استغلال فى بناء الاقتصاد العراقى، ومن خلاله وبعد أن ينهض يتابع المسيرة فيوزع الثروات العربية للدول المؤيدة له لتقوية اقتصادياتها وجيوشها التى ستساعده فى تحقيق أهدافه التوسعية فى منطقة الشرق الأوسط، وليس من أجل تحرير "القدس" واستعادة الأراضى الفلسطينية والسورية واللبنانية التى تحتلها إسرائيل. أما الهدف الحالى للنظام الصدامى فهو تأمين استمراره، ومنحه وقتاً أطول ليعيش، وبالتالى يحقق الخلافة لأبناء صدام، ومن أجل تحقيق ذلك فهو حريص على جعل المنطقة الخليجية، بل والعالم العربى كله يعيش فوق صفيح ساخن يغلى بالتوترات والأزمات. وهو ما ينعكس فى رفضه الانصياع لتطبيق قرارات مجلس الأمن، ويتاجر بآلام ومعاناة شعبه، ويطرح نفسه على أنه "أهون الشرين" حيث يروج بأن البديل هو الفوضى، أو الهيمنة الإيرانية على المنطقة. وهاهو واحد كان من داخل (المطبخ) الصدامى لصنع القرارات - اللواء وفيق السامرائى رئيس المخابرات العسكرية العراقية، ومنشق حالياً ومقيم فى لندن - يتساءل مؤكداً ما سبق أن سقناه، فيقول فى كتابه (حطام البوابة الشرقية) صفحة ٢١٩ و ٢٢٠: "هل يقتنع أحد بأن عودة الحياة إلى صدام ستدفعه إلى مسار آخر غير الذى سار عليه؟ .. فلينظر الخليج ولينظر العرب ماذا سيفعل صدام إذا تمكن من

التحصن تجاه الشعب العراقى؟ إن الدول التى وقفت فى طريقه ولو بعدت آلاف الكيلومترات ستكون مخطئة إذا اعتقدت أنها محصنة من طغيان صدام، فستنساب المليارات من دولارات النفط إلى المنظمات السرية فى بلدانهم، وعندئذ لا ينفع الندم، وسيكون شعب العراق فى حل من اللوم"، فهل يمكن بعد ذلك لحاكم عربى - خليجى أو غير خليجى - أن يأمن على نظام حكمه وشعبه من غدر وتآمر صدام حسين ؟ وهل القومية العربية والتضامن العربى ووحدة الصف العربى تعنى أن نحسن الظن بهذا النظام الصدامى حتى تحل بنا الكوارث على يديه؟!

سادساً: استمرار التهجم على مصر وقيادتها[١٣٣]

- منذ تحرير الكويت من الاحتلال العراقى، وطوال السنوات الاثنى عشر التى تلت ذلك، كان الموقف الرسمى المصرى ثابتاً وواضحاً ومحدداً فيما جاء على لسان د.أسامة الباز المستشار السياسى للرئيس مبارك فى إحدى الندوات، عندما أكد على ضرورة التزام العراق بتنفيذ جميع قرارات مجلس الأمن، لاسيما تلك المتعلقة بالإفراج عن الأسرى الكويتيين لحساسية هذه القضية الإنسانية، وأن على القيادة العراقية أن تبذل جهداً كبيراً لإقناع شعوب الدول العربية بأن العراق لن يمارس أى سياسات أو أنشطة ثأرية، كما أنه لابد أن يعترف الحكم فى العراق بأنه أخطأ بطريقة أو بأخرى فى حق الكويت، وأنه لن يكون أبداً مصدراً لتهديد أى قطر عربى مهما كان الخلاف بينه وبين هذا القطر". كما لم يدَّخر الرئيس مبارك جهداً فى تحذير النظام الصدامى من مغبة عرقلة أعمال التفتيش على أسلحة الدمار الشامل، حتى لا يعطى للولايات المتحدة ذريعة إعادة ضرب العراق، وحتى يمكن الإسراع فى رفع العقوبات والحصار، والبدء فى إقامة حوار مباشر بين بغداد وواشنطن، وهو ما دأب صدام على تكرار طلبه فى رسائله عبر مبعوثيه إلى الرئيس مبارك. وكان رأى مصر أن صدام حسين وأركان نظامه بتصريحاتهم التهديدية لدول الجوار الجغرافى فى كل مناسبة وبلا مناسبة، إنما يبددون كل أجواء الثقة ومبادرات بعض الحكومات العربية الهادفة لعودة العراق إلى الصف العربى، ويقطعون الطريق على أى تحركات مصرية وعربية لمطالبة مجلس الأمن برفع العقوبات عن العراق.

- وعندما وقعت أزمة فرق التفتيش الدولية فى عام ١٩٩٨بادر الرئيس مبارك فى ١٩٩٨/١١/٤ بإرسال رسالة إلى صدام حسين تحثه على العدول عن قراره بطرد هذه الفرق حتى لا يعطى المبرر للولايات المتحدة لضرب العراق. إلا أن النظام الصدامى رفض الاستجابة لهذه النصيحة، بل نجده على العكس من ذلك يدعو فى ١٩٩٨/١١/٥ الشعوب العربية إلى اتخاذ إجراءات تهدد المصالح الأمريكية فى المنطقة. بل ويعمد إلى تهييج الشارع العربى ضد الحكام العرب الذين اتهمهم بالتعاون مع الأمريكيين، فى حين أنه لم يتخلف حاكم عربى عن إدانة ورفض الضربة الأمريكية ضد العراق. إلا أن صدام كدأبه فى إساءة قراءة ردود الفعل الشعبية تجاه ضرب العراق، دعا الجماهير العربية للإنتفاض على من أسماهم بـ(الحكام الخونة) خاصة الكويت والسعودية ومصر، وطالب الحكومات العربية بالاستجابة لمظاهرات التأييد للعراق بقطع علاقاتها بالولايات المتحدة وبريطانيا، وأن تكسر الحظر المفروض

على العراق، وإلا فإن "الغضب الشعبى المتأجج سيهز الأرض تحت أقدامهم". وفى خطاب لصدام بمناسبة الذكرى ٧٨ لتأسيس الجيش العراقى دعا العرب من المحيط إلى الخليج إلى "الثورة على الحكام المنحرفين". كما بادر طارق عزيز بشن حملة عنيفة فى صحيفة الثورة العراقية ضد كل من الرئيس مبارك وولى عهد الأردن الأمير حسن والدكتور عبد المجيد أمين عام الجامعة العربية، حيث اتهم الرئيس مبارك بأنه لم يفعل شيئاً من أجل إنهاء الغارات الأمريكية والبريطانية ضد العراق، واتهم ولى العهد الأردنى بأنه يحاول أن يفرق بين الشعب العراقى وقياداته عندما يطالبها بتطبيق الديموقراطية فى العراق. أما عصمت عبد المجيد، فقد اعتبر عزيز أن موقعه "غير قانونى ومشين"، ثم وجه بعد ذلك اتهاماته إلى الكويت والسعودية بأنهما سمحا للطائرات الأمريكية بالانطلاق من قواعد داخل أراضيهما لضرب العراق، فى حين أن السعودية كان موقفها حاسماً فى رفض استخدام أراضيها لانطلاق الطائرات الأمريكية منها لضرب العراق. وفى مقال لطارق عزيز فى صحيفة (القادسية) العراقية تحت عنوان"مغالطات فى تصريح الرئيس مبارك" اتهم فيه الرئيس مبارك بأنه "يمارس المعايير المزدوجة التى تمارسها أمريكا حينما تحدث عن الشرعية الدولية"، فى حين أن عزيز فى مقاله اعترف بأن الرئيس مبارك كان من المبادرين بالاتصال بالرئيس الأمريكى كلينتون يطالبه بضرورة وقف الغارات حرصاً على الشعب العراقى، وأن الحكومة المصرية أدانت الضربة ورفضتها، وكذلك مجلس الشعب المصرى والهيئات والنقابات المصرية.

- ولقد أثار هذا الموقف المخزى للنظام الصدامى غضب المصريين جميعاً، حيث أوضح الرئيس مبارك أن صدام حسين يتاجر بآلام شعبه، عندما كشف عن رفض صدام حسين استقبال شحنه أغذية وأدوية حمولتها ٤٠ طناً كانت القاهرة سترسلها جواً إلى بغداد، بدعوى أن العراق لديها مخزونات كافية من الغذاء والأدوية، وأنها ليست فى حاجة إلى المزيد منها، ولكنها فى حاجة إلى دعم سياسى، كما وصف صدام حسين بأنه "مريض بالشارع العربى"، وأعلن الرئيس مبارك أنه لا يتعامل مع الرئيس العراقى. وقد ردت وسائل الإعلام المصرية بشدة على تصريحات النظام الصدامى، ووصفتها بأنها هابطة وغبية، لأنه كان من المفروض أن يستثمر هذا النظام الدعم والمساندة المصرية للعراق ورفضها الضربة الأمريكية، فى زيادة التلاحم والتعاون مع مصر من أجل إنهاء الأزمة ورفع العقوبات لا العكس، حيث قوبلت المساندة المصرية للعراق بالجحود والنكران من جانب النظام الصدامى، ومحاولة الوقيعة بين الشعب المصرى وقيادته، وهم يجهلون فى بغداد أن مصر بمالها من تاريخ حضارى وثقل سياسى فى المحيطين الإقليمى والدولى، لا يمكن أن تنفصل قيادتها السياسية عن الشعب المصرى، فهما وحدة واحدة متماسكة، ولا ولن تجدى محاولات الوقيعة الرخيصة بينهما. وإذا كان طارق عزيز ينكر على القيادة المصرية جهودها فى إيقاف هذه الضربة، فقد كان عليه أن يرجع إلى تصريحات الرئيس الأمريكى بوش التى أكد فيها أنه لولا رفض مصر للعدوان العراقى على الكويت، ومشاركتها فى دفع هذا العدوان، لما أمكن للتحالف المناهض لهذا العدوان أن يكون، وهو ما يؤكد ويعكس دور مصر الحيوى والبارز إقليمياً ودولياً.

- أما أن يقال أن رفض القيادات العربية، واعتراضها على الضربة كان بسبب خوفها من أن تتزلزل الأرض تحت أقدامها بسبب مظاهرات شعوبها، فهذا قول ساقط لأن هذه "الزلزلة" لا تعرفها مصر، بل يعرفها النظام العراقى الذى تتزلزل الأرض فعلاً تحت أقدامه يومياً، بفعل ممارساته القمعية والدموية ضد شعبه عبر أكثر من ثلاثين سنة، وهو ما انعكس فى ٢٢ محاولة انقلاب عسكرى و ١٥ محاولة اغتيال تعرض لها صدام حسين وأبنائه، ناهيك عن الصراعات والتفكك الذى أصاب عائلته وحزبه وحتى القوات التى تحميه.

- وقد ردت الصحف المصرية الصاع صاعين لطارق عزيز لوصفه القادة العرب بأنهم "جبناء" وقالت (الجمهورية): "إن عزيز يجب أن يبحث عن هذه الصفة داخله" وأضافت "إن الزعماء العرب الذين تتحدث عنهم يواجهون إسرائيل ويرفعون سلاح الحق بجرأة وشجاعة، أما أنت فلا نسمع منك إلا بذاءات وإساءات"، كما ذكرته صحف مصرية أخرى بقريبه الطيار العراقى "منير روفا" الذى هرب بطائرته الميج-٢١ إلى إسرائيل قبل حرب ١٩٦٧، واتصالات طارق عزيز التحتية مع وزراء إسرائيل وعملاء الموساد.

- أما ثالثة الأثافى، والتى تدل إلى أى مستوى من الحضيض والانحطاط تدنى له النظام الصدامى، فقد برز بوضوح فى مظاهر الشماتة والحقد الأسود على مصر وزعيمها التى طفحت بها وسائل الإعلام العراقية، عندما علقت على محاولة الاغتيال الفاشلة والآثمة التى تعرض لها الرئيس مبارك فى أديس أبابا فى يونيو ١٩٩٥، حيث صدرت صحيفة "بابل" التى يرأسها عدى صدام حسين، وقد تصدَّرها هذا العنوان: "خيرها بغيرها"!! ومسارعة هذا الإنسان الحاقد والكريه ومعه رئيس المخابرات العراقية بزيارة الخرطوم، مبديا مساندة العراق للنظام السودانى الذى كان وراء هذه المحاولة الفاشلة.

- ورغم الجهود التى تبذلها القيادة المصرية لرفع العقوبات عن العراق، فقد دأبت وسائل الإعلام العراقية على مهاجمة مصر وقيادتها، خاصة صحيفة "بابل" التى دأبت على الكذب وقلب الحقائق. فمما يثير السخرية أنها فى عام ٢٠٠١ تصف العراق بأنه ينعم فى ظل صدام حسين بالاستقرار والأمان، ثم تتساءل فى خبث: "أين ذهب دعاة الديموقراطية، وحقوق الإنسان، عن ممارسات حسنى مبارك تجاه شعبنا فى مصر؟" ولا نعرف أى استقرار وأمان ينعم به شعب العراق فى ظل حكم صدام حسين، مما اضطر أكثر من ثلاثة ملايين عراقى إلى الفرار من جحيم حكمه إلى بلدان العالم، حيث ينزلون بالمئات على سواحل إيطاليا واستراليا وحتى إندونيسيا.

سابعاً: إستمرار التآمر على سوريا[١٣٤]

- لعل تصريح الرئيس السورى بشار الأسد عند زيارته للكويت عام ٢٠٠٠ الذى وصف فيه صدام حسين بأنه "وحش بشرى" وأضاف "نحن أول من يعرف صدام حسين، والشعب العراقى كله أصبح أسيراً

لهذا الرجل، وإننا نشعر بمعاناة أهالى أسرى الكويت، لأننا شعرنا بذلك من قبل عندما تعرض صدام لأسرى سوريين من قبل"، لعل هذا التصريح من قبل الرئيس السورى، الذى عبَّر فيه بصدق عن حقيقة رأس النظام الصدامى، يعد خير توصيف لصدام حسين، لأنه يأتى ممن خبروا أكثر من غيرهم حقيقة هذا النظام بحكم انتماء نظامى الحكم فى البلدين إلى حزب البعث على المستوى القومى، رغم اختلافهما فى الممارسات على المستوى القطرى بكل بلد.

- فمن المعروف أن صدام حسين دأب منذ احتلال قواته للكويت على الربط بين انسحابه منها بانسحاب إسرائيل من الضفة وغزة، وانسحاب سوريا من لبنان، مما يدل على الحقيقة الانتهازية للنظام الصدامى. إلا أنه بعد التقارب الذى حصل بين سوريا والعراق فى السنوات الثلاث الأخيرة فى أعقاب الدعوة العربية الجماعية لرفع الحصار عن شعب العراق، وبعد الاتفاقات الاقتصادية التى أبرمت بين البلدين، لاحظت أجهزة المتابعة السورية لما يصدر من بغداد، حذف الفقرة السابقة من الخطاب الصدامى، مما يدل على اختلاف ظاهر ما يصدر فى الإعلام العراقى عما يبطنه من نوايا تجاه جيرانه، لأنها نوايا باطنية وسرية، لا يعلم حقيقتها إلا من اكتوى بنارها، ومنهم الأخوة فى دمشق. وكانت آخر مظاهرها استضافة النظام الصدامى فى عام ٢٠٠٠ مؤتمر القوى السياسية التى كان لها - وبدعم من العراق - دور مخرب فى سوريا فى أوائل الثمانينات ضمن المخطط الصدامى المتواصل لضرب النظام الوطنى فى سوريا، وهو يخوض أصعب مراحل نضال الأمة العربية لتحرير أراضيها من العدوان الإسرائيلى الغاشم، وليثبت استمرار ذلك النظام الشاذ والعميل فى دوره التآمرى، مما يعنى أن إرجاعه إلى الحظيرة العربية سيجعلها مكشوفة أمنياً أمام أعدائها الهادفين لفنائها.

- ولقد عاود صدام محاولاته للتقارب مع سوريا لإيجاد مخرج له لحالة الحصار التى يعانيها من خلال البوابة السورية، وقد جرت فى هذا الإطار عدة اجتماعات حزبية بين طرفى حزب البعث فى البلدين تحت غطاء تبادل تجارى بينهما، وإعادة تشغيل الأنبوب الذى ينقل نفط حقل كركوك العراقى إلى ميناء بانياس السورى. إلا أن نتائج هذه الزيارات انحصر فى المجال التجارى، ولم يكن له مردوداً سياسياً، فلم تفلح فى إذابة الخلافات السياسية بين البلدين، حيث تطالب دمشق بإعادة بحث جميع القضايا الحزبية العالقة بين البلدين قبل التعمق فى بحث أى نوع من التقارب السياسى، وهى بالطبع قضايا شائكة، ذلك أن القيادة السورية تحتفظ فى سجلاتها بمآخذ عديدة على القيادة العراقية منذ المذبحة التى ارتكبها صدام فى عام ١٩٧٩ لحوالى ٧٥ من أعضاء الحزب الموالين لسوريا، كما أن طه يسن رمضان نائب صدام لا يزال مدرج على القائمة السوداء فى سوريا منذ أن كان مسئولاً عن مكتب سوريا فى بغداد، ومسئوليته عن تنفيذ عمليات تخريب جرت فى المدن السورية. ولا يزال هذا الدور المعادى لسوريا قائماً فى العراق، حيث أعدم النظام الصدامى فى أكتوبر ٢٠٠١ تسعة من أعضاء حزب البعث موالين لسوريا. إلا أن موقف القيادة العراقية من الطرح السورى يتمثل فى تجاوز عقدة الماضى بكل رواسبه ومتابعة مسيرة التقارب بين البلدين دون فتح الملفات القديمة.

ورغم الدوافع السياسية والاقتصادية والاستراتيجية التى تدفع سوريا إلى التقارب مع العراق، والمتمثلة فى الجمود الذى تشهده عملية السلام مع إسرائيل، وتهديداتها مع تركيا لأمن وكيان سوريا، و ٢٥٠ مليون دولار سنوياً عائدات خط نفط كركوك-بانياس، وفى المقابل يعتمد العراق على سوريا باعتبارها منفذاً يمكن من خلاله الخروج من نفق الحصار والعقوبات، وتطبيع علاقاته مع إيران بحكم العلاقة الخاصة التى تربط دمشق وطهران، وكذلك مع دول الخليج العربية بحكم المكانة التى تحتلها دمشق لدى الحكومات الخليجية، إلا أن استمرار احتضان كل من الدولتين- العراق وسوريا - لجماعات المعارضة فى البلدين، خاصة فلول جماعة الأخوان المسلمين التى هربت من سوريا وتأويها العراق، يبقى حالة التوجس والتخوف لدى كل طرف تجاه الآخر، لاسيما وأن أحداً فى سوريا لا يتوقع أن يتخلى صدام حسين الذى ظل ينازع الرئيس السورى الراحل حافظ الأسد على مدى نحو ثلاثين عاماً الزعامة على المنطقة، والأحقية فى قيادة حزب البعث بشقيه، عن تطلعاته تلك فى عهد الرئيس السورى بشار الأسد. كما أن القيادة السورية التى احتفظ عدد من أعضائها بمواقعهم السابقة لا يمكن أن تطمئن إلى نوايا صدام حسين، وهى التى خبرت جيداً مواقفه المتقلبة والغادرة فى أحايين كثيرة. فقد تحاول القيادة السورية الاستفادة اقتصادياً من العراق، لكن من المؤكد أنها ستحافظ على مسافة كافية بينها وبين القيادة العراقية، خاصة وأن دمشق تتحسب جيداً لرد الفعل الأمريكى إذا ما تجاوزت العلاقات مع بغداد إطار التبادل التجارى.

ثامناً: استمرار التآمر على الأردن[١٣٥]

- رغم الأخطاء السياسية الدولية الفادحة للنظام العراقى، والتى تسببت فى حدوث تباعد بينه وبين الأردن - شأنه فى ذلك شأن كل دول العالم - وبرغم توتر العلاقات بين البلدين بشدة فى أعقاب هروب حسين كامل صهر صدام حسين، وعقده مؤتمراً صحفياً بعمان تضمن تصريحات ضد النظام العراقى، ثم أزمة الطلاب الأردنيين الذين أعدمهم النظام الصدامى فى بغداد فى ديسمبر ١٩٩٧ بتهمة التهريب، فضلاً عن زيارة المعارض الأردنى (ليث شبيلات) للعراق، والإفراج عن أردنيين (معارضين) معتقلين فى بغداد، وهو ما اعتبرته عمان محاولة من النظام الصدامى للتأثير على الوضع الداخلى فى الأردن، والانتقادات الشديدة التى وجهها ولى عهد الأردن السابق الأمير الحسن إلى نظام بغداد فى مؤتمر البرلمانيين العرب فى عمان عام ١٩٩٨ بسبب انتهاك حقوق الإنسان فى العراق. إلا أنه رغم ذلك فإن المصالح الاقتصادية بين البلدين فرضت عليهما مؤقتاً تجاوز هذه الأزمات، حيث يصدر الأردن إلى العراق سلعاً اقتصادية بقيمة ٤٥٠ مليون دولار مقابل حوالى ٥ مليون طن من النفط العراقى تحصل الأردن على نصفه بأسعار تفضيلية (١٣,٥ دولار أقل للبرميل عن سعره فى السوق لعام ٢٠٠٠)، فضلاً عن نصف الكمية الباقية هدية من العراق دون مقابل. كما زاد التبادل التجارى بينهما لعام ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠ مليون دولار، وتستوعب السوق العراقية ٥١,٣% من الصادرات الأردنية إلى الدول العربية. إلا أن العراق فى المقابل يعتبر الأردن بوابته الرئيسية إلى العالم الخارجى، هذا بالإضافة إلى

كون الأردن أصبح الساحة الرئيسية لعمل المخابرات العراقية ضد معارضيها فى الخارج، خاصة "حركة الوفاق الوطنى" التى تأسست من عدد من كبار الضباط العراقيين المنشقين عام ١٩٩٦ فى الأردن. كما تحولت الأردن أيضاً إلى ساحة لتصفية حسابات العائلة الصدامية، وكانت أبرز مظاهرها قيام المخابرات العراقية بارتكاب مذبحة فى عمان ليلة ١٨/١٧ يناير ١٩٩٨ فى منزل رجل الأعمال العراقى سامى جورج توماس راح ضحيتها تسعة أفراد بينهم سبعة رجال أعمال عراقيين ودبلوماسى عراقى، وذلك للوقوف على مصير الأموال الضخمة التى نجح حسين كامل فى تهريبها خارج العراق، والتى تقدر بـ ١,٢ مليار دولار، بالإضافة لكمية ضخمة من الذهب.

- وفى سبتمبر عام ٢٠٠٠ تصاعدت فجأة حدة التصريحات العراقية ضد الأردن، حيث وجَّه وزير التجارة العراقى محمد مهدى صالح انتقادات لاذعة لأسلوب تعامل الأردن سياسياً واقتصادياً مع العراق، وأن عمان لا تسمح بتصدير العديد من السلع المهمة للعراق، كما تمنع أى جهة أخرى من ذلك، ولا تتخذ موقفاً جدياً من عمليات تفتيش وارداته فى خليج العقبة، ولا تقدم خدمات لاستقطاب الاستثمارات العراقية. وقد ذهب المسئول العراقى فى تصريحاته إلى حد التدخل فى شئون الأردن الداخلية، حيث تحدى الحكومة الأردنية فيما يتعلق بملف التطبيع مع إسرائيل، حين سلم الوزير العراقى لوفد أردنى قائمة سوداء عراقية بأسماء ٨٥ شركة تجارية وصناعية تقول بغداد أنها تمارس التطبيع مع إسرائيل، ويحظر على العراق التعامل معهم. وقد أرجع المراقبون هذا الموقف العراقى غير المبرر إلى رغبة صدامية فى إثارة الجبهة الداخلية فى الأردن، خاصة وأنها تزامنت مع نشاط للنقابات المهنية الأردنية ونشطاء مقاومة التطبيع مع إسرائيل، ومطالبة السلطات الأردنية بوقف أنشطتهم لمخالفتها القوانين الأردنية.

تاسعاً: التآمر على موريتانيا[١٣٦]

- لم تقتصر مؤامرات النظام الصدامى على البلدان العربية فى منطقة الخليج ومصر والمشرق العربى، بل تعدت كل هذه المناطق لتشمل بلدان المغرب العربى أيضاً، رغم بعدها الجغرافى. إلا أن الغريب فى الأمر أن نجد هذا النظام رغم المشاكل الواقع فيها داخلياً وخارجياً، ورغم الحصار والعقوبات المفروضة عليه، نجده يهتم بالعمل على إثارة انقلاب فى واحدة من بلدان المغرب العربى تقع فى أقصى شمال غرب أفريقيا هى موريتانيا، فقد فوجئ المراقبون فى عام ١٩٩٤ بإعلان من حكومة نواكشوط عن كشف مؤامرة بعثية يتولاها حزب البعث والمخابرات العراقية، لإحداث انقلاب عسكرى فى موريتانيا يطيح بالنظام الحاكم فيها، ويولى نظاماً آخر بعثياً تابعاً للنظام الصدامى فى بغداد، وأن المخابرات العراقية كانت وراء تخطيط وتمويل هذه المحاولة الانقلابية الفاشلة.

- ورغم انكشاف هذه المحاولة الفاشلة، إلا أن النظام الصدامى لم يتعظ وكرر المحاولة فى أغسطس ٢٠٠٢، مما دفع السلطات الموريتانية فى ٢٠٠٢/٨/١٣ إلى إغلاق مكاتب حزب "النهوض الوطنى"

الموالى للنظام الصدامى فى بغداد، وهو ما اعترف به محمد عبد الله ولد آية أمين عام الحزب فى حينه، وأضاف أن السلطات أبلغته بوجوب وقف جميع النشاطات الحزبية. ومن المعروف أن هذا الحزب قد ولد من رحم حزب "الطليعة الوطنية" والمؤيد للنظام الصدامى، والذى حلّته السلطات الموريتانية فى نوفمبر ١٩٩٩، وبعد أربعة أشهر من حل حزب الطليعة وليخلفه فى التبعية للبعث العراقى. وكانت نواكشوط قد قطعت علاقاتها مع بغداد بعد أن كانت حليفاً لها، وذلك عقب انكشاف المؤامرة المشار إليها آنفاً، وحظرت نشاط حزب الطليعة وطردت السفير العراقى.

عاشراً: التهجم على جامعة الدول العربية(١٣٧)

شهدت الجلسة المغلقة لوزراء الخارجية العرب فى ٢٠٠٠/٩/٣ مشادة كلامية عنيفة بين الأمين العام لجامعة الدول العربية د. عصمت عبد المجيد ووزير الخارجية العراقى محمد سعيد الصحاف، والتى اعتبرها المراقبون بمثابة ترجمة واضحة للسياسة العراقية تجاه الجامعة العربية فى السنوات الأخيرة. حيث استخدم الوزير العراقى ألفاظاً تتنافى مع أبسط القواعد الدبلوماسية فى مخاطبته لأمين عام الجامعة من قبيل "إنك تتقيأ سماً" و "هناك وقاحة" و "احترم نفسك" الأمر الذى اضطر معه الأمين العام للرد قائلاً: "تعلم كيف تتكلم مع الكبار". وعلى الرغم من أن الملف العراقى لم يكن مدرجاً على جدول أعمال هذا الاجتماع الذى روعى فيه إفساح المجال لتقديم أكبر دعم للقضية الفلسطينية، إلا أن المسئول العراقى وجد فى كلام وزير خارجية عمان وممثل السلطة الفلسطينية حول العقوبات المفروضة على العراق، فرصة سانحة للهجوم ضد د. عبد المجيد، خاصة عندما أتى الأخير على ذكر الأسرى الكويتيين فى العراق.

- ولم يكن هذا الهجوم العراقى على د. عبد المجيد بالأمر المفاجئ، إذ استبق العراق اجتماعات مجلس الجامعة بتصعيد إعلامى ودبلوماسى ضد الجامعة وأمينها العام تحديداً. وكان ذلك على إثر الرسالة التى وجهها د. عبد المجيد إلى القيادة العراقية فى أغسطس ٢٠٠٠ التى انتقد فيها الخطاب العراقى لما تضمنه من تهديدات واضحة للكويت والسعودية، فقد تعرض بعدها الأمين العام إلى حملة انتقادات واسعة، وصل الأمر فيها إلى حد اتهامه من قبل طارق عزيز بقبض رشوة من أجل عدم السعى لرفع العقوبات عن العراق.

- وحقيقة الأمر أن هجمة النظام الصدامى على د. عبد المجيد لم تكن موجهة إليه بوصفه أميناً عاماً، وإنما وجهت إليه بصفته من رموز السياسة المصرية التى كان لها دوراً صارماً فى الوقوف ضد الغزو العراقى للكويت، وما وراءه من تطلعات عدوانية وتوسعية رفضتها كل الأسرة العربية. لذلك كان بديهياً أن يرفض وزير الخارجية المصرى آنذاك عمرو موسى مقابلة الوزير العراقى الصحاف.

- إن أزمة العراق مع الجامعة العربية هى فى الحقيقة أزمة مواجهة بين مدرستين دبلوماسيتين، الأولى يقودها الأمين العام للجامعة د. عصمت عبد المجيد، وهى تعتمد الحوار الهادئ والتفكير العقلانى أسلوباً دائماً لحل المشكلات ومعالجة القضايا، كما تحترم الأصول المتعارف عليها فى العلاقات الدبلوماسية. أما المدرسة الثانية فهى التى ينتمى إليها الدبلوماسيون العراقيون، خريجوا حزب البعث وجهاز المخابرات. حيث تعتقد هذه المدرسة أن خير وسيلة لحل أية مشكلة هى اللجوء إلى الهجوم وكيل التهم الباطلة أملاً فى الحصول من الطرف الآخر على تنازلات لم يكن يرضى بها. لذلك رأى البعض أن د. عبد المجيد قد أخطأ عندما لم يطبق اللوائح التنظيمية للجامعة العربية التى توضح أسلوب العمل داخل اجتماعات المجلس، والتى كان تطبيقها بطرد الوزير العراقى كافياً لردع النظام الصدامى عن الخروج عن القواعد الدبلوماسية والأخلاقية أثناء المناقشة، لأن هذا هو الأسلوب الوحيد الذى يجدى عند التعامل مع النظام الصدامى.

إحدى عشر: عرقلة أعمال القمة العربية[١٣٨]

- من أبرز السمات الذميمة فى النظام الصدامى أنه يتعمد بغبائه المعهود إفشال كل الجهود التى يبذلها الحريصون على مصلحة العراق، ومن دلائل ذلك موقف هذا النظام من جهود المصالحة العربية أثناء قمتى عمان وبيروت فى عامى ٢٠٠٠ و ٢٠٠١، حيث أدخلها فى نفق مظلم بعدم تجاوبه مع الصيغة التوفيقية التى طُرحت فى قمة عمان فى شأن ما أطلق عليه (الحالة بين العراق والكويت). هذا فى الوقت الذى أبدت فيه الكويت مرونة فائقة فى هذا الاتجاه احتراماً للإجماع العربى، وبعد أن تنازلت من جانبها عن شرط اعتذار العراق عن جريمته فى حق الكويت، إلا أن العراق أحبط كل شئ برفضه إعطاء أى تعهد بعدم المساس بأمن الكويت، الأمر الذى تأكد معه استمرار وجود نواياه العدوانية تجاه الكويت، ورغم أن الكويت نادت برفع المعاناة عن شعب العراق، ولم تطلب سوى الكشف عن مصير أسراها ورد ممتلكاتها المسروقة. وقد كان ممكناً خلال هذه القمة الانطلاق بأشواط طويلة باتجاه التضامن العربى المفقود، لو أن النظام الصدامى قبل بالصيغة التوفيقية الجماعية المتعلقة بالحالة مع الكويت، لاسيما بعد المواقف المرنة من جانب الكويت والسعودية حيال مشاركة العراق فى القمة. ويرجع هذا الموقف الصدامى إلى فهمه الخاطئ لمغزى الاهتمام العربى بملف العراق، الذى تعاطى معه من منطلق سياسى بحت، فى حين تعاطى معه العرب من منطلق إنسانى وقومى، الأمر الذى يؤكد على عدم اهتمام النظام الصدامى بمصلحة شعبه، وأنه فى واد والعرب فى واد آخر. ومما يدل على خطأ حسابات هذا النظام، أنه بعد أن اكتشف متأخراً سوء تقديره وتقييمه للمواقف داخل القمة، قام صدام بتغيير وزير خارجيته الصحاف واستبداله بطارق عزيز ليواجه الانتكاسات التى منيت بها الدبلوماسية الصدامية.

- وفى قمة بيروت عام ٢٠٠١ حرص المسئولون الكويتيون والسعوديون على تأكيد حرصهم على وحدة العراق وشعبه، وشددوا على أن الكويت والسعودية ترفضان استهداف العراق بأى ضربة وتحت أى

ذريعة، بل لا يعنيهما تغيير النظام العراقى الذى يبقى شأناً داخلياً لا دخل لهما فيه، بل وطالب المسئولون فى الكويت الصحافة الكويتية بعدم الرد على تهجمات الصحف العراقية التى تشنها ضد الكويت، وذلك على أمل إعطاء الفرصة للنظام الصدامى لإبداء حسن النوايا تجاه حل مشكلة الأسرى، فماذا كانت النتيجة؟ حاول هذا النظام الهروب إلى الأمام من هذه القضية إلى قضايا أخرى تشكل باعتقاده الأولوية مثل موضوع الحوار مع الأمم المتحدة الذى رحبت به كل دول الخليج ومنها الكويت، وأبدت حرصها على نجاحه، ومثل موضوع التعامل مع التعديلات على نظام العقوبات، متجاهلاً القضية الإنسانية والمحورية فى الحالة بين الكويت والعراق، وهو ما لم تستطع الكويت الصبر عليه أكثر من ذلك، فتحركت على الساحتين العربية والدولية مكثفة الجهود لحل مشكلة أسراها، وقد ساندها فى ذلك باقى الدول العربية التى طالبت العراق بالوفاء بالتزاماته فى القمة.

اثنتى عشر: تهجمات بغداد تطول روسيا وفرنسا والأمم المتحدة [١٣٩]

- لم يكتف النظام الصدامى بالتهجم على الدول العربية، بل طالت تهجماته دولاً تصنف صديقة له .. مثل روسيا وفرنسا بحكم العلاقات الاقتصادية التى تربطهما بالعراق منذ عقد الستينات. ولأن هاتان الدولتان بحكم مسئوليتهما الدولية لكونهما من الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن، طالبا العراق بضرورة الالتزام بقرارات مجلس الأمن، خاصة المتعلقة بإزالة أسلحة الدمار الشامل، فقد تعرضتا لهجمات كلامية من قبل المسئولين العراقيين ووسائل الإعلام العراقية. حيث اتهمت القيادة الروسية بالضلوع مع الولايات المتحدة فى التآمر على العراق، كما اتهمت فرنسا باستمرار تبنى سياستها الاستعمارية فى المنطقة، وكعادة النظام الصدامى فى ابتزاز الآخرين، طالبت وسائل الإعلام العراقية بحرمان فرنسا من الحصول على عقود تجارية فى العراق، كما حذرت روسيا من نفس النتيجة إذا ما استمرت فى تجاهلها مصالح العراق.

- وكان من البديهى طبعاً أن ترفض كل من موسكو وباريس هذه السياسة الابتزازية من قبل النظام الصدامى، حيث أبرزت وسائل الإعلام الروسية والفرنسية مسئولية بغداد عن معاناة الشعب العراقى، بسبب رفضها تنفيذ قرارات مجلس الأمن. كما رفض الرئيس الروسى بوتين استقبال طارق عزيز عند زيارته موسكو فى فبراير ٢٠٠٢ طالباً وساطتها لدى واشنطن، الأمر الذى دفع عزيز إلى (الاعتصام) داخل السفارة العراقية فى موسكو، ومغادرتها بعد ذلك إلى بلاده غاضباً احتجاجاً على سوء المعاملة التى لقيها فى موسكو.

استمرار الحسابات الخاطئة وتجاهل الحقائق [١٤٠]

- تتلخص مشكلة النظام الصدامى مع جيرانه ومع الولايات المتحدة وباقى المجتمع الدولى فى إصرار هذا النظام طوال السنوات الماضية ومنذ خطيئته بغزو الكويت على المكابرة ورفض الاعتراف بالواقع، والتحرك على أساس حسابات خاطئة حول قوة العراق مقارنة بالآخرين، الأمر الذى أدى به باستمرار

إلى اتخاذ قرارات خاطئة بشأن الأهداف التى يريد تحقيقها، ومكان وزمان وكيفية ذلك. لذلك تأتى دائماً القرارات الصحيحة التى يجبر على اتخاذها متأخرة، بعد أن يتبين له خطأ قراراته التى تسبقها، وحتى تلك القرارات الصحيحة تصبح بلا قيمة لأنها تأتى متأخرة، وكما يقولون فى "الوقت الضائع" بعد أن يكون قد فوّت فرصاً ثمينة على العراق لم يحسن استغلالها. وأبرز مثال على ذلك رفضه لأكثر من أربع سنوات منذ عام ١٩٩٨ وحتى اليوم فى أغسطس ٢٠٠٢ تنفيذ قرار مجلس الأمن الخاص بعودة المفتشين الدوليين، ثم بعد أن تبين له جدية الإدارة الأمريكية فى توجيه ضربة تزيح بها النظام الصدامى من العراق، عاد وقبل فى بداية أغسطس ٢٠٠٢ بعودة فرق التفتيش للعراق، وهو ما لم تنطل أهدافه على المجتمع الدولى.

- وهذه الحسابات الخاطئة وتجاهل الحقائق من جانب النظام الصدامى هى التى سهلت مهمة الدول والأطراف الرافضة وجود عراق قوى يريد الهيمنة على منطقة الخليج والتحكم بمسارها ومصيرها. من ذلك إساءة النظام الصدامى تقدير حجم العراق، وموقعه فى حسابات الولايات المتحدة. إذ اعتبر صدام منذ البداية أن هذه الدول لن تضحى بالعراق، ولن تشن حرباً عليه فى سبيل الدفاع عن الكويت، بل إنها ستسعى إلى إيجاد تفاهم ما أو عقد صفقة ما معه، وظل صدام طوال هذه السنوات يتعامل مع الدول الكبرى على أساس أن العراق لا يمكن الاستغناء عنه وعن دوره وطاقاته، وأن الكبار لن يضحوا به، لكن واقع الأمور كان عكس ذلك كما شهدنا ولا نزال نشاهد اليوم، حين وصل الأمر بهؤلاء الكبار إلى قرار بضرورة إزاحة هذا النظام الصدامى ولو بالقوة.

- واعتقد صدام مخطئاً أيضاً أن بوسع البلدان العربية الأخرى، إذا ما نجح فى الضغط على حكوماتها وابتزازها، وإذا ما أفلح فى تحريك الجماهير والشارع العربى لصالحه، أن يغير من المخططات الأمريكية ضده. وهو فى هذا يتجاهل حقيقة مهمة وهى أن لا أحد فى العالم العربى يستطيع أن يساعد العراق فعلاً حين يتمرد على مجلس الأمن، ويتسبب بقراراته الطائشة فى إقحام العراق فى مواجهات عسكرية مع الولايات المتحدة، والسبب فى ذلك أن العراق لم يعد مسئولية عربية منذ أن تحررت قيادته الصدامية من التزاماتها العربية، فقامت بغزو الكويت، ودبَّرت المؤامرات وكانت الاتهامات والتهجمات ضد الدول العربية بلا استثناء، ثم أصبح العراق بعد ذلك مسئولية دولية بموافقة قيادته على قرارات مجلس الأمن وتعهدها بتنفيذها فى مقابل إنهاء حرب ١٩٩١. لذلك لا تستطيع أية دولة عربية أن تفعل للعراق شيئاً سوى مناشدة قيادته تنفيذ قرارات مجلس الأمن.

- كما تجاهل صدام حقيقة أخرى مهمة وهى أن لا أحد فى العالم يستطيع أن يساعد العراق أو يقف معه حين يدخل فى مواجهة عسكرية مع الولايات المتحدة بسبب تمرده على مجلس الأمن وقراراته، سوى أن يساعد العراق نفسه بتنفيذ هذه القرارات وتفويت الفرصة على الولايات المتحدة فى الاستناد على أخطاء النظام الصدامى كمبررات لضرب العراق. فهذه هى قواعد اللعبة البالغة القسوة منذ خضوع

العراق لقرارات مجلس الأمن، وهو ثمن عملية غزوه واحتلاله للكويت الذى يتعين أن يدفعه العراق كاملاً، وهو لم ولن يدفعه بالكامل إلا بعد زوال النظام الصدامى الذى تسبب فى كل ذلك، فزوال هذا النظام هو باقى مستحقات عملية غزو الكويت. ومن ثم لا يحق أن يحمل صدام حسين أحداً فى العالم العربى مسئولية ما يلحق بالعراق من دمار كبير ومعاناة تصل إلى حد الإذلال، فهو المسئول عن ذلك أولاً وأخيراً، والحل فى يده بأن يرحل عن العراق ويترك شعبه يقرر من يحكمه.

- يتجاهل النظام الصدامى حقيقة أخرى مهمة، وهى أنه لم يعد له أصدقاء أو حلفاء حقيقيين على كل الساحة العالمية، ومن يظهر له ذلك فلغرض الحصول على مكاسب آنية. ولكن عندما تحين لحظة الجد فلن تستطيع روسيا ولا فرنسا ولا الصين أن يقفوا فرادى ولا مجموعة فى وجه الولايات المتحدة إذا ما قررت الإطاحة بالنظام الصدامى على النحو القائم حالياً. وهو ما يفسر رفض القيادة الروسية استقبال طارق عزيز، وتكرار مناشدات موسكو وبكين وباريس القيادة العراقية تنفيذ قرارات مجلس الأمن، لأن بقدر التزام العراق بتنفيذ هذه القرارات بقدر ما يمكن لمجلس الأمن وحده - وليس غيره - مساعدة العراق، لأنه المسئول فى وقت واحد عن حماية العراق ومعاقبته، خاصة بعد أن فقد العراق حريته مع فقدان القدرة على القيام بأى عمل أو تحرك أو إنجاز سوى الرضوخ لمجلس الأمن وقراراته الملزمة.

- وكذلك فشل النظام الصدامى فى إدراك حقيقة مهمة، وهى أن الولايات المتحدة لن تستطيع أن تصبر طويلاً على ممارسته لعبة (القط والفأر) مع فرق التفتيش الدولية. بهدف إخفاء أسلحته ذات الدمار الشامل. فمع كل أزمة كان النظام الصدامى يفتعلها مع هذه الفرق عندما تكون على وشك الوصول إلى شئ مهم عن هذه الأسلحة، كانت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا تحرك قواتها وأساطيلها الجوية والبحرية لتوجيه ضربة تأديبية لهذا النظام حتى ينصاع ويرضخ ويسمح لفرق التفتيش بممارسة أعمالها، وبوصول الأزمة إلى حافة الحرب يبدأ صدام فى التراجع. فقد آن لهذه اللعبة أن تتوقف طبقاً للرؤية الأمريكية، وأن يحسم الأمر لصالح تخليص العراق نهائياً من هذه الأسلحة بتخليصه من النظام الذى يعتمد عليها ويخيفها.

- ولقد أخطأ صدام أيضاً فى حساباته عندما ظن أن نفط الخليج قلت أهميته فى الإستراتيجية الأمريكية بعد ظهور نفط وغاز بحر قزوين، وبالتالى فإن اهتمام الولايات المتحدة بمستقبل العراق قد فتر. وحقيقة الأمر أن الشركات المنقبة عن نفط وغاز بحر قزوين ليست متأكدة بعد من حجم الاحتياطى النفطى فى القوقاز، وهل هو بالقدر الذى يبرر استثمار ٤ مليار دولار هناك؟ ولكن من المؤكد أن الاحتياطى النفطى فى حقلى مجنون ونهر عمر بالعراق يصل إلى ١١٢ مليار برميل، وهو ما يسيل له لعاب شركات النفط الأمريكية التى ليس لها حالياً أى استثمارات فى العراق، وتنافسها فى استغلال هذه الحقول الشركات الروسية الفرنسية. ولا يمكن للولايات المتحدة أن تقبل بداهة بأن يقع هذه المخزون النفطى الضخم فى أيدى غير أمريكية لما له من تأثيرات سلبية على الإستراتيجية الأمريكية، لاسيما

وأن المخزون الإستراتيجي النفطى فى الولايات المتحدة انخفض بنسبة ٥٠%، وهو ما يدفع الولايات المتحدة إلى زيادة الاهتمام بمستقبل العراق، وضرورة تخلصه من النظام الصدامى الذى يوقع المنطقة فى مسلسل من الأزمات التى تهدد استقرارها الضرورى لحماية المصالح الأمريكية.

رؤية مستقبلية[١٤١]

- وهذا الكتاب على وشك الطبع فى نهاية أغسطس ٢٠٠٢، لم يعد السؤال المطروح فى المنطقة: هل ستوجه ضربة أمريكية ضد العراق، ولكن السؤال متى ستوجه هذه الضربة وكيف وبأى قوة، وما هى أهدافها، وماذا بعدها؟ بعد أن أكد جميع المسئولين فى الإدارة الأمريكية حتميتها للتخلص من نظام صدام حسين.

أ- أهداف ودوافع العملية العسكرية ضد العراق

- تأتى خطة الإطاحة بالنظام الصدامي باعتبارها المرحلة الثانية فى الحرب الأمريكية المعلنة ضد ما يسمى بالإرهاب، وذلك بعد أفغانستان، وبدعوى أن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل تهدد أمن واستقرار منطقة الشرق الأوسط، خاصة إسرائيل الحليف الرئيسى للولايات المتحدة فى هذه المنطقة، واحتمال أن تتسرب هذه الأسلحة إلى منظمات إرهابية مثل تنظيم القاعدة الذى يرأسه بن لادن، لاسيما وأن المخابرات الأمريكية أعلنت عن وجود اتصالات تمت فى براغ بين أحد ضباط المخابرات العراقية والمدعو محمد عطا المشارك فى عمليات ١١ سبتمبر. هذا بالإضافة لامتناع نظام بغداد عن تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ١٢٨٤ لعام ١٩٩٩ الخاص بإرسال فريق جديد للتفتيش عن أسلحة الدمار الشامل العراقية وإزالتها، وهو فريق (يونومفيك) لمواصلة عمل فرق التفتيش السابقة.

- أما حقيقة الأهداف الأمريكية، فإنها تأتى فى إطار الإستراتيجية الأمريكية الجديدة الداعية إلى توجيه ضربات وقائية ضد مراكز الإرهاب فى العالم قبل أن تنشط فى أعمالها. وبالتالى يتحدد الهدف فى إسقاط نظام الحكم فى بغداد، والإمساك بصدام حسين أو قتله، باعتباره رأس واحدة من ثلاث دول وصفها بوش بأنها مشاغبة أو مارقة بجانب إيران وكوريا الشمالية تمتلك جميعها أسلحة دمار شامل. وبذلك يتحقق الهدف السياسى من حرب "عاصفة الصحراء" التى شنتها دول التحالف فى عام ١٩٩١، وحققت هدفها الإستراتيجي بتحرير الكويت، ولكنها لم تحقق هدفها السياسى بإسقاط صدام حسين. فبإسقاط هذا النظام فى العملية العسكرية الأمريكية القادمة تحقق الولايات المتحدة مرحلة مهمة على طريق بسط هيمنتها على منطقة الخليج، ولا يبقى أمامها سوى إيران التى ستكون محاصرة بين وجود عسكرى أمريكي فى أفغانستان شرقاً، ووجود عسكرى أمريكى آخر فى العراق والخليج غرباً وجنوباً، ووجود عسكرى أمريكى ثالث فى تركيا وبلدان آسيا الوسطى شمالاً، وبالتالى يمكن إحكام العزلة والحصار على نظام طهران حتى يسقط بعد ذلك، وتدخل منطقة الخليج كلها فى دائرة النفوذ الأمريكى،

وما يستتبع ذلك من سيطرة على احتياطيات نفط الخليج، خاصة السابق الإشارة إليها فى العراق، وهى احتياطيات ضخمة تضع العراق فى نفس مرتبة الأهمية الإستراتيجية التى عليها السعودية.

- يرتبط بهذه الأهداف والدوافع الموقف الداخلى الصعب الذى عليه إدارة الرئيس بوش، من حيث ما تم الكشف عنه من فضائح مالية بالشركات الأمريكية الكبرى مثل (ورلدكوم) و (إيزون) و (جلوبال كروسينج)، وضلوع بوش ونائبه تشينى فى هذه الفضائح، بالإضافة لما يثار فى الساحة الأمريكية حول مسئولية إدارة بوش عن الإهمال الذى تسبب فى وقوع أحداث سبتمبر، وعدم تجاوبها مع المعلومات التى كانت متاحة عنها من قبل. لذلك يعتقد بوش أن تحقيق نجاح فى الإطاحة بالنظام الصدامى من الممكن أن يعيد لإدارته اعتبارها أمام الرأى العام الأمريكى، وبما يحقق لحزبه الجمهورى الفوز فى انتخابات نصف أعضاء الكونجرس الذى يحل موعدها فى نوفمبر ٢٠٠٢، وانتخابات الرئاسة فى عام ٢٠٠٤، لاسيما وأن فوز بوش أمام آل جور فى انتخابات الرئاسة الماضية كان بفارق ضئيل جداً.

- لذلك وفى ضوء الاعتبارات السياسية والإستراتيجية، من حيث الإعداد السياسى دولياً للحرب وبما يؤهل الرأى العام العالمى لقبولها - خاصة داخل الولايات المتحدة لما قد ينجم عنها من خسائر بشرية، بالإضافة لاعتبار الانتشار الإستراتيجى للقوات الأمريكية والبريطانية، وجمع المعلومات عن أماكن صدام حسين وأركان نظامه والقوات التى تحميه وأسلحته ذات الدمار الشامل، وما يتطلبه كل ذلك من وقت، فإن التوقيت المحتمل لشن الضربة العسكرية الأمريكية ضد العراق سيكون فى الفترة من سبتمبر ٢٠٠٢ إلى مارس ٢٠٠٣، خاصة وأنها الفترة الملائمة من حيث المناخ للعمليات العسكرية فى منطقة الخليج.

<u>ب- أحجام القوات المشاركة فى العملية</u>

- من الجانب الأمريكى ينتظر أن تحشد القوات الأمريكية حجماً من القوات يتراوح بين ٨٠ ألف و ٢٢٠ ألف جندى، وأربع مجموعات حاملات طائرات، ومجموعة طرادات وغواصات مسلحة بصواريخ كروز توماهوك، وحوالى ٣١٠ طائرة مقاتلة وقاذفة، وحوالى ١٢٠٠ دبابة و ٦٠٠ مدفع وراجمة صواريخ و ١٢٠٠ مركبة قتال، بالإضافة لحوالى خمس مجموعات قوات خاصة على رأسها قوة دلتا، وحوالى ٢٠٠ صاروخ توماهوك.

- وستنطلق هذه القوات من حوالى ٥١٩ قاعدة أمريكية منتشرة فى الولايات المتحدة، و٦٥ قاعدة أخرى فى ٢٠ دولة، أبرزها قاعدة (العديد) فى قطر، وقاعدة (انجرليك) بجنوب تركيا، وقاعدة (الأزرق) فى الأردن، وقاعدة ديجو جارسيا فى المحيط الهندى.

- ومن الجانب البريطانى ينتظر أن يتم حشد قوة تصل إلى ٣٠ ألف فرد مسلحة بالمدرعات والمدفعية تساندها حاملة طائرات، وسرب من المقاتلات (تورنادو)، ومجموعة القوات الخاصة (ساس SAS).

- أما القوات العراقية على الجانب الآخر فهو إجمالى حجم الجيش العراقى السابق الإشارة إليه آنفاً، مع احتمالات قوية أن يلجأ النظام الصدامى لاستخدام ما لديه من أسلحة دمار شامل سبق التنويه إليها فى هذا الفصل.

ج- سيناريو الحرب:

- ترتبط خطة تنفيذ العملية العسكرية ضد العراق بالهدف منها، وهو سرعة الوصول إلى الرئيس العراقى والإمساك به حياً أو قتله، وبذلك تنهار باقى ركائز النظام الحاكم. ولذلك ستكون العملية سريعة وخاطفة، ومن عدة اتجاهات لتشتيت جهود النظام، وسيلعب الخداع من جانب الطرفين دوراً مهماً فى هذه الحرب.

- سيتم توجيه هجمات صاروخية وجوية متواصلة وبكثافة شديدة ضد مراكز القيادة والسيطرة السياسية والإستراتيجية، ومواقع انتشار الحرس الجمهورى، وأجهزة الأمن والحماية والمخابرات، ووحدات الصواريخ أرض/أرض، وأماكن منشآت أسلحة الدمار الشامل، ووسائل الدفاع الجوى والمطارات، بهدف إفقاد صدام حسين السيطرة على قواته خاصة ذات العلاقة بأسلحة الدمار الشامل حتى لا يصدر أوامره باستخدامها. لذلك سيسبق الهجمات الجوية والصاروخية ممارسة أعمال حرب إلكترونية مكثفة بهدف تحديد أماكن مراكز القيادة والسيطرة وعقد الاتصالات والرادارات، ثم الإعاقة والشوشرة عليها.

- وتحت ستر الهجمات الجوية والصاروخية ستدفع فرق القوات الخاصة الأمريكية والبريطانية جواً من القواعد الجوية المتواجدة فى تركيا والأردن ومنطقة الخليج بهدف السيطرة بسرعة على مراكز القيادة والسيطرة فى بغداد، والإمساك بصدام وأركان نظامه، وشل حركة الحرس الجمهورى وقوات الحماية، مع إسقاط منشورات على نطاق واسع فوق مواقع فرق الحرس الجمهورى والجيش توضح أن القوات الأمريكية لا تريد قتالاً مع القوات العراقية، ولكنها تريد فقط صدام حسين وأركان نظامه، وذلك بهدف تحييد هذه القوات حتى لا تبدى مقاومة وتثير الاعتراض والارتباك داخل قياداتها بين مؤيد لصدام ومعارض له، ثم دفعها للانقلاب على نظام صدام. كما ستسعى القوات الخاصة الأمريكية فى هذه المرحلة إلى سرعة السيطرة على مراكز البث الإذاعى والتلفزيونى فى العراق لإعلان إسقاط النظام واستسلام صدام، وقد تُصدِّر المخابرات الأمريكية أحد شبيهى صدام حسين - مثل ميخائيل رمضان الهارب فى الخارج حالياً ومؤلف كتاب (فى ظل صدام) - أمام وسائل الإعلام والشعب العراقى مستسلماً باعتباره صدام الحقيقى، وبما يعطى الانطباع للجيش والشعب العراقيين بسقوط النظام، ويقضى على أى مقاومة ويدفعهم إلى الانتفاض على النظام الصدامى كله، فى ذات الوقت الذى سيجرى فيه البحث عن شخص صدام وأركان نظامه والإمساك بهم، والسيطرة على المدن السرية التى يلجأ إليها صدام ويخفى فيها متعلقات أسلحة الدمار الشامل، ويمارس منها مهام القيادة والسيطرة. وستكون المشكلة الرئيسية التى ستواجه القوات الأمريكية فى هذه المرحلة هو الإمساك بشخص صدام الحقيقى،

حيث جهز صدام أكثر من ٣٢ شبيهاً له لتشتيت جهود المخابرات الأمريكية، لذلك ستضطر لإجراء العديد من التحليلات الصوتية والطبية لكل من ستمسك بهم ممن يحتمل أن يكون صدام واحداً منهم، وهى نفس المشكلة التى تواجه المخابرات الأمريكية حالياً فى أفغانستان للإمساك ببن لادن.

- ولأن القوات الخاصة التى سيتم دفعها مبكراً بواسطة المروحيات لا تستطيع الصمود فى قتال طويل أمام مدرعات فرق الحرس الجمهورى لأكثر من ٥-٦ ساعات، فستسرع القيادة الأمريكية بدفع مفارزها المدرعة من اتجاه المنطقة الكردية فى الشمال، ومن الأردن فى الغرب ومن الجنوب نحو بغداد للاتصال بالقوات الخاصة الأمريكية والبريطانية التى تم إبرارها جواً، ومنع فرق الحرس الجمهورى من محاصرتها والقضاء عليها. لذلك ستشمل الخطة الأمريكية عمليات إبرار جوى هيكلى فى مناطق متفرقة حول بغداد وفى وسط العراق لتشتيت جهود فرق الحرس الجمهورى والجيش. كما ستتجنب المفارز المدرعة الأمريكية والبريطانية التورط فى قتال مع أى قوات عراقية وهى فى طريقها إلى بغداد، حتى لا تتأخر فى الاتصال بالقوات الخاصة التى تم إبرارها مع بداية العملية. ويقدر حجم هذه المفارز بحوالى ٥٠ ألف جندى من الشمال، ٥٠ ألف جندى من الجنوب والغرب. سيعقبها دفع باقى القوات البرية، وسيكون عمل فرقة مشاة الأسطول فى الأغلب من اتجاه الجنوب، وستسعى هذه القوات إلى حصار وعزل بغداد عن باقى العراق.

- وإذا فرض قتال حقيقى بين القوات الأمريكية والقوات العراقية، فسيقع ثقل رئيسى على المقاتلات (A-10) والمروحيات الهجومية (آباتشى) فى توجيه هجمات صاروخية مضادة للدبابات ضد المدرعات العراقية، وبما يسهل مع المدرعات الأمريكية استكمال تدميرها.

- ومن المتوقع أن تشارك القوات التركية بحوالى ٣-٤ فرق لتأمين السيطرة على المنطقة الكردية بشمال العراق والتى قد تمتد إلى الموصل وكركوك، مع إعطاء دور لميليشيات البرزانى وطالبانى فى التصدى لقوات النظام العراقى وميليشيات حزب البعث فى هذه المناطق. وستسعى القوات الأمريكية ربما من قبل بدء العمليات الجوية إلى إصلاح المطارين الموجودين فى أربيل والسليمانية لاستخدامها كقواعد جوية متقدمة للطائرات الأمريكية، خاصة المروحيات. وقد تكلف عناصر المعارضة العراقية فى الخارج بالإضافة لقوى المعارضة فى جنوب العراق بمواجهة عناصر النظام العراقى فى هذه المناطق، وإحكام السيطرة عليها، خاصة وأنه من المتوقع أن تنشب انتفاضة شعبية فى مناطق الشمال والجنوب ضد عناصر النظام وحزب البعث، وستلقى دعماً وتأييداً من القوات الأمريكية، والتى ستحكم حركتها حتى لا تخرج عن السيطرة بسبب عمليات الانتقام المتوقعة ضد عناصر النظام وتصفية الحسابات.

- وستكون السيطرة على المطارات وموانئ العراق والمنافذ البرية، وكذلك طرق التحرك داخل العراق وإلى خارجه محكمة بما يمنع عناصر النظام العراقى من الهروب إلى خارج العراق. كما ستبذل المخابرات الأمريكية جهوداً مكثفة من أجل استقطاب قبائل وعشائر العراق الموالية لصدام - مثل

عشيرة (البجاة) التكريتية، الدليم، آل الراوى، آل الدورى، آل الشاوى، آل جبور، العبيدات - ومنعهم من إيواء عناصر النظام الهاربين.

- أما إذا نجح صدام حسين فى استخدام أسلحته ذات الدمار الشامل فى توجيه هجمات بها ضد مدن الخليج ومناطق تواجد القوات الأمريكية، فقد تلجأ الأخيرة إلى توجيه هجمات نووية تكتيكية ضد الأماكن المتوقع تحصن نظام وقوات حمايته بها، وأماكن تواجد أسلحة الدمار الشامل ووسائل إيصالها. فى ذات الوقت الذى ستستعد فيه وحدات الصواريخ المضادة للصواريخ (باتريوت) المتواجدة فى السعودية والكويت وتركيا للتصدى للصواريخ العراقية فى الجو لتدميرها قبل أن تصل إلى أهدافها. لذلك تم مؤخراً تدعيم الدفاع الصاروخى فى هذه الدول ببطاريات (باتريوت باك-٣) إضافية.

- ومن المهام الصعبة التى تتوقعها القيادة الأمريكية عقب انهيار وسقوط النظام الصدامى، سرعة إحكام السيطرة على الأوضاع داخل العراق، وبما يحول دون وقوع حرب أهلية سواء بين أعداء صدام والموالين له فى الداخل، أو بين عناصر المعارضة القادمة من الخارج والمؤيدين لصدام فى الداخل، كذلك الصراعات المتوقعة بين كل هؤلاء الفرقاء للفوز بالسلطة، تجنباً لما يحدث فى أفغانستان، خاصة وأن العراق لا يقل فى عدد العرقيات والطوائف والمذاهب عن تلك الموجودة فى أفغانستان، ناهيك عن قوات الجيش والحرس الجمهورى التى قد تنشق عن النظام وتساهم فى إسقاطه، والتى من المؤكد ستطالب بنصيب من السلطة. لذلك من المتوقع أن يهتم المسئولون الأمريكيون بترتيب وحسم كل هذه الموضوعات مبكراً وقبل بدء العملية، تجنباً لأى مضاعفات فى المستقبل، بما فى ذلك طمأنة دول الجوار أن الولايات المتحدة يهمها وحدة الأراضى العراقية، وليس من مصلحتها تقسيم العراق عرقياً أو طائفياً، خاصة وأن ذلك سيكون فى صالح إيران، حيث ستضمن فى حالة وقوع التجزئة أن تفوز بولاء شعب جنوب العراق ومعظمه من الشيعة، وهو ما ترفضه الولايات المتحدة، وستحول دون وقوعه. أما مشكلة أكراد العراق فإن حلها فى النظرة الأمريكية سيتمثل فى مزيد من الحكم الذاتى فى إطار التبعية للحكومة المركزية فى بغداد، والتى ستمثل فيها كل العرقيات والطوائف والقوى السياسية والعسكرية التى ساهمت فى إسقاط النظام الصدامى.

د - التوقعات من جانب النظام الصدامى :

- يسعى صدام حسين منذ فترة إلى تثبيت ركائز نظامه وإحكام سيطرته على القوى الرئيسية فى الدولة، لاسيما الأجهزة الأمنية وفيلق الحرس الجمهورى وميليشيات الحزب والعشائر. لذلك وضع خطط انتشار هذه القوى داخل وخارج بغداد وفى أنحاء العراق وبما يحول دون حدوث أى تمرد عسكرى أو انتفاضة شعبية ضده. كما أنشأ العديد من مراكز القيادة والسيطرة التبادلية، وأعد أماكن مختلفة ليختفى فيها ولا يعلم سوى القليلون من المقربين إليه أماكنها، وبعضها داخل المناطق السكنية فى بغداد. وقد

عُرف عنه أثناء حرب عاصفة الصحراء عام ١٩٩١ أنه كان يتنقل متخفياً فى عربة نصف نقل، وأحياناً يبيت فيها. وفى أحيان أخرى يطرق باب إحدى العائلات العراقية ويقضى ليلته عندهم.

- وفيما يتعلق بالجيش العراقى، فقد تضاربت الآراء حول قدراته، إذ يرى البعض أنه أصبح قوياً بعد أن تقلص حجمه وتركز الاهتمام على رفع كفاءته النوعية فى ضوء دروس حرب تحرير الكويت، فى حين يرى البعض أنه رغم ذلك لا يزال (نمراً من ورق) وذلك فى ضوء تدهور الروح المعنوية لضباطه وجنوده انعكاساً لحالة الشعب المتدهورة، وبسبب الهزائم التى لحقت بهذا الجيش فى إيران وفى الكويت ومن قبلهما فى الحرب الكردية، ناهيك عن التصفيات والاعدامات والاعتقالات التى جرت لقاده وضباط كثيرين فى الجيش والحرس الجمهورى، وآخرها إحالة ١٢٠ ضابطاً برتبة عميد وعقيد فى ٢٠٠٢/٨/٦ إلى التقاعد بسبب التشكك فى ولائهم. وحقيقة الأمر أن صدام أعتقد أن من صالحه التوسع الكمى فى الجيش وبناء آله حربية ضخمة حتى بلغ حجمه أثناء غزوه للكويت ٥٠ فرقة قوامها حوالى ٧٥٠ ألف جندى، ولكن من هذه النقطة بالذات انبثق ضعف الجيش العراقى. حيث أخافت هذه القوة الضخمة صدام نفسه، وخشيته من أن تنقلب عليه وتطيح به، لذلك عمد إلى اتخاذ العديد من الخطوات الأمنية التى شلت قدرات الجيش، وأضعفت كفاءته القتالية، أخطرها اختيار القيادات على أساس الولاء الشخصى له وليس الكفاءة القيادية، مع كثرة وسرعة تغيير القادة، وتقييد تدريباته، حيث يعتقد صدام أن التعاون المطلوب بين قادة الجيش وكثرة اجتماعاتهم سيمنحهم الفرصة للتآمر عليه. لذلك يتوقع كثيرون حدوث حركات تمرد كثيرة بين صفوف الجيش عند بداية العملية العسكرية، وإن كانت الترتيبات تجرى حالياً لإدارة معركة دفاعية طويلة حول بغداد تشارك فيها فرق الحرس الجمهورى وفرق الجيش تتمثل فى عدة نطاقات دفاعية تحوى مواقع هندسية تضم خنادق ودشم مضادة للدبابات لعرقلة تقدم المدرعات الأمريكية نحو بغداد، ومنعها من عبور الأنهار بالاستعداد لنسف الجسور المؤدية إليها، وتشكيل قوات خاصة مدرعة تكلف بمهمة حصار وتدمير قوات الإبرار الخاصة الأمريكية والبريطانية، ومنع المفارز الأمريكية المدرعة من الاتصال بها.

- وفى إطار تشتيت جهود المخابرات الأمريكية سيعمد صدام إلى توزيع أشباهه فى أماكن متعددة، مع إجراء بث تلفزيونى مسجل من قبل لشخص صدام الحقيقى ليؤكد للشعب أنه لا يزال حياً وأنه يقود المقاومة ضد الأمريكيين. وفى حالة سيطرة الأمريكيين على التلفزيون والإذاعة العراقية، فإن صدام سيرتب مسبقاً بث هذه الأشرطة من قناة الجزيرة، كما فعل بن لادن ليشكك فى إمساك الأمريكيين به أو القضاء عليه، حتى وإن كان ذلك حقيقة.

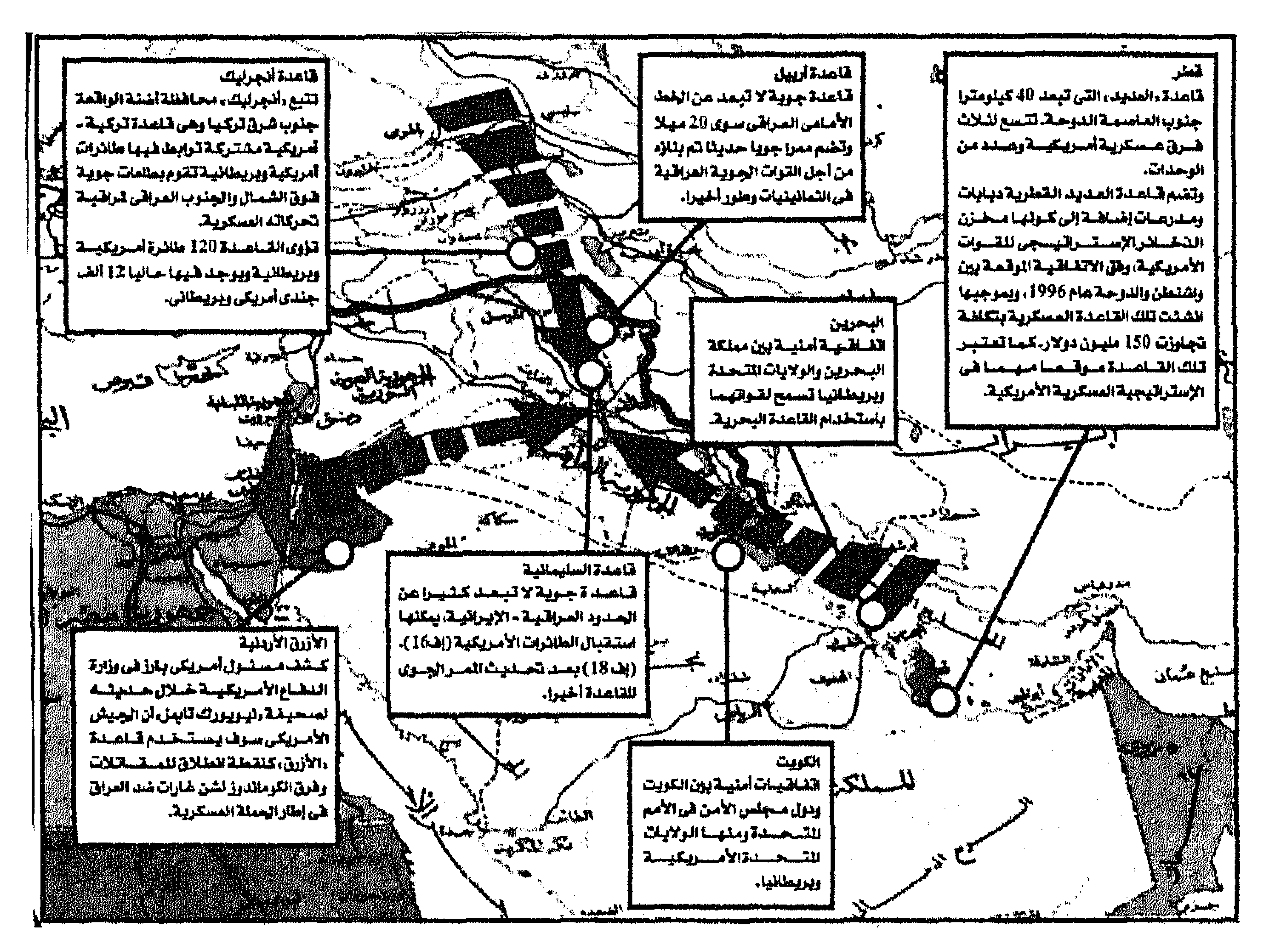
- وإذا شعر صدام أن الخناق قد أحكم عليه فمن المحتمل أن يلجأ لاستخدام ما أطلق عليه (سلاح الملاذ الأخير)، ويوجه ضربات صاروخية ذات رؤوس كيميائية وبيولوجية انتقامية ضد دول الخليج وتركيا والأردن، حيث العواصم وحقول ومنشآت النفط ومناطق تمركز القوات الأمريكية فى القواعد الجوية

والعسكرية. مع السعى إلى إحداث اضطرابات فى الأردن عن طريق تفجيرات وأعمال عنف لإغراق الأردن فى الفوضى بحيث لا يعود ساحة لانطلاق القوات الأمريكية منه. كما سبق لصدام أن هدد قطر بتوجيه ضربات ضدها إذا سمحت للأمريكيين باستخدام قاعدة العديد. وقد أجرى صدام تحالفات مع قوى (الأمر الواقع) من جماعة برزانى وطالبانى، إضافة إلى الإسلاميين المتشددين فى المنطقة الكردية، وذلك لإشعال نيران حرب داخلية متعددة الأطراف بين الفصائل الكردية وعناصر أخرى موجودة هناك، بحيث يفقد شمال العراق أهليته كنقطة انطلاق لهجوم أمريكى. وقد يعلن صدام بنفسه عندما يتأكد أن الحرب أصبحت وشيكة أنه يملك سلاح نووى وأسلحة أخرى كيميائية وبيولوجية، وأنه سيضطر إلى إغراق منطقة الخليج بها إذا ما أقدمت الولايات المتحدة على غزو العراق. حيث يعتقد صدام أنه بالكشف عن إمكاناته الحقيقية من أسلحة الدمار الشامل، يمكنه أن يردع الولايات المتحدة عن المضى فى خططها ضده، ويشكل ضغوطاً داخلية وخارجية على بوش. ولكن على العكس من ذلك فقد يعزز ذلك موقف بوش فى ضرورة الإطاحة بصدام، خاصة وأن صدام كان له موقف مماثل فى إبريل ١٩٩٠ عندما هدد بإحراق نصف إسرائيل بالكيميائى المزدوج.

- وسيسعى صدام من خلال عملائه فى الأردن إلى إشعال الجبهة الأردنية-الإسرائيلية، ولهذا أخضع عناصر خاصة عراقية وفلسطينية للتدريب على حرب العصابات وعمليات الاغتيال والتخريب. هذا مع احتمال توجيه عدة هجمات صاروخية ضد المدن الإسرائيلية لتشتيت جهود القوات الأمريكية، وتحريك الرأى العام العربى لصالحه، وهو ما قد يدفع إسرائيل إلى توجيه ضربة انتقامية ضد العراق - ربما تكون نووية إذا ما استخدم صدام رؤوس صاروخية كيميائية أو بيولوجية ضد إسرائيل. وقد لا يستجيب شارون للضغوط الأمريكية التى ستستهدف إبعاد إسرائيل عن ساحة الحرب، اكتفاء بما تقوم به القوات الأمريكية والبريطانية، وهو ما يهدد باتساع نطاق الحرب. كما أجرى النظام العراقى تدريبات لشن هجمات جوية انتحارية بواسطة بعض الطيارين ضد القواعد الأمريكية وحاملات الطائرات فى منطقة الخليج.

- ويراهن صدام أيضاً على إحداث خسائر بشرية جسيمة فى القوات الأمريكية، يتم تضخيمها إعلامياً بهدف إشعال الرأى العام الأمريكى، ودفعه للضغط على الإدارة الأمريكية لإيقاف حملتها العسكرية ضد العراق، وفى هذا الصدد من المتوقع أن تلعب قناة الجزيرة دوراً بارزاً كبديل عن التلفزيون العراقى الذى سيكون فى الأغلب تحت سيطرة الأمريكيين. حيث يعتقد صدام أن ما لا تكسبه الجيوش فى ميادين المعارك يمكن أن يكسبه من خلال الإعلام الموجه، وتأثيره على الشعوب التى يمكن أن تنخدع وتضغط على حكوماتها لصالحه.

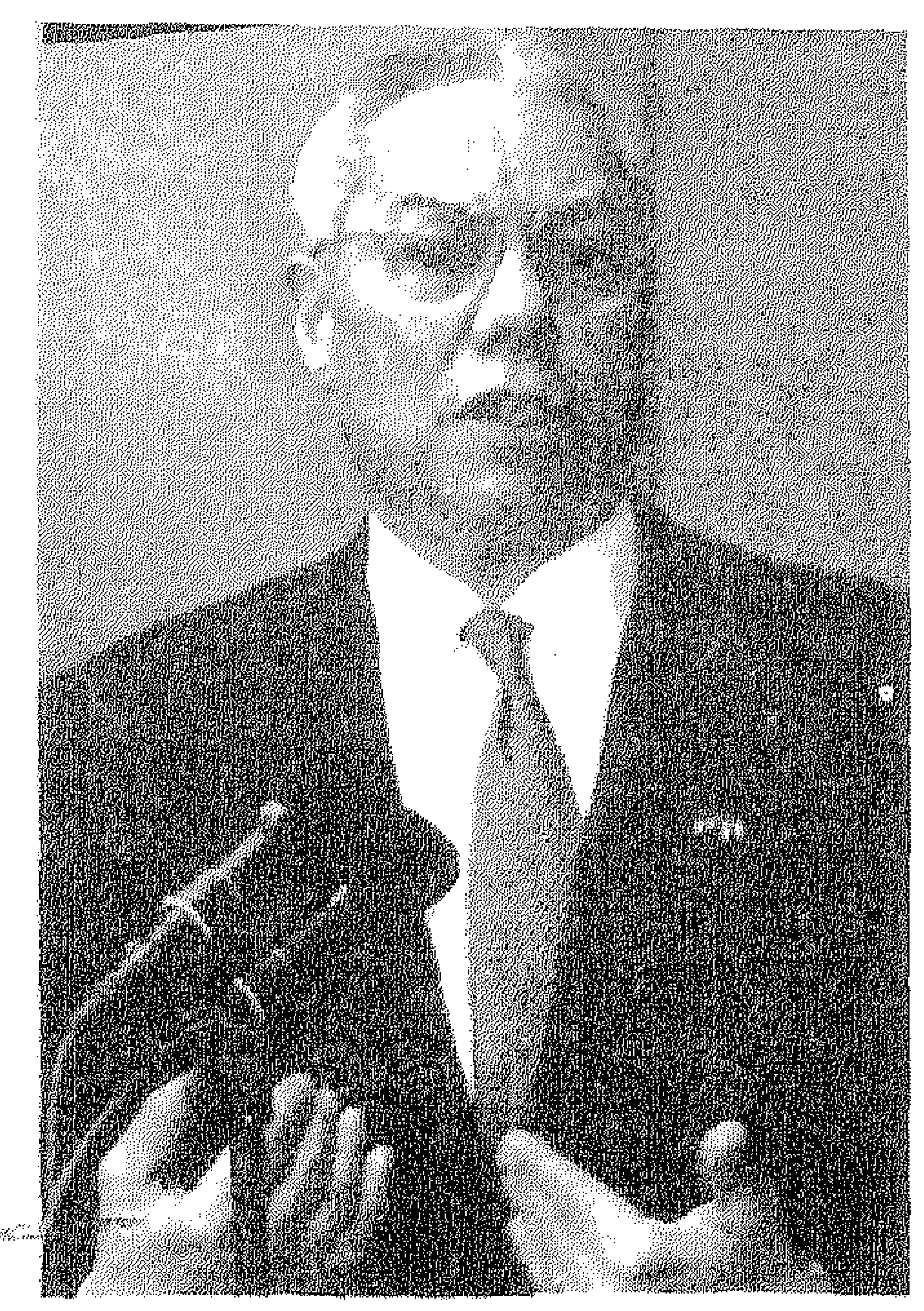
التوقعات المستقبلية



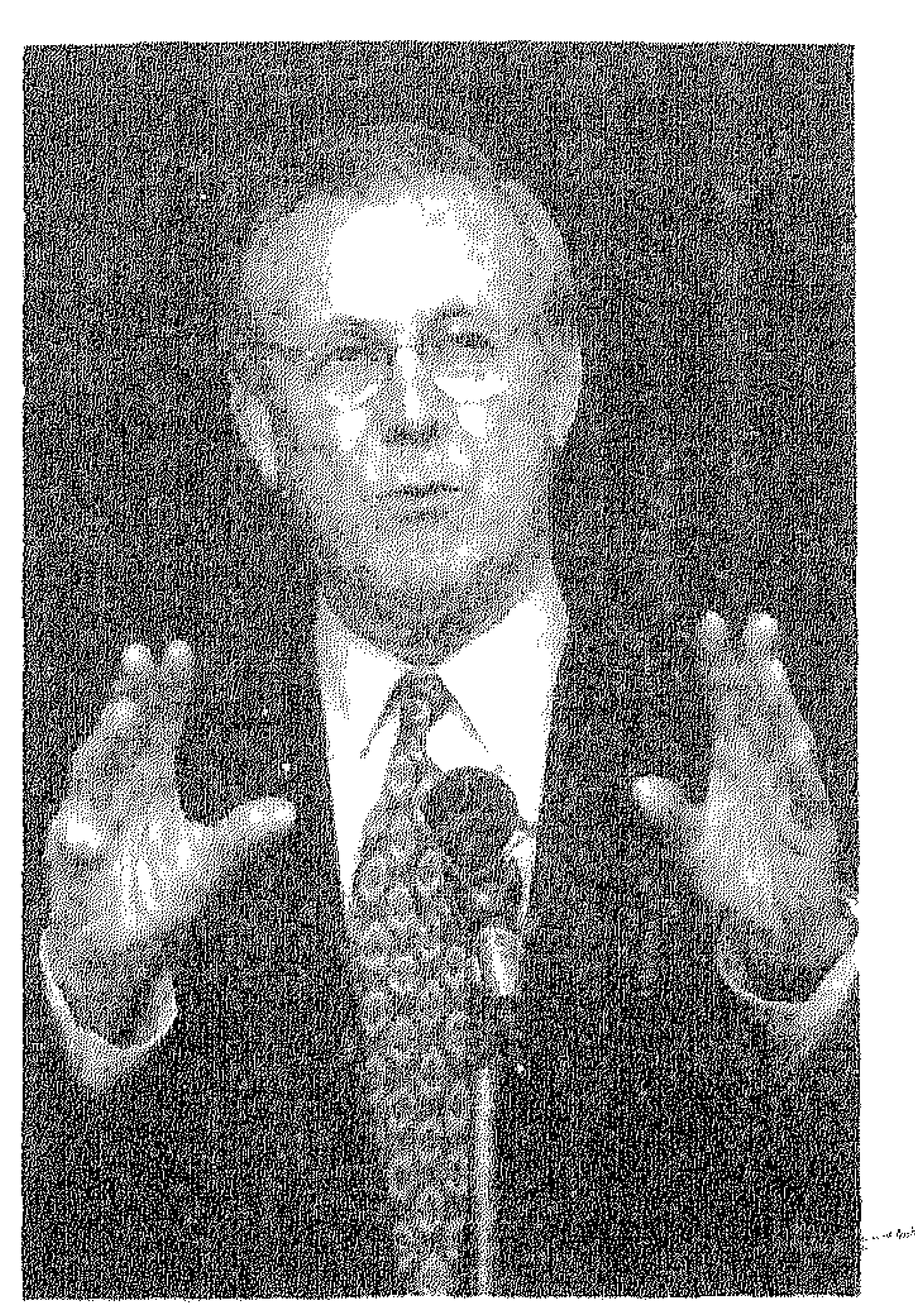
اتجاهات الضربة الأمريكية المتوقعة ضد العراق



أركان الإدارة الأمريكية فى صنع قرار الحرب



كولن باول.



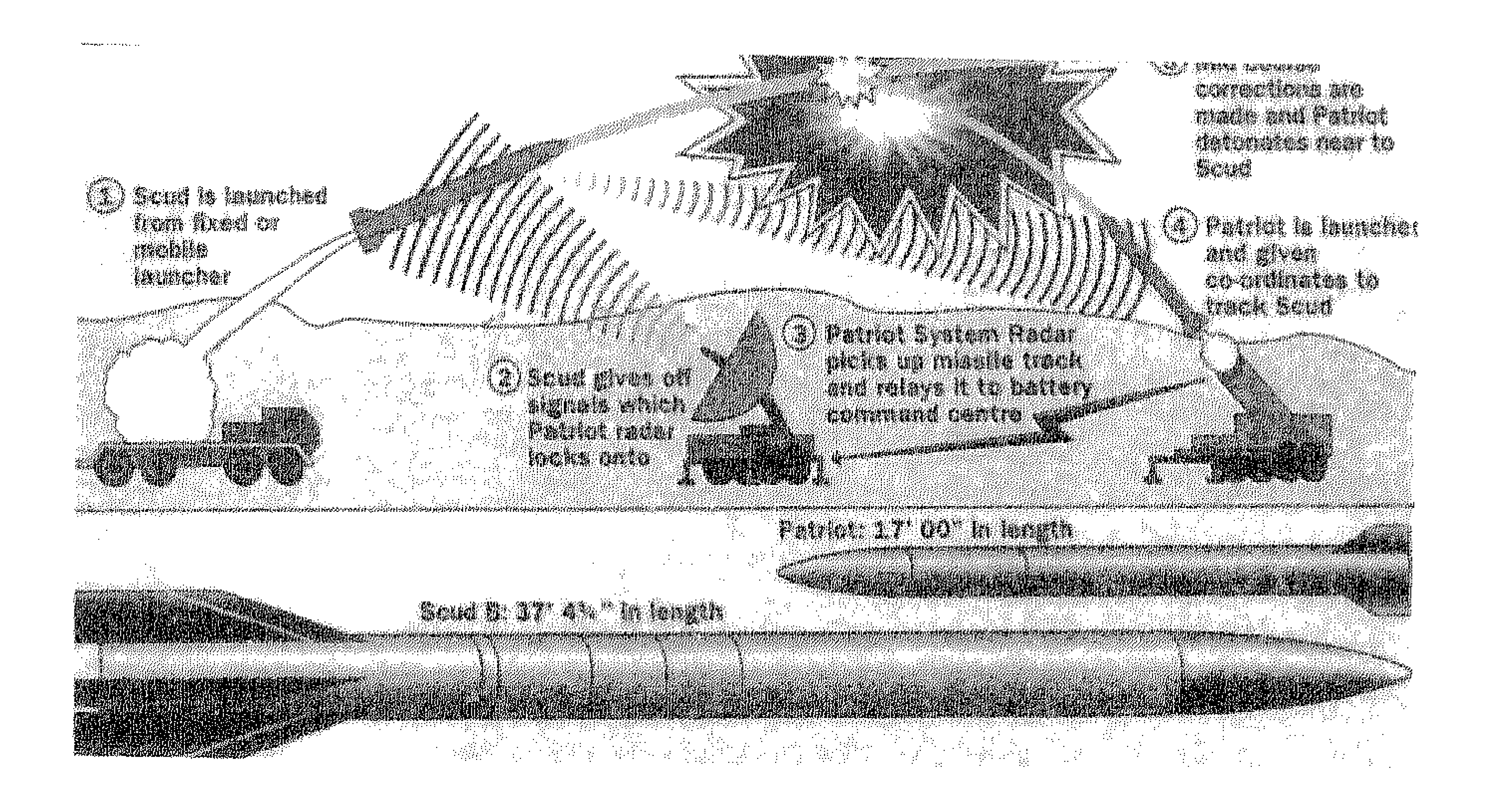
دونالد رامسفيلد.



تابع أركان الإدارة الأمريكية فى صنع قرار الحرب



من افتتاح مؤتمر الضباط المعارضين في لندن. («الحياة»)



فكرة تصدى صواريخ الدفاع الجوى (باتريوت) للصواريخ (سكود)

هـ - لماذا المعارضة العربية للعملية العسكرية الأمريكية

- لقد أعلنت جميع الدول العربية بلا استثناء، بما فيها الكويت التى تعرضت للغزو والاحتلال العراقى سبعة أشهر عام ١٩٩٠، معارضتها للعملية العسكرية الأمريكية ضد العراق. وليس ذلك حرصاً على نظام صدام حسين أو حباً فيه، فهذا النظام لا يستحق أن يذرف عليه الدمع بالنظر للجرائم العديدة التى ارتكبها فى حق شعبه وحق جميع الدول العربية بلا استثناء، ولكن تأتى معارضة الدول العربية من كراهيتها ورفضها للسياسة الأمريكية المنحازة بشكل مطلق لإسرائيل على حساب الشعب الفلسطينى والمصالح العربية، ومن حرصها على العراق وشعبه الذى يعانى من شظف العيش وانعدام الأمن منذ أكثر من ٣٤ سنة عندما تولى حزب البعث برئاسة صدام حسين حكم العراق. وما حدث خلال هذه السنين من حروب ومغامرات عسكرية كبَّدت شعب العراق أكثر من مليون فرد بين قتيل ومصاب ومفقود وأسير، وخسائر مادية تقدر بأكثر من ٥٠٠ مليار دولار، وحولته إلى أفقر دولة فى الشرق الأوسط. وبالتالى فإن هذا الشعب أصبح فى وضع لا يجعله يتحمل المزيد من المعاناة التى ستسببها العملية العسكرية الأمريكية القادمة، وما ستحدثه من قتل وخراب ودمار ليس فقط على صعيد الجيش العراقى، ولكن أيضاً على صعيد الشعب العراقى وبنيته الأساسية، حيث تقدر الدوائر الأمريكية أن الفاتورة النهائية لإعادة بناء العراق تصل إلى حوالى ٣٠٠ مليار دولار، كما سيحتاج الشعب العراقى بعد زوال حكم صدام إلى مساعدات تصل إلى ١٧ مليار دولار على خمس سنوات.

- السبب الثانى للمعارضة العربية، يتمثل فى التخوف من احتمال قيام صدام بواسطة ما يمتلكه من صواريخ أرض/أرض وأسلحة دمار شامل، أن يوجه هجمات انتقامية بواسطة الصواريخ المحملة بهذه الأسلحة ضد أهداف إستراتيجية فى دول الخليج العربية المحيطة به. وهو ما كشف عنه حسين كامل صهر صدام ومسئول الصناعات الحربية - عندما كان هارباً فى الأردن عام ١٩٩٥، وما يمكن أن تحدثه هذه الأسلحة من إبادة جماعية للبشر وخراب فى مرافق البنية الأساسية لدول الخليج العربية، خاصة وأن صدام حسين لم يتورع عن استخدام هذه الأسلحة ضد إيران فى حرب الثمانى سنوات، وفى حلبجة ضد الأكراد فى عام ١٩٨٨، وضد انتفاضة مدن الجنوب العراقية فى مارس ١٩٩١.

- كما تخشى الدول العربية من حالة الفوضى التى قد تسود العراق وتنسحب بالتالى على باقى بلدان المنطقة أثناء وبعد العملية العسكرية، خاصة فى شكل موجات من اللاجئين العراقيين التى يتوقع أن تتدفق على السعودية والكويت والأردن وسوريا وإيران وتركيا، وهو ما جعل تركيا تجتاح بقواتها شمال العراق عدة مرات طوال السنوات الماضية بزعم مطاردة فلول حزب العمال الكردستانى الانفصالى، وستشجعها الضربة القادمة ضد العراق على تكرار ذلك، وتتمثل خطورة هذا الأمر فيما تطمع فيه تركيا من بسط سيطرتها على هذه المنطقة من شمال العراق، بدعوى إقامة حزام أمنى وحماية الأقلية التركمانية، فى حين أن أنقرة لا تخفى أطماعها فى محافظة الموصل وكركوك بسبب

مواردها النفطية، وذلك تحت مزاعم تاريخية بأن لواء الموصل كان فى الماضى جزءً من الدولة العثمانية.

- هذا بالإضافة للغموض الذى يكتنف مستقبل العراق فى مرحلة ما بعد صدام، خاصة فيما يتعلق بطبيعة النظام الذي سيسيطر عليه، وسيكون بالطبع موالياً للولايات المتحدة، ومدى تأثير ذلك على إيران. هذا بالإضافة للتخوف من احتمالات تقسيم العراق عرقياً وطائفياً إلى ثلاث دويلات كردية فى الشمال، وسنية فى الوسط وشيعية فى الجنوب، قد تسعى للانضمام إلى الوطن الأم فى إيران. وهو ما تعارضه الدول العربية وكذلك تركيا، لما له من تأثيرات سلبية عليها بالنظر لوجود أقليات عرقية وطائفية عديدة ذات دعاوى انفصالية فى هذه الدول. وتزداد المخاوف العربية من الصراعات الداخلية التى قد تسود العراق، وتصفية الحسابات القديمة بين أنصار نظام صدام ومعارضيه، سواء فى الجيش أو فى القبائل والعشائر، أو بين المعارضين فى الداخل والمعارضين القادمين من الخارج، لاسيما وأنه يوجد أكثر من ثلاثة ملايين عراقى فارين من النظام الصدامى فى الخارج سيعودون إلى العراق، يعكسون تيارات سياسية متباينة، وما قد يترتب على ذلك من فوضى شاملة قد تصل إلى حرب أهلية كما يحدث فى أفغانستان اليوم، ستؤثر بالقطع على أمن واستقرار باقى دول المنطقة.

- ناهيك عما سيسببه انتصار الولايات المتحدة فى العراق من تزايد نفوذها فى منطقة الخليج والشرق الأوسط بشكل عام، وانعكاس ذلك على زيادة ضغوطها على الدول العربية لتلبية متطلبات السياستين الأمريكية والإسرائيلية، وهى فى الواقع سياسة واحدة تسعى إلى إخضاع الدول العربية للإرادة الأمريكية والإسرائيلية، وتطويعها بما يتفق والمصالح الأمريكية والإسرائيلية. وقد يشجع سقوط النظام الصدامى الولايات المتحدة ويفتح شهيتها على إسقاط أنظمة سياسية عربية وإسلامية أخرى فى المنطقة لا توافق على الخضوع للإرادة الأمريكية مثل سوريا وإيران وليبيا، وبما يكرس الهيمنة الأمريكية على منطقة الشرق الأوسط .. فقد كانت البداية إسقاط نظام طالبان والإمساك ببن لادن والملا عمر فى أفغانستان - وهو ما فشلت فيه الولايات المتحدة حتى اليوم، ثم عرفات التى تطالب الإدارة الأمريكية وإسرائيل باستبعاده، واليوم الدور على صدام حسين، ولابد أن الدور سيأتى بعد ذلك على آخرين من القادة العرب والمسلمين، وما أكثر المبررات الذرائع التى ستلجأ إليها واشنطن.

الخاتمة:

- لا جدال فى أن صدام حسين ونظامه مسئولون مسئولية كاملة عما آلت إليه أوضاع الشعب والجيش العراقيين من تدهور وتخلف على كافة الأصعدة والمستويات، فهو الذى دفع ببلاده وبالمنطقة إلى أتون الحروب وأجهز على ما فيها من مقدرات بشرية ومادية ومعنوية وهو بذلك قدَّم أجلّ الخدمات لأعداء الأمة العربية والإسلامية سواء بالوعى أو باللاوعى، كما أنه لا جدال فى أن التخلص منه سيحظى بارتياح كبير عند الشعب العراقى وشعوب المنطقة. ولكن ما يثير قلقنا وارتيابنا هو انفراد الولايات

المتحدة بتحديد كيفية إسقاط صدام، ونوع النظام الذى سيخلفه. وقد لا نبالغ إذا قلنا أن نوع وطبيعة النظام الذى سيخلف صدام، أمر لا يقل خطورة على أمن دول المنطقة من عملية إسقاط نظام صدام نفسها، فحتماً لن يقبل العراقيون أن تصنع أمريكا زعيماً آخر فى العراق من جلاديه الفارين بعد كل الدماء التى سفكوها والحرمات التى انتهكوها إبان وجودهم فى السلطة مع صدام، خاصة وأن الأسماء المرشحة لخلافة صدام كانت ضمن رموز السلطة وحزب البعث فى العراق .. مثل الفريق نزار الخزرجى رئيس الأركان السابق، واللواء وفيق السامرائى مدير الاستخبارات العسكرية، والعميد نجيب الصالحى قائد إحدى الفرق فى الجيش. فقد أثبتت التجارب أن المواقف الأمريكية عرضة للتقلب تبعاً للأهواء والمصالح السياسية الأمريكية، خاصة المصالح الانتخابية، وما يهم الإدارة الأمريكية حالياً هو القضاء على الخطر الذى يشكله نظام صدام على مصالحها بعد أن انتهى دوره فى خدمتها، كما انتهى من قبل دور شاه إيران ودور ماركوس الفلبين، وليس الحرص على إقامة نظام وطنى عادل فى العراق، بدليل أن واشنطن التزمت الصمت حيال جرائمه الوحشية فى العراق طيلة عقود زمنية ثلاث، خاصة وأن قواتها فى الخليج لم تفعل شيئاً لمنع صدام بعد هزيمته من سحق الانتفاضة الشعبية فى مارس ١٩٩١ بعدما سيطر الثوار على ثلثى العراق وكانوا من سقوط صدام قاب قوسين أو أدنى. وهو ما يفرض على قوى الشعب العراقى فى الداخل والقادمة من الخارج أن تعى كل هذه الحقائق، ولا تسمح للولايات المتحدة أن تفرض عليها رئيساً صناعة أمريكية، وتصر على إجراء انتخابات حرة لاختيار ممثلى الشعب العراقى بكل فئاته وطوائفه لتشكيل برلمان يتولى من داخله انتخاب رئيس للعراق ينقل البلاد من حالة الفوضى والتردى التى تسودها إلى بر الأمان.

- ورغم كل هذه التقديرات والاحتمالات والتوقعات، فمن المؤكد أن الحرب القادمة فى العراق ستحمل من المفاجآت العديدة ما لا قد يتوقعه أحد، فقد يفاجئ صدام العالم بإعلان تنحيه عن الحكم لصالح ابنه قصى، وهو ما يعنى فى المحصلة استمرار الصدامية بدون صدام وهو ما لن ينطلى على أحد. وقد يكون من هذه المفاجآت أيضاً سرعة وسهولة انهيار نظام صدام حسين واستسلام جيشه بلا شروط، بل وانقلابه على النظام، وكذلك عشائر العراق وتجمعات شعبه. ومن المفاجآت المتوقعة أيضاً أن يقود أحد المقربين جداً من صدام انقلاباً نشاهد فيه الشعب العراقى يسحل صدام حسين وأركان نظامه، كما سحل من قبل نورى السعيد والأمير عبد الإله، وعبد الكريم قاسم .. وغيرهم كثيرين؟!

بسم الله الرحمن الرحيم
سري للغاية وشخصي وعلى الفور

قيادة فرقة المشاة الثامنة عشر
الاركان العامة
الاستخبارات
العدد / أس/ ٢ / أم المعارك / ٥
التاريخ رجب ١٤١١ هـ
١١ شباط ١٩٩١

الى / لواء المشاة ٩٤
لواء المشاة ٩٥
لواء المشاة ٤٢٢
لواء المشاة ٧٠٤
مدفعية فق ١٨
الدفاع الجوي فق ١٨
كتيبة دبابات / ٧٠
كتيبة دبابات الفاروق
كتيبة هندسة ميدان / ١٨
ف ٣ لواء المشاة ٩٥
سرية أستطلاع فق ١٨
سرية مخابرة فق ١٨

الموضوع / توجيه

كتاب مديرية الاستخبارات العسكرية العامة سري للغاية وشخصي وعلى الفور ١٤٨٢ في ٧ شباط ١٩٩١ المبلغ الينا بكتاب قيادة الفيلق الثالث (أس) سري للغاية وشخصي وعلى الفور ١١٧ في ٧ شباط ١٩٩١.

تقضي التوجيهات العليا مايلي :-

(عند القيام بأي عمل بسري في المستقبل أن شاء الله كالنفوذ والدوريات على مواضع العدو يجري أخلاء أي مواطن عمره (٤٠) أربعون سنة فما دون من أرض العدو وداخل أراضينا قسراً سواء كان من العسكريين أو المدنيين وبعدها يتم التعرف على هويته في الداخل)
يعتبر ضباط الاستخبارات مسؤولون عن تنفيذ التوجيه أعلاه حرفياً .
نرجو أتخاذ مايلزم .

المقدم الركن
حسين شهاب أحمد
ع/ قائد فرقة المشاة الثامنة عشر
رجب ١٤١١ هـ
شباط ١٩٩١ م

نسخة الى //-
قيادة فق ١٨ (الحركات) للاطلاع .

(١)

وثيقة تثبت أوامر النظام الصدامي باعتقال كل كويتي عمره (٤٠) سنة فما دون

امة عربية واحدة   ذات رسالة خالدة

حزب البعث العربي الاشتراكي
مكتب تنظيم الجنوب

العدد / ش/٩٧
التاريخ / ٦/ رمضان /١٤١١ هـ
٢٢/ ٢/ ١٩٩١ م

الى / الرفيق امين سر قيادة فرع ميسان / نائب قائد المنطقة الجنوبية المحترم
الرفيق محافظ ميسان / المحترم.

الموضوع / حجز عناصر

لجنة رقابية

- تقرر حجز (٧٥٠) عنصراً (لديكم بشكل وقتي) من الذين تم القاء القبض عليهم في محافظة الكويت ، سوف يصلونكم الساعة الواحدة من ظهر يوم غد الى معسكر الجيش الشعبي في ميسان .

- يتم تهيئة اماكن حجزهم (ضمن الجيش الشعبي وأية اماكن أخرى ترونها مناسبة) ويعاملون معاملة الاسرى مع التأكيد على تشديد الحراسات المسلحة .

- يتم نشرهم على امرية الموقع في محافظتكم (من حيث الارزاق وغيرها)

- يتم تأمين الحراسة من قبل :

أ - الجيش الشعبي
ب - آمرية الموقع
ج - مديرية شرطة المحافظة
د - يمكن الاستعانة بالاجهزة الاخرى

- يتم تشكيل لجنة للاشراف على المحجوزين وتوفير مستلزماته من :

١ - السيد آمر الموقع

(١ - ٢)

وثيقة ثالثة تثبت حجز النظام الصدامى لـ (٧٥٠) كويتى آخرين فى ٢٢/ ٢/ ١٩٩١

ز - اية جهة اخرى ترى الرفيق الحافظ والرفيقان اخيننا سرتح في البصرة ومدينة المدن الصحية في اضافتها الى اللجنة العلاقة؟

للنهوض بالاطلاع دائماً بالتزام

ودمتم للعقيدة والنضال

[signature]

الرفيق

عبد الغني عبد الغفور

عضو القيادة القطرية

قائد المنطقة الجنوبية للبصرة

٢٠/٦/١٩٩١

نسخة منه الى /

الرفيق علي حسن المجيد / عضو القيادة القطرية المحترم / للتفضل بالاطلاع واشارة الى ما تم طرحه قبل تشكيل الاستخبارات حول الموضوع ١٣ التقدير

حزب البعث العربي الاشتراكي
مكتب تنظيم الجنوب

امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة

العدد / ش / ٩٩
التاريخ / ٦ / شعبان / ١٤١١ هـ
٢٢ / ٠٢ / ١٩٩١ م

الى / الرفيق امين سر قيادة فرع البصرة / نائب قائد المنطقة الجنوبية المحترم
الرفيق امين سر قيادة فرع مدينة الصدر / نائب قائد المنطقة الجنوبية المحترم
الرفيق محافظ البصرة المحترم

الموضوع / حجز عناصر

تحية رفاقية

- تنسيب حجز (٥٠٠) عنصراً (لديكم بشكل وقتي) من الذين تم القاء القبض عليهم في منطقة الكويت. سوف يصلونكم الساعة العاشرة من مساء هذا اليوم الى معسكر الجيش الشعبي في اي صخير. ربما
- تم تهيئة اماكن حجزهم (ضمن الجيش الشعبي وان لم تكن اماكنها جيدة تروها مناسبة) وضمان معاملة الاسرى مع التأكيد على تشديد الحراسات المسلحة.
- يتم نشرهم على ابنية الموقع في محافظتكم (من حيث الادارة وغيرها)
- يتم تأمين الحراسة من قبل :-
  أ- الجيش الشعبي
  ب- آمرية الموقع
  ج- مديرية شرطة المحافظة
  د- يمكن الاستعانة بالاجهزة الاخرى.
- يتم تشكيل لجنة للاشراف على الحجز وتوفير مستلزماته من :-
  أ- العميد الركن رئيس اركان القيادة الجنوبية للجيش الشعبي
  ب- السيد آمر موقع البصرة
  ج- مدير الامن في المحافظة
  د- ممثل الاستخبارات العسكرية في المحافظة
  هـ- ممثل جهاز المخابرات في المحافظة
  و- مدير شرطة المحافظة

(١ — ٢)

وثيقة أخرى تثبت احتجاز النظام الصدامى لـ ٥٠٠ كويتي في فبراير ١٩٩١

ب- ممثل الجيش الشعبي في المنطقة

جـ- مدير الامن في المنطقة

د- ممثل الاستخبارات العسكرية في المنطقة

هـ- ممثل جهاز المخابرات في المنطقة

و- مدير شرطة المنطقة

ز- اية جهة اخرى يرى رئيس المنطقة الرئيسية امين سر الفرع اهمية في اضافتها الى اللجنة اعلاه

للتفضل بالاطلاع واتخاذ ما يلزم

ودمتم للعقيدة والنضال

الرفيق

عبد الغني عبد الغفور

عضو القيادة القطرية

قائد المنطقة الجنوبية للجيش الشعبي

٢٢ / ٢ / ١٩٩١

نسخة منه الى /

الرفيق علي حسن المجيد / عضو القيادة القطرية المحترم / للتفضل بالاطلاع اشارة الى ما تم طرحه من قبل منظومة الاستخبارات حول الموضوع مع التقدير

عدي صدام حسين يطلب بخط يده نقل مطبعة النادي العلمي الكويتي إلى العراق

عدي صدام حسين

موافق على نقلها ونقل ملكيتها كذلك ٥ للجنة الاولمبية

الرفيق

١٩٩٠/١٠/٧

العم علي الحسن المحترم:

تحية خالصة:

وبعد؛

في الوقت الذي ابعث به اليك بالتهاني بـ(الكويت؟) الخالصة المعطرة.
بكامل المحبة من ابن عمك مع آزر وشد من ازر ... الحبيب
في مثل هذه الظروف الصعبة.

فهنالك مطبعة مالكة الى نادي يعرف بالنادي العلمي، ولما كانت اللجنة الاولمبية العراقية في امس الحاجة لكونها تمتلك جريدة خاصة بها وابقيت هذه الجريدة بامر الرئيس القائد مع الاربعة صحف الاستثنائية وانلاق الـ«85» صحيفة المختلفة الباقية، فقد ارسلت في طلب هذه المطبعة واعلمونا من هنالك في محافظتنا بانه ليس بالامكان سحبها الا بامر من شخص مسؤول فعند ذلك ارسلت مجموعة من المهندسين لتفكيكها وارسالها الى بغداد في المرة الثانية الا ان المسؤول عن محافظتنا قال ان الاستاذ علي هو المسؤول فامرت اليوم بعدم تفكيكها حرصاً على العلاقة بك.

والرجاء هو المساعدة في هذا الموضوع خدمة للحركة الرياضية علماً يا عمي العزيز انها ستكون ملكاً للجنة الاولمبية العراقية وليس لشخص مستقل في الممتلكات الثابتة في وزارة المالية.

تقبل ... الخالص

99/10/5

الهوامش

(١) مقتطفات من أقوال صدام حسين - وزارة الإعلام العراقية عام ١٩٨٠، زهير الدجيلى - بيت العقرب، عبد الرازق الحسينى - (تاريخ العراق السياسى) - الأجزاء ١، ٢، ٣ ، أديث وآتى و إيف . بينروز - (العراق - دراسة فى علاقاته الخارجية وتطوراته الداخلية - ترجمة عبد المجيد حبيب القيسى . حديث صدام حسين مع سفراء العراق فى بلدان أوروبا الغربية واليابان فى ١٩٧٥/٦/١٢ - كتاب "السفاح" ص ١٠٢، ١٠٤، ١٠٥.

(٢) لواء وفيق السامرائى - (طريق الجحيم من العوجة إلى الكويت)، حسن علوى (العراق دولة المنظمات السرية)، وانظر أيضاً أنتونى كوردسمان فى كتابه (ما بعد العاصفة) ترجمة المشير عبد الحليم أبو غزالة.

(٣) لواء وفيق السامرائى - (حطام البوابة الشرقية)، كتاب (السقوط إلى الحضيض).

(٤) التقرير السياسى الصادر عن المؤتمر القطرى ببغداد ١٩٧٤ والمنشور فى كتاب (العراق الاشتراكى)، د. سليمان البشير (صدام بين الأقوال والأفعال)، مجلة الوسط ١٩٩٧/٧/٢٨، الأنباء الكويتية ١٩٩٥/٨/٢٣، (صدام حسين - السيرة الذاتية والحزبية)، (بيت العقرب) مصدر سابق، مجيد ضراوى - كتاب (العراق الاشتراكى).

(٥) عميد طه يس - صحيفة الجمهورية العراقية العدد ٨٦٦٥، محمد العباسى - السفاح بين العراق الذبيح والكويت الجريح ص ١٩٧.

(٦) مذكرات الفريق حردان التكريتى وزير الدفاع العراقى الأسبق - "كنا عصابة من القتلة واللصوص تتحرك خلف ميليشيات صدام للإعدام ص٥٦.

(٧) بيير مورو - "التعاون بين بغداد وتل أبيب" - باريس ١٩٩٢.

(٨) تيرى لا ليفة - بغداد-تل أبيب العلاقات السرية، خالدة عبد القهار - سكرتير صدام تتكلم ص١١٧ - الزهراء للإعلام العربى، مجلة "الشهيد" العدد ١١٨ فى ١٩٨٤/٤/١٨ حول حديث صدام مع عضو الكونجرس ستيفان سولرز عن حق إسرائيل فى قيام دولتها، وكذلك العدد ٤٧.

(٩) التعاون بين بغداد وتل ابيب - مصدر سابق.

(١٠) الانتفاضة واستغلالها - الأنباء ٢٠٠١/١٢/١٢.

(١١) صحيفة الأوبزرفر البريطانية فى ٢٠٠٠/٥/٢١

(١٢) بول فندلى - "من يجرؤ على الكلام" - نيويورك.

(١٣) بيت العقرب - مصدر سابق، أنور محمد - "الأزمة" ص٥٦، "صدام حسين النشأة والتاريخ والجريمة"، برزان التكريتى - محاولات اغتيال صدام حسين ص١٣٩ - الدار العربية - بغداد ١٩٨٢، زهير الخالدى - "أيام من حياة صدام حسين" - الشئون الثقافية - بغداد ١٩٨٧.

(١٤) وفيق السامرائى - حطام البوابة الشرقية - مصدر سابق ص٤٦.

(١٥) وفيق السامرائى - طريق الجحيم من العوجة إلى الكويت - ص٢٧٨.

(١٦) بغداد-تل أبيب .. العلاقات السرية - مصدر سابق، فيلكس رودريجز (المحارب الخفى)، محمد العباس - لماذا يعرقل عون الجهود العربية لحل المشكلة اللبنانية - صحيفة الحقيقة فى ١٩٩٠/٧/١٥ ص٦.

(١٧) وفيق السامرائى - حطام البوابة الشرقية - مصدر سابق.

(١٨) بغداد-تل أبيب .. العلاقات السرية - مصدر سابق، السفاح - مصدر سابق ص٢٠٦.

(١٩) عادل حمودة - "يوم قرر صدام التخلص من عبد الناصر" - الأهرام ٢٠٠١/٦/٣٠.

(٢٠) المصدر السابق فى (١٩).

(٢١) المصدر السابق فى (١٩).

(٢٢) أطماع العراق فى الكويت - الأنباء ٢٠٠٢/٢/٢٥، المصدر السابق فى (١٩)، وانظر أيضاً محمد نايف الغزى - تاريخ العلاقات السياسية بين الكويت والعراق - مركز البحوث والدراسات الكويتية ٢٠٠١.

(٢٣) بدر الدين أدهم - السقوط إلى الحضيض ص٤٨، د. حلمى القاعود - (هتلر الشرق وبلطجى العراق)، إبراهيم سعدة - صدام حسين وعصابة الأربعة - الزهراء للإعلام العربى، حطام البوابة الشرقية ص١٧١ - مصدر سابق.

(٢٤) حطام البوابة الشرقية - ص١٧٤.

(٢٥) اغتيال صدام حسين - ٤٣ - الدار الشرقية للنشر - القاهرة، عبد المنعم قنديل - الرجل الذى سرق دولتين - ص٣٦ - دار الصحوة للنشر، صدام حسين وعصابة الأربعة - مصدر سابق، سعيد عبد الخالق - قرصان الخليج ص٩٨ - الزهراء للإعلام العربى، جمال بدوى - أيام بغداد السوداء ص ١٣٢ - الزهراء للإعلام العربى.

(٢٦) السقوط إلى الحضيض - ص٥٦ - مصدر سابق، خطاب الرئيس مبارك فى معرض الكتاب فى ١/٩/١٩٩١، على منير (المؤامرة) ص٣٩، حطام البوابة الشرقية - ص٢١١.

(٢٧) السقوط إلى الحضيض ص٥٨ - مصدر سابق، المؤامرة ص٤٥ - مصدر سابق.

(٢٨) صدام حسين وعصابة الأربعة - مصدر سابق.

(٢٩) مجيد طراوى - العراق الاشتراكى، عبد العزيز نوار - العلاقات العراقية-الإيرانية - بيروت ١٩٧٤ ، الأهرام ١٩٧٢/٣/١٢، قضية الحدود فى الخليج العربى - مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام ١٩٧٨.

(٣٠) مزهر الديلمى - محطة الموت - ص١٢٣، طريق الجحيم من العوجة إلى الكويت ص١٤٤ مصدر سابق.

(٣١) مجلة (روز اليوسف) المصرية عدد ٣٠٢٤ فى ١٩٩٥/١٢/٢٥، فوزى أيوب - هؤلاء المرضى الذين يحكموننا - ترجمة فوزى أيوب طبيب بومدين الخاص - الوطن الكويتية فى ١٩٧٩/٢/٢٨، الصحة والسلطة - ترجمة إيمان يحيى - الأنباء الكويتية فى ١٩٩٢/١١/٢٥، خالد عمر بن ققة - اغتيال بومدين - الوهم والحقيقة - دار الغد العربى.

(٣٢) مذكرات الجنرال شوارسكوف، السفاح ص١٧٤، عبد المنعم سعيد - الأهرام فى ١٩٩٠/٨/٦.

(٣٣) أحمد الشايب - ديكتاتور على طريقة الشاكو ماكو - ص١٣٥ - مطبعة العروبة القاهرة، حطام البوابة الشرقية ص٤١، محمد عبد الواحد حجازى - صدام محنة الإسلام والتاريخ - الزهراء للإعلام، يحيى الخشاب (التقاء حضارتين) - النهضة العربية، سمير خليل - جمهورية الخوف - دار الإنسان للنشر.

(٣٤) السقوط إلى الحضيض - مصدر سابق، حطام البوابة الشرقية - مصدر سابق.

(٣٥) حطام البوابة الشرقية ص١٢٥، سعيد عبد الخالق - فرصان الخليج - الزهراء للإعلام، الغدر - وكالة الأنباء الكويتية (كونا)، كوردسمان - ما بعد العاصفة - مصدر سابق.

(٣٦) السقوط إلى الحضيض ص٤٨ - مصدر سابق.

(٣٧) حطام البوابة الشرقية ص٢٢١ مصدر سابق.

(٣٨) سفاح بغداد - مصدر سابق، المؤامرة - مصدر سابق، السقوط إلى الحضيض - مصدر سابق، فرصان الخليج - مصدر سابق، النهار اللبنانية ١٩٨١/٧/٥ و ١٩٨١/٧/٢٥.

(٣٩) أطماع النظام العراقى فى دول الخليج العربية - نخبة باحثين - مركز البحوث والدراسات الكويتية ٢٠٠١.

(٤٠) أطماع النظام العراقى فى دول الخليج العربية - مصدر سابق، حطام البوابة الشرقية ٣١٨، ٣٢٢ مصدر سابق.

(٤١) حطام البوابة الشرقية ص٢٤٢ مصدر سابق.

(٤٢) وودورد، بوب - القادة - ترجمة محمد برهوم - دار الكتب المترجمة ١٩٩١.

(٤٣) حطام البوابةالشرقية ص٢٦٣ مصدر سابق.

(٤٤) غازى القصيبى - أزمة الخليج : محاولة للفهم ص٢٧ - دار الساقى السعودية.

(٤٥) حطام البوابة الشرقية ص٢١٤، ٢١٥ - مصدر سابق.

(٤٦) حطام البوابة الشرقية ص٣٠٠ - مصدر سابق، أطماع النظام العراقى فى دول الخليج ص٥٣ مصدر سابق.

(٤٧) أطماع النظام العراقى فى دول الخليج ص٥٥ - مصدر سابق.

(٤٨) أطماع النظام العراقى فى دول الخليج ص٥٧ - مصدر سابق.

(٤٩) أطماع النظام العراقى فى دول الخليج ص٦٠ - مصدر سابق.

(٥٠) عبد المنعم سعيد - حرب الخليج والفكر العربى - دار الشروق، صدام حسين وعصابة الأربعة - مصدر سابق.

(٥١) د. سليمان البشير - صدام بين الأقوال والأفعال ص٢١-٥٥ - الزهراء للإعلام العربى.

(٥٢) أطماع العراق فى الكويت - الأنباء ٢٠٠٢/٢/٢٥، محمد نايف الغزى - تاريخ العلاقات السياسية بين الكويت والعراق - مركز البحوث والدراسات الكويتية ٢٠٠١، حطام البوابة الشرقية ص٢٢٤ مصدر سابق، الفريق الركن خالد بن سلطان - مقاتل من الصحراء ص١٨٩ - شركة الإعلانات الشرقية، صدام حسين وعصابة الأربعة - مصدر سابق، أزمة الخليج ومحاولة للفهم ص٢٥ - مصدر سابق.

(٥٣) ترسيم الحدود الكويتية-العراقية ص١٣٨ - لجنة من المختصين - مركز البحوث والدراسات الكويتية، الصحف العراقية فى ٢٠٠٠/٧/٢٧، حطام البوابة الشرقية ص٢٢٤ - مصدر سابق.

(٥٤) المؤامرة ص٧٣ - مصدر سابق، حطام البوابة الشرقية ص٢٢٤ - مصدر سابق.

(٥٥) المؤامرة ص٨٣ - مصدر سابق، إبراهيم نافع - الفتنة الكبرى ص٣٥ و ١٠٩ - مركز الأهرام للترجمة والتوزيع.

(٥٦) أزمة الخليج ومحاولة للفهم ص٢٧ - مصدر سابق.

(٥٧) حطام البوابة الشرقية ص٢٢٥ - مصدر سابق.

(٥٨) عدوان على العقل - مركز البحوث والدراسات الكويتية، عقيد محمد عبد اللطيف الهاشم - ملاحم يوم الفداء - مطابع الرسالة بالكويت.

(٥٩) حطام البوابة الشرقية ص٢٢٦،٢٢٥ ، ٢٣٥ - مصدر سابق، القبس فى ١٩٨٧/١٠/٢٣ - طريق الجحيم من العوجة إلى الكويت - وفيق السامرائى، عبده زايد - صدام حسين والصعود إلى الهاوية ص٨٨، السيرة الدموية لصدام حسين - ص٣ - مجلة (المجلة) العدد ٥٥٠ فى ١٩٩٠/٨/٢٢.

(٦٠) الصحف العراقية فى ١٩٩٠/٨/٢، ١٩٩٠/٨/٤، ١٩٩٠/٨/٥، ١٩٩٠/٨/٧، ١٩٩٠/٨/٨، ١٩٩٠/٨/١٠، ١٩٩٠/٨/٢٢، سعد البزاز - حرب تلد أخرى.

(٦١) البركان ص١٩٧ - مصدر سابق، حطام البوابة الشرقية ص٢٢٧ - مصدر سابق.

(٦٢) تقدير الأضرار الناتجة عن الغزو العراقى لدولة الكويت - الهيئة العامة لتقدير التعويضات، تقرير أوضاع حقوق الإنسان فى الكويت إبان الاحتلال العراقى، أعده Walter Kalin المبعوث الخاص للأمم المتحدة لحقوق الإنسان.

(٦٣) العميد حسين عيسى مال الله - أسرى الكويت ومسئولية العراق الدولية، غازى فيصل الربيعان - أسرى الكويت ومصارعة السوء.

(٦٤) أسرى العراق ومسئولية العراق الدولية - مصدر سابق.

(٦٥) من سرق الكويت - قراءة فى الوثائق العراقية - مركز البحوث والدراسات الكويتية ٢٠٠٠.

(٦٦) من سرق الكويت - قراءة فى الوثائق العراقية - مركز البحوث والدراسات الكويتية ٢٠٠٠، تقدير الأضرار الناتجة عن الغزو العراقى - مصدر سابق، وكالات الأنباء فى ١٩٩٠/٨/١٤، البركان ص ١٩٧ - مصدر سابق، حطام البوابة الشرقية ص٢٢٧ - مصدر سابق.

(٦٧) أسرى الكويت ومسئولية العراق الدولية - مصدر سابق، وثائق الأسرى - مركز البحوث والدراسات الكويتية، أسرى الكويت ومصارعة السوء - مصدر سابق، د. على الدمخى - كويتى تحت الاحتلال ص٢٧٢- مطبعة دبى، مقاتل من الصحراء ٤٩٦ - مصدر سابق.

(٦٨) د. طلعت منصور - دروس وتساؤلات فى مأساة العدوان العراقى على الكويت - مركز الإعلام الكويتى فى القاهرة، أحمد الشيبانى - المستقبل والنكسات الأربع - الرياض فى ١٩٩١/٢/٢٤.

(٦٩) تدمير آبار النفط الكويتى - حقائق من الوثائق العراقية - مركز البحوث والدراسات الكويتية ١٩٩٦، حطام البوابة الشرقية ص٢٨٤.

(٧٠) حطام البوابة الشرقية ٢٧٤ - مصدر سابق.

(٧١) حطام البوابة الشرقية ٢٧٤ - مصدر سابق.

(٧٢) تقدير حجم الخسائر التى لحقت بالاقتصاد الكويتى من جراء الغزو العراقى - الهيئة العامة لتقدير التعويضات عن خسائر العدوان العراقى - كلية العلوم الإدارية - جامعة الكويت يناير ١٩٩٩.

(٧٣) حطام البوابة الشرقية ص٢٥٤.

(٧٤) المؤامرة ص١١٥ - مصدر سابق.

(٧٥) سعد البزاز - حرب تلد أخرى ص١٢٥ - مصدر سابق، عدوان على العقل ص١٣٣، ١٣٥، سفاح بغداد ص٤٤، ١٦٥، ١٦٤، هتلر الشرق وبلطجى العراق ص١٦٨، الفتنة الكبرى ص٢٢٩-٢٣١ - مصادر سابقة - الزهراء للإعلام العربى.

(٧٦) سفاح بغداد ص٤٤ - مصدر سابق.

(٧٧) حرب تلد أخرى ص١٢٦ - مصدر سابق.

(٧٨) حطام البوابة الشرقية ص٢٣٧ - مصدر سابق.

(٧٩) حطام البوابة الشرقية ص٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٢ - مصدر سابق.

(٨٠) يفجينى بريماكوف - مهمات فى بغداد ص١٠-١٢١ - دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث.

(٨١) حطام البوابة الشرقية ص٢٤٥ - مصدر سابق.

(٨٢) حطام البوابة الشرقية ص٢٤٦، ٣٠٨، ٢٤٧ - مصدر سابق، الإستراتيجية السياسية والعسكرية لحرب الخليج ص٨٧ عن مجموعة مقالات للواء حسام سويلم تحت عنوان (القوة العسكرية العراقية من الصعود إلى الانكسار - الأنباء فى ١٩٩١/١٢/٢٢، ١٩٩١/١٢/٢٧، الفتنة الكبرى ص٢٧٤ - مصدر سابق.

(٨٣) حطام البوابة الشرقية ص٢٨٧، ٤١١ - مصدر سابق، السقوط ص١٦٧ - مصدر سابق.

(٨٤) حرب الخليج والفكر العربى ص١٣٢ - مصدر سابق، السقوط ص١٦٢، ١٧٢ - مصدر سابق.

(٨٥) السقوط ص١٥٤ - مصدر سابق، صدام محنة الإسلام والتاريخ ص٧٣ - مصدر سابق، المؤامرة ص٢٦ - مصدر سابق، الأنباء فى ١٩٩٣/٨/٢٩، ١٩٩٢/٥/٤، ١٩٩٢/١١/٢٨، ١٩٩٥/١/٢٢، ١٩٩٥/٧/١٧، والوطن العربى ١٩٩٦/٧/١٦.

(٨٦) حطام البوابة الشرقية ٢٨٧.

(٨٧) د. فاضل البراك - المدارس اليهودية والإيرانية فى العراق - دراسة مقارنة - بغداد ١٩٨٤.

(٨٨) خالدة عبد القهار - سكرتيرة صدام حسين تتكلم - ص٢١، مجلية جويش برس - عدد فبراير ١٩٩٨ - نيويورك، جاك دميس - الصقور، الأخبار العراقية ١٩٥٠/١٢/١٧.

(٨٩) بيت العقرب - مصدر سابق، طريق الجحيم من العوجة إلى الكويت ص٣٧ - مصدر سابق، السقوط ص١٣ - مصدر سابق.

(٩٠) السفاح ص٣٥ - مصدر سابق، بيت العقرب ص٢٢٣ - مصدر سابق، الفتنة الكبرى ص٦٩ - مصدر سابق، اغتيال الكويت ص٧٥ مصدر سابق.

(٩١) جاك دمبس - الصقور - مصدر سابق.

(٩٢) السفاح ص٣٥ - مصدر سابق، سكرتيرة صدام تتكلم - مصدر سابق، طريق الجحيم ص١٧ - مصدر سابق، السقوط ص١٣ - مصدر سابق.

(٩٣) بيت العقرب - مصدر سابق، أحمد رائف - التاريخ السرى لصدام حسين - ص٨٨ الزهراء للإعلام، السفاح ص٤٠ - مصدر سابق، عبد المجيد تراب زمزمى - الحرب العراقية الإيرانية .. الإسلام والقوميات ص٦٩-٧٤ - الوكالة العالمية للتوزيع، د. (جون، ف) حزب البعث منذ نشأته حتى عام ١٩٦٦ - مطابع هوفر ستانفور كاليفورنيا ١٩٧٦ ص١٥٥.

(٩٤) طريق الجحيم ص٢٠ - مصدر سابق.

(٩٥) التاريخ السرى لصدام حسين ص٩٤،٩٠ - مصدر سابق، عاطف النمر - سفاح بغداد ص٨٨ - الصلاح للدراسات السياسية باريس، الأخبار العراقية ١٩٥٠/١٢/١٧، مذكرات حردان التكريتى - مصدر سابق، الحرب العراقية-الإيرانية - عبد المجيد الزمزمى - مصدر سابق.

(٩٦) مذكرات حردان التكريتى - كتاب كنا عصابة من اللصوص خلف صدام حسين - مصدر سابق، محطة الموت - مصدر سابق.

(٩٧) التاريخ السرى لصدام حسين ص٤٩ مصدر سابق.

(٩٨) الأزمة ص٥٠ - مصدر سابق.

(٩٩) مذكرات حردان التكريتى ص٥٦ - مصدر سابق.

(١٠٠) هاآرتس الإسرائيلية فى ١٩٩٠/١١/٥، محضر (٠٠٢) معهد أبحاث الشرق الأوسط فى واشنطن عن لقاء صدام حسين مع ستيفن سولارز عضو الكونجرس، مارك هيلر - دراسة عن صدام حسين - مركز جافى للدراسات الإستراتيجية التابع لجامعة تل أبيب فى عام ١٩٨٤، مجلة الجيش الإسرائيلى عدد ٢٠ صيف ١٩٩٠ - العراق: الطموحات الإقليمية والمخاوف الإقليسية.

(١٠١) التعاون بين بغداد وتل أبيب - مصدر سابق، روبرت دريفوس - رهينة الخومينى، بريجينسكى Saving the wordl from choos (إنقاذ العالم من الفوضى) - نيويورك ١٩٧٢، مذكرات أبو الحسن بن صدر - باريس.

(١٠٢) السقوط ص٤٣ و ١٥٨ - زعيم فى عباءة الموساد.

(١٠٣) جيروزاليم بوست فى ١٩٨٧/١١/١٣ و ١٩٨٧/١١/١٥، محطة الموت - مصدر سابق، التعاون بين بغداد وتل أبيب - مصدر سابق.

(١٠٤) السقوط ص١٥٤ - مصدر سابق، الإستراتيجية السياسية والعسكرية لحرب الخليج ص١١٢ - مصدر سابق، حطام البوابة الشرقية ص١٩٨ - مصدر سابق، سفاح بغداد ص٥٣ - مصدر سابق، مجلة International Flight اللندنية فى ١٩٩١/٣/١٥، التعاون بين بغداد وتل أبيب - مصدر سابق، محطة الموت - مصدر سابق، هارى سومرز - Critical Analysis of the Gulf War ، كتاب قوة الانتشار السريع Rapid Deplayment نيويورك عام ١٩٧٨، نيويورك تايمز فى ١٩٩٠/٦/٢٣، الأوبزرفر البريطانية ١٩٩٠/١٠/٢٣.

(١٠٥) مذكرات شوارسكوف - مصدر سابق، مجلة الوسط العدد ١٩٢ فى ١٩٩٥/١٠/٢، صحيفة الأنباء الكويتية فى ١٩٩٨/١/١٩، الاتحاد الظبيانية فى ١٩٩٨/٧/٧.

(١٠٦) حطام البوابة الشرقية ص٢٣٥، ٢٣٦ مصدر سابق، قراءة فى تقرير منظمة حقوق الإنسان الأمريكية لعام ٢٠٠٠ حول حقوق الإنسان فى العراق، أحمد الكاتب مجلة الوسط ٢٠٠٠/٤/٣، تقرير لصحيفة السياسة حول نتائج الانتخابات التشريعية فى العراق ٢٠٠٠/٤/١، تقرير لصحيفة الوطن فى ٢٠٠٠/٣/٣٠، رؤية تحليلية حول الوضع العراقى الراهن - د. شفيق ناظم الغبرا - الرأى العام ٢٠٠٠/٤/٩، الحياة ٢٠٠٠/٤/١٦، البيان الإماراتية فى ٢٠٠٠/٤/١٤ نقلاً عن هاآرتس الإسرائيلية، صانداى تلجراف البريطانية فى ٢٠٠٠/٤/٩.

(١٠٧) أخبار اليوم القاهرية فى ١٩٩٥/٣/٢١، Foreign Report عن الإكونوميست ٢٢٤٣ فى ١٦ /٣/ ١٩٩٥، صانداى تايمز اللندنية فى ١٩٩٥/١/٨.

(١٠٨) الاحتفال الباذخ بميلاد صدام - الوطن الكويتية فى ٢٠٠١/٤/٢٨، ٣٥٠ صورة عملاقة لطـ... العراق فى تكريت وشعبه يواجه الموت - القبس ٢٠٠١/٤/٢٧، بريطانيا تنتقد احتفالا... المكلفة - الأنباء فى ٢٠٠١/٤/٣، صدام يبدد ١٤ مليون دولار على عيده - الأنباء ٢٧ / ٢٠٠١.

(١٠٩) النظام العراقى يجوع شعبه ويصدر الأدوية وأغذية الأطفال - الأنباء ١٩٩٩/٨/١٧، العراق يبيع للإمارات والأردن حليب الأطفال ويتاجر بمعاناتهم - الوطن الكويتية فى ١٩٩٩/٨/١٧.

(١١٠) تقرير كوفى عنان إلى مجلس الأمن فى ١٩٩٩/٨/٢٤ وفى يونيو وديسمبر ٢٠٠١ - الأنباء فى ٨/ ٢٠٠١/٣، صامويل بيرجر - العراقيون هم ضحايا صدام وليس العالم الخارجى - هيرالد تريبيون فى ١٩٩٩/١٠/٢٠، الأطفال العراقيون ضحية عناد صدام - هيرالد تريبيون ١٩٩٩/٨/١٨، ماثيو كمبيل - العراق يتضور جوعاً وأهل الصفوة يلهون فى صدام لاند - صانداى تايمز فى ١٠/٣/ ١٩٩٩، عبده مباشر - برج صدام - الأهرام فى ١٩٩٩/٤/٢٨.

(١١١) الوسط فى ١٤/٨/١٩٩٥، الحياة ٢٤/١٢/١٩٩٥، النار فى بيت صدام - حطام البوابة الشرقية - ص٤٦٩ - مصدر سابق.

(١١٢) ملف الأهرام الإستراتيجى يناير ١٩٩٦ (الفيدرالية فى العراق)، الوطن العربى فى ١١/٧/١٩٥٧، السياسة الدولية شهريات ١٩٩٥، الأنباء ٢٧/١٠/١٩٩٥، القبس ٣٠/٨/١٩٩٥.

(١١٣) حطام البوابة الشرقية ص٤٧٥ - مصدر سابق، الحوادث اللبنانية ١/٣/١٩٩٦، الوطن العربى ٨/٣/١٩٩٦، الأنباء عن التايمز ٥/٣/١٩٩٦، الشرق الأوسط ١٠/٥/١٩٩٦، الحياة ٣/٢/١٩٩٦.

(١١٤) الأنباء ١٥/١/٢٠٠١ ضابط مخابرات عراقى يصف السجون العراقية بالمقابر، الأنباء ١٧/٩/١٩٩٩ النظام العراقى يدفن المعتقلين وهم أحياء، الأنباء ١٣/٧/٢٠٠٢ هارب عراقى يحدد ٣٠ موقع كيميائى وبيولوجى، الأنباء ٢٥/٤/٢٠٠٢ صدام خطط لتسع عمليات إرهابية، اغتيال المعارضين فى الخارج - الأنباء ٢٣/٨/١٩٩٩.

(١١٥) تقرير البنك الدولى عام ٢٠٠١، الأنباء ٣١/٧/٢٠٠١، صدام أنفق ٤٠% من دخل بلاده على التسلح والأمن - الأنباء فى ٢٥/٢/٢٠٠٢.

(١١٦) خفايا المؤسسة القمعية - الأنباء ٢٩/٧/٢٠٠١، ثلاث محاور جديدة للنظام العراقى للإستمرار فى الحكم - الأنباء ٢٦/٨/٢٠٠٠، المعارضة العراقية تكشف خطة صدام لحماية نظامه - الأنباء ٢٨/٢/١٩٩٩، حطام البوابة الشرقية ص٢٠١ - مصدر سابق.

(١١٧) العراق إلى أين؟ الأنباء فى ٣٠/٧/٢٠٠١، صدام أعاد بناء جيشه - الأنباء ١٨/١/٢٠٠١، مايكل إيفانز - العراق يشترى نظام دفاع جوى جديد - التايمز البريطانية ٤/٨/١٩٩٩، القبس ٢٣/٥/١٩٩٨، المساعدات الصينية للعراق - الأنباء ١٢/٣/٢٠٠١، ٢٠/٦/٢٠٠٠، إعادة تنظيم الجيش العراقى - القبس ٢٣/٥/١٩٩٨، ضباط عراقيون يتدربون على صواريخ أرض/جو فى بيلا روسيا - الأهرام ٢٣/١٠/٢٠٠١، معهد الدراسات الإستراتيجية الدولية IISS لندن - الميزان العسكرى ٢٠٠٠-٢٠٠١، طريق الجحيم من العوجة إلى الكويت ص ٢٢٣ - مصدر سابق .

(١١٨) العراق إلى أين؟ - الأنباء ٣٠/٧/٢٠٠١ - مصدر سابق، طريق الجحيم من العوجة إلى الكويت ص٢٣٥ - مصدر سابق.

(١١٩) د. عزيز الحاج: العراق .. مشكلات الحاضر وخيارات المستقبل - الاتحاد ٢٥/٤/٢٠٠٠، الأنباء ٢٩/١/٢٠٠٠، الحياة ٥/٣/٢٠٠٠و ٢٧/٥/٢٠٠٠، فاينانشيال تايمز ١/٤/٢٠٠٠، مجلة الزمن:

٢٠٠٠/٤/٨، السياسة ٢٠٠٠/٥/٢٨، الوطن العربى ١٩٩٦/٧/١٢و ١٩٩٦/٨/١٦، الوسط ٣/١٠/ ١٩٩٧، القبس ١٩٩٧/٢/١٢.

(١٢٠) Saddam s Bomb Maker - Khidr Hamza - Aliza Drew Book - New York ، ليونارد كول - كتاب الوباء الحادى عشر - أسلحة الدمار الشامل - عرض البيان فى ٢٠٠٢/٤/٢٧ ، مسلسل العراقيل التى افتعلها العراق فى وجه المفتشين الدوليين منذ عام ١٩٩١ - الأنباء فى ٢٧/ ٢٠٠٠/٨، ريتشارد باتلر - الخطر الأعظم - أسلحة العراق ذات التدمير الشامل - عرض الأنباء ١ ٢٠٠٠/١٢/ The Gulf War in the world literature 1990-2000 - Volume II - بروفيسور محمد م. أمان - مركز البحوث والدراسات الكويتية-، الأنباء ١٩٩٩/٣/١١، البيان ٢٢/ ٢٠٠٢/٤، الأنباء ٢٠٠٠/٨/١ و ٢٠٠٢/٣/١٨ و ٢٠٠٢/٢/٢٥ و ٢٠٠١/١٢/٢ و ١٠/١١/ ١٩٩٩ و ٣/١٣/ ١٩٩٩ و ١٩٩٩/٣/١١، وكالة رويتر ١٩٩٨/١٠/١٨، أنتونى كوردسمان - ما بعد العاصفة - ترجمة المشير عبد الحليم أبو غزالة - مصدر سابق.

(١٢١) صانداى تايمز اللندنية فى ١٩٩٨/٥/٢٠، لوموند الفرنسية ١٩٩٥/٢/١، الإستراتيجية السياسية والعسكرية لحرب الخليج ص٩٧ مصدر سابق، السقوط ص٦٠ - مصدر سابق، خضر حمزة - صدام مستمر فى برنامجه النووى -الأنباء ١٩٩٨/٩/٢٠، العراق حقق تقدماً فى مجال الرؤوس النووية - الأنباء ٢٠٠١/٣/٢٣، نورما بالحاج - طاغية بغداد ما زال يملك أسلحة نووية وبيولوجية - الأنباء ٢٠٠١/١٢/٢١، صدام يأمر أعوانه بمواصلة البرنامج النووى - الأنباء ٢٠٠١/١١/٨، صدام يمتلك ٩ قنابل نووية وأجرى تجربة تحت الأرض - الأنباء ٢٠٠١/١/٢٦، ألمانيا: بغداد تنتج أسلحة نووية فى ٣ سنوات - البيان ٢٠٠١/١٢/٢٦، تعاون صدام مع الجزائر لإنتاج أسلحة نووية - الأنباء فى ٢٠٠٠/٩/١، عالم عراقى - القنبلة القذرة تصنعها سياط صدام - الأنباء فى ٦/١/ ٢٠٠٢، تكنولوجيا نووية من أوكرانيا للعراق - الأنباء فى ٢٠٠٢/٧/١١و ٢٠٠٠/٩/١.

(١٢٢) الأنباء عن نيوزويك ١٩٩٨/٣/١٦، وعن وول ستريت جورنال فى ١٩٩٨/٦/٢٤، ١٢/٢٠/ ١٩٩٧ و ١٩٩٨/٧/٤ و ١٩٩٨/٣/١٩، ١٩٩٨/٨/١ و ١٩٩٨/٨/٢٢ و ١٩٩٨/٧/١٣ و ٥/٢٠/ ١٩٩٨ و ١٩٩٨/٢/٢٤، هارب عراقى يحدد ٣٠ موقعاً كيميائياً - الأنباء فى ٢٠٠٢/٧/٢٣، الأهرام فى ٢٠٠٠/٢/٢٥، كتاب الوباء الحادى عشر - مصدر سابق، باتلر: العراق صنع ٤ طن غاز VX الأنباء ١٩٩٨/١١/٢٠، وثيقة سرية للأمم المتحدة تؤكد امتلاك العراق أسلحة كيميائية وبيولوجية - الأنباء ٢٠٠١/٣/٣، ٢٠ موقعاً نووياً و ٤١ كيميائياً تشكل خطراً داهماً على المنطقة - الأنباء ١٩٩٨/٩/٨ و ٢٠٠١/٣/٤، قصى يشرف على مشروع قرب الحدود مع سوريا لصناعة أسلحة كيميائية - الأنباء ٢٠٠١/٩/٣، CIA تحصل على معلومات مفصلة عن أسلحة الدمار الشامل العراقية - الأنباء ٢٠٠٢/٣/١٨، النظام العراقى يحتفظ بـ ٤ طن أسلحة كيميائية - الأنباء

٢٠٠٢/٢/٢٥، تقرير للمخابرات الأمريكية: العراق يعيد سراً إنتاج أسلحته الكيميائية والنووية - الأنباء ٢٠٠١/٢/٢٤، طريق الجحيم من العوجة إلى الكويت ص٣٠٠ - مصدر سابق، حطام البوابة الشرقية ص١٥٣ - مصدر سابق.

(١٢٣) صحيفة (صن) البريطانية فى ١٩٩٨/٣/٢٣، الأنباء عن الديلى تلجراف فى ١٩٩٨/٤/١٧، الأنباء عن نيوزويك فى ١٩٩٨/٣/١٦، الأنباء فى ١٩٩٨/١٢/٢٠ و ١٩٩٨/٧/١٣ و ١٩٩٨/٣/١٩ و ٣/ ١٩٩٨/٤ و ١٩٩٨/٣/٢٥، صدام يمتلك الإنثراكس و ٢٠٠ قنبلة و ٢٥ صاروخ رؤوس بيولوجية - الأنباء فى ٢٠٠١/١٢/٢، المفتشون عثروا على ٢٧٤٠٠ لتر إنثراكس - الأنباء ٤/٢٧/ ٢٠٠٢، الاستخبارات الأمريكية: العراق يخفى فيروس الجدرى - الأنباء فى ١٩٩٩/٦/١٤، بغداد تواصل بناء ترسانتها من جراثيم الجمرة الخبيثة وفيروسات تليف الكبد - الأنباء فى ١٩٩٨/٩/٨، واشنطن تؤكد تقارير الأمم المتحدة حول امتلاك العراق أسلحة محظورة - الأنباء فى ٢٠٠١/٣/٤، الأسلحة البيولوجية .. هل هى مفاجأة صدام؟ هيرالد تريبيون ٢٠٠٠/٢/٩، تقرير سرى للأمم المتحدة عن امتلاك العراق أسلحة بيولوجية - الأنباء ٢٠٠١/٣/٣ و ١٩٩٨/٩/٨ و ٢٠٠١/١٢/٢١ ، هيرالد تريبيون ٢٠٠٠/٢/٩، أمريكا تخشى طائرة عراقية تشيكية لرش الجراثيم - الأنباء ٧/١٨/ ٢٠٠٢.

(١٢٤) الوطن العربى فى ١٩٩٨/٥/١، الأنباء فى ١٩٩٨/٨/١ و ١٩٩٨/٢/٢٦، تقرير المخابرات الأمريكية: العراق ينتج صواريخ سكود سراً فى السودان - الأهرام فى ٢٠٠٠/٨/١٦، واشنطن: ٥ سنوات يحتاجها نظام بغداد لاختبار صاروخ عابر للقارات - الأنباء فى ٢٠٠٢/١/١١، باتلر: العراق تمكن من تطوير أسلحة مدمرة - الأنباء فى ٢٠٠٠/٨/٣، العراق يستأنف برنامجا لتصنيع الأسلحة ويقوم بتجارب صواريخ - الأهرام فى ٢٠٠٠/٧/٢، ألمانيا: صاروخ عراقى يبلغ أوروبا عام ٢٠٠٥ - البيان ٢٠٠١/٢/٢٦، العراق استأنف برنامج الصواريخ ويملك ما بين ٢٠-٤٠ صاروخ سكود - الأنباء ٢٠٠٠/٧/٢، صدام يسعى لشراء صواريخ متطورة - الأنباء ٨/١٧/ ١٩٩٩ صفقة صواريخ مع روسيا - الأنباء ١٩٩٩/٨/١٧ و ١٩٩٨/٧/٢٩.

(١٢٥) الوطن العربى العدد ١١٣٣ فى ١٩٩٨/١١/٢٠.

(١٢٦) العراق سبب تمزق الأمة العزبية - الأنباء ٢٠٠٠/٩/١٨، أحمد الشحومى - متفرقات هنا وهناك - الأنباء فى ٢٠٠٠/٨/١٨، صدام والنكبات العربية - الأنباء فى ٢٠٠٠/٧/٢٨، الفهد: لا نسمع من بغداد سوى البذاءات - الأنباء ٢٠٠١/٦/٨، راجح الخورى - حصاران - الأنباء ٢٠٠٠/٨/١٠، وليد إبراهيم أحمد - لا تتاجروا بالشعب العراقى - الأنباء ٢٠٠٠/٣/٢٨، محاور مرتزقة صدام الإعلامية - الأنباء فى ٢٠٠٠/٨/٥ و ٢٠٠٠/٨/٦ و ٢٠٠٠/٨/٧، النظام العراقى يصعد الأمور

كلما تأزم الوضع فى الأراضى المحتلة - الأنباء ٢٠٠١/٧/٣٠، المتاجرة بآلام الشعب العراقى - الأنباء ١٩٩٩/١١/٢٤.

(١٢٧) العراق سبب تمزق الأمة العربية - الأنباء ٢٠٠٠/٩/١٨، فيصل الزامل - يتحدثون عن المصالحة - الأنباء ٢٠٠١/٤/١، دراسة مركز الخليج للدراسات الإستراتيجية عن التضامن العربى - كونا ٢٠٠١/٦/٢٨، أحمد عبد العزيز الجاسم - يوم الأيام يا صدام - الأنباء ٢٠٠٠/٩/١٩، نظام صدام يخرب العلاقات العربية - الأنباء ١٩٩٩/١٢/٣٠، حروب أهلية عربية قادمة - الأنباء ٢٠/٧/ ٢٠٠٢.

(١٢٨) السياسة الدولية شهريات أعداد إبريل ١٩٩٤ و يوليو ١٩٩٤ و أكتوبر ١٩٩٤، كتاب الحشود العراقية على الحدود الكويتية (أكتوبر ١٩٩٤) دراسة توثيقية إعداد مركز البحوث والدراسات الكويتية عام ١٩٩٦، بوسطن جلوب ١٩٩٤/٧/٢٠، نشرة Foreign Report عن الإكونوميست فى ١٩٩٤/٣/٣١، الشرق الأوسط ١٩٩٤/٨/٢٨، ترجمات هيئة الاستعلامات المصرية للصحف الروسية (سفودينا) ١٩٩٤/٧/١٦، ١٩٩٤/٨/١٦، ١٩٩٤/٩/٦، راديو موسكو ١٩٩٤/٩/٢، صحيفة (كرسنت) فى ١٩٩٤/٩/٩، الأنباء فى ١٩٩٩/١/٢٤ شكرى صالح زكى - القبس ١٦ و ٢٠٠٠/٦/٢٠، حسين حربى - الرأى العام ٢٠٠٠/٦/٢٠، د. بدرية عبد الله العوضى - القبس ١١/ ٢٠٠٠/٦، خالد محمود - الشرق الأوسط ٢٠٠٠/٦/٢٣، خضر طاهر - الحياة ٢٠٠٠/٦/٢٣، ١١ عاماً من التحرير وما زالت الكويت المحافظة ١٩ فى المناهج التعليمية العراقية - الأنباء ٢/٢٥/ ٢٠٠٢، الحرب التربوية - الأنباء فى ١٩٩٨/٨/٢٢، ١٩٩٨/١٠/٢٤، صحيفة الثورة العراقية ٢١ /٢٠٠١/١، صحيفة العراق فى ١٩٩٥/٤/١١، جميع صحف العراق فى ٢٠٠١/١/١٦، الثورة العراقية فى ٢٠٠٠/٥/٧، عبد الهادى صالح - رسالة إلى المتعاطفين مع هدام العراق - الأنباء فى ٢٠٠٠/٨/١١، عدى يقود حملة لتقليص المنطقة العازلة بين الكويت والعراق - الأنباء ٧/١٧/ ٢٠٠١، تهديدات صدام تجسد نواياه الشريرة - الأنباء ٢٠٠١/١/٢٠، د.عصمت عبد المجيد - العراق يسمى احتلاله للكويت شمساً جديدة تشرق على الخليج - الأهرام ١٩٩٨/١٢/١٠، محمد نايف الغزى - الأطماع العراقية فى الكويت - مركز البحوث والدراسات الكويتية ٢٠٠١، الكويتيون يواجهون ألغام الغزو العراقى - الأهرام ٢٠٠١/٨/١، القبض على متسللين من المخابرات العراقية - الأنباء ٢٠٠٠/٥/١٦، خريطة عدى ورفع الحصار - الأنباء ٢٠٠١/٢/٢٥، تحذير من أغسطس جديد - الثورة العراقية ٢٠٠٠/٥/٧، وليد إبراهيم - صدام حسين جنون جديد - الأنباء ٢٠٠٠/٨/١١.

(١٢٩) أسرى الكويت ومصارعة السوء - مصدر سابق، وثائق الأسرى - مصدر سابق، أسرى الكويت ومسئولية العراق الدولية - مصدر سابق، مركز البحوث والدراسات الكويتية ودوره فى توثيق

جرائم العدوان العراقى والرد عليها - مصدر سابق، إطلاق الأسرى والرهائن من سجون النظام العراقى قضية الكويت الأولى - مركز البحوث والدراسات الكويتية، مأساة إنسانية .. أسرى الكويت فى العراق - اللجنة الوطنية لشئون الأسرى والمفقودين - يناير ٢٠٠١، تداول ٧٧ أسير حرب بين العراق وإيران - صوت الكويت ١٩٩٢/٦/١٢، العراق أفرج عن ١٠٠ أسير إيرانى من أصل عربى - الرأى العام ١٩٩٤/١/٤، بعد ١٨ سنة أسير حرب يعود من عالم الأموات فى العراق - القبس ١٩٩٨/٥/١، العراق تعترف بـ ٣٠ ألف إيرانى - القبس ١٩٩٥/١٠/٢٤، طهران: العراق يحتجز ٧٠٠٠ أسير إيرانى - القبس ١٩٩٦/٦/٧، طهران: بغداد تخفى آلاف الأسرى الإيرانيين - القبس ١٩٩٧/١٠/٣، اختبارات جرثومية على أسرى إيرانيين - القبس ١٩٩٨/١/١٩، بعد إطلاق سراح ١٣٨٠ أسير إيرانى .. طاغية العراق ظل يكذب ٨ سنوات بشأنهم - القبس ٤/٢٠ /١٩٩٨ - طهران: ٢٨٠٠ إيرانى ما زالوا أسرى فى العراق - القبس ١٩٩٩/٤/٢٦، ثلاثة أسرى إيرانيين يتذكرون سنوات الاعتقال فى سجون الطاغية - الأنباء ٢٠٠٠/٨/١، الأماكن التى شوهد فيها الأسرى - الأنباء ٢٠٠٠/٨/١.

(١٣٠) عميد ركن نجيب الصالحى - ماذا حدث فى العراق بعد الانسحاب من الكويت .. خفايا الأيام الدامية - الزلزال - مؤسسة الرافد للتوزيع - ص٢٤٤، ٢٤٥.

(١٣١) الحياة فى ١٩٩٩/١/١٢، الأهرام فى ١٩٩٩/١/٢٤، الأنباء فى ١٩٩٩/١/١٧، وفى ١٩٩٩/١/٢٤ ، قضية جثمان الطيار السعودى - الشرق الأوسط ٢٠٠٠/٢/٤، الرأى العام ٢٠٠٠/٢/٤، الأنباء ٢٠٠٢/٩/٢٤ الإعلام السعودى يدعو لمساعدة العراقيين على التخلص من صدام، القبض على ٧٧٧ عراقياً حاولوا تهريب مخدرات وأسلحة - الأنباء ٢٠٠١/٧/٨، مجلة الأهرام العربى فى ١٩/ ٢٠٠٠/٨، طارق عزيز يشن هجوماً بذيئاً على الكويت والسعودية - الأنباء ٢٠٠١/١/١٧، صدام يتاجر بالعرب - الأنباء فى ٢٠٠١/١٢/١٩، صدام فقد قدرته وصوابه - الأنباء فى ٢٠٠١/٨/١٤، صدام البعير الهائج - الأنباء ٢٠٠١/٨/١٦، إعادة تأهيل النظام العراقى مستحيلة - الأنباء ٨/٣/ ٢٠٠١، النظام العراقى متواطئ مع القوى الأجنبية، الأنباء ٢٠٠١/٩/٢، صدام على رأس قائمة الخونة الذين باعوا الأمة العربية - الأنباء ٢٠٠٠/٨/٢١، صدام يتملكه حقد وطمع بثروات الآخرين - الأنباء ٢٠٠٠/٨/١٠ "وجميعها نقلاً عن الصحف السعودية"، العراق وسرقة النفط - الأنباء ٢٠٠٠/٩/٢٠، الحرب الكلامية العراقية - الأهرام ٢٠٠٠/٨/٩.

(١٣٢) حسن عبد الله الصايغ - رسالة مفضوحة - الأنباء ٢٠٠١/١/٣٠، صالح الشايجى - موتى فى الداخل جوعى فى الخارج - الأنباء ٢٠٠٠/٩/٢١، وليد إبراهيم أحمد - إبرة.. بن زايد - الأنباء ١/ ١٩٩٩/١٠.

(١٣٣) الأهـــرام ١٩٩٩/١٢/١١ و ٢٠٠٠/٢/٢ و ٢٠٠٠/٢/٧ و ٢٠٠٠/١/٢٧ و ٢٠٠٠/٢/٩ و ٢٠٠٠/٤/٣٠، الحـياة ٢٠٠٠/١/٢٣ و ٢٠٠٠/٤/١٧، الوطـن ٢٠٠٠/١/٢٤، خـالد محمـود - الشـرق الأوسط ٢٠٠٠/٣/٢٠، عبد الوهاب الديب - الشرق الأوسط ٢٠٠٠/٤/١٧، الوطن ٢٠٠٠/٤/١٧، الاتحاد ٢٠٠٠/٢/٩، الوسط ٢٠٠٠/٤/٢٤، القادسية العراقية فى ١٩٩٨/١٢/٢٩، بـابل العراقية ١٩٩٨/١٢/٢٩، بـابل العراقية ٢٠٠٢/٦/٢٤ للمصريين طرائف وعجائب، د.عمر الحسن - صدام وسياسة الهاوية - الأهرام ١٩٩٩/١/٥، جيهان السادات - محضر فى الكونجرس يكشف علاقة صدام بإسرائيل - الأنباء ٢٠٠٢/٦/١٢.

(١٣٤) الوطن العربى ١٩٩٦/٧/١٢ و ١٩٩٨/٨/١٤ و ١٩٩٨/٨/٢١ و ١٩٩٨/٨/٧ و ١٩٩٨/٩/٤ و ٦/ ٢٠٠٠/١٠ و ٢٠٠٠/٣/١٠، الوسـط ١٩٩٨/٧/٢٦ و ١٩٩٨/٩/١٢، الشـرق الأوسـط ١٠/٧/ ٢٠٠٠ و ٢٠٠٠/٥/١٨ و ٢٠٠٠/٩/٢٥ و ٢٠٠٠/٩/١١، الحـياة ٢٠٠٠/١٠/٢ و ٢٠٠٠/٥/١٩ و ٢٠٠٠/٨/٣٠، الرأى العام ٢٠٠٠/٧/٢ و ٢٠٠٠/٨/٣١، الوطـن ٢٠٠٠/٨/٢٠ أحمد الجاسم - العلاقات الكويتية-السورية - الأنباء ٢٠٠١/٧/٣، حسن عبد الله الصايغ - كيف تريدون التضامن؟ - الأنباء ٢٠٠٠/٨/٢٤، هيرالد تريبيون ٢٠٠١/١١/٢٦.

(١٣٥) الجارديان تايمز ١٩٩٤/١/١٦ و ١٩٩٣/٨/٢٨، فايناننشيال تايمز ١٩٩٤/٨/٢٩، واشنطن بوست ١٩٩٤/٩/١٧، ملف الأهرام الإستراتيجى يناير ١٩٩٦، الوطـن العربى ١٩٩٧/١٢/١٩، الوطن ٢٣ و٢٤/١٢/١٩٩٩ و ٢٠٠٠/١/٢٥ و ٢٠٠٠/١١/٢ و الحـــياة ٢٢ و ٢٣ و ١٩٩٩/١٢/٢٤ و ٢٢ و ٢٠٠٠/١/٢٣ و ٢٠٠٠/١١/٢ و ٢٠٠٠/١١/٤ و ٢٠٠٠/١١/١ و ٢٠٠٠/١١/٥ و ٣١/ ٢٠٠٠/١٠ و ٢٠٠٠/١٠/٢٦، القـبس ٢٠٠٠/١٠/٣، السياســة ١٩٩٩/١٣/٢١، ٢٠٠٠/١/٢٢، الوسط ٢٠٠٠/١/١٠ مسئول فلسطينى سابق: مشروع لتوطين ٤ ملايين لاجئ فى العراق - الأنباء ١٩٩٩/٨/٧، أنيس عبد الملك: صدام يسرق الانتفاضة من ياسر عرفات - الأنباء ٢٠٠١/٤/٦، تصاعد حدة التوتر السياسى بين بغداد وعمان - الأنباء ٢٠٠٠/٩/٢٥.

(١٣٦) شهريات السياسة الدولية - يناير ٢٠٠٠ وأكتوبر ٢٠٠٢ ويناير ١٩٩٥.

(١٣٧) جميع الصحف العربية فى ٢٠٠٠/٩/١٦ بخصوص تهجم وزير الخارجية العراقى سعيد الصحاف على أمين الجامعة العربية د.عصمت عبد المجيد، شهريات السياسة الدولية يناير ٢٠٠١.

(١٣٨) موقف العراق من القمة كشف زيف ادعاءاته - الأنباء ٢٠٠١/٥/١، حسن عبد الله الصايغ - من أفشلها ؟ الأنباء ٢٠٠١/٣/٣١، عادل مالك - العراق لا يريد مساعدة نفسه - الأنباء ٢٠٠١/٤/٦، شهريات السياسة الدولية - عدد يوليو ٢٠٠١.

(١٣٩) طارق عزيز يغادر موسكو غاضباً - الحياة - ٢٠٠٢/٢/١، حتى لا ينسى الآخرون - الأنباء ٢٨/ ١٠/١٩٩٩، صدام يطرق أبواب واشنطن مقدما تنازلات مقابل بقائه - الأنباء ١٩٩٩/١١/١٣، أندريه مهاوج - صدام حسين لا يزال خطراً على جيرانه - الأنباء ٢٠٠٠/٨/١١.

(١٤٠) العراق يطمع بالهيمنة على الحكم ولديه القدرة على ذلك - تقرير للخارجية الأمريكية ١٩٩١/٩/١٥ - الأنباء، عبد الله الهدلق - الأزمة العراقية بين الحاضر والمستقبل - الأنباء ١٩٩٨/٦/١، حطام البوابة الشرقية ص٢٣٦ - مصدر سابق، ثلاث محاور جديدة للنظام العراقى للاستمرار فى الحكم - الأنباء ٢٠٠٠/٨/٢٦، حطام البوابة الشرقية ص٤٩٦ و ٤٩٨، رسالة مفتوحة من وفيق السامرائى إلى صدام حسين - طريق الجحيم من العوجة إلى الكويت ص٤٠٩.

(١٤١) حسام سويلم - غزو العراق بخطة نابليون - مجلة الأهرام العربى ص١٨، أنقرة تساوم واشنطن على ثمن ضرب العراق - البيان ٢٠٠٢/٧/١٩، من يخلف صدام حسين ؟ القبس ٢٠٠٠/٧/٤، ثلاث سيناريوهات الإطاحة بالطاغية الأنباء ٢٠٠٢/٦/١، السؤال متى الضربة؟ الأنباء ٦/١/ ٢٠٠٢.

رقم الإيداع ١٥٤٤٠/ ٢٠٠٢

فى الوقت الذى تسعى فيه الولايات المتحدة إلى ضرب العراق تحقيقا لأهداف إستراتيجيتها الكونية الرامية إلى بسط سيطرتها على المنطقة العربية، وهو ما تعارضه وترفضه جميع الدول والشعوب العربية، ليس حرصا على النظام الصدامى الحاكم فى بغداد فهو نظام مجرم لا يستحق أن يذرف عليه الدمع، ولكن حرصا على الشعب العراقى الذى ابتلى بحكم هذا النظام الدموى الديكتاتورى لأكثر من ثلاثين عاما، ذاق فيها هذا الشعب الويلات من جراء فاشية صدام حسين، ومغامراته العسكرية المجنونة التى كبدت العراقيين أكثر من مليون فرد بين قتيل ومصاب ومفقود، ناهيك عن الخسائر المادية التى فاقت الألف مليار دولار، حتى أصبح الإنسان العراقى يحيا فى أدنى مستويات المعيشة مقارنة بجيرانه، وهو الذى أفاء الله عليه بنعمتى النفط والماء معا. ولم يعد فى مقدور هذا الشعب تحمل المزيد من الآلام والمعاناة.
من هنا جاء رفض الدول العربية للمخططات الأمريكية بضرب العراق، وتخوفا من مستقبل غامض ينتظره، خشية أن يقع فيه فريسة النفوذ الأمريكى كما حدث فى أفغانستان، إلا أن النظام الصدامى يحاول كعادته أن يخدع العالم العربى والإسلامى مرة أخرى، بأن يسحب هذا التأييد العربى للعراق باعتباره تأييدا لنظامه الفاشى، مضللا الشعوب العربية عن حقيقته الدموية والديكتاتورية، وجرائمه فى حق البلدان العربية كلها وليس الكويت فقط.
لذلك يأتى هذا الكتاب ليلقى الضوء على حقيقة جرائم النظام الصدامى فى حق الأمة العربية ماضياً وحاضراً، ويكشف عمالته لأجهزة المخابرات الغربية والقوى الصهيونية التى زرعته فى المنطقة لخدمة مصالحها، ويظهر أيضا حقيقة أهدافه العدوانية، وخطورته على الأمن العربى فى مستوييه القطرى والقومى، مؤكدا أنه نظام لا يؤمن جانبه أبداً، لأنه يتسم بالغدر والخيانة والتآمر، يعتمد الآلة الإعلامية وسيلة لخداع وتضليل الأمة العربية، منتهزاً الفرص لاستخدام آلته العسكرية لتحقيق أهدافه فى إقامة الإمبراطورية الصدامية التى يحلم بها.
ومن ثم ينبغى الحذر واليقظة فى التعامل معه، والتفريق فى ذلك بينه وبين الشعب العراقى. لأن كل تأييد عربى يمنح لهذا النظام المجرم يعنى إطالة أمد معاناة الشعب العراقى، وإعطاء القناعة لصدام حسين بأنه نجح فى خداعه وتضليله للأمة العربية، فى ذات الوقت الذى لا يزال فيه يتربص فيه الفرص لتكرار عدوانه على جيرانه، محتفظا بأحجام رهيبة من أسلحة الدمار الشامل لتهديدهم وابتزازهم بها، وهو ما كشف عنه المنشقون على نظامه، وما أكثرهم، حيث فاق عدد العراقيين الهاربين فى الخارج ثلاثة ملايين عراقى.
هذا بالإضافة لإلقاء الضوء على مستقبل العراق فى ظل المخططات الأمريكية للإطاحة بالنظام الذى يحكمه.

هذا الكتاب

المؤلف



المؤلف: لواء أركان حرب متقاعد: حسام سويلم.

- خريج الكلية الحربية فى مصر إبريل ١٩٥٦م.
- ماجستير علوم عسكرية من أكاديمية فسترل بالاتحاد السوفيتى عام ١٩٦٥م.
- زميل كلية الحرب بأكاديمية ناصر العسكرية العليا عام ١٩٨٣م.
- قاد وحدات المدفعية وتشكيلاتها حتى قائد مدفعية المنطقة العسكرية الغربية عام ١٩٨٥م.
- عمل بهيئة عمليات القوات المسلحة، وإدارة المخابرات الحربية، ومدرسا بمعاهد وكليات القوات المسلحة، ثم مديرا لمركز الدراسات الإستراتيجية للقوات المسلحة.
- عين ملحقا عسكريا لجمهورية مصر العربية لدى الهند خلال الفترة من عام ١٩٧٥ إلى عام ١٩٧٨م.
- خاض حروب الصراع العربى - الإسرائيلى فى أعوام ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣م.
- مؤلفاته فى المكتبة العسكرية تشمل الأبعاد الحضارية للصراع العربى - الإسرائيلى، إسرائيل عام ٢٠٠٠، الحرب العراقية - ... الإستراتيجية الخف... النووية الإسرائيل... استخدامها، ال... السودانية. وفى الم... ضياع البوسنة... جديدة للحرب، ... بين الهند وإسرائيل... المطرقة الإسرائيلية...
- بعد التقاعد عام ... إستراتيجيا وكاتب... العربية والأجنبية.